ضحايا الحب

ضحايا الحب ، المعاكسات ، الاختلاط ، الدش ، الإنترنت ، الهاتف

قَصصٌ واقِعيةٌ مُؤثِّرةٌ، لفتياتٍ كُنّ ضحايا الشّهوةِ
والغفلةِ، رواها أصحابُها بالدّمعِ والدّم

تأليف الشيخ
يوسف الحاج أحمد

مكتبة ابن حجر

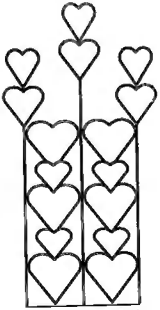

ضحايا الحب

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

[سورة البقرة]

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (الدِّينُ النَّصِيحَةُ)

قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: (لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ)

(رواه مسلم)

حُقوقُ الطَّبعِ محفُوظَةٌ

الطَّبعَةُ الأُولَىٰ

١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م

ـ الرقم الاصطلاحي/٧٧٢٢٤/٧/٢٠٠٤م.

ـ الموضوع: في المسائل الاجتماعية.

ـ العنوان: ضحايا الحب.

ـ التأليف: خادم السنَّة المطهرة يوسف الحاج أحمد.

ـ الصف التصويري: ابن حجر للطباعة والنشر والتوزيع، هاتف: ٢٢٣٣٦٩١.

ـ عدد الصفحات: ٣٢٠ صفحة.

قياس الصفحة: ١٧× ٢٥.

ـ عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.

توزيع: مكتبة ابن حجر بدمشق.

الحلبوني، بجانب المؤسسة العسكرية.

هاتف: ٢٢٢٣٦٩١

جوال: ٠٩٤٦٧٤٣٦٩

طباعة نشر توزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الإهداءُ

إليكِ أيَّتُها المُسْلِمَةُ الأبيَّة.. أُمًّا.. بنتاً.. زَوْجَةً..

إلى كلِّ فَتَاةٍ أرادَ الشَّيْطانُ غِوايَتَها وزيَّنَ لها شَهواتِها..

إلى كلِّ مُراهِقَةٍ خُدِعَت بِرَسَائِلِ الحُبِّ ومَعْسُولِ الكَلام..

إلى ابْنَتِي الغَالِيَة إيناس حَفِظَهَا اللَّهُ تَعَالَى..

أُهْدِي لكنَّ جَمِيعاً مِنْ قَلْبِي هَذَا الكِتَاب..

أمْنِيَةٌ

أسْألُ اللَّهَ أنْ يُحقِّقَهَا

لَيتَ شِعْرِيَ هَلْ تَجدُ هَذِهِ الكَلمَاتُ آذاناً صَاغِيَةً وَقُلوباً وَاعِيَةً

أتمَنَّىَ مِنْ كُلِّ قَلْبِي أنْ يَدْخُلَ هَذَا الكِتَابُ كُلَّ بيْتٍ

أتَمَنَّىَ أنْ يَقْرَأهُ كُلُّ شَابٍّ وَشَابَّةٍ فِي زَمَنٍ ضَعُفَتْ فِيْهِ النُّفُوسُ لِكَثْرَةِ الفِتَنِ وَانْتِشَار الرَّذيلَةِ وَالفَاحِشَةِ فَلَعَلَّ مَا سَطَّرتهُ يكونُ رَادِعًا لِمَن زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الانْسِيَاقَ بِفِعْلِ الفَاحِشَةِ وَارْتِكَابِ الرَّذِيْلَةِ..

آمِيْنَ.. اللَّهُمَّ آمِيْنَ..

المؤلِّف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

إنَّ الحمد لله تعالىٰ نحمدُهُ، ونستعينُهُ ونستغفِرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنَا ومن سيِّئات أعمَالِنَا، من يهدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ ومن يُضلل فلا هَادي لَـهُ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، أرسلَهُ بالهُدَىٰ ودين الحق ليظهرَه علىٰ الدِّين كلِّه ولو كرهَ الكافرونَ، وبعدُ:

أختي المسلمة:

يا دُرَّةً حُفِظَت بِالأَمْسِ غَالِيَةً ... وَاليومَ يُبقُونَـهَا للَّـهوِ وَاللَّعِـبِ
وأين مَنْ كَانَت الزَّهْرَاءُ أُسْـوَتَها ... مِمَّن تَقَفَّت خُطَىٰ حَمَّالةِ الحَطَب

أَيَّتُها الدُّرَّة المكنونَةُ:

تأمَّلِي فيمَن يذهبُ لملاقَاةِ عَدوٍّ له، يُقَاتلهُ في أرضِهِ، عدوُّهُ لديهِ مِنَ العدَّةِ والعتَادِ وَالجُندِ والأعوانِ، ها هُو ذا قَد ذَهَب واتَّجَه إلىٰ أرضِ عَدوِّه دونَ أن يَحْمِلَ السِّلاحَ والعتَاد.. فَاقداً لجميعِ مُقوِّمات النَّصْرِ مِنَ التَّوكُّل علىٰ اللهِ والأخْذِ بالأسبَاب.

أليسَ هَذا يا أُخيَّةُ ضَرْباً مِنَ الجنونِ والكِبْرِ وَالغُرُورِ !.

إذاً.. أيَّتُهَا الأختُ الكريمةُ:

اعلَمِي أنَّكِ ذَلِكَ المقاتِل الَّذي ذَهَبَ لملاقَـاةِ عَـدُوِّه، وأنَّ العـدوَّ هُـوَ الشَّيطانُ

نَعُوذُ باللهِ منه.. فهو مُتَرَبِّصٌ بكِ هُوَ وأعوانُهُ وجُنْـدُه، يَنْتَظِـرُونَ قُدُومَـكِ إلىٰ أرْضِـهِم علىٰ أحرَّ مِنَ الجمْر لِيَنْقَضُّوا عليكِ وَيَقْتُلوك، نَعَم يَقْتُلُوكِ.

أومَا تَأمَّلتِي قَولَ الشَّاعِرِ وهُوَ يُحذِّرُكِ فيَقُول:

فتلكَ يَـا أختُ في سَلْبِ حَيَائِكِ ليـسَ بِالسَّـيفِ ولا بالبُنْدُقيَّـة

أختي في الله:

نظراً لأنَّك قـد تضطريـنَ لِدُخـولِ أرضـهم كـانَ واجبـاً علـيَّ مِـن بـابِ الأُخـوَّة والمحبَّةِ والشَّفقَةِ عليكِ أن أضعَ بينَ يدَيْكِ الطاهِرَةِ المُتَوَضِّئـة مـا يكـونُ عونـاً لـكِ بَعْدَ الله عزَّ وَجَلَّ في أن تَخرُجي من أرضِهِم مَرفُوعَةَ الرَّأس مُعْتَزَّةً بدينِك وإيمـانِك، مُحافِظَةً علىٰ شرَفك وحيَائك.

بعكس منْ دخلت أرضَهُم وخرَجَت وقَد هُزمت وطأطأت رَأسَهَا بعدَ أن فَقَـدَت جزءاً من دِينها وإيمانِها، وهُتِكَ عرضُهَا.

فَقَتلَـت حياءهـا، ودنَّسَـت شـرَفَهَا، ولَطَّخَـت سُـمْعَتَها.. كـلُّ ذلـك علـىٰ عَتَبَـةِ الأسواق.. وهي أكثر الأماكن فساداً في الأرض.. حيث يوجد الاختلاطُ..

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُـولَ اللهِ أيُّ الْبُلْـدَانِ أحَـبُّ إلَىٰ اللهِ، وَأيُّ الْبُلْدَانِ أبْغَضُ إلَىٰ اللهِ؟ قَالَ: « لاَ أدْرِي حَتَّىٰ أسْألَ جِبْرِيلَ ﷺ » فَأتَـاهُ فَـأخْبَرَهُ جِبْرِيلُ: « أنَّ أحْسَـنَ الْبِقَـاعِ إلَـىٰ اللهِ الْمَسَـاجِدُ، وَأبْغَـضَ الْبِقَـاعِ إلَـىٰ اللهِ الأَسْوَاقُ». [رواه أحمد، والبزار، وأبو يعلىٰ].

أيَّتُهَا الجَوهَرَةُ المَصُونَةُ:

ها أنا ذا أضعُ بين يديكِ بعضاً من القصَصِ الواقعيـةِ الـتي يكْلَـمُ لهـا الفـؤادُ،

وتُقطِّعُ لها الأحشاءُ.. وتُذْرَفُ لها العيونُ.. لذا أتمنىٰ منكِ أيَّتُها الأختُ الكريمةُ أن تَقِفي معها وقْفَةً صادِقَةً عَاقِلَةً.. تُوصِلُكِ إلىٰ شاطئ الأمانِ، قبلَ أنْ ينتصرَ عليكِ الشرُّ والشيطانُ، فتسيرين في طريق الضَّلال والهَوىٰ والرَّذيلة..

أختِي الكريمة:

يقولُ الرَّسولُ ﷺ: «المَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَت اسْتَشْرَفَهَا الشَّيطَانُ». [صحيح، رواه الترمذي].

فيا من تريدينَ الجنَّةَ، ما هُو هَدَفُكِ مِنَ الذَّهاب إلىٰ السُّوق ؟

أهو لشراءِ حاجةٍ ضروريةٍ ؟

أم لمعرفةِ آخرِ ما تَوَصَّلت إليه المُوضة العصريَّة ؟

أم للنُّزهَةِ وعرضِ المفاتِن المُغْرية لِجَذْبِ الذِّئابِ البَشَرِيَّة ؟

ولكن قبلَ أن تُحَدِّدي الهدفَ يا أُخَيَّة تَذَكَّري وتأمَّلي قولَ رَبِّ البريةِ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤].

أختاهُ: وأنت تَقِفينَ وَتَنْظُرين إلىٰ المرآةِ لِتَسْتَعدِّي للخروج ضَعِي هَذا السُّؤالَ نُصْبَ عَيْنَيك:

هل مَظْهَرُكِ الخارجي من لباسٍ وحجابٍ موافق لشرع ربِّك وخالقك الَّذي وهبكِ الصِّحةَ والعافيةَ والحُسْنَ والجَمَال ؟

أم أنَّه موافقٌ لموضةِ العصرِ ؟ وللذي يُريدُهُ أعداؤك الَّذين يَنْتَظِرُونَكِ بفارغِ الصَّبر؟

فَهَلاَّ تذكرتي يا أُخَيَّةُ قولِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾ [النساء: ٢٧].

أختي يا رَعَاكِ اللهُ:

إنَّ العاقلَ هو الَّذي يَسْعَىٰ جاهداً لزيادَةِ رَصيدِهِ مِنَ الحسناتِ، ويبذلُ مَا استطاعَ لمحْوِ الذُّنوب والسَّيئاتِ.

فاحرصِي علىٰ ذلك ولا تكُوني من هُواة جمع السيئات.. وخُذي بكلِّ قُوَّةٍ بعضاً من النَّصَائح والتَّوجيهات حتَّىٰ لا تَسْقُطي، عندها لا تُسْمَعُ الآهَاتُ، ولا تُغْنِي العَبَراتُ، ولا تُجْدِي الحَسَراتُ..

نَصِيحَتِي إِلَيكِ أُخَيَّتِي قَبلَ فَوَاتِ الأَوَانِ:

١ـ الاستئذان من وليِّ أمرك وإخباره بالجهةِ الَّتي ترغبينَ الذَّهاب إليها.

٢ـ احرصي علىٰ أن يصحَبَكِ أحدُ مَحَارمك.. فإن تعذَّرَ ذلك فَلْتَصحبي امرأةً صالحةً عاقِلَةً.

٣ـ احذري أنْ تَصْحَبي امرأةً لا تُبَالي بالسِّتر والحياءِ والحِشْمَةِ والوقار حتَّىٰ وإن كانت قريبةً أو صديقةً. فَقَد يُسَاءُ بك الظنُّ وتكونينَ عُرضةً للذِّئاب والفِتَن.

٤ـ تَجَنَّبي وَضْعَ العُطور أو البَخور. فالرسولُ الكريمُ عليهِ الصَّلاة والسَّلامُ يقول: «إذا استَعْطرَتِ المَرأةُ فَمَرَّتْ علىٰ القَومِ ليَجِدُوا رِيحَها فهي زانِيَةٌ». [رواه النسائي، والترمذي، وأبو داود، وهو حديث صحيح].

٥ـ لا تلبسي حذاء له صوت أو كعب عال. واختاري الأحذية الخفيفة حفاظاً علىٰ دينك وسلامة لصحتك. قال تعالىٰ: ﴿ولا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِن﴾ [النور: ٣١].

٦- احذري مِن لبْسِ البنْطال أو العبَاءاتِ وَالحجابَ المُزركشِ أو المُطَرَّزِ بشكلٍ يلفتُ الانتباه..

٧- لا تَنْسي ـ حفظكِ اللهُ تعالىٰ ـ دعاءَ الخُروج مِنَ المنزلِ وهو كما أخبرنا به رسول اللهِ ﷺ: «بِسْمِ اللهِ، تَوكَّلْتُ عَلَىٰ اللهِ، لا حَولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ، اللَّهُمَّ إنِّي أعُوْذُ بِكَ أنْ أضِلَّ أو أُضَلَّ أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ، أوْ أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عَلَيَّ، أو أَبْغِي أَوْ يُبْغَىٰ عَلَيَّ». [رواه الطبراني، وهو حديث صحيح لغيره].

٨- ليكن لسَانُكِ يَا أخْتَاه رَطباً بِذِكْرِ الله تَعَالىٰ، وَلا تَنْسي دُعَاءَ الدُّخول إلىٰ أرضِ المَعْرَكَةِ (السُّوق) وهُوَ: «مَن دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيْتُ، وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ بِيَدِهِ الخَيْرُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفَ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفَ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفَ دَرَجَةٍ وَبَنَىٰ لَهُ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ». [رواه أحمد، والترمذي، وقال الألباني: حسن].

٩- اذهبي مباشرةً للأماكنِ الَّتي حَدَّدتيها مِنْ قَبْلُ، وتَعْلَمينَ أنَّ حَاجَتَكِ فيهَا، ولا تُحَاولي الدُّخُول إلىٰ كلِّ مَحَلٍّ، والنَّظَرَ في كلِّ مَعْرُوضٍ.

١٠- لا تُحَاولي الحديثَ معَ البائع مَا دَامَ مَعَكِ مَحْرَم، فإنْ تَعَذَّرَ وُجُوده فليكُن حديثُكِ حديثاً ظاهِرُهُ الجِدُّ خالياً مِن تَرْقيقِ الكَلام وتكْسِيْرِ العِبَارَاتِ، وتَذَكَّري قولَ اللهِ جَلَّ وَعَلا وهو يخاطبُ أمهَّات المؤمنينَ الشَّريفات العَفِيْفَات رضي الله عنهنَّ وهنَّ في أفضل القُرون، فَيقُولُ سبحانَهُ: ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

اللهُ أكبرُ، ماذا نقولُ في هذا العَصْرِ الَّذي يَعجُّ بِالفِتَنِ ؟.

١١ـ أختاهُ.. التَزمي بالحجَابِ الشَّرعيِّ الكاملِ وتفَقَّديهِ، فَربَّما ظَهرَ شيءٌ مِن شَعرِك.. أو جزءٌ من بَدَنِك فَتُطارِدُكِ النَّظراتُ المَسْمُومَةُ.

١٢ـ احذَري أنْ يَمَسَّكِ رَجُلٌ إذا دَخَلْتِ السُّوق أو دَخَلْتِ مكاناً مَليئاً بالمُتَسَوِّقينَ، وتَجَنَّبِي المَمرَّات والطُّرق الضَّيِّقَة.

١٣ـ انتَبِهي أن تُلْقِي بالاً لِمَن يُلْقِي إليكِ كَلِمَةَ إعجَابٍ، أو طُرْفَةً، أو ورقةً فيها رقمُ جَوَّاله أو مكانُ عَمَلِه..

١٤ـ احْرِصِي علىٰ عَدَم الوقُوف في مَمَرَّاتِ المَحَلِّ أو الانحِناء علىٰ طاولاتِ العَرْض لِتَفَقُّد سلعَةٍ، أو النَّظر إليها.

١٥ـ احذَري قِيَاس المَلابِس، أو وَضْعَها علىٰ الصَّدر أو أسْفَل الجِسْم حتَّىٰ وإنْ كانَ ذَلِكَ فَوقَ العبَاءةِ.

١٦ـ احْرِصِي دائماً علىٰ لبسِ جَوارب اليَدَين والقَدَمين فَهِي أبلغُ في السِّتر.

١٧ـ إذا أردتِ مُنَاوَلَةَ البَائع النُّقُودَ فَضَعيهَا علىٰ الطاولةِ واحذَري أن يَمَسَّ يَدَكِ.

١٨ـ لا تَجْعَلي يَدَكِ المُتَوضِّئة أو أُصبعك العوبَةً في يدِ البَائع بأنْ يَقِيسَ لَكِ أسورةً أو يُلْبِسَكِ خاتَماً.

١٩ـ تَنبَّهي بعَدَم فَتْح العَبَاءةِ أمَام البَائع وظُهُور الصَّدر وخاصَّة عندَ تَفَقُّدِ البِضَاعَة.

٢٠ـ اجعَلي مسافةً بينكِ وبينَ البائع، ولا تَسْمَحِي لهُ بالاقْتِراب منكِ، وإذا كانَ المكانُ ضَيِّقاً فاطلُبِي مِنَ البَائع الابتعَادَ، وخَاصَّةً عندَ الدُّخُول والخُروج وداخِلِ مَمَرَّات المَحَل.

٢١- تَذكَّري أختي المسلمة أنَّ جمَالَ وَجْهك وبريْقَ عينيكِ نِعمةٌ منَ الله، فاحذَري أن تُظْهِري شيئاً من ذَلِكَ أَمَامَ غير المَحَارم، فربَّما عاقَبَكِ اللهُ تعالىٰ بِعَاهَةٍ أو بلاءٍ أو تَسَلَّطَ عليكِ شيطانٌ من الإنسِ أو الجانّ.

❁ فيا من تريدينَ السَّعَادَةَ والنَّجاة اعلَمي:

أنَّ غالبَ الانحرافاتِ تَبْدأُ من الأسواقِ.. وكثرة الخروجِ لغير حاجةٍ إلىٰ هنا وهناك.. فاحذَري مِنَ الزَّلل والانْزِلاق خَلْفَ ابتسَامَةٍ صَفْراء.. أو كلمة إعجاب.. فهي واللهِ مَوَاطن خِدَاع والحرَّةُ تأبىٰ أن تُشْتَرىٰ أو تُبَاع.

فاللهَ اللهَ..

أن تَدْخُلي السُّوق بدِينِك وعفَافِك وحيَائِك، وتَخْرُجي وقَد سَقَطَ الحياءُ وثُلِمَ الدِّينُ ودُنِّسَ العفَافُ، عندهَا يَنْطَبِقُ عليك قولُ الشَّاعر:

انظر فتاة اليَوم أي تلكَ الَّتي	قد رافقت إبليس في تِجْوالِه
خلَعَت حجابَ السِّتر والصَّون الذي	قد أوجبَ البَاري علىٰ إسدَاله
خلَعَت حجابَ السِّتر ثمَّ تبجَّحت	عصْراً قديماً بَاركُوا لِزَوالِهِ
لَبِسَت قَصِيْرَ الثَّوبِ ثمَّ تَزيَّنَت	أبْدَت مَفَاتِن جِسْمِهَا لِجَمَالِهِ
حَمَلَت رِدَاءَ الكِبْرِ ثمَّ تَعَطَّرَت	عِطْراً يَفُوحُ شَذَاهُ حَالَ وصَالِهِ
جعَلَت مِنَ الوَجْهِ البريء شَنَاعَةً	مِن كَثْرَةِ المكيَاج في أشْكَالِهِ
وتَزَخْرَفَت فَإذا بِهَا كَعَرُوسَةٍ	في انْتِظَار الزَّوج واسْتِقْبَالِهِ
خَرَجَت بدُونِ مُرَافِقٍ فَإذا بِهِ	إبليسُ في اسْتِقْبَالِهَا بِرجَالِهِ
فَتَنَت عِبَادَ اللهِ بَل لَم تَرْعَوي	مِن نِقْمَةِ الجَبَّار أو إذْلالِهِ

فَـإذا بِـهَا بـينَ الذِّئـاب فَريسَـةً والذِّئـبُ يَـهْجُم لافْـتِرَاس غَزَالِـهِ

وختاماً: أستَوْدِعُكِ اللهَ تعالىٰ سَائلاً المَوْلَىٰ أن يَحْفَظَكِ ويَرْعَاكِ، ويُثَبِّتَنَـا وَإيَّـاكِ في الحَيَاةِ وعِنْدَ المَمَاتِ. وأن يجعلَ من هذهِ الورَقَات، وتلكَ الكلمات.. عظـةً لنا وَلِمَن جاءَ بَعْدَنَا.. عظَةً وَعِبْرَةً بِمَا أصَـابَ إخوانَنـا مـن المسـلمين.. وأخواتنـا مِـنَ العُقُوبَةِ والخِزْي في الدنيا.. لعَلَّنا نَمتَنِعُ مِـن طريـق مخزٍ موحـلٍ مُضـنٍ لا تحمـدُ خاتمتُه ولا عاقبتهُ..

والسَّعيدُ مَن وُعِظَ بِغَيْرِهِ.. أي مَن تَصَفَّحَ أفعَالَ غَـيْرِه فَـاقْتَدَىٰ بِأحْسَنِهَا وَانْتَهَىٰ عَن سَيِّئِهَا، قَالَ الشَّاعِرُ:

إنَّ السَّعيدَ لَهُ مِن غَـيْرِهِ عِظَـة وفي التَّجَـارب تَحكِيـم مُعْتَـبر

واللهَ أسْألُ أنْ يَنْفَعَ بِهِ المسـلمينَ، وأن يَجْعَلَـهُ خَالِصـاً لِوَجْهِـهِ الكَرِيـم، ويُبْقِيهِ ذُخْراً لي يومَ الدِّينِ، يومَ لا يَنْفَعُ مَالٌ ولا بَنُونَ إلاَّ مَن أتَىٰ اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيم..

وَصَلَّىٰ اللهُ علىٰ سيدنا محمَّدٍ وَعَلىٰ آلـهِ وَصَحْبِـهِ وَسَـلَّم تَسْـليماً كثيراً، وَآخِـرُ دَعْوانـا أن الحَمْـدُ للهِ رَبِّ العَـالَمِيْنَ.. وهـذا أوان الشُّـروع في المقصـودِ، بعـونِ اللهِ الملكِ المعبودِ.

دمشق الشام ١١ ربيع الأول ١٤٢٥ هجرية

الفقير لرحمة مولاه الكريم

خادم السنة: يوسف الحاج أحمد

رَأْيُ الإسْلامِ في الحُبِّ

اعلم - وفَّقني اللهُ تعالىٰ وإيَّاكَ لِمَا يُحِبُّ ويَرْضَىٰ - أنَّ الحبَّ جَـائِزٌ في الإسْلام، بشروطٍ سنذكرها، وقد دلَّت علىٰ ذَلِكَ السُّنَّةُ الصَّحيحَةُ، ومن الأدِلَّةِ علىٰ ذَلِكَ:

[١] قولُهُ ﷺ: «لَم يُرَ للمُتَحَابين مِثْل النكَاح»(١).

فدلَّ ذلكَ علىٰ جواز الحبِّ ولكن بِالشُّروطِ التي سَوفَ نَنقُلُهَا بَعْدَ ذِكْرِ الأدِلَّةِ واللهُ المُسْتَعَانُ.

[٢] كانَ مُغيث يَمْشِي خَلْفَ زَوْجَتِهِ بَعـدَ فِرَاقِهَا لَـهُ، وَقَـد صَـارَت أجْنَبِيَّـةً عَنْـهُ ودُمُوعُهُ تَسيلُ عَلىٰ خَدَّيهِ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ:

«يا عبَّاسُ، ألا تَعْجَب مِن حُبِّ مغيثٍ بريرةَ، ومن بُغْض بَريرَةَ مُغيثاً!».

ثمَّ قَالَ لهَا: «لَو راجَعْتِهِ». فَقَالَت: أتأمُرُني؟! فَقَالَ ﷺ: «إنَّمَا أنا شَافِعٌ».

قَالَت: لا حَاجَةَ لي فِيْهِ(٢).

[٣] شكَا إلىٰ النبيِّ ﷺ رجلٌ أنَّ امرأتَهُ لا تَرُدّ يَدَ لامِسٍ! فقـالَ ﷺ: «طَلِّقْـهَا».

١ـ الحديث: صحيح. أخرجه ابن ماجه والحاكم والبيهقي، وقال الأرناؤوط: أخرجه ابن ماجه والحاكم والبيهقي وسنده حسن.

٢ـ الحديث: صحيح. أخرجه البخاري في «صحيحه» (٩/٤٠٨) ـ كتاب الطلاق (٦٨) باب شفاعة النبيِّ في زوج بريرة (١٦) «ح» (٥٢٨٣).

والحديث الذي يوضح الأمر، عن عائشة رضي الله عنها: «أنَّ رسولَ الله قالَ لهَا في بريرة: خُذيها فأعتقيها وكان زوجها عبداً، فخيرها رسول الله ﷺ فاختارت نفسها ولو كانَ حراً لم يخيرها» أخرجه البخاري ومسلم في مواضع متفرقة.

فَقَالَ: إِنِّي أَخافُ أَن تَتْبَعَهَا نَفْسِي. فقال: « اسْتَمْتِع بِهَا » [1].

وقَد اخْتَلَفَ العلماءُ في تَفْسِير هَذا الحَديثِ وَالمُرَاد مِنْهُ علىٰ النَّحْو الآتِي:

الفَرِيقُ الأوَّل: قَال ابنُ قُتيبة: إِنَّما أَرادَ أَنَّها سَخِيَّةٌ لا تَمْنَع سَائلاً، وحكَاهُ النَّسائي في سُنَنِهِ عَن بَعْضِهِم فَقَال وَقيلَ: سَخِيَّة تُعْطِي. وَرُدَّ هَذا بأَنَّهُ لو كَانَ المراد لقالَ: لا تَرُدّ يَدَ مُلْتَمِس.

١- الحديث: قد اختلف فيه وقال بعضُهُم: إنَّ الحديثَ صحيحٌ، وقال البعضُ الآخرُ: لا يصح.

قال النسائي: هذا الحديث غير ثابت، وعبد الكريم ليس بالقوي، وهارون أثبت منه وقد أرسل الحديث وهو ثقة، وحديثه أولىٰ بالصواب من حديث عبد الكريم.

قُلتُ: وعبد الكريم بن أبي المخارق. قال عنه النسائي والدارقطني: متروك. وقال يحيىٰ: ليس بشيء. وقال أحمد بن حنبل: قد ضربت علىٰ حديثه.

يقول الإمام الذهبي: وقد أخرج له البخاري تعليقاً، ومسلم متابعةً، وهذا يدل علىٰ أنّه ليس بمطرح. وقال أبو عمر بن عبد البر: بصري، لا يختلفون في ضعفه، إلا أن منهم من يقبله في غير الأحكام. انظر « ميزان الاعتدال » (٣/٣٦٠-٣٦١) برقم (١٥٧٢). وانظر كذلك « التهذيب » (٦/٣٧٦).

ويقول الحافظ ابن كثير: وقد خالفه هارون بن رباب وهو تابعي ثقة من رجال مسلم، فحديثه المرسل أولىٰ كما قال النسائي، ولكن قد رواه النسائي في كتاب « الطلاق » عن إسحاق بن راهويه عن النضر بن شميل، عن حماد بن سلمة، عن هارون بن رباب عن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن ابن عباس مسنداً، فذكره بهذا الإسناد.

ويقول ابن كثير في هذا الإسناد: فرجاله علىٰ شرط مسلم إلا أن النسائي بعد روايته قال: هذا خطأ والصواب مرسل، ورواه غير النضر علىٰ الصواب.

أما الإسناد الذي يقويه إن شاء الله: فقد رواه النسائي أيضاً وأبو داود عن الحسين بن حريث، أخبرنا الفضل بن موسىٰ، أخبرنا الحسين بن واقد عن عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة، عن ابن عباس عن النبي ﷺ فذكره.

يقول الحافظ ابن كثير: وهذا الإسناد جيد، فيتقوىٰ الحديث. بذلك أما قول الإمام أحمد: أنه حديث منكر، فلعله لم ينظر في طرق الحديث. انظر « تفسير ابن كثير » (٥/٥٤). وقال الإمام الصنعاني: وأطلق عليه النووي الصحة لكن نقل ابن الجوزي عن أحمد أنه قال: لا يثبت في هذا الباب شيء وليس له أصل، فتمسك بهذا ابن الجوزي وعدَّهُ في الموضوعات مَع أنه أورده بإسناد صحيح. انظر « سبل السلام » (٣/٤٨٧-٤٨٨). والله تعالىٰ أعلم.

الفريقُ الثَّاني: وهُو الأَقْرَب إلىٰ الصَّواب إنْ شَاءَ اللهُ.

قيلَ: إنَّ المرادَ أنَّ سَجِيَّتَهَا لا تَرُدّ يَـدَ لامِـس، لا أنَّ المـرادَ أنَّ هَـذا وَاقـعٌ مِنْـهَا وأنَّها تَفْعَل الفَاحِشَةَ، فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لا يَأذَن في مُصَاحَبَةِ مَن هَـذِهِ صِفَتُـهَا، فَـإنَّ زَوْجَهَا وَالحَالَة هَذِهِ يكونُ ديُّوثاً، ولكن لمَّا كانت سَجِيَّتُهَا هكَذا ليـسَ فيـهَا مُمَانَعَـة ولا مُخَالَفَة لِمَن أرادَهَا لو خَلا بهَا أحدٌ، أمَرَهُ رسولُ الله ﷺ بِفِرَاقِـهَا، فَلَمَّـا ذكَـرَ أنَّـهُ يُحِبُّها أبَاحَ لَهُ البقاءَ مَعَهَا لأنَّ مَحبَّتَهُ لهَا مُحقَّقةٌ، ووُقُوع الفَاحِشَـة مِنْـهَا مُتَوَهَّـمٌ فَـلا يُصَارُ إلىٰ الضَّرر العاجلِ لِتَوَهم الآجِلِ، وَالله سبحانَهُ وَتَعَالىٰ أعلَمُ.

راجع: تفسير ابن كثير [٥٤/٥] «وروضة المحبين» [ص/١٣٠] لابن القيم ـ رحمه الله ـ.

❁ مِن خِـلالِ الأَدِلَّـة السَّابِقَةِ يَتَبيَّـنُ لَـك أنَّ الحـبَّ يجـوزُ في الإسْـلام وَلكِـن بشروطٍ مِنْهَا:

[١] أن يكونَ خَالياً مِنَ المُخَالَفَـاتِ الشَّـرعِيَّةِ مِثْـل التَّقبيـل، والمُفَـاخَذَةِ.. إلخ، لأنَّها في هَذِهِ الحالَةِ مَا زالت لا تَحِلُّ لَهُ، ورسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لأنْ يُطْعَنَ في رَأسِ أحَدِكُم بِمِخْيَطٍ مِن حَدِيْدٍ خَيْرٌ له أنْ يَمَسَّ امرأةً لا تَحِلُّ له»[1].

[٢] ألاَّ يُسَـلِّم عَلَيْـهَا [المُصَافَحَـة] لأنَّ المُصَافَحَـةَ في الإسْلام لا تَجُـوزُ بَيْـنَ الرَّجُل والمَرْأةِ الأَجْنَبِيَّة[2].

١ـ الحديث: صحيح. أخرجه الطبراني في «الكبير» وأبو نعيم في الطب (٣٣/٢ـ٣٤) والرويـاني في «المسند» (٢٢٧/٢) والبيهقي.

٢ـ من الأدلة علىٰ عدم مشروعية المصافحة للأجنبية: قوله ﷺ: «إنِّي لا أصَافحُ النِّساءَ، إنَّما قَـولي لمِئَةِ امرأةٍ كقولي لامْرَأةٍ واحدَةٍ» أخرجه النسـائي (١٤٩/٧) وابـن ماجـه (٩٥٩/٢) والـترمذي (٢٢٠/٥) ومالك في «الموطأ» (٩٨٢/٢) وأحمد في المسـند (٣٥٧/٦ـ٣٦٥) وحديـث عائشـة رضـي الله عنـها: «ولا وَالله مَا مَسَّت يَدهُ ﷺ امرأةً قَطُّ في المُبَايَعَةِ..» صحيح. أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٠٤/٨) ومسلم (١٤٨٩/٣) والترمذي (٢٠٢/٩) وأحمد في «المسند» (١١٤/٦ـ١٥٣).

[٣] ألاّ يُلْهِي هَذا الحبُّ عَن ذِكْرِ اللهِ تَعَالىٰ وعَن الحبِّ الأكْبَرِ وَهُو حُبُّنَا للهِ تَعَالىٰ وَلِرَسُولِهِ ﷺ.

[٤] من الأفْضَل أن يكُونَ المحبّ مِمَّن يَسْتَطيع كَبْحَ جَوَارحِهِ وَنَفْسِه، ولِذَلِكَ يقولُ الإمامُ ابنُ القَيِّم رحمَهُ اللهُ: إنَّمَا الكلامُ في العِشْق العَفيفِ، مِن الرَّجُلِ الظَّريفِ، الَّذي يأبَىٰ لهُ دينُهُ وعِفَّتُهُ ومُروءتهُ أنْ يُفْسِدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ تَعالىٰ.

[٥] ألاّ يَتَعَرَّض للمَحْبُوبَةِ بِالذِّكْرِ، بأنْ يَذْكُرَ اسْمَهَا في جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ، ولذَلِكَ يَقُولُ العلامةُ ابنُ القَيِّم: فَعَلَيْهِ كِتْمَان ذَلِكَ، وَأنْ لا يُفْشِيَهُ إلىٰ الخَلْقِ، وَلا يَتَشَبب بِمَحْبُوبِهِ وَيَهْتِكهُ بَيْنَ النَّاس.

[٦] عَدَم استِخْدَام طُرُق شِركِيَّة للوصُولِ إلىٰ المَحْبُوبَةِ، وَيقُولُ ابنُ القيِّم: فإن استَعَانَ العَاشِقُ علىٰ وصَالِ مَعْشُوقِهِ بِشَيَاطِين مِنَ الحبِّ ـ إمَّا بِسِحْرٍ أو اسْتِخْدَام أو نَحْوِ ذلك ـ ضمَّ إلىٰ الشِّرْكِ وَالظُّلم والكُفْرِ والسِّحْر.

[٧] أنْ يكونَ هَذا الحبُّ عَفِيْفاً كَمَا نَصَّ علىٰ ذلكَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ وجَزَاهُ اللهُ خيراً، وألاّ يُحَاول أنْ يَخْلُوَ بِهَا لِقَوْلِهِ ﷺ: «ولا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأةٍ فَإنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ»[1].

وقالَ مَيْمُون: دَعَانِي عُمَر فَقَالَ: إنِّي أوصيكَ بِوَصِيَّةٍ فَاحْفَظْهَا: إيَّاكَ أنْ تَخْلُوَ بِامْرَأةٍ غَير ذَات مَحْرَم، وإنْ حَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ أنْ تُعَلِّمَهَا القُرآنَ[2].

١ـ الحديث: صحيح. أخرجه الترمذي في سننه (٣٨٤/٦) وقال: حديث حسن صحيح غريب والطيالسي (٣١) وابن حبان (٢٢٨٣) وأحمد في «المسند» (١٨/١ـ٣٣٩/٣) ويقول العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح. ورواهُ الحاكم في «المستدرك» (١١٤/١) وصححه، ووافقه وأقره الذهبي.

٢ـ انظر «سيرة عمر بن عبد العزيز» (ص/٢٣٠) لابن الجوزي ـ رحمه الله ـ.

وكذلك قوله ﷺ: «ألا لا يَبيتَنَّ رَجُلٌ عِنْدَ امْرَأةٍ ثَيِّب إلاَّ أنْ يكُونَ نَاكِحاً أو ذَا مَحْرَم»[1]. ولذَلكَ يقولُ ابنُ القَيِّم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ:

ونحنُ لا نُنْكِرُ فَسَادَ العِشْقِ الَّذِي مُتَعَلَّقه فِعْلُ الفَاحِشَةِ بِالمَعْشُوق، وإنَّمَا الكلام في العِشْقِ العَفِيْف، مِنَ الرَّجُلِ الظَّريف، الَّذي يَأبىٰ له دِينُهُ وَعِفَّتُهُ ومُروءته أنْ يُفْسِدَ مَا بَيْنَه وبينَ اللهِ وَمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعْشُوقه بِالحَرَام، وهَذَا عِشْقُ السَّلَفِ الكِرَام والأئِمَّة الأعلام.

نماذج من عِشْقِ السَّلَفِ الكِرَام والأئمَّة الأَعْلام:

[١] كما يقول العلامة ابن القيم: فهذا عبيدُ اللهِ بن عبدِ الله بن عُتْبَة بن مسعودٍ أَحَدُ الفقهاءِ السبعةِ عَشِقَ حَتَّىٰ اشْتَهَرَ أمرُهُ، ولَم يُنْكَر عَلَيْهِ، وعدَّ ظَالماً مَن لامَهُ ومِن شِعْرِهِ:

كَتَمْتَ الهوىٰ حتَّىٰ أَضَرَّ بكَ الكتمُ ... ولامَكَ أقوامٌ ولَوْمُهُم ظلم
فَنَمَّ عليكَ الكاشحونَ وَقبلَهُم ... عليكَ الهوىٰ قَد نمَّ لو يَنْفعِ الكَتْمُ
فَأصْبَحْتَ كالهِنْدِي إذْ مَاتَ حَسْرَة ... علىٰ إثرِ هِنْد أو كَمَن شَفَّه سُقْم

[٢] وهذا عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ـ وَعشقه لجارية فَاطِمَة بنت عبدِ المَلِك، وكانَت جاريةً بارعَةَ الجمالِ وكانَ مُعْجَباً بهَا، وكانَ يَطْلُبُهَا مِن امْرَأتِهِ ويَحْرِص علىٰ أنْ تَهَبْهَا لَهُ، فَتَأبَىٰ، ولم تَزَل الجاريةُ في نَفْسِ عُمَر، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ أمَرَت فَاطِمَةُ بالجاريَةِ فَأُصْلِحَت، وكانَت مثَلاً في حُسْنِهَا وَجَمَالِهَا.

والقصةُ كَامِلَة عِنْدَ العَلامَةِ ابن القَيِّم في «الدَّاءِ وَالدَّواءِ».

---

١ ـ الحديث: صحيح. أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٧١/٤) «ح» (٢١٧١) والبيهقي (٩٨/٧) ويقول الامام النووي: وإذا نهىٰ عن الثيب التي يتساهل الناس في الدخول عليها في العادة، فالبكر أولىٰ وفي الحديث تحريم الخلوة بالأجنبية أيضاً. واللهُ تعالىٰ أعلم.

[٣] وهذا أبُو بكْــر محمَّــدُ بــنُ داود الظَّـاهِريِّ العَـالم المشـهور[1]. ومـن أكـابر العُلَمَاءِ وَعِشْقُهُ مَشْهُورٌ.

قُلتُ: فهؤلاء الأئمةُ قَد أحبُّوا، ولكن مَنْ منَّا مِثلهُم ؟! أمَّا الآن فَإنَّ الحـبَّ أصبَـحَ حباً جِنْسِياً إلاَّ مَا رحِمَ اللهُ، وحبَّاً لأغراضٍ لا يعلَمُـهَا إلاَّ اللهُ حتَّـىٰ أنَّ المـرأةَ لَتـتَزَوَّج الرَّجُل الكهْلَ العجوزَ لِتنَالَ الثَّرَاءَ أو المَنْصِبَ ولا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلا باللهِ العَلِيِّ العَظِيْم.

أمَّا مَا نَقَلَهُ ابنُ الجوزيةِ مِن أنَّ ابنَ عَبَّاس كانَ يَسْتَعيذُ مِنَ العِشْق، فذَلِكَ حينَمَا رأىٰ هذَا العَاشِق قَد غلبَ عَلَيْهِ عِشْقه ونَسِي ربَّهُ فهذا هُو المذمومُ[2].

غايةُ الحبِّ النِّكَاحُ

إنَّ مَا يُقالُ الآنَ في الأفلامِ وَالمُسَلْسَلاتِ الخَلِيْعَـةِ، يقـولُ هـذا المحـبُّ: أحبُّـكِ.. حُباً لا يَنْتَهِي بالزَّوَاجِ، وهكَذا فإنَّ هذا واللهِ لَيْسَ حباً بَل رَغْبَةً جِنْسِيَّةً ولا تَعْلُو عَن ذلـكَ، حتَّىٰ الآن أصبَحتَ تَسْمَع ذلكَ في الشَّوارِع في المَدَارس... ولا حَوْلَ ولا قوة إلا بالله.

هَذا هو ما تَعلَّمْنَاهُ مِنَ الفَجَرَةِ والكفَرَةِ ومِن أذْيَالِـهِم، الَّذيـنَ يُقَلِّدُونَـهُم في كـلِّ الأمور عظيمِها وحقِيْرِها، صَغِيْرِها وكَبِيْرِهَا..

وأنا مُنْدَهِشٌ لماذا لا نُقَلِّدُ سَلَفَنَا الصَّالحَ؟ لماذا لا نَدْرُسُ تَاريخَهُم وسيَرَهُم؟؟!

إنَّ الشَّبابَ الآنَ يَقْرأ « الرِّوايات البُوليسية » وروايات « الجَاسُوسيَّة » ولا يقرأ في القـرآنِ، هَـل جَرَّبُـوا يومـاً أنْ يَتصفَّحُـوا في سيرةِ خَيْرِ الأنَـام لِيَتَعَلَّمُـوا الحكمَــةَ والأمَانَةَ.. وكلَّ خَير الدُّنيا والآخرَةِ؟!.

١ـ انظر « الداء والدواء » (ص/٢٤٨).

٢ـ انظر « الداء والدواء » (ص/٢٤٠).

إنَّ الشبابَ الذي يقرأُ هذهِ الكُتُبَ وكُتُبَ الجِنْس، أبداً لَن ترْتَفِعَ هَامَتُهُ أمَامَ العَدُوِّ، وأبداً لن يَقْدِرَ علىٰ حَمْلِ السِّلاح ضِدَّ أعداءِ اللهِ، ولكنِّي ألوم قَبْلَ هؤلاء الشَّباب الَّذين يكتبونَ هذهِ الكتبَ مِنَ المُتَمَسْلمينَ تَجِد أحدَهُم يكتبُ كتاباً عَن الجِنْس وأمورٍ مخالِفَةٍ لِشَرْعِنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ والفِطْرةِ الإنسانيَّة..

نَعَم إنَّ غَايَةَ وهدَفَ الحبِّ الزَّواج كَمَا قَالَ ﷺ: «لم يُرَ للمتحابين مثل النكاح»[١].

وأحبُّ أنْ أهْمِسَ في أذُن الشَّباب والشَّابَّاتِ قائلاً: اعْلَمُوا أنَّ كَلِمَةَ الحبِّ الآنَ أصْبَحَت كلمةَ دَعَارَةٍ وتِجَارَةٍ ـ إلاَّ من رحمَ ربِّي ـ واعْلَمُوا أيُّها الشَّبَابُ أنَّ الحُبَّ الحَقِيْقِيَّ يَتَوَلَّدُ بَعْدَ الزَّواج عَن طريقِ المَوَدَّةِ والمَعْرُوفِ اللَّذين يَقْذِفُهُمَا اللهُ في قَلْبِ الزَّوجين. فَيَقُولُ تَعَالىٰ: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

يقولُ ابنُ القَيِّم بَعْدَ أنْ سَاقَ حَديثَ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ..»:

فَدَلَّ الحبُّ عَلىٰ عِلاجَيْنِ: أصْلِي، وبَدَلِي.. وأمره بالأصلي، وهُوَ العِلاجُ الَّذي وُضِعَ لِهَذَا الدَّاءِ، فَلا يَنْبَغِي العُدُولُ عَنْهُ إلىٰ غَيْرِهِ مَا وجدَ إليهِ سبيلاً[٢].

* * *

١ ـ الحديث: حسن بمجموع طرقه، وقد تقدم تخريجه.

٢ ـ انظر «زاد المعاد» (٤/٢٧٢ ـ ٢٧٣ ـ ٢٧٤) بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط.

دَوَاءُ الحُبِّ

اعلم ـ وفَّقني اللهُ تعالىٰ وإيَّـاكَ لمَـا يحـبُّ ويرضـىٰ ـ أنَّ الحـبَّ ليـس داءً علـىٰ إطلاقِهِ، بَل هُو علاجٌ للكثيرِ مِنَ الإخفاقَاتِ وَالمشكِلاتِ، بَل ينصحُ الأطباءُ بالحبِّ كعلاجٍ للعُقدِ النَّفسيَّةِ، وراحة وشِفَاء من الاكتئاب النَّفْسِـيِّ، لأنَّ مـع الحـبِّ تدخُـلُ البهجةُ في القلبِ، ويذوي اليأسُ والمللُ والقنوطُ..

ولكنَّهُ قَد يَتَحَوَّل إلىٰ دَاءٍ إنْ تَفاقَم وَتَجاوزَ حَدَّهُ، أو وضِعَ في غَـيْرِ مَوْضِعِـهِ، وفي مِثْل هَذا يُطلَبُ لَهُ العِلاجُ.

ولقد جاءَ في السُّنَّةِ المطهَّرة بأنَّه مَا أنزلَ اللهُ مِن داءٍ إلاَّ وأنزلَ لَهُ دَواءً، ومِن دَواءِ الحبِّ قبل الوقوعِ بهِ:

أولاً: الوقايةُ خيرٌ مِنَ العِلاجِ:

فَاْصرفْ بَصرَكَ، فإنَّ لَكَ الأولىٰ ولَيْسَت لكَ الثانية قال تعالىٰ: ﴿قُـلْ لِلْمُؤْمِنِـينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠ ـ ٣١].

لاحِظ كيفَ فَصلَ اللهُ في الآيات ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ﴾ فَلِخُطُـورَة غَضِّ البصرِ وَأَهَمِّيتِهِ خَاطبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الرِّجَال عَلىٰ حِدَةٍ والنِّساء علىٰ حِـدَةٍ، لأنَّ الأمرَ يَهُمُّ كُلاً مِن الطَّرفين بِمُفْرَدِهِ.وهَذا مِنَ المرَّاتِ القَلِيْلَةِ الَّتي يُفْرَدُ فيهَا كُلُّ جِنْسٍ بِخِطَابٍ.

والنَّظْرَةُ هي البِدَايَةُ، لِذَلِكَ عَقَّبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بقولِهِ: ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ فالبدايةُ نَظْرَةٌ، فَابْتِسَامَةٌ، فَسَلامٌ، فكَلامٌ، فَمَوْعِدٌ، فَلِقَاءٌ ثمَّ وُصولٌ إلىٰ هذه النَّتيجَةِ:

كلُّ الحوادثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ ... وَمعْظَمُ النَّارِ مِن مُسْتَصْغرِ الشَّرَرِ
كَم نَظْرَةٍ فتَكَت في قَلْبِ صَاحِبِهَا ... فَتْكَ السِّهَامِ بِلا قَوْسٍ وَلا وَتَرِ
يَسُرُّ مقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ ... لا مَرْحَباً بِسُرورٍ جَاءَ بِالضَّرَرِ
والمَرْءُ مَا دَام ذا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا ... في أعيُنِ الغِيْدِ مَوقُوفٌ علىٰ الخَطَرِ

فالوقايةُ إذن خَيرٌ مِنَ العِلاجِ! واحفَظ يا أُخيَّ هَذِهِ الآيةَ الكريمةَ: ﴿قُل لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ احفَظْها، وكَرِّرهَا، واكْتُبْهَا وَعَلِّقهَا في غُرْفَتِكَ، أو في سَيَّارتِكَ إذا احتَاجَ الأمرُ إلىٰ ذَلِكَ.

ثانياً : التَّفكُّر في العوَاقِب:

فإنَّ هَذا مِن الخَصَائِصِ الَّتي تَمَيَّزَ الإنسانُ بها عَن الحَيَوانِ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا خَطَرَ في بَالِ الإنسانِ أو تَيَسَّرَ لَهُ فِعْلُهُ أقْدَمَ عليهِ، فعليهِ أن يَعْرِفَ مَا وَرَاءهُ.. فَقَد يَسيرُ الإنسانُ في طريقٍ آخرُهُ مَرَضٌ خطيرٌ كـ(الإيدز) الَّذي أصبحَ ضَحَايَاهُ اليومَ بِعَشَراتِ الملايين في العالَم.

وكثيرٌ ممَّن وَقَع في هذا المَرَضِ الخَطير! كانَ نَتِيْجَةَ وثمرةَ عَلاقَتِهِ بِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ أو أكثر.. وكَذَلِكَ الأمْرَاضُ الجِنْسِيَّةُ الأخرىٰ الَّتي قَد يَنْقُلُهَا الإنسانُ إلىٰ زَوْجِهِ وَإِلىٰ الطَّاهِرَاتِ العَفِيفَاتِ مِن نِسَاءِ المسلمينَ !.

❁ كذلكَ قَد تكونُ النتيجَةُ للمَعْصِيَةِ الحَمْلُ مِنَ السِّفَاحِ ـ والعيَاذُ بِاللهِ تعالىٰ ـ وَمَا

يَتْبَعُهُ مِن بلاءات تُصيبُ الفَتاةَ وَتُصيبُ ذَلِكَ المَخْلُوق الَّذِي نَتَجَ عَن هَذا اللّقاءِ المُحَرَّم.

❁ قالَ لي شَخْصٌ بَعْدَ مَا تَابَ اللهُ عليهِ: إنَّه وَاقَعَ امرأةً مطلَّقةً عقيماً لا تَحْمِلُ وَأرادَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ أنْ تَحْمِلَ فحمَلَت بِتَوأم !.

فيَا مَن لا تُفكّر في العَوَاقِب! هَل تُريدُ أن تكُونَ مَسْؤُولاً عَن إنسَانٍ يَأتي إلىٰ هَذِهِ الدُّنْيَا وهُو لا يَعْرِفُ مَن أبوَاه! فَيَعيش شَريداً طريداً تائِهاً معذّباً ؟!.

❁ قَد تُبْتَلىٰ بِفَضِيْحَةٍ في الدُّنيا تُفْسِدُ عَلَيكَ دُنْيَاكَ وَتُخْزي بِهَا أسْرتكَ، وَإذا سَتَرَكَ اللهُ تَعَالىٰ في الدُّنْيَا تَوَقَّع أنَّه رُبَّما فَضَحَكَ في الآخِرَةِ علىٰ رُؤُوس الأشهَادِ إن متَّ علىٰ ذلكَ.

❁ وأمرٌ آخرُ هو فَسَادُ النَّفْس، فإنَّ الإنسانَ لا يُعْجِبُهُ بعدَ ذلكَ أن يرتبطَ بامرأةٍ واحدةٍ فَقَط بَعدَ أنْ تَعَلَّقَ قلبُهُ بِالنِّسَاءِ وَتَنْويعِهِنَّ.. فلا يَأنَس بشيءٍ من لذَّة النِّكاحِ.. ورُبَّما حُرِمَ مِن لَذَّةِ الحَلالِ بِسَبَبِ الحَرَام، وربَّمَا أيضاً يَفْقِد مَشَاعِرَهُ وَأحَاسِيْسَهُ.

❁ والشَّابُّ الذي تعوَّدَ أنْ يَقْضِيَ أوقاتاً مَع المُومِسَاتِ وَالبَغَايَا يشُكُّ بزوجتِهِ الطاهِرَةِ العَفِيْفَةِ، ويظنُّ أنَّها تَخُونُهُ كَبَعْضِ مَن عاشَرهنَّ مِنَ الخَائِنَاتِ.. فَتَنْقَلِبُ حياتُهما جحيماً.. وكلُّ ذلكَ مِن الظَّنِّ الَّذي جَلَبَهُ لِنَفْسِهِ مِن جَرَّاءِ سُوءِ فِعْلِهِ وعَمَلِهِ.. فالعاقلُ يقولُ: إنَّني أتخلَّىٰ راضياً عَن كُلِّ النِّسَاءِ مِن أجْل امرأتِي المحبَّةِ الَّتي يُسَاورُهَا القَلَقُ إذا تَأخَّرتُ قليلاً عَن مَوْعِدِ العشَاء.

❁ ودواءُ الحبِّ بعدَ الوقوعِ بهِ:

أوَّلاً: الوصَالُ الحَلالُ (الزَّواج):

إنَّ قَصَصَ الحبِّ الخَالِدَةِ في التَّاريخ الَّتي حُرم فيهَا أبطالُهَا مِنَ الوَصْلِ، كَجَميل بُثَيْنَة، أوكَثير وعَزَّة، أو قَيس وَلَيْلَىٰ. مخالفٌ للفطرةِ الإنسانية.. فغايةُ الحبِّ ودواؤهُ

النكاحُ.. ولقَد جَعَلَ اللهُ تعَالىٰ في الحَلال غُنْيَةً وكفايَةً بِالمَحْبُوبَةِ عـن كـلِّ النسـاءِ.

روىٰ مسلم في صحيحِهِ عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَىٰ امْرَأَةً، فَأَتَىٰ امْرَأَتَـهُ زَيْنَـبَ، وَهِيَ تَمْعَسُ مَنِيئَةً لَهَا، فَقَضَىٰ حَاجَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُـمُ امْـرَأَةً فَلْيَـأْتِ أَهْلَـهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ».

قولهُ: (تَمْعَسُ مَنِيئَةً) قَالَ أهلُ اللُّغَةِ: المَعْسُ هوَ الدَّلْـكُ، والمَنِيئَـةُ هِـيَ الجِلْـدُ أوَّل مَا يُوضَع في الدِّبَاغ.

ومَعْنَىٰ الحَدِيث أنَّه يُسْتَحَبُّ لِمَن رأىٰ امْرَأَةً فَتَحرَّكَت شَهْوَتُهُ أَنْ يَـأْتِيَ امْرَأَتَـهُ أو جَارِيَتَهُ، إنْ كَانَت لَهُ فَلْيُواقِعها لِيَدْفَعَ شَهْوَتَهُ، وَتَسكُن نَفْسُهُ وَيَجْمَع قَلْبَهُ عَلىٰ مَا هُـوَ بِصَدَدِهِ، فَإنَّ (المَرْأَةَ تُقْبِلُ في صُورَةِ شَيْطَانٍ وتُدْبِرُ في صُورَةِ شَيْطَانٍ).. قَالَ العلمـاءُ: معنَاهُ الإشَـارَةِ إلىٰ الهَـوَىٰ والدُّعـاءِ إلىٰ الفِتْنَـةِ بِـهَا لِمَـا جَعَلَـهُ اللهُ تَعَـالىٰ في نُفُـوسِ الرِّجالِ مِنَ المَيْل إلىٰ النِّسَاءِ وَالالتِذاذِ بِالنَّظَرِ إليهِنَّ وَمَـا يَتَعَلَّـق بِـهِنَّ، فَـهِي شَـبِيهَة بِالشَّيْطَان في دُعَائِهِ إلىٰ الشَّرِّ بِوَسْوَسَتِهِ وَتَزْيِينِه لَهُ، وَيُسْـتَنْبَطُ مِـن هَـذا الحديـثِ أَنَّـهُ يَنْبَغِي للمرأةِ أنْ لا تخرجُ بَيْنَ الرِّجال إلاَّ لِضَرُورة، وأنَّهُ يَنبَغِي للرِّجَـال الغَـضّ عَـن ثيابِهَا وَالإعْرَاض عنهَا مُطلقاً.

وقَالَ العُلَمَاءُ أيضاً: إنَّمَا فَعَل ﷺ هَـذا بيانـاً لَـهُم وإرشَـاداً لِمَـا يَنْبَغِـي لَـهُم أَنْ يَفْعَلُوهُ، فَعَلَّمَهُم بِفِعْلِهِ وَقَوْلِهِ، وفيهِ أنَّهُ لا بَأسَ بِطَلَبِ الرَّجُـلِ امْرَأَتَـهُ إلىٰ الوقَـاع في النَّهَار وَغَيْرِهِ وَإن كَانَت مُشْتَغِلَةً بِمَا يمكِنُ تركُهُ لأنَّهُ رُبَّما غَلَبَت علـىٰ الرَّجُـل شَـهْوَةٌ يَتَضَرَّر بِالتَّأخير في بَدَنِهِ أو في قَلْبِهِ وبَصَرِه، واللهُ أعْلَمُ.

وروىٰ ابن ماجه (١٨٤٧) والحاكم (٢٧٢٤) وغيرهما بسند جيد، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمْ نَرَ لِلْمُتَحَابَّيْنِ مِثْلَ النِّكَاحِ».

فَالوِصَالُ الحَلال، يَشْفِي قَلْبَ الإنسانِ وَيُزِيلُ عَنْهُ هَذِهِ الغمَّةَ، فَإذا لم يَتَمكَّن مِن الزَّواجِ مِن هَذِهِ الفَتَاةِ التي يُحبُّها فَمِثْلُهَا في النِّسَاءِ كَثِيرٌ.

❁ ومن لم يستطعِ الوصول إلى محبوبتِهِ بالحلالِ لظروفٍ ما، فعليه:

ثانياً: اليأسُ والمبَاعَدَةُ:

مهما وجدَ الإنسانُ مِن ألم الفِرَاقِ، هو أهونُ مِن ألم وعذاب الضمير والنَّار.. وليحاول أن يَتَعفَّفَ وسوفَ يقدرُ على ذلكَ بإذنِ اللهِ تعالى، كمَا قَالَ ﷺ: «وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» [متفق عليه]. ومَن ترك شيئاً للهِ عوَّضَهُ اللهُ خيراً منهُ.

فإنْ سَألَ الواشُونَ فيمَا هَجَرْتَهَا؟ فَقُلْ: نَفْسُ حرٍّ سُليت فَتَسَلَّتِ

تقول أمُّ الضَّحاك المُحَاربية:

سألتُ المحبينَ الَّذينَ تَحَمَّلُوا تَبَاريح هَذا الحبِّ مِن سَالِفِ الدَّهْرِ
فَقُلتُ لَهُم مَا يُذْهِبُ الحبَّ بَعْدَمَا تبوءَ ما بينَ الجوَانحِ والصَّدْرِ؟
فقالوا: شِفَاءُ الحبِّ حُبٌّ يزيلُهُ لآخرَ أو نأي طويلٌ عَلى الهَجْرِ
أو اليأس حتَّى تَذْهَلُ النَّفْسُ بَعْدَمَا رَجَت طَمَعاً واليأسُ عَونٌ عَلى الصَّبْرِ

خامساً: صرفُ العواطفِ والقوى والطَّاقات إلى ما هُو أعْلَى وأغلى وأسْمَى:

ومن ذلكَ: مَحَبَّةُ الله عَزَّ وَجَلَّ، ونفع عِبَادِهِ، والزُّلفى إليهِ بِالطَّاعَةِ، والصَّلاة، والصَّوم، والذِّكْر، والقُرآن، وصُحْبَة الأخيار، وكَثْرَة الدُّعَاء والتَّضَرُّع، والانهمَاكِ بمعَالي الأمورِ والاشتِغَالِ الدَّائب بمَا يَنْفَعُ المرءَ دِيناً أو دُنْياً، والاشتِغَال بمَا يَصْرِفُ

طاقَةَ الشَّابِّ إلىٰ خَيْرِ الدُّنيـا والآخِـرَةِ، (كالرياضـة، والتعلُّـم، و.. و..) وبـالتَّوكُّلِ عليـهِ سبحانهُ وتعالىٰ: كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وفي الختامِ: إنَّ القَلْبَ المملوء بِهُمُومِ الأمَّةِ، وَهُمُومِ النَّاس قَـد يَخْفِـقُ بـالحبِّ، ولكنَّهُ لا يَقَعُ في أَسْرِهِ وتحتَ تأثيرِهِ وسلطانِهِ.

وأمَّا القلوبُ الفارغَةُ، فهي الَّتي تُصْبِحُ نَهباً لكلِّ طَارِئ وطَارِقٍ وتَقُولُ لَهُ: هَيْتَ لَكَ!

فاَسْتَثْمِر حياتكَ في: عَمَلٍ جادٍّ، أو تفكيرٍ سَليم، أو إبداعٍ نَافعٍ، أو قُرْبَةٍ صَالِحَةٍ!

فلا تُفَكِّر فَقَطْ في شهوتكَ وغريزتكَ كما تَفْعَلُ البَهَائِم.. بَـل فكِّـر بـهذهِ النِّعْمَـةِ العظيمَةِ الَّتي وَهَبَكَ اللهُ تَعَالىٰ إيَّاها.. نِعْمَةَ العَقْـلِ، واستعملها في طاعتـهِ وابتِغَـاءَ مَرْضَاتِهِ تَصِلُ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ إلىٰ بَرِّ الأمَانِ، وشاطئ السلامةِ..

كُنْ عَاشِقاً، ولكِن للعِلْم! كنْ مُحِبّاً، ولكِن للعَمَلِ الصَّالح !.

تَوَلَّاكَ اللهُ بِحِفْظِهِ، وكَلاكَ بِرِعَايَتِـهِ، وأوزَعَـكَ شـكْرَ نِعْمَتِـهِ، وحَفِـظَ لـكَ قَلْبَـكَ وَعَقْلَكَ، وَدِيْنَكَ، وَدُنْيَاكَ من كلِّ سوءٍ ومكروهٍ !.

* * *

عيدُ الحُبِّ، فالنتين

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ نَبِّينا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ اختارَ لنَا الإسلام ديناً، ولن يقبل من أحدٍ ديناً سواه كما قالَ تَعَالىٰ: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقد أخبر النبيُّ ﷺ أنَّ فئاماً من أمَّتِهِ سَيَتَّبعونَ أعداءَ الله تَعَالىٰ في بعض شعَائِرِهم وعَاداتهم، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدريِّ ﷺ عَن النبيِّ ﷺ قال: « لتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِيْنَ منْ قَبْلِكُم، شِبْراً بِشِبْرٍ، أو ذِرَاعاً بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَو سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ. قَالُوا: اليَهُودُ والنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: فَمَن؟ » .

وقد وقع ما أخبر به النبيُّ ﷺ وانْتَشَرَ في الأزمنَةِ الأخيرةِ في كَثيرٍ من البلادِ الإسلاميةِ.. إذ اتَّبعَ كثيرٌ من المسلمينَ أعداءَ الله تعالىٰ في كثيرٍ مِن عَادَاتِهِم وسلوكيَّاتهم وقَلَّدُوهم في بَعْضِ شَعَائِرِهم، واحتفَلُوا بأعيادهم.

وزادَ الأمرَ سوءاً الانفتاحُ الإعلاميُّ بين كافَّةِ الشعوبِ، حتىٰ غَدَت شَعَائِرُ الكفار وعاداتُهم تُنقلُ مزخرفةً مبهرجةً بالصَّوت والصُّورة الحيَّة من بلادهم إلىٰ بلادِ المسلمينَ عبر الفضائياتِ والشبكةِ العالمية ـ الإنترنت ـ فاغْتَرَّ بِزُخْرفها كثيرٌ مِنَ المسلمينَ هداهمُ الله تعالىٰ..

وفي السَّنواتِ الأخيرةِ تحديداً انتشرت ظاهرةٌ بين كثيرٍ من شبابِ المسلمين ذكوراً وإناثاً، لا تُبشِّرُ بخير، تمثَّلت في تقليدهم للنَّصارىٰ في الاحتفالِ بعيد

الحبِّ، ممَّا كان داعياً لأولي العلم والدَّعوة أن يُبيِّنوا شريعةَ الله تعالىٰ في ذلك، نصيحةً للهِ ورَسُولِهِ ولأئمَّةِ المسلمينَ وَعَامَّتِهم حتىٰ يكونَ المسلمُ علىٰ بيِّنةٍ من أمره ولئَلاَّ يقعَ فيما يُخِلُّ بعقيدَتِهِ الَّتي أنعمَ اللهُ بها عليهِ.

وهذا عرضٌ مختصرٌ لأحدِ علماء الشريعةِ ـ جزاهم الله عنَّا الخيرَ ـ لأَصل هذا العيدِ وَنَشْأتِهِ والمقصود منه، وما يجبُ علىٰ المسلم تِجَاهه.

قصَّةُ عيدِ الحبِّ

يعتبرُ عيدُ الحبِّ من أعيادِ الرُّومان الوثنيين، إذ كانت الوثنيةُ سائدةً عند الرُّومان قبلَ ما يزيد علىٰ سبعةِ عَشَر قرناً. وهو تعبيرٌ في المفهوم الوثني الرُّوماني عن الحبِّ الإلهي.

ولهذا العيدِ الوثني أسَاطير استمرَّت عند الرُّومان، وعند وَرَثتِهم مِنَ النَّصارىٰ، ومن أشهر هذه الأساطير:

* أنَّ الرومانَ كانُوا يعتقدونَ أن (رومليوس) مؤسس مدينة (روما) أرضعته ذات يوم ذئبةٌ فأمدَّتهُ بالقوةِ ورجاحَةِ الفِكْر.

فكانَ الرومانُ يحتفلونَ بهذه الحادثة في منتصف شَهْر فبراير (شباط) من كلِّ عام احتفالاً كبيراً، وكان من مَرَاسِيْمِهِ أن يُذبح فيه كلبٌ وعنزَةٌ، وَيدْهَنُ شابَّانِ مفتولا العضلاتِ جسميهما بدمِ الكلبِ والعنزة، ثُمَّ يغسلان الدَّم باللَّبن، وبعد ذلك يَسِيْرُ موكبٌ عظيمٌ يكون الشَّابَّانِ في مقدِّمَتِهِ يَطُوفُ الطرقاتِ.

ومع الشَّابينِ قِطْعَتَانِ مِنَ الجلدِ يُلَطِّخَانِ بهمَا كلَّ مَن صَادَفَهُمَا، والنِّساءُ الروميات يتعرَّضْن لِتِلْكَ اللَّطَمَاتِ مُرَحِّباتٍ، لاعْتِقَادِهِنَّ بأنَّها تَمْنَع العُقْمَ وَتَشْفِيه.

علاقةُ القِدِّيس (فالنتين) بهذا العيدِ

(القديس فالنتين) اسم التصقَ بأثنين مِـن قُدامىٰ ضحايـا الكَنيسـة النَّصرانيـة. قيل: إنَّهما اثنَان، وقيلَ: بَل هُو واحـدٌ تُوُفِّـيَ في رومـا إثْـرَ تَعْذِيـبِ القَـائِد القُوطِـي (كلوديوس) له حوالي عام (٢٩٦م). وبُنِيَت كَنِيسَة في رُوْما في المكـانِ الَّـذي تُوُفِّـيَ فيه عام (٣٥٠م) تَخْلِيداً لِذِكْرِه.

ولما اعتنقَ الرومانُ النَّصرانية أبقوا علىٰ الاحتفالِ بعيدِ الحبِّ السَّابق ذكره لكن نقلوه من مفهومه الوثني (الحب الإلهي) إلىٰ مفهوم آخَر يُعَبَّرُ عَنْـهُ بِشُـهَدَاءِ الحُـبِّ، ممثلاً في القديس «فالنتين» الدَّاعية إلىٰ الحـبِّ والسَّلام الـذي استشـهد في سـبيل ذلك حسب زعمهم.

وسمي أيضاً (عيد العشاق) واعتبر (القديس فالنتين) شَفِيع العُشَّاق وراعيهم.

وكان من اعتقاداتهم الباطلة في هَذا العيدِ أنْ تكتبَ أسماء الفَتَيَـاتِ اللاَّتِـي في سنِّ الزواجِ في لُفَافَاتٍ صغيرةٍ منَ الـورقِ وتُوضَـع في طبـقٍ علـىٰ مِنْضَـدَةٍ، ويُدعـىٰ الشُّبان الَّذين يَرْغَبُونَ في الزَّواج لِيُخْـرِجَ كـلٌّ منـهم ورقـةً، فيضـع نفسـه في خدمـة صاحبةِ الاسم المكتوب لمدَّة عام يَخْتبرُ كلٌّ منـهما خُلُـقَ الآخـر، ثـمَّ يتزوجـان، أو يعيدان الكرَّةَ في العام التالي يوم العِيْدِ أيضاً.

وقد ثارَ رجالُ الدِّين النَّصرانـي علىٰ هـذا التقليـدِ، واعتـبرُوه مفسـدةً لأخـلاق الشبابِ والشَّابات فَتَمَّ إبطالُهُ في إيطاليا الَّتي كَانَ مشـهوراً فيـها، ثـمَّ تمَّ إحيـاؤهُ في القرنين الثَّامن عَشَـر والتَّاسـع عَشَـر المِيْلاديين، حيـثُ انْتَشَـرَت في بعـضِ البـلادِ الغَرْبيَّةِ مَحَلاَّتٌ تبيعُ كتبـاً صغـيرةً تُسَـمَّىٰ (كتـاب الفـالنتين) فيـها بعـضُ الأشـعار الغَرَامية لِيَخْتَـارَ منـها مَـن أرادَ أن يرسِـلَ إلىٰ محبوبَتِـهِ بطاقـةَ تَهْنِئَـةٍ.. وفيـها أيضاً

مُقْتَرَحَاتٌ حولَ كَيْفِيَّة كتابةِ الرَّسَائل الغَرَامِيَّة والعَاطِفِيَّة.

❁ وممَّا قيلَ في سببِ هذا العيدِ أيضاً: أنَّه لمَّا دَخَلَ الرومانُ في النَّصْرَانِيَّةِ بَعْدَ ظهُورِهَا، وحكَمَ الرُّومانَ الإمبراطور الرُّومانِي (كلوديوس الثاني) في القرنِ الثَّالِثِ الميلادِي مَنَعَ جنودَهُ مِنَ الزَّوَاجِ، لأنَّ الزواج يشغلُهُم عَن الحروبِ الَّتي كانَ يخوضُهَا، فَتَصَدَّىٰ لهذا القَرار (القديس فالنتين) وصارَ يُجْرِي عقودَ الزَّواج للجنْدِ سرّاً، فَعَلِمَ الإمبراطور بذلكَ فَزَجَّ به في السِّجنِ، وحكَم عليه بالإعدام.

وفي سجنِهِ وقعَ في حبِّ ابنَةِ السَّجَّان، وكانَ هَذا سراً حيث يَحْرُم علىٰ القساوسةِ والرُّهبان في شريعةِ النَّصارىٰ الزَّواج وتكوين العَلاقات العَاطِفيَّة، وإنَّما شَفَع له لدىٰ النَّصارىٰ ثباته علىٰ النَّصرانية حيث عَرَضَ عليه الإمبراطور أن يعفو عنه علىٰ أن يتركَ النَّصرانيةَ ليعبُدَ آلهةَ الرُّومان ويكونَ لَديهِ مِنَ المُقَرَّبينَ، ويجعلَهُ صهراً له، إلاَّ أنَّ (فالنتين) رفضَ هذا العرضَ وآثر النَّصرانيةَ فَنَفَّذَ فيه حكْمَ القَتْل يوم (١٤ فبراير عام ٢٧٠ ميلادي، ليلة ١٥ فبراير، عيد (لوبر كيليا) ومن يومها أطلق عليه لقب قِدِّيس.

❁ وجاء في كتاب قصَّة الحضارة: أنَّ الكنيسَةَ وضعت تقويماً كنيسياً، جعلت كلَّ يوم فيه عيداً لأحدِ القِدِّيسين وفي بريطانيا كانَ عيدُ القِدِّيس «فالنتين» يحدَّدُ في آخر فَصْلِ الشِّتاءِ فإذا حلَّ ذلك اليوم علىٰ حدِّ قولِهم تَزَاوَجَت الطُّيُور بِحَمَاسَةٍ في الغَابَاتِ، وَوَضَعَ الشَّبابُ الأزهارَ علىٰ أعتَابِ النَّوافذِ في بيوتِ البَنَاتِ اللاَّتي يحبونهنَّ. [انظر: قصة الحضارة، تأليف ول ديورانت (١٥ / ٢٣)].

وقد جعلَ البابا من يوم وفاةِ القديس فالنتين (١٤/ فبراير/٢٧٠م) عيداً للحبِّ فمن هُوَ البابا ؟.

هو الحَبْرُ الأعظمُ رئيسُ البيعَةِ المَنْظُور، وخَليفَةُ القِدِّيس البُطـرس، فَـأنظـروا إلىٰ هذا الحَبْر الأَعظم كيف شَرَعَ لهم الاحتِفَالَ بهذا العيدِ المُبْتَدَع في دِيْنِـهِم ألا يُذكِّرُنَـا هذا بقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْـنَ مَرْيَـمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

عن عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ قال: « أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفي عُنُقِي صَلِيبٌ مِـنْ ذَهَـبٍ، فقـال: يَـا عَدِيّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأَ في سُورَةِ بَرَاءة: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾ قال: أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَـهُمْ شَـيْئاً اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئاً حَرَّمُوهُ » . [رواه الترمذي وهو حديث حسن].

من أهم شعائرهم في هذا العيد

١ـ إظهارُ البهجةِ والسُّرور فيه، كَحَالِهم في الأعياد المهمَّة الأُخرىٰ.

٢ـ تبادل الوُرود الحمراء، وذلكَ تَعْبيراً عَن الحُبِّ الَّـذي كـانَ حبَّـاً إلهيـاً عنـد الوثنيينَ وَعِشْقاً عندَ النَّصَارىٰ، ولذلكَ سُمِّيَ عِنْدَهُم بِعيدِ العُشَّاق.

٣ـ توزيعُ بطاقاتِ التَّهنئة بِهِ، وفي بَعْضِهَا صُورَةُ (كيوبيد) وهو طفلٌ له جنَاحَان يحملُ قوساً ونشَّاباً، وهو إلهُ الحـبِّ عِنْـدَ الأُمَّـة الرُّومانيَّـةِ الوَثَنِيَّـة ـ تَعَـالىٰ اللهُ عَـن إفكِهِم وَشِرْكِهِم علوّاً كبيراً ـ.

٤ـ تبادلُ كلماتِ الحبِّ والعِشْق والغَرَام في بطاقاتِ التَّهنِئَةِ المتبادَلَةِ بينَهُم عَن طريقِ الشِّعر أو النَّثْر أو الجُمَل القَصِيْرَة، وفي بعضِ بطاقاتِ التَّهنِئَـةِ صورٌ ضاحِكَـةٌ وأقوالٌ هزليَّةٌ، وكثيراً ما كان يكتبُ فيها عبارَة (كُـنْ فَالنتينيـا) وهَـذا يمثِّـلُ المفـهومَ النَّصراني له بَعْدَ انتقاله مِنَ المفهوم الوَثَنِيِّ.

٥- تقامُ في كثيرٍ من الأقطارِ النَّصرانية حفلاتٌ نهاريَّة وسهراتٌ ليليــةٌ مختلَطَـةٌ راقِصَةٌ، ويرسِلُ كثيرٌ منهم هَدَايا منها: الـورودُ، وصنَـاديقُ الشُّـوكولاه، إلىٰ أزواجِـهِم وأصدِقَائِهم ومَن يُحِبُّونَهُم.

ومن نظر إلىٰ ما سبَقَ عَرْضُه من أساطير حول هذا العيدِ الوَثَني، يتضح له ما يلي:

أولاً: أنَّ أصْلَهُ عقيدةٌ وثنيةٌ عندَ الرُّومَان، يُعَبَّرُ عَنْهَا بِالحُبِّ الإلهي للوَثَـنِ الَّـذي عَبَدُوهُ مِن دُون اللهِ تَعَالىٰ، فَمَن احتَفَل بِهِ فَـهُوَ يَحتَفِـلُ بِمُنَاسَبَةٍ شِـركيَّةٍ تُعَظَّـمُ فيـهَا الأوثانُ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَـأْوَاهُ النَّـارُ وَمَـا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: من الآية ٧٢].

ثانياً: أنَّ نَشْأَةَ هذا العيدِ عِنْـدَ الرُّومـانِ مُرْتَبِطَـةٌ بِأسَـاطِيرَ وَخرافَـاتٍ لا يَقْبَلُـهَا العَقْلُ السَّوي فضلاً عَن عقلِ مُسْلِمٍ يُؤمن باللهِ تَعَالىٰ وبِرُسلِهِ عَلَيْهِم السَّلام.

فهل يقبلُ العقلُ السَّوي أنَّ ذئبةً أرضَعَـت مؤسِّسَ مدينـةِ رُومـا، وأمدَّتـه بـالقُّوة ورجاحةِ الفِكر، علىٰ ما في هَذِهِ الأسطورة ممَّا يُخَـالِفُ عَقِيْـدَةَ المُسْلِم، لأنَّ الَّـذي يُمِدُّ بالقوَّة ورجاحة الفِكْر هو الخَالق سبحانَهُ وتعالىٰ وليس لبنُ ذئبة!.

وكذلك أسطورة أنَّ أوثانهم تردُّ عنهم السُّوءَ وتحمي مراعيهم من الذِّئاب.

ثالثاً: أنَّ من الشَّعائر البشعَةِ لهذا العيدِ عندَ الرُّومان ذَبْـحَ كلـبٍ وعـنزة، وَدَهْـن شابَّين بِدَمِ الكَلْب والعنْزَة ثُمَّ غَسْل الدَّم بـاللَّبن.. إلخ. فـهذَا ممَّـا تَنْفـرُ منـه الفِطْـرةُ السَّوية ولا تَقْبلهُ العقولُ الصَّحيحَةُ.

رابعاً: أنَّ ارتباطَ القديس (فالنتين) بهذا العيد قد شككت فيه كثيرٌ من المصادر واعتبرته غير مؤكَّد، فكانَ الأولىٰ بالنَّصارىٰ رَفْض هَذا العيدِ الوَثَنِيِّ الَّذي قلَّدوا فيـه

الوثنيينَ، فكيفَ بنا نحنُ المسلمونَ، ونحن مأمورونَ بمخالفةِ النَّصارىٰ والوثنيينَ مِن قَبْلِهِم.

خامساً: أنَّ هذا العيدَ تمَّ إبطالُـهُ مِـن قِبَـلِ رجَـالِ الدِّيـن النَّصرانِـيِّ في إيطاليـا مَعْقِل الكَاثوليك، لما فيهِ مِن إشاعَةِ الأخلاقِ السَّيئة والتأثـيرِ علىٰ عُقُولِ الشَّبَابِ والشَّابات، فكانَ الأولىٰ بالمسلمينَ أنْ يَنْبِذُوهُ ويُحذِّرُوا منه، ويقومُـوا بواجـبِ الأمـر بالمعروفِ والنَّهي عن المنكَرِ تِجَاهَهُ.

*** وقد يقول قائلٌ: لماذا لا نحتفلُ نحنُ المسلمين بهذا العيد؟.**

وللإجابة علىٰ ذلك أوجه عدَّة منها:

(الوجـه الأول): أنَّ الأعيـادَ في الإسـلام مُحَـدَّدَةٌ وثَابِتَــةٌ لا تَقْبَـلُ الزِّيــادة ولا النُّقصان، وهي كذلك من صُلْبِ عباداتِنَا ـ يعني ذلك أنها توقيفيَّـةٌ ـ شَـرَعَهَا لنَـا اللهُ تَعَالىٰ ورَسُولُهُ ﷺ.

قال ابنُ تيميةَ ـ رحِمَهُ اللهُ ـ: الأعيادُ من جملة الشَّرع والمناهج والمناسِك الَّـتي قال الله سبحانه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَىٰ اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَـا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: من الآيـة٤٨]. كَالقِبْلَـةِ والصَّـلاة والصِّيـام فـلا فـرقَ بـين مُشَاركتهم في العيدِ وَبين مشَاركَتِهم في سَائِر المَنَاهج فإنَّ الموافقة في جميع العيـدِ مُوافَقَةٌ في الكُفْر والعياذُ بالله تَعَالىٰ، وَالموافقَــة في بَعْـضِ فُرُوعِـهِ مُوَافَقَـة في بعـض شُعَبِ الكُفر، بل الأعيادُ هي من أخصِّ مَا تَتَمَيَّزُ به الشَّرائعُ ومِن أظـهر مـا لهـا مـن الشعائر، فالموافقة فيها موافقةٌ في أخصِّ شَرَائع الكُفْر وأظهر شَعَائِره ، ولا ريـبَ أنَّ الموافقةَ في هذا قَد تنتهي إلىٰ الكُفْر في الجُمْلَةِ بِشُرُوطِهِ.

وأما مبدؤها فأقلُّ أحوالهِ أن يكونَ معصيةً وإلىٰ هذا الاختصاصِ أشارَ النبيُّ ﷺ بقوله: « إنَّ لكلِّ قَـوم عيـداً، وإنَّ هَـذا عِيْدنـا » [البخـاري: ٩٥٢، ومسـلم: ٨٩٢][الاقتضـاء (١/٤٧١-٤٧٢)].

وبما أنَّ عيدَ الحبِّ يَرْجعُ إلىٰ العهدِ الرُّومي، وليسَ الإسلامِي فإنَّ هَذا يَعْني أنَّهُ مِن خُصُوصِيَّاتِ النَّصارىٰ وليسَ للإسلام والمسلمينَ فيهِ حَظٌّ ولا نَصِيبٌ.

(الوجه الثـاني): أنَّ الاحتفـالَ بعيـدِ الحـبِّ فيـه تَشَبُّهٌ بالرُّومـان الوثنيـين، ثـمَّ بالنَّصارىٰ الكتابيين فيمَا قَلَّدُوا فيه الرُّومَان ولَيْسَ هُو من دِينِهم. وإذا كَانَ يمْنَـعُ مـن التَّشَبُّه بالنَّصارىٰ فيمَا هُو مـن دينـهم حقيقـة ـ إذا لم يكُـن مِـن دِيْنِنَـا ـ فكيـفَ بِمَـا أحدَثُوهُ في دينِهم وقلَّدُوا فيه عُبَّادَ الأوثَانِ!.

وعموم التَّشبه بالكفار ـ وثنيين أو كتَابيين ـ محرَّمٌ قطعـاً، سـواءٌ كـانَ التَّشـبه في عباداتهم ـ وهي الأخطر ـ أو في عَاداتهم وسُلُوكيَّاتِهم، دلَّ علىٰ ذلكَ الكتابُ والسُّنَّةُ والإجماعُ:

١ـ فمنَ القرآن قول الله تعالىٰ: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِـنْ بَعْـدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٥].

٢ـ ومن السُّنَّةِ قول النبيِّ ﷺ: « مَن تَشَبَّهَ بِقَومٍ فَهُو مِنْهُم » [أخرجـه أحمـد ٢/٥٠ وأبو داود ٤٠٢١]. قال شيخُ الإسلام: « هذا الحديث أقـلُّ أحوالـه أنْ يَقْتَضِـي تَحْرِيـم التَّشَبُّه بِهِم وإن كانَ ظاهِرُهُ يقتضي كُفْرَ المتشبه بهم كما في قوله تعـالىٰ: ﴿ يَـا أَيُّـهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَـاءَ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْـضٍ وَمَـنْ يَتَوَلَّـهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

٣ـ وأما الإجماعُ فقد نقَلَ ابنُ تَيْمِيَّةَ أنَّه مُنْعَقِدٌ علىٰ حُرْمَةِ التَّشـبهِ بالكفَّـار في

أعيادهم في وقت الصَّحابَةِ رضي اللهُ عَنهم، كما نَقَلَ ابنُ القَيِّم إجمَاع العُلَمَاءِ عَلىٰ ذَلِكَ. [انظر الاقتضاء ١/٤٥٤، وأحكام أهل الذمة ٢/٧٢٢ ـ ٧٢٥].

وقد نَهَىٰ اللهُ تعالىٰ عن تقليد الكفَّار فمقته وحذر من مغَبَّتِهِ في آيات كثيرة، ومناسباتٍ عديدةٍ، وأساليب متنوعة، ولا سيما تقليد الكفار، فتَارَةً بالنهي عن تبعيتهم وطاعتهم، وتارةً بالتَّحذيرِ منهم، ومن الاغترارِ بمكْرِهِم والانصِيَاع لآرائهم والتَّأثُرِ بأعمَالِهِم وسلُوكِهم وأخلاقِهم،، وتارةً بِذِكْرِ بعضِ خِصَالِهم الَّتي تُنَفِّر المؤمنينَ منهم، ومن تَقْلِيْدِهِم، وأكثر ما يَرِدُ التحذير في القرآنِ مِن اليَهُود والمنافقينَ، ثمَّ من عُمُوم أهلِ الكتابِ والمشركينَ، وقَد بَيَّنَ اللهُ تَعَالىٰ في القرآنِ الكريم أنَّ تقليدَ الكفَّار وطاعَتَهُم، مِنْهُ ما هو ردَّةٌ عن دينِ اللهِ تعالىٰ، وقَد نَهَىٰ تَعَالىٰ كذلك عن طاعَتِهِم واتِّبَاع أهوائهم وخِصَالهم السَّيئة.

والتَّقليدُ يحدثُ خللاً في شَخْصِيَّةِ المسلم، مِن الشُّعور بالنَّقص والصَّغار، والضَّعف والانهزَامية، ثمَّ البُعد والعزوف عن منهج الله وشرعِهِ، فَقَد أثبَتَت التَّجربة أن الإعجاب بالكفار وتقليدهم سَبَبٌ لحبِّهم والثِّقة المطلقة بهم والولاء لهم، والتنكر للإسلام ورجاله، وأبطاله، وتُراثه وقيمه، وجهل ذلك كلّه.

(الوجه الثالث): أن المقصودَ مِن عيدِ الحبِّ في هذا الزَّمن إشَاعَةُ المحبَّةِ بينَ النَّاسِ كلّهم مؤمنِهم وكافرِهِم، ولا شكَّ في حُرْمَةِ مَحبَّة الكفَّار ومودَّتِهم، قال تَعَالىٰ: ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال العلماءُ: «فَأَخْبَرَ سبحانَهُ أنَّه لا يوجدُ مؤمنٌ يـواد كـافراً، فمـن وادَّ الكفـارَ فلَيسَ بِمُؤمِنٍ، والمشابهة الظاهرة مظنة المودة فتكون محرمة، والله تعالىٰ أعلم».

(الوجه الرابع): أنَّ المحبةَ المقصودةَ في هذا العيدِ منذ أن أحياهُ النَّصارىٰ هـي محبَّةُ العِشْقِ والغَرَام خارج إطار الزَّوجية، ونتيجة ذلك: انتِشَارُ الزِّنـىٰ والفَواحـش، ولذلك حارَبَهُ رجالُ الدِّين النَّصراني في وقتٍ مِـنَ الأوقاتِ وأبطلُوه ثـمَّ أعِيْـدَ مَـرَّة أخرىٰ. وأكثر الشَّباب يحتفلون بِهِ لما فيه من تَحْقِيقٍ لِشَهَوَاتِهم، دونَ النَّظـر إلىٰ مـا فيـه من تقليدٍ ومشابهة، فانظر معي إلىٰ هذا البلاءِ من الزنىٰ والفحشِ والعياذُ بالله تعالىٰ.

۞ وقد يتساءلُ البعضُ فيقولونَ: أنتم بِـهَذَا تُرِيـدونَ حِرْمَانَنَـا مِـنَ الحـبِّ، وَنَحْنُ في هَذا اليَوم إنَّما نُعَبِّرُ عَن مَشَاعِرِنَا وَعَواطِفِنَا، فَمَا المحْذُورُ في ذَلِكَ؟.

فنقولُ: (أولاً): من الخطأ الخلط بين ظاهر مسمَّىٰ اليوم وحقيقةِ ما يريدونَ مـن ورائِهِ، فالحبُّ المقصود في هذا اليوم هو العشقُ والهيام واتِّخاذ الخِـلاَّن والخليـلات والمعروف عنه أنَّه يوم الإباحية والجنس عندهم بلا قيود أو حدود..

وهؤلاء لا يتحدثون عن الحبِّ الطَّاهر بين الرَّجُل وزوجته والمـرأة وزوجـها. أو علىٰ الأقلّ لا يفرِّقُون بين الحبِّ الشَّرعي في علاقَـةِ الزَّوجـين وبـين الحـبِّ المحـرَّم للعشيقاتِ والأخدان فالعيدُ عندهم وسيلة لتعبير الجميع عن الحبِّ.

(ثانياً): أنَّ التعبـيرَ عَـن المشـاعرِ والعواطِـفِ لا يسـوِّغ للمسـلمِ إحـدَاث يَـوم يعظمه ويَخُصّه من تِلْقَاءِ نَفْسِهِ بذلك، ويسمِّيه عيداً أو يجعلهُ كالعيدِ، فكيـفَ وَهُـوَ من أعيادِ الكفَّار؟.

فالزَّوج يحبُّ زوجته في الإسلام علىٰ مدار العامِ وَيُعَبِّرُ لها عن هذا الحـبِّ بالهديـة والشِّعر والنَّثر والرسائل وغيرها علىٰ مَدَار العَام وليس في يوم واحدٍ من السَّنَةِ.

(ثالثاً): لا يوجد دينٌ يحثُّ أبناءه علىٰ التَّحابب والمودَّة والتآلف كَدِيْنِ الإسلام، وهذا في كلِّ وَقْتٍ وحين، لا في يومٍ بعينه بل حثَّ علىٰ إظهارِ العَاطفة والحبِّ في كلِّ وقت كما قال عليهِ الصَّلاة والسَّلام: «إذا أحبَّ الرَّجُلُ أخَاه فَلْيُخْبِرهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ». [رواه أبو داوود / ٥١٢٤، والترمذي / ٢٣٢٩، وهو صحيح].

وقال ﷺ: «لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، ألاَ أدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ». [رواه مسلم وأبو داود].

(رابعاً): أنَّ الحبَّ في الإسلام أعمُّ وأشملُ وأسمَىٰ من قَصْرِهِ علىٰ صُورةٍ واحدة وهي الحبُّ بين الرَّجل والمرأة، بل هناك مجالاتٌ أشمل وأرْحَب وأسمَىٰ، فهناك حبُّ الله تعالىٰ.. وَحُبُّ رسوله ﷺ، وصحابته رضوان الله عليهم.. وحبُّ أهلِ الخَير والصَّلاح.. وحبُّ الدِّين ونصرته.. وحبُّ الشَّهادة في سبيل الله.. وهناك محابٌّ كثيرةٌ، فمن الخطأ والخطر إذن قَصْرُ هذا المعنىٰ الواسع علىٰ هذا النَّوع من الحبِّ.

(خامساً): أنَّ ظنَّ الَّذين يظنُّون بأنَّ الحبَّ قبل الزواجِ مفيدٌ والعلاقةُ نافعة ظنُّهم خائبٌ، كما أثبَتَت الدِّراسات وتَجَارب الواقع ففي دراسة أجرتها جامِعَةُ القَاهرةِ، حولَ ما أسمته زواج الحبِّ، والزَّواج التقليدي، جاء في الدراسة:

❁ الزواج الذي يأتي بعد قصَّة حبٍّ تنتهي ٨٨٪ من حالاته بالإخفاق، أي بنسبة نجاح لا تتجاوز ١٢٪، وأمَّا ما أطلقت عليه الدِّراسة الزَّواج التَّقليدي فقد حقَّق ٧٠٪ من حالات النَّجاح. وبعبارة أخرىٰ، فإنَّ عدد حالات الزواج الناجحة في الزواج الذي يُسَمُّونه تقليدياً تعادلُ سِتَّةَ أضعَاف مَا يسمىٰ بـ (زواج الحب).

ثمَّ إذا نظرنَا في أحوال المجتمعاتِ الغَربيةِ الَّتي تحتَفِلُ بعيدِ الحبِّ وتروِّجُهُ ونسألُ: ما حالُ العلاقات الزَّوجية لديهم؟ وما أثرُ هَذِهِ الاحتفالاتِ والأعيَادِ عَلىٰ

المُعَامَلَةِ بينَ الزَّوجينِ؟ وهَل أثَّرت فيها إيجابياً؟.

❁ **جاء في دراساتهم وإحصاءاتهم ما يلي:**

١- في دراسة أمريكية عام (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) جاء فيها: أن ٧٩٪ من الرجال يقومونَ بضربِ النِّساء، وبخاصَّة إذا كانوا متزوجين..! [جريدة القبس (١٩٨٨/٢/١٥)]

٢- وفي دراسةٍ أعدَّها المكتب الوطني الأمريكي للصِّحةِ النَّفسية جاء فيها: ١٧٪ من النِّساء اللواتي يدخلن غرفَ الإسعاف من ضحايَا ضرب الأزواج أو الأصدقاء.

٨٣٪ دخلن المستشفيات سابقاً مرَّة علىٰ الأقل للعلاج من جروح وكدَمَاتٍ أصبنَ بها، كان دخولهن نتيجةَ الضرب.

وأضافت الدِّراسة أنَّ هناك نساءً أكثر لا يذهبن إلىٰ المستشفىٰ للعلاج بل يضمِدْنَ جروحهنَّ في المنزل.

٣- وفي تقرير للوكالة الأمريكية المركزية للفحص والتحقيق F.P.T فإن هناك زوجة يضربُها زوجُها كلّ (١٨) ثانية في أمريكا.

٤- ونشرت مجلة التَّايم الأمريكية أن حوالي (٤٠٠٠) زوجة من حوالي ستة ملايين زوجة مضروبة تموت نتيجة ذلك الضرب!.

٥- وفي دراسة ألمانية: ما لا يقل عن (١٠٠) ألف امرأة تَتَعَرَّض سنوياً لأعمالِ العنف الجَسَديِّ أو النَّفساني الَّتي يمارسُهَا الأزواج، أو الرِّجال الذين يعاشرونهن مع احتمال أن يكون الرقم الحقيقي يزيد علىٰ المليون.

٦- وفي فرنسا تَتَعَرَّضُ حوالي مليوني امرأة للضَّرب.

٧- وفي بريطانيا في أحدِ استطلاعات الرأي شاركت فيه (٧) آلاف امرأة قالت ٢٨٪ منهن: إنَّهن يتعرضن للهجوم من أزواجهن وأصدقائهن.

فكيف نصدّق بعد ذلكَ أنَّ عيدَ الحبِّ مفيدٌ للزَّوجين، والحقيقةُ أنَّه دعوة لمزيدٍ من الانحلال والفجورِ وإقامَةِ العَلاقَاتِ المُحَرَّمة بينَ الجِنْسَين.

والزَّوجُ الصَّادِقُ في محبَّةِ زوجتِهِ لا يحتاجُ إلىٰ من يُذَكِّرهُ بالمحبةِ لزوجَتهِ، ولا إلىٰ هذا العيدِ فهو يُعَبِّر عَن حُبِّهِ لِزَوْجَتِهِ في كلِّ وَقْتٍ وَحِيْنٍ.

موقفُ المسلم مِن عِيْدِ الحبِّ

مما سبق عرضه يتبين مَوقف المسلم من هذا العيد في الأمور التالية:

أولاً: عدم الاحتفال بـه، أو مشاركَة المحتفلين بـه في احتِفَالِهِم، أو الحُضُور معهم لما سبقَ مِن الأدِلَّة الدَّالة علىٰ تَحْريم الاحتفالِ بأعْيَادِ الكُفَّار..

وتشيرُ الإحصائيات إلىٰ أنَّ عيدَ الحبِّ هـو ثَـاني مُنَاسَبَة بَعْـدَ (الكريسماس) ـ عيدِ ميلادِ المسيح ـ فإذا تَبيَّنَ أنَّ عيدَ الحبِّ مِن أعياد النَّصارىٰ وهُو في المرتبة الثَّانية بعد عيد (الكريسماس) فَلا يجوزُ للمسلمينَ مُشَاركتهم بالاحتِفَال في هَذا التَّاريخ لأنَّنا مأمورونَ بِمُخَالَفَتِهم في دِيْنِهم وَعَادَاتِهم وغَير ذَلِكَ مِن خُصُوصِيَّاتِهم كمَا جَاءَ ذلك في القُرآنِ وَالسُّنَّةِ وَالإجمَاع.

ثانياً: عَدَمُ إعانَةِ الكفَّار عَلىٰ احتِفَالِهم، لأنَّه شَعِيْرَةٌ مِن شَعَائِر الكُفْرِ، فَإعَانَتُهُم وإقْرَارُهُم عَلَيْهِ إعَانَةٌ عَلىٰ ظهُور الكُفْر وَعُلُوِّه وَإقْرَارٌ بِهِ.

ثالثاً: عدَمُ إعَانَةِ مَن احتَفَل بِهِ مِنَ المسلمينَ، بَل الواجبُ الإنكـار عَلَيْـهِم، لأنَّ احتفالَ المسلمينَ بأعيادِ الكفَّار منكرٌ يَجِبُ إنكَارُهُ. قَال شيخُ الإسلامِ رحمه الله تعالىٰ: «وكما لا نَتَشَبَّه بهم في الأعياد، فلا يُعَان المسلم بهم في ذلك، بل ينهىٰ عن ذلك» [الاقتضاء ٢/٥١٩ ـ ٥٢٠].

۞ وبناءً علىٰ مَا قَرَّره علماءُ الإسلام فإنَّه لا يجوز للتُّجار المسلمين أن يتاجروا بهدايا عيدِ الحبِّ، من لِبَاس مُعَيَّن أو وُرُودٍ حَمْرَاء أو غَيْر ذلك، كَمَا لا يَحِلُّ لِمَن أُهْدِيَت له هَدِيَّةٌ في هَذا العيدِ أنْ يَقْبَلَهَا لأنَّ في قَبُولِهَا إقرارٌ لهذَا العِيْدِ.

يقول أحدُ الدُّعاة: توجَّهنا إلىٰ أحدِ محلات الورودِ في بِلادِ المسلمينَ ففوجئنَا باستعداد تامٍّ، كانت بدايته فَرْش مَدْخَل المَحَلِّ بفرش أحمر، ولوحاتٍ حمراء، ومناظر حمراء، وقابلنا أحدَ العمال في المحلِّ وسألناه عن مَدَىٰ استعدادِهِم لهذِهِ المناسبَةِ؟

فردَّ بأنَّ هذا الاستعدادَ بَدَأ مبكراً، والطَّلَبَاتُ كانت مكثَّفَةً، ثمَّ أخبرنا العاملُ بأنَّه مستغربٌ جداً مِن ذلك حيثُ فاجأنا بأنَّه أسلَمَ حديثاً وتركَ النَّصرانية، وأنَّ ذلك يعرفه في دينهم قبل إسلامِهِ فكيف يكون الزَّبائن مِنَ المسلمين وليس من النَّصارىٰ؟!.

۞ وفي محلات أخرىٰ نَفَدَت الورودُ الحمراءُ وبيعَت بالأثمانِ الغَالِيَةِ، ولما دخلَت إحْدَىٰ الدَّاعياتِ المسلمَاتِ علىٰ الطالِبَاتِ المجتَمِعَاتِ في صَالَةٍ لإلقاءِ محاضرةٍ عليهنَّ أصيبَت بِخَيْبَةِ أملٍ كبيرةٍ لأنَّها وَجَدَت الحُضُورَ مُحمراً فَهَذِهِ مَعَهَا وردَةٌ حمراءُ والأخرىٰ شالٌ أحْمَر أو منْدِيل أحْمَر، أو حَقِيْبَة حمرَاء أو جَوَارب حَمْراء.. وهكَذا، فَوا أسفَىٰ علىٰ بَنَاتِ المسلمينَ.

ومن المظاهر المشاهدَة بين المسلمينَ في هذا العيدِ:

١– كلُّ طالبة تَتَّفق مع من تُحِب مِن صَدِيقَاتها بِرَبْطِ شَرِيطَةٍ حمرَاء اللَّون في مِعْصَم اليَدِ اليُسْرَىٰ.

٢– لبس أيّ لباسٍ أحمر اللَّون (بلوزة، ربطة شعر، حذاء..) وقد كَانَ ذلك في

غَايَةِ الوُضُوح الأعوامِ الماضِيةِ لِدَرَجَةِ أنّنا نَدْخُل الفصولَ فنجدُ أغلبَ الطالِبَات وقد ارتَدَيْنَهُ وكأنَّه زيٌّ رسميٌّ.

٣- البالوناتُ الحمراءُ والمكتوبُ عليها: (I Love you) وعادة يخرجنها آخر اليوم الدّراسي وفي السَّاحة بعيداً عن أعينِ المُعَلِّمات.

٤- نقشُ الأسماءِ والقُلوب علىٰ اليَدين وَالحُرُوف الأولىٰ من الأسْمَاء.

٥- انتشارُ الورودِ الحَمْراء بشكلٍ كبيرٍ في هذا اليومِ.

لفيفٌ من البناتِ دَخَلْنَ قاعَاتِ المحاضراتِ يوم (١٤ فبراير) وقد ارتَدَت كلُّ واحدةٍ منهنَّ ثوباً أحمرَ وألصقَت عَلىٰ وَجْهِهَا رُسُوماً لقلوبٍ حَمْراءَ، بَعْدَ أن وَضَعَت مساحيقَ التَّجميل الحمراءِ علىٰ وَجْهِهَا، وبدأنَ يَتَبَادَلْنَ الهدايَا ذاتِ اللَّون الأحمَرِ مع القبلاتِ الحارَّة، هذا مَا حَدَثَ في أكثر مِن جَامِعَةٍ في بلدٍ إسلاميٌّ، بَلْ وفي جامعةٍ إسلاميَّةٍ.. رَدَّنا اللهُ والمسلمينَ إلىٰ دينِه ردّاً جميلاً.

❁ المدارسُ الثَّانويةُ في ذلك اليوم فُوجِئت بكثيرٍ من الطالباتِ قَد أحضرنَ وروداً حمراءَ من النَّوع الفَاخِر وَصَبَغْنَ وُجُوهَهُنَّ بمساحيقَ تَجْمِيلِ ذَاتِ اللَّون الأحمَرِ، وارْتَدَيْنَ أقراطاً حَمْرَاء، وأخَذْنَ يَتَبَادَلْنَ الهدايَا وعباراتِ الغرام السَّاخنة فيما بينهنَّ احتفالاً بهذا العيدِ.

❁ تشيرُ الموسوعةُ العربيةُ إلىٰ أنَّ لعيد (فالنتين) طقوساً خاصَّةً منها طباعة أشعار العاطفة والحبِّ علىٰ البطاقات وتَوْزيعها علىٰ الأقاربِ ومَن يُحِبُّ، وبعضُهُم يرسُمُ صوراً ضاحِكَةً علىٰ هذِهِ البطاقاتِ وكثيراً ما يكتبُ عليها (كُن فالنتينياً) وكثيراً ما تُعْقَدُ حفلاتٌ نهارية رَاقِصَةٍ علىٰ طريقتهم، ومازالَ الأوربيون يحتفلونَ بهذا العيدِ، ففي بريطانيا بَلَغَت مَبيعَاتُ الزُّهور في ذلك اليوم (٢٢) مليون جنيه

استرليني، ويزدادُ الإقبـالُ علىٰ الشُّوكولاه، وتَعْرضُ الشَّركات علىٰ مَوَاقِعِها في الإنترنت رَسَائِل مَجَّانية بهذه المناسبة تَرْويجاً لِمَوقِعِهَا.

❁ انتقل عيدُ (فالنتين) إلىٰ عَدَدٍ من البلادِ العربيـةِ وَالإسلاميَّةِ بَل إلىٰ مَوْطِـنِ الإسلامِ (جزيرة العرب) وإلىٰ مُجْتَمَعَاتٍ كنَّا نَظُنُّها بَعيـدَةً عـن هـذا الخَبَلِ، حتَّىٰ ارتَفَعَ سِعْرُ الـوُرُودِ في هـذا اليـوم بِشَكْلٍ جُنُونـيٍّ فبلـغَ ثمـنُ الـوردَةِ الواحـدةِ (١٠ دولارات) بَعْدَ أن كانَ لا يَتَجاوَز دولاراً وَرُبعاً، وتَنَافَست محلاَّتُ الهدايـا والكُـروت في تَصْميم كروتٍ وهدايا لِهَذِهِ المناسَبَةِ، وقَـامَت بعـضُ العـائلاتِ بِتَعْليـقِ الـورودِ الحمراءِ عَلىٰ نوافذِ المنزلِ في ذَلِكَ اليَوم.

❁ وفي بعـضِ دُولِ الخليـج نَظَّمـت العديـدُ مـنَ المراكِـزِ التِّجاريـةِ والفنَــادِق احتفالاتٍ خاصَّة بمناسـبة عيـدِ الحـبّ، فَـاكْتَسَـت غالبيـةُ المحـلاتِ والمجمَّعـات التِّجارية باللَّون الأحمَرِ وانتشرَت البَالُونَـات والألعـاب والدُّمـىٰ في أحـدِ المطـاعم الخليجيةِ الفَاخِرَة، وتَمَشّياً مع عاداتِ عيدِ الحبِّ وأساطيرِ الوثنيـةِ عَـرَضَ المطعـمُ مشهداً تمثيلياً لشخصية (كيوبيد) صَنَم الحبِّ في الأساطير الرُّومانية وهو شِبْه عَـارٍ مع قوسِهِ وَسَهْمِهِ، كمَا قَام هَذا المُمَثِّل مَع وصيفاتِهِ باخْتِيَـار (مسـز ومسـتر فَـالنتين) مِن بينِ الحُضُور.

❁ أما مطاعِمُ الدَّخْل المحدودِ فَقَد احتفَلَت بهذَا اليوم بِطَريقتها الخَاصَّةِ حيـثُ قامَ بعضُ المحلاتِ بتغييرِ الأطباقِ العادِيَّةِ إلىٰ أطباقٍ علىٰ شـكلِ قُلـوب، وأبدلَـت مفارشُ الطاولاتِ باللَّون الأحمرِ، كما وُضِعَت وردَةٌ حمراء علىٰ كلِّ طاولةٍ ليقَدِّمَـهَا المحبُّ إلىٰ حَبِيبَتِهِ.

❁ أبرزُ تقاليد عيد الحبِّ عَرَضَهَا صَاحِبُ أحدِ محلاَّت الهدايـا في الكويـت إذ

قَامَ باستيراد أرانبَ فرنسية (حيَّة) صغيرة الحَجْم ذات عُيُون حمراء، وقامَ بوَضْع رابطة عنقٍ علىٰ رقابِ هَذِهِ الأرانب، ووضعها في عُلَبٍ صغيرةٍ لِتُقَدَّمَ هَدِيَّةً.!!

❁ فيجب محاربةُ هذه المظاهر بشتَّىٰ الوسائل، والمسؤولية ملقاةٌ علىٰ الجميع.

رابعاً: عَدَمُ تبادل التَّهاني بعيدِ الحبِّ، لأنَّه ليسَ عيداً للمسلمين، وإذا هُنِّئ المسلمُ به فلا يردّ التَّهنِئَةَ.

قال ابنُ القَيِّم رحمهُ اللهُ تَعَالىٰ: «وأما التَّهنئة بشعائر الكُفر المختَصَّة بهم فحرامٌ بالاتِّفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم فيقول: عيدٌ مبارك عليك، أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سَلِمَ قائِلُهُ من الكُفْر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يُهَنِّئَه بسجوده للصَّليب، بل ذلك أعظم عندَ الله وأشدّ مقتاً من التهنئة بشرب الخَمْرِ، وقتل النَّفس، وارتكابِ الزنىٰ ونحوه. وكثير مِمَّن لا قَدْرَ للدِّين عنده يقع في ذلك وهو لا يدري قبحَ ما فعل، فمن هنأ عبداً بمعصيةٍ أو بدعةٍ أو كفرٍ، فقد تعرَّضَ لمقت الله وسخطه» [أحكام أهل الذمة ٤٤١/١ – ٤٤٢].

خامساً: وجوب توضيح حقيقة هذا العيد وأمثاله من أعيادِ الكفَّار لمن اغترَّ بها من المسلمين، وبيان ضرورةِ تَمَيُّز المسلم بدينِهِ والمحافَظَة علىٰ عقيدَتِهِ ممَّا يُخِلُّ بها، نصحاً للأمة وأداءً لواجبِ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

وفي الختام نسألُ اللهَ تَعَالىٰ أنْ يَحْفَظَ المسلِمينَ مِنَ مُضِلاَّتِ الفِتَنِ وأنْ يَقِيَهُم شرورَ أَنْفُسِهِم، ومكْرَ أعْدائِهِم إنَّـهُ سميعٌ مجيبٌ. وصلَّىٰ اللهُ وَبَارَكَ عَلىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلىٰ آلهِ وصَحْبِهِ وَسَلَّم تسليماً كثيراً.

* * *

كَلِمَةٌ فِي العِشْقِ

قالَ ابنُ القَيِّم ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ: العِشْقُ هُو الإفـراطُ في المحبَّـة، بحيـثُ يَسْتَولي المعشوقُ علىٰ قَلْبِ العَاشِق، حتَّىٰ لا يَخْلُو مِن تخيُّلِـهِ وذِكْـرِهِ والفِكْـرِ فيـهِ، بحيثُ لا يَغيبُ عَـن خَـاطِرِهِ وَذِهْنِهِ، فعندَ ذلكَ تَشْتَغلُ النَّفسُ بِـالخَوَاطِرِ النَّفْسَـانِيَّةِ فَتَتَعطَّل تلكَ القُوىٰ، فَيَحْدُثُ بِتَعْطِيلِهَا مِنَ الآفاتِ عَلىٰ البَدَنِ وَالرُّوح ما يَعـزُّ دَوَاؤهُ وَيَتَعَذَّرُ، فَتَتَغَيَّرُ أفعالُهُ وصفاتُهُ ومقاصدُهُ، ويختـلُّ جميـعُ ذلـكَ فتعجَـز البَشَـرُ عَـن صَلاحِهِ، كما قيل:

الحـبُّ أوَّلُ مَـا يكُـونُ لجاجـةً ... تَـأْتِي بِــه وَتَسُـوقُهُ الأقــدَارُ
حتَّىٰ إذا خَاضَ الفَتَىٰ لُججَ الهَوىٰ ... جَــاءت أمــورٌ لا تُطَـاقُ كِبَــارُ

والعشقُ مبادئه سهلةٌ حلوةٌ، وأوسطه همٌّ وشغلُ قَلْبٍ وسُقْم، وآخرهُ عَطَبٌ وقَتْلٌ. إن لم تَتَدَاركْهُ عِنَايَةٌ مِنَ الله كَمَا قيلَ:

وعِـشْ خَاليـاً فَـالحُبُّ أوَّلُـهُ عِنـىٰ ... وأوْسَــطُهُ سُــقْمٌ وَآخِــرهُ قَتْــل

وقال آخر:

تَوَلَّـهَ بِالعِشْــقِ حَتَّــىٰ عَشِــق ... فَلَمَّــا اسْـتَقَلَّ بِـهِ لَـم يُطِـقْ
رَأىٰ لجَّــةً ظَنَّــهَا مَوْجَــةً ... فَلَمَّــا تمكَّــن منْــهَا غَــرِقْ

والذَّنب لــه (أي للعاشق) فهو الجاني علىٰ نفسه.

وأمَّا دواءُ هَذا الدَّاء العُضال:

فقال فيه – رحمه اللهُ تعالىٰ –: ودواءُ هَذا الدَّاءِ القَتَّال أن يَعْرِفَ أنَّ ما ابتُلِيَ بـه من هَذا الدَّاء المضادِّ للتَّوحيدِ، إنَّما هُو مِن جَهْلِـهِ وَغَفْلَـةِ قَلبِـهِ عَـن اللهِ، فَعَلَيْـهِ أن يَعْرِفَ توحيدَ ربِّه وسُنَنَهُ وآياته أوَّلاً، ثُمَّ يأتي مِـن العِبَاداتِ الظَّاهِرَةِ والباطِنَـةِ بِمَـا يشْغلُ قَلْبَهُ عن دوام الفِكْرَةِ فيهِ ويُكْثِرُ مِنَ التَّضَرُّعِ إلىٰ اللهِ سـبحانَهُ في صَرْفَ ذَلـكَ عنه، وأنْ يَرْجِع بقلبِهِ إليه وليس لَـهُ دواءٌ أنفع مِنَ الإخلاصِ للهِ، وَهُـو الـدَّواءُ الَّـذِي ذكَرَهُ اللهُ تَعَالىٰ في كِتَابِهِ عندمَا ذكرَ قصَّةَ يوسُفَ عليه السَّلامُ فقَالَ تَعَـالىٰ: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾. [يوسف: ٢٤].

فأخبرَ سبحانَهُ أنَّهُ صرفَ عنهُ السُّوءَ مِنَ العِشْقِ والفَحْشَاءَ مِنَ الفِعْلِ بإخْلاصِـهِ، فإنَّ القلبَ إذا خَلُصَ وأخْلَصَ عَمَلَهُ للهِ تَعَالىٰ لَم يتَمكَّن منهُ عِشْقُ الصُّوَرِ، فإنَّه إنَّمَـا تَمكَّن مِن قَلْبٍ فَارغٍ كَمَا قيلَ:

أتانِي هَواهَا قَبْلَ أنْ أعْرِفَ الهَوَىٰ ... فَصَـادَفَ قَلْبـاً خَالِيـاً فَتَمكَّنَـا

وليعلم العاقِل أنَّ العَقْلَ والشَّرْعَ يُوجبَان تَحْصِيلَ المَصَـالِحِ وَتكْمِيْلَـهَا، وإعـدامَ المفَاسِدِ وَتَقْلِيْلَهَا..

ومن المعلوم أنَّه ليسَ في عِشْقِ الصُّور مَصْلَحَةٌ دينِيَّـةٌ ولا دُنْيَوِيَّـة، بَـل مَفْسَـدَتُهُ الدِّينية والدُّنيوية أضعَاف ما يُقدَّرُ فيه من المصلَحَةِ، وذلكَ مِن وجوهٍ:

أحدها: الاشتغَال بذِكْرِ المَخْلُوق وحبِّهِ عَن حُبِّ الرَّبِّ تَعالىٰ وذكْرِهِ، فلا يجتمـعُ في القلبِ هذا وهَذا إلاَّ وَيَقْهَر أحدُهُما صَاحِبَهُ، ويكونُ السُّلطانُ والغَلَبَةُ لـه.

الثاني: عذاب قلبهِ بمعشوقِهِ، فإنَّ مَن أحبَّ شيئاً غَير اللهِ عُـذِّبَ بِهِ ولا بُدَّ، كمَا قيل:

فمَا في الأرضِ أشقَىٰ مـن مُحِـبٍّ وإنْ وَجَـدَ الهَـوَىٰ حُلْـوَ المَـذَاقِ
تَـرَاه باكِيَـــاً في كُـلِّ حِيْـنٍ مخافَـــةَ فُـــرْقَةٍ أو لاشْـــتِيَاقِ
فَيَبكِـي إن نَـأَوا شَوْقَـاً إليهـم وَيَبْكِـي إنْ دَنَـو خَـوْفَ الفِـرَاقِ
فَتَسْـخُنُ عَيْنُـهُ عِنْـدَ الفِـرَاقِ وَتَسْـخُنُ عينُـهُ عِنْـدَ التَّـلاقِ

والعشقُ وإن استَعذَبَهُ صَاحِبُهُ، فَهُو مِن أعظَم عَذَابِ القَلْبِ.

الثالثُ: أنَّ العاشقَ قَلْبهُ أسيرٌ في قَبضَةِ مَعْشُوقِهِ يَسُومُهُ الهَوَانَ، ولكِن لِسكْرَةِ العِشْقِ لا يَشْعُرُ بِمُصَابِهِ فَقَلْبُهُ:

كَعصفُورَةٍ في كَفِّ الطِّفْلِ يَسُومُهَا حِيَاضَ الرَّدَىٰ والطفْلُ يَلْهُو وَيَلْعَب

فَعَيشُ العاشِقِ عَيْشُ الأسِيْرِ المُوثَقِ..

الرابع: أنَّه يَشْتَغِلُ بِهِ عَن مَصَالح دِيْنِهِ وَدُنْيَاه، فَلَيْسَ شَـيءٌ أضْيَعُ لمَصَالح الدِّينِ وَالدُّنيا مِن عِشْقِ الصُّور: أمَّا مصالحُ الدِّين فإنَّهَا مَنُوطَـةٌ بِلَـمِّ شَعْثِ القَلْـبِ وَإقبَالِـهِ علىٰ الله تعالىٰ، وَعِشْقُ الصُّور أعْظَم شَيءٍ تَشْعيثاً وَتَشْتِيتاً له.

وأمَّا مصالحُ الدُّنيا فـهي تابعـةٌ في الحقيقـةِ لمصـالح الدِّيـنِ، فَمَـن انْفرَطـت عليـهِ مَصَالحُ دينِهِ وَضَاعَت عليهِ، فمصَالحُ دنياه أضْيَع وأضْيَع. انتهىٰ كلامُه ــ رَحِمَهُ الله ــ.

والعشق (الذي تُسمِّيه الفتيات: الإعْجَابُ) مِنَ الخطورةِ بمكَان:

قالَ الشَّاعِرُ:

تَفْنَىٰ اللَّـذَاذَةُ مِمَّـن نَـالَ صَفْوتَـهَا مِـنَ الحَـرَام وَيَبْقَـىٰ الإثْـمُ والعَـارُ
تَبْقَـىٰ عَوَاقِـبُ سُـوءٍ في مَغَبَّتِـهَا لا مَرْحَباً بِسُرُورٍ مِـن بَعْـدِهِ النَّـارُ

قال ابن القيم:

فإنَّه قد يكون أحياناً كفراً، كَمَن اتَّخَذَ مَعْشُوقَهُ نِدّاً، يُحِبُّهُ كَمَا يُحِبَ اللهَ تعالىٰ، فكيفَ إذا كَانَت محبَّتُه أعْظَم مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ تعالىٰ في قَلْبِهِ؟.

فَهذَا عِشْقٌ لا يُغْفَرُ لِصَاحِبِهِ، فإنَّهُ مِن أعْظَم الشِّركِ، وَاللهُ لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ وإنَّمَا يَغْفِرُ بِالتَّوْبَةِ المَاحِيَةِ مَا دُونَ ذلكَ..

وعلامَةُ هَذا العِشْق الشِّركِيِّ الكُفْرِي أنْ يُقَدِّمَ العَاشِقُ رضَاءَ مَعْشُوقِهِ عَلىٰ رضَاءِ ربِّه، وإذا تَعَارَضَ عندَهُ حَقُّ مَعْشُوقِهِ وَحقِّهِ وَحَقِّ ربِّه وَطاعَتِهِ قَدَّمَ حَقَّ مَعْشُوقِهِ عَلىٰ حَقِّ رَبِّهِ وَآثَرَ رضَاهُ عَلىٰ رضَاه، وَبَذَلَ لِمَعْشُوقِهِ أنْفَسَ مَا يَقْدِرُ عليهِ، وَبَذَلَ لِرَبِّه إن بَذَل أردْىٰ ما عِنْدَهُ، واستَفْرغَ وسْعَهُ في مَرْضَاةِ مَعْشُوقِهِ وَطَاعَتِهِ وَالتَّقَرُّبِ إليهِ، وَجَعَلَ لِرَبِّهِ إن أطَاعَهُ الفَضْلَةَ الَّتي تَفْضُلُ عَن مَعْشُوقِهِ مِن سَاعَاتِهِ. ا. هـ

وَيَشْتَدُّ الخَطْبُ، وتعظُم البليَّةُ إذا كَانَ المُعجَبُ بِهِ شخصٌ مِن أهْل الكُفْرِ والزَّنْدَقَةِ فإنَّ الزَّنْدَقَةَ هِي إنكَارُ المعلومِ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرورة.

وسببُ انتِشَار مثل هذه الأمُور:

١ـ فَرَاغ القَلْب مِن حُبِّ اللهِ وَرَسُولِه ﷺ.

٢ـ عَدَمُ الإخْلاص في مَحَبَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ.

٣ـ عَدَمُ النَّظَر في عَواقبِ الأمور.

٤ـ التَّعَلُّق بِالصُّور.

٥ـ عَدَمُ النَّظَر بِعَيْنِ البَصِيْرَةِ فيمَن تَعَلَّقَت بِهِ الفَتَاةُ.

* * *

البَنَاتُ والحُبُّ

ما أجملَ أن يَشْعُرَ الإنسانُ بالدِّفء في أبردِ أيَّام الشِّتاء، وبِبهجَةِ الرَّبيع في قَلْبِ الخَريف، وبأنغامٍ رقيقَةٍ حَالِمَةٍ وَسَطَ صخَب الحياةِ وضجيجِها ومَتَاعِبِها وهُمُومِها!

ما أحلىٰ أن تُشاهدي نَفْسَكِ مَلِكةً متوَّجةً علىٰ قلبِ رَجُلٍ، رَغْمَ أنَّك إنسانة عَادِيَّة في بيتك وبينَ أقْرانِك!.

وما أروعَ أن تَحْظَيْ بِاهتِمَامٍ خاصٍّ، رغمَ أنَّكِ لا تَحصلينَ علىٰ اهتِمَامٍ يُذْكَرُ بينَ إخوانِكِ وأهلك وأقاربك!.

ومَا أعْذَبَ أن تَسْمَعِي عَن نَفْسِك أحادِيثاً شَجِيَّةً.. بَيْنَمَا لا يَرَىٰ فيكِ وَالداكِ في البيتِ سِوىٰ عُيُوبكِ ونقائصك!.

وكم هو مُريحٌ أن تَظَلِّي تتكَلَّمينَ وَتَبُوحينَ بما في نفسِكِ، وهُنَاك مَن يَسْمَعُكِ بكلِّ اهتِمَام، بَيْنَمَا تَسْمَعُكِ أمُّك وهي مشغُولَة بالطَّهي أو بِتَرْتيبِ البيتِ أو غيره.. هَذا إن استَمَعَت إليكِ أصلاً!.

ومَا أهناكِ يا أُخَيَّتي وأنتِ تَسمعين عبارات الغَزَل في كلِّ شيء فِيكِ، بَيْنَمَا لا تَسْمَعِي مِن والديكِ سِوىٰ عباراتِ اللَّوم والنَّقْدِ وَالتَّوبيخ!.

ولكن مهلاً عزيزتي، أليست الأُمُور بِخَوَاتيمها وبما تحملُ من ثَمَراتٍ تَجْنِيْها؟!.

لماذا لا تَتَأمَّلي عَلاقَتَكِ بِالحبيبِ، بالمقَارَنَةِ بِعَلاقَتكِ بوالديك؟.

ولماذا لا تَتَسَاءلي: ما هُوَ هَدَفُ الحبيبِ وَمَا هو هدفُ والديكِ؟.

ومَنْ مِنَ الفريقين يَتَمَنَّىٰ أن تكوني أفضلَ مِنْهُ في الدُّنيا والآخرة؟!.

سَأَتْرُكُ الإجابةَ لكِ!.

والآن هَل تَسْمَحِينَ لي أن أحدِّثَكِ بِصَرَاحَةٍ؟.

نعم إنَّ الحبَّ شيءٌ رائعٌ، ولكنَّهُ للأَسَفِ يا أُخَيَّتِي لا يَصْفُو طويلاً، كما أنَّ سَعَادَتَهُ مهمَا دامَت.. فإنَّها لا تَسْتَمِر كثيراً، بَلْ غَالباً ما تَنْقَلِبُ إلىٰ عَذابٍ وآهَاتٍ ونَدَم وَحَسْرَةٍ وَخَيْبَةِ أَمَلٍ وشُعُور بِالقَهْرِ والذُّلِّ.. سَلَّمَكِ اللهُ وَعَافَاكِ.

والعَاقِلُ يا أبنتي مَن دَانَ نَفْسَهُ، وحَاسَبَهَا قبلَ فَواتِ الأوَان.

ولكن هذا لا يَعْنِي إطلاقاً أ ن تَمْنَعِي نَفْسَكِ مِنَ الحبِّ الطاهِرِ المَشْرُوع! فَهَذا مَا لا يُطيقُهُ الإنسانُ الطبيعيُّ، لأنَّ اللهَ سبحانه فطَرَهُ علىٰ الحبِّ وَخَلَقَ له العَواطِفَ وَالأحَاسِيْسَ. وَلو تَأمَّلتِ مَعِي الكَوْنَ لَوَجَدْتِي أنَّ أساسَهُ الحبُّ !!.

فَالكواكبُ لا تفارقُ مجموعاتِهَا لأنَّها دوماً في حَالَةِ انجذابٍ، والقَمَرُ لا يغادِرُ كوكَبَهُ لأنَّهُ في حَالَةِ ارتباطٍ، هَذا فيما عَظُم مِن مَخْلُوقاتٍ.. أمَّا مَا دَقَّ مِنهَا وصَغُر، فَنَرىٰ نَوَاةَ الذَّرَّة لها حالةٌ مِنَ التَّجاذُبِ تَنْتَظِم من خلالها إلكتروناتها!!.

ولأنَّ الله سبحانَهُ جَعَلَ الحبَّ عنوانَ علاقَتِهِ بأفضَل خَلْقِهِ وَأقربِهم إليه ـ وهو الإنسانُ المؤمن ـ فحينَ أخْبَرَ عن حَالِهِم مَعَهُ وَوَصَفَ عَلاقَتَهُ بِهم، وعَلاقَتَهم به سبحانَهُ قال: ﴿يُحبُّهم ويُحبُّونَه﴾ [سورة المائدة: ٥٤].

وليس ذلك فَحَسب، وإنَّمـا جعلَ اللهُ الحبَّ أسَاسَ الإيمانِ بِه جلَّ شأنه.. والدَّليلُ عَلَى ذلكَ قول الرَّسول ﷺ: «لا يؤمنُ أحدُكُم حتَّىٰ أكونَ أحبَّ إليه مِن وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ والنَّاسِ أجمعين». وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول للنَّبيِّ ﷺ: (أنتَ أحبُّ إليَّ من كلِّ شيء إلاَّ مِن نَفْسِي) فَمَاذا قَالَ لَهُ الحبيبُ المُصْطَفَىٰ؟.

قَالَ لَهُ: «لا يَا عُمَر، حتَّىٰ أكون أحبَّ إليكَ مِن نَفْسِكَ» فَلَمَّا قَالَ لَهُ عُمَرُ: (واللهِ أَنْتَ الآنَ أحبُّ إليَّ مِن نَفْسِي) قال له النبيُّ ﷺ: «الآن يا عمر»![رواه البخاري].

فلا تصدقي يا أخيتي من يقولُ لكِ أنَّ الإسلامَ يحرمُكِ مِن حقِّكِ الطَّبيعي في الحبِّ المباح، بَل تأمَّلي مَعِي أحوالَ المحبِّينَ مِن النُّجوم الأزاهر..

فهذا سيِّدُنا إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ الَّذي كانَ يُحِبُّ زَوْجَتَهُ سَارةَ حُبَّاً شَدِيْداً، حتَّىٰ أنَّه عَاش معهَا ثَمَانين عاماً وهي لا تُنجبُ، لكنَّه مِن أجلِ حُبِّهِ لا يُرِيْدُ أن يَتَزَوَّجَ غَيْرَهَا أبداً.. حتَّىٰ لا يُؤْذي مَشَاعِرَهَا، فَلَمَّا طَلَبَت مِنْهُ السَّيدَةُ سارةُ أن يَتَزَوَّجَ مِن هَاجَر وألحَّت عليهِ اضْطَرَّ إلىٰ النزول عند رغبتها!.

وهذا قُدْوَتُنَا وَمُعَلِّمُنَا النبيُّ ﷺ الذي لم يستَحِ مِن إعلانِ حُبِّهِ لِعَائِشَةَ حينَ عَادَ «عمرو بن العاص» منتصراً من غزوة (ذات السلاسل) وَسَأَلَهُ قائلاً: «مَن أحبُّ النَّاسِ إليك؟» ـ ظناً منه أنَّهُ سيكونُ هو ـ فقالَ لَه ﷺ أمام النَّاس: «عَائِشَة».

فقالَ عَمْرٌو: إنَّما أسألُكَ عَن الرِّجَال.. فَقَالَ ﷺ مؤكِّداً اعتزازه بعائِشَة: «أبوها». ولم يقُل أبا بكر أو صاحِبي.. هَل رَأيتِ يا أخَيَّتِي كيفَ أنَّ الأنقياءَ الَّذينَ يُحبُّونَ بِصِدْقٍ وَطُهْرٍ لا يَخْشَونَ البَوْحَ بِهِ أَمَامَ الخَلق!.

أمَّا أولئك الذين يحبون لأجل الشَّهوة والغَريزة البهيمية والنيلِ من أعراض المسلمات.. فإنَّهم يحاولون دائماً أن يكونَ ذلكَ بعيداً عن الخلق.. ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾.

بل ومن الطَّريف أيضاً أن يكُونَ أمرُ حُبِّ رَسول اللهِ ﷺ لعائشةَ أمراً يراعِيْهِ الخلفاءُ وكبَارُ الصَّحابَةِ مِن بَعْدِهِ في تَشْريعاتِهِم، وفي علمهم..

فَنرىٰ الصَّحَابَةَ يَنْتَظِرُونَ يَومَ عائشةَ لِيُقَدِّمُوا الهدايَا لرسولِ الله ﷺ حتَّىٰ غارت بَقِيَّةُ أمَّهَاتِ المؤمنين..!.

وهذا عُمَرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه ـ المشهور بشِدَّتِهِ ـ يُرَاعي هذا الحبَّ، فيفرضُ لأُمَّهاتِ المؤمنينَ عَشَرَةَ آلافٍ مِنَ العطاءِ، ويزيدُ عائشةَ ألفين!!.. وحينَ يُسألُ عَن السَّببِ؟ يقولُ: إنَّها حبيبةُ رسولِ الله!.

بل إنَّ مسروقاً ـ وهو أحدُ علماءِ الحديثِ الكِبَار ـ كانَ إذا رَوَىٰ حديثاً عَن عائِشَةَ رضي الله عنها، قال: «عَن الصِّدِّيقةِ بنتِ الصِّدِّيقِ، حبيبةِ رَسُولِ رَبِّ العَالَمِين».

وتأمَّلي مَعِي مَوقفاً آخر لرسول الله ﷺ يقولُ فيه لعائشةَ حين غَارَت مِن خَديجَةَ رضي الله عنها: «إنِّي قَدْ رُزِقتُ حبَّها»![رواه البخاري]..

هكذا ببساطة ووضوح، وهو يَعْلَمُ ﷺ أنَّ كلَّ كلمةٍ يَقُولُهَا سوفَ تُنْشَرُ بينَ النَّاسِ إلىٰ يَوم القيامة!.

ولما جاءه ـ كما روىٰ ابن عباس ـ رَجُلٌ وقال له: «عندنا يَتِيمَةٌ قد خَطَبَهَا رجلان: مُوسِر ومُعْسِر، قال له: «فهَواها مَع مَن؟!» قالَ مَع المُعسِر. فقالَ رَسُولُ الإنسانيَّةِ ﷺ: «لم يُر للمُتَحَابِّين إلاَّ النِكاح». [حديث حسن، رواه ابن ماجه والحاكم].

فلم يَغْضَب ﷺ مِن رَجُل يَسْأل عَن علاقةٍ عَاطِفيَّة أو قُلُوب تَهوىٰ وتُحِب، وإنَّما باركَ هَذا الحبَّ، وقَالَ إنَّ خَيْرَ ما يُمكن أن نَفْعَلَهُ لمَن يَتَحَابَّا هو مُسَاعَدتهمَا علىٰ الزواج!.

وهذه القصة الشَّهيرةُ لمُغيث و بَرِيْرَة، كانا زوجين، ثمَّ أُعتقت بريرة، فطلبتِ الطَّلاق

مِن مغيث فطلَّقـها، ولكنَّـهُ ظَـلَّ يُحِبُّـهَا، وظَـلَّ كَبِـدُهُ يَتحَـرَّق شـوقاً إليـها، فكَـانَ يَجُـوبُ الطُّرُقَات وراءها، وَدُمُوعُهُ تسيلُ علىٰ خَدَّيهِ يَتوَسَّل إليهَا أن تَعُودَ إليه، وَهِيَ تَأبَىٰ.

ومِن فَرْطِ صِدْقِ هَذا الحبِّ وَجَمَالِهِ، رقَّ قلبُ رسول الله ﷺ لأَمْرِ مُغيث، فَذَهَبَ إلىٰ بَريرَةَ وقال لها: «لو رَاجعتيه، فَإِنَّه أبو ولدك». فقـالت لـه: «أتـأمُرني يَـا رسـولَ الله؟ قال: «إنما أنا شَافعٌ» قَالت: «فَلا حَاجَةَ لي فيه». [أخرجه البخاري].

أرأيتِ يا ابنتي كَيْفَ اهتَمَّ ﷺ بِأمْرِ الحبِّ الطَّاهِرِ رَغْمَ كَثْرَة مَشَاغِلِ وَهُمُوم الأمَّةِ الإسلامِيَّةِ الَّتي كانَ يَحْمِلُهَا علىٰ كتفيه؟!.

أرأيتِ يا ابنتي كيفَ أعطَىٰ الحقَّ للمتَحابين في الزَّواج حتَّىٰ لـو كـانَت الحَالَـةُ المَادِّيَّةُ للحبيب مُتَعَسِّرة؟!.

أرأيتِ يا ابنتي كيفَ أعطَىٰ الحقَّ للمرأةِ أن تَختَارَ مَـن تَتزَوَّجـه بنـاءً علـىٰ مَيْـل هَواهَا وقلبِها؟!.

أرأيت كيفَ رَقَّ لحالِ الحبيبِ، ولكنَّه لم يُجبر الحَبِيبَةَ علىٰ العودةِ إليه؟!.

ثمَّ انظري للصَّحابَةِ رُضْوانُ اللهِ تَعَالىٰ عَلَيْهِم الَّذين عَرَفُوا مِن خِـلال مُعَايشَتِهم للرَّسُول ﷺ تقديرَهُ للحبِّ وَرَغْبَته في الجمْع بَيْنَ المُتَحَابين والشَّفقة عليهم، فَعَمِلُوا علىٰ إحياء سُنَّتِهِ والسَّير علىٰ دَرْبِهِ وَمَنْهَجِهِ، فيروىٰ عن أبي بكْـرِ الصديـق أنـه كـان يَسِيْرُ في الطُّرقات ليلاً يَتفَقَّدُ أحْوالَ الرَّعية، فإذا بـه يَسْمَعُ صوتَ فَتَاةٍ تُغَنِّي عَن الحبِّ وَتَبُثُّ شكواهَا وألَمهَا لِفِرَاقِ حَبِيْبِهَا، فيسـارعُ الصِّديـقُ بِطَـرقِ البَـابِ، وَيُلـحُّ عليهَا حتَّىٰ تُخْبرَهُ عَن حَبِيْبِهَا، وكَانَت مملوكَةً. فَاشْتَرَاهَا، ثمَّ أعْتَقَـهَا وَمَنَحَـهَا لِمَـن أحَبَّتْهُ وأحَبَّهَا!.

هَذا هُو خليفةُ رسولِ اللهِ ﷺ الَّـذي يَـرىٰ أنَّ مِمَّـا يقربُـهُ إلىٰ اللهِ أنْ يَجْمَـعَ بَيْـنَ

المُتَحَابِّين في الحَلال، وأنَّ مِن مقتضياتِ عِنايَتِهِ بِرَعِيَّتِهِ أن يُطيِّبَ قُلُوبَهُم وجِرَاحَهُم... فَلْنَتَعَلَّم مِنْهُ ﷺ الشفقةَ والتَّبَسُّمَ، وإطلاق الحبِّ لا كَبتَهُ، ومُرَاعَاة المَشَاعِرِ النَّبيلَةِ لا خَنْقَها.

أمَّا عمرُ بنُ الخَطاب والذي يصفُهُ بعضُهُم بِالقَسْوَةِ، فَقَد عُرِف عَنْهُ قَولُهُ الرَّقيق: « لَو أدركْتُ عُروةَ وَعَفْرَاءَ لَجَمَعْتُ بينهما » وعُروة وعَفْراء كانا حَبيبين في الجَاهليةِ تَفَرَّقَا ولم يَتَزَوَّجَا، فَعُمَرُ ﷺ الذي يَتَجَنَّب الشَّيطانُ سَبيلَهُ، يَرِقُّ لِقِصَّةِ حَبيبين، وَيُعَالجهما بِدَواءِ رسولِ الله ﷺ وهو الزَّواج.

حتَّىٰ أنَّ زوجاتِهِ يَصِفْنَهُ بأنَّه كانَ إذا دخلَ بَيْتَهُ تَحَوَّل إلىٰ طفلٍ صَغيرٍ، مِن شِدَّةِ رِفْقِهِ، ومُعَامَلَتِهِ الحَسَنَةِ لأَهْلِهِ!

وَقَد شَغَلَ أمر غِيَابِ الأزواج عَن زَوْجَاتِهِم لِفَترَاتٍ طَويلَةٍ بَال الفاروق عُمَر بن الخطاب ﷺ عندَمَا سَمِعَ في جَوْفِ اللَّيل في أثناءِ حِرَاسَتِهِ للمَدينَةِ صوتَ امْرَأةٍ تَقُولُ:

تطاول هـذا الليـلُ وَازورَّ جَانِبُهُ … وَلَيْسَ إلىٰ جَنْبِي خَليلٌ أُلاعِبُهُ
فَوَاللهِ لَولا الله لا شَيءَ غَيره … لَزعْزِعَ مِن هَذا السَّريرِ جَوَانِبُهُ
مَخَافَةَ رَبِّي وَالحَيَاءُ يكفُّني … وأُكرِمُ بَعْلِي أنْ تُنَالَ مَرَاكِبُهُ

فسارعَ أميرُ المؤمنينَ إلىٰ تَرْكِ حِرَاسَتِهِ ثمَّ سَألَ عَن هذهِ المَرْأةِ، فقيلَ لهُ: هذهِ فُلانَةٌ زوجُهَا غائبٌ في سبيلِ الله، فَأرسل إليهَا امرأةً تكونُ مَعَهَا، وَبَعَثَ إلىٰ زَوْجِهَا فَأرْجَعَهُ إليهَا مِمَّا كانَ فيه.. ثمَّ دَخَلَ عَلىٰ ابنتِهِ أمِّ المُؤمنينَ حَفْصَةَ رضي الله عنها، فقال لها: يا بُنَيَّة.. كَم تَصْبِرُ المرأةُ عَن زَوْجِهَا؟ فَقَالَت: سُبْحَانَ اللهِ، مِثْلُكَ يَسْأَلُ مِثْلِي عَن هَذا؟.

فقال: لولا أنِّي أريدُ النَّظَر للمسلمينَ مَا سَألْتُكِ، قَالَت: أربعةَ أشهر، فَحَدَّدَ للنَّاس في مغَازيهم أربعةَ أشْهُر، يَسِيْرُونَ شَهْراً، ويقيمون ثلاثةَ أشهرٍ، ويَسيرونَ راجعينَ!

بل الأعجَب مِن ذلكَ أن نجدَ كِبَارَ الصَّحابَةِ قَد عاشُوا قِصَصَ حُبٍّ..

فهذا عَبْدُ اللهِ بنُ عمرَ العابدُ الزَّاهدُ العالِمُ التَّقيُّ يحب جاريةً له حبَّاً شديداً، فتعثَّرت يوماً في مشْيَتِها وَوَقَعَت، ففوجئ من شَاهَدَ الواقعة أنَّه ما احتَمَل الموقفَ، وظلَّ يَمْسَحُ التُّرابَ عن وَجْهِهَا بيديه، قائلاً: «فِدَاكِ نَفْسِي ورُوحي، ثمَّ إنَّها فَارقته، فكَانَ حَزيناً جداً لذلكَ، وكانَ حينَ يتذكَّرها يقول فيها الشِّعر، ويَتَّهِمُ نَفْسَهُ بالتَّقْصِير في حَقِّ حبيبَتِهِ فَلَم يخشَ أيضاً من البوحِ وَلا الإعلانِ عن مكنونَاتِ قَلْبِهِ المؤمنِ!.

هذه النَّظرةُ الرَّاقيةُ للحبِّ هي التي جعلت «أبا السائب المخزومي» الذي يصفُهُ ابنُ القيم بأنَّهُ مِن أهل العِلْم والدِّين، يَتعلَّقُ بأستار الكعبةِ وهُوَ يقول: «اللهم ارحم العَاشقينَ وقوِّ قلوبهم، وأعطِف عليهم قلوب المعشوقين».

فانظري إلىٰ أيِّ مدىً وجدَ هَذا العَابِدُ العَالِمُ أنَّهُ في موقفِهِ هَذا يحتاجُ إلىٰ الدُّعَاءِ لِهَذا الصِّنْف مِنَ النَّاس، فَلَم يَتَّهمهم بالخواء، ولا بالفراغ، ولا صبَّ اللَّعنات علىٰ المحبين، لكنَّهُ وَجَدَ سعَادتَهُم الحقيقية في أن يلتئموا مع أحبابهم!.

❁ والآن دعيني أُخيَّتِي أتخيَّلُ تَساؤلاتٍ قَد تَقْفِزُ إلىٰ عَقْلِكِ الرَّشيدِ، واسْمَحِي لي بِمُحَاولَةِ الإجابَةِ عنها:

س ـ لماذا يُتَّهم الحبُّ إذن ويُدَانُ؟!.

(ج) ليس كلُّ أصنافِ الحُبِّ يُتَّهم ويُدانُ أُخيَّتِي،إنَّما يُتَّهَمُ فَقَط ذلك النَّوع الذي ينشأ ويستمر في الظلام، وَلَعَلَّك تعلمينَ أنَّ كُلَّ ما ينشأ في الظلام يختَنِقُ ولا ينتهي إلاَّ في ظلام أشدّ منه!.

س ـ ومـا المشكلةُ ؟ إنَّـها علاقـةٌ خاصَّـةٌ جـداً ومِـن حقِّـي الاحتِفَـاظ بِخُصُوصيَّاتي!.

(ج) نعم إنَّها علاقةٌ خَاصَّةٌ جِداً ومن حقِّك الاحتفاظُ بهَا لِنَفْسِكِ، إنِ اسْتَطَعْتِي ألاَّ تَتَعَدِّي الحُدُودَ المَسْمُوحَة شَرْعاً.

س ـ وما هِيَ الحُدُودُ ؟

(ج) ألاَّ تَتَّصلي بالحبيبِ أو تُقَابليهِ في غَفْلَةٍ مِن والديكِ (أو وليِّ أمـرك) فَهَذِهِ خِيَانَةٌ لهمَا وعقـوقٌ في الوقـتِ نفسِهِ!! وألاَّ تَتَعَمَّـدِي مقَابَلَتَـهُ علىٰ انفـراد بحيـثُ تَحْدُثُ بينكُمَا خَلْوَةٌ، فيكون الشَّيطانُ ـ والعياذُ بالله ـ هو ثالثكما.

س ـ ومَاذا يَحْدُث لَو تَعَدَّيتِ هَذِهِ الحدود؟!.

(ج) تحدثُ أضرارٌ عَديدةٌ، سَلَّمكِ اللهُ وعَافَاكِ مِنْها. وما هذه القصص الواقعيـة الَّتي بين يديكِ إلاَّ جواباً صريحاً لهذا السُّؤال.. وأهمُّ هذه الأضرار:

١ـ تفقدينَ احتِرَامَكِ لنَفْسِكِ، وبمرورِ الوقتِ ستكرهينها لا محالةَ، ومَـا أقسـاهُ من شعور!!.

٢ـ تفقدين احترامَ صاحبكِ الخبيث لَكِ... ولكنَّه لَن يُعلنَ ذلك بالطَّبع، لأنَّـه يُؤثِّرُ علىٰ قربكِ منهُ وهذا يُخلافُ شَهَواته.

٣ـ تفقدينَ احتِرَامَ أهلَهُ لكِ لَو حَدثَ أن تَزَوَّجتُمَا في المستقبل.

٤ـ يغضبُ منكِ اللهُ سبحانَهُ لأنَّك خَالَفْتِ تَعليمَاتِهِ الَّـتي بيَّنـها لنَـا مِـن أجـلِ مَصْلَحَتِنَا ولَيْسَ مِن أجل التَّضييقِ عَلَيْنَا.. وَغَضَبُ اللهِ تعالىٰ مَعْنَـاه إمَّـا أن يُمْـهِلَكِ إلىٰ حينٍ لعلَّكِ تتوبينَ، أو يعجِّلَ لك العقوبةَ، أو يـترككِ لِنَفْسِـكِ والشَّيطان.. ثـمَّ يُحَاسبُكِ يَومَ القِيَامَةِ!!.

٥- تبدأ حياتُك في أن تَأخذَ شكلاً جديداً يغلبُ عليه التَّوتُّر والقَلَقُ والتَّرقُّب والخَوفُ مِن أن يُكتَشَفَ أمرُكِ، والخوفُ من أن يُغرِّرَ بكِ الحَبيبُ أو يُوقعَ الشَّيطانُ بينكُما ما لا تُحمَدُ عُقْبَاهُ.. ونَتيجةً لِذَلِكَ تَبدَأينَ بِتَفْضيلِ العُزلَةِ وَالبُعْد عَن أقربِ النَّاسِ إليكِ حتَّىٰ من والديكِ.

٦- تكونينَ قَد بَدَأتِ في حكايَةٍ أشبه بِلُعْبَةِ التَّزحلُقِ للأطفَال، مَن بَدأهَا كَانَ مِنَ الصَّعْبِ عليهِ أن يَقِفَ قَبْلَ أن يُنْهِيَهَا.

٧- تُصْبحُ سُمعَتُكِ في خَطَرٍ، تحتَ رحمةِ ذئبٍ لا يرحمُ.. يستغلُّك حتىٰ وأنت متزوجة من غيره ربَّما.. لأنَّ الكثيرَ من الشَّباب يتفاخرونَ بعلاقَاتِهِم العَاطفية أمَام أقْرَانِهِم.. وهل تَحتَمِلُ فتاةٌ فاضلةٌ مثلك أنْ تَعيْش بِسُمْعَةٍ سيِّئة؟!

٨- قد يكون حُبُّكِ كلّه مخاطرةً لأنَّ غرضَ الحبيبِ الكاذبِ منكِ قَد لا يكونُ هُوَ الحبُّ والعواطفُ كما هو غَرَضُكِ، وإنَّما قَضَاءُ شهوةٍ مُلِحَّةٍ أو مُجَرَّد التَّسليةِ، أو الانتِقَام لِنَفْسِهِ من حبيبة سابقة فعلَت بِهِ مَا فَعلَت!.

وإذا كانَ لا يرضَىٰ أن يَحدُثَ هَذا مَع أختِهِ أو أمِّهِ، فلمَاذَا يَرْضَاهُ لكِ؟! وكيفَ تَرْضَيْنَهُ أنتِ لِنَفسِكِ؟!.

٩- إن لم يَفْعَل معكِ الفَاحِشَةَ، فإنَّ احتمالَ زَواجه منكِ في المستقبلِ ضَعِيفٌ للغَايَةِ! لماذا؟.

لأنَّهُ سيفكِّرُ كثيراً في خِيَانَتكِ لِثقَةِ وَالدَيْكِ، وكَذِبكِ عَليهم كي تُقَابِلِيْهِ، ولن يَنسَىٰ خَلْوَتَكِ بِهِ دُونَ عِلْمِهِم.. ومَن ثمَّ فإنَّهُ سيفقدُ ثِقتَهُ بكِ ولن يُصَدِّقَكِ أبداً، حتَّىٰ لو تَزوَّجتما، فإنَّ الحياةَ الورديةَ الَّتي كنتِ تَحلُمينَ بِهَا ستَنْقَلِبُ إلىٰ جحيم مِنَ

الشَّكِّ والغَيْرَةِ والمُشكلاتِ الَّتي لا تَنْتَهي، ولكِ أن تُراجِعِي نِسَبَ الطَّلاق بَيْنَ الذين يتزوجون بَعْدَ عَلاقَةِ حُبٍّ خَفِيٍّ قَبْلَ الزَّواج!!

وسأذكرُ لكِ منها إحصائيةً أجريَت في جامعة القاهرة، كان مفادها أنَّ ٨٨٪ من هذه الزيجات ينتهي بالإخفاق.

س- وكيفَ السبيل إلىٰ النَّجاة؟!.

(ج) السَّبيلُ يا أُخَيَّتي هُوَ أن تُوقفي الخَطَرَ عنكِ الآنَ مباشرةً وتقطعـي علاقتـكِ معهُ مستعينةً باللهِ تعالىٰ.. وتسأليه أن يعينكِ وأن يستُرَ عليك.. وإياك والتَّمادي وإن كنتِ في بداية الطريـق. فاستمعي مـا يقولـهُ شـوقي: نظـرةٌ.. فابتسـامةٌ.. فكـلامٌ.. فموعدٌ.. فلِقاء.

إنَّ الأمرَ يبدأ بِنَظْرَة فإذا غَضَضْتِ بَصَرَكِ عن كلِّ مَـن ينظُـر إليـكِ بإعجـابٍ أو محاولة الحصولِ عَلىٰ السَّماح له بالاقتراب، نَجَوْتِ بِنَفْسِك.

فإذا رأىٰ إصرارَكِ علىٰ غَضِّ البَصَرِ والسَّيرِ في الطَّريق الصَّحيح، فإمَّا أن يَبْحَـثَ عَن غَيْرِك من المتساهِلاتِ في أعْرَاضِهِنَّ، وإمَّا أن يكونَ قَد أحبَّكِ بِالفِعْل! وفي هذه الحالةِ، فإنَّهُ سيَزْدَادُ لكِ احْتِرَاماً وسَيَرَىٰ أنَّكِ جَديرةٌ بـأن تَفُـوزي بِلَقَـبِ زَوْجَتـه وأمِّ أولادِهِ في المستقبل.

فإذا كنتما في مُقْتَبَل الشَّباب وطريقِ الزَّواج لا يَزَالُ طويلاً، فَتَحَدَّثي مَع أمِّكِ أو مَن يَقُوم مقَامها عَنْه، ويمكنكما أن تَتَحَدَّثا إليه معاً عَن المستقبلِ، فإذا أبدىٰ رغبَتَـهُ في أن تكوني رفيقةَ عُمُرِهِ وَشَريكةَ حَيَاتِهِ، كانَ جَدِيْراً بحبِّك لَهُ، ومن هنا تبدأ رحْلَـة كفاحِكُمَا مِن أجْلِ تَحْقيق هذا الهدفِ السَّامِي وذلكَ الغَرَضِ النَّبيل.

وفي هذه الحَالـةِ يمكِنكُمَـا الاطمئنـان وَمَعْرفَـة أحوالِكُمَـا مِـن خِـلال أختِـهِ أو باتِّصَالِهِ بِوَالدَتِك مثلاً.

واعلمي أنّكُمَا إذا سِرتُمَا في هَذِهِ الطَّرِيقِ، فإنَّ اللهَ يكـونُ معكُمَـا وَيُبَـارِكُ لكُمَـا خطَواتكُمَا ويُكَلِّلُ سعيكُمَا بالسَّعَادَةِ والهَنَـاء والتَّوفيـقِ، فمَـن كـان اللهُ معـه.. فمَـن عَلَيْهِ؟ ومَن كان اللهُ عليهِ فمَن مَعَهُ؟!.

أما إذا تهرَّبَ واختَلَقَ الأعْذَارَ، فاْعْلَمِي أنَّه لا يَسْـتَحِق حُبَّـك ولا اهتمـامَكِ ولا احْتِرَامَكِ، وأنَّك لو تَمَسَّكْتِ به فلَن تَتَزَوَّجيهِ إلاَّ بأمْرِ اللهِ مَهْمَا فَعلْتِ، وهَل تَتَوَقَّعِيْنَ أن يَرْبطَ بَيْنكُمَا اللهُ بالسَّعَادَةِ والبركَةِ وأنتمَا تعصيانه؟!.

واحذري يا أخيتي أن يُوهمكَ بأنَّـه محتَـاج إليـك.. أو أنَّـه لا يَسْـتطيع الحيـاةَ بدونَكِ.. أو غَيْر ذلكَ ممَّا يحتَال به الشَّاب المراوغُ على الفتَاة البريئة، واعلَمِي أنَّـه لا يوجدُ أحدٌ لا يستطيع الحياةَ بدونِ أحدٍ، كمَا أنَّنا يومَ القيامَةِ سوفَ يُحاسَب كـلٌ مِنَّا علَى حِدَة، فهل يرضَى أن يحملَ عَنْكِ مِن أوزارِكِ يومَ القيامَةِ؟!.

س- ومَاذا لو كَانت أمِّي لا تُعطيني الفُرْصَةَ أو لا تَقْبَلُ الحديثَ معـي في هَـذِهِ الأمورِ أو غيرِها؟.

(ج) في هذه الحالةِ يُمكِنُكِ ـ بعد إلحاح منه ـ أن تُخْبريهِ، دونَ أن يَخْتَلِي بِـكِ بأنَّك سَتَنْتَظرِينَهُ حتى يستطيعَ أن يَتَقَدَّمَ لوليِّ أمرك خَاطِباً، وأنَّهُ يستطيعُ الاطمئنـانَ عليكِ بطريقَتِهِ وبدون أن تُغضِبَا اللهَ تعالى، وعليكِ دَائماً بالدُّعَاءِ لـه بـأن يُـهيئ اللهُ تعـالى لَـهُ مِـن أمْرِهِ رَشَداً، وأن يَجْمَـعَ بَيْنكمَـا علَـى خـير. وتَذَكَّـري وَعْـدَ الله تعالى: ﴿ومَن يتّقِ اللهَ يَجعَل لَهُ مَخرَجاً وَيَرْزُقهُ مِن حَيْثُ لا يَحتَسِب﴾. ﴿ومَن أوْفَـى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ﴾؟!

فَالفتاةُ العاقلةُ لا تُؤْمِنُ بالحبِّ من أجل الحبِّ.. ولكنَّهَا تُؤْمنُ بالحبِّ كَمُقَدِّمَـةٍ للزَّواج.

س- وكيفَ أحتَمِلُ فراقه طوالَ هَذهِ الفَتْرَة؟.

(ج) ١- باللُّجوءِ إلىٰ اللهِ وطَلَب المعونةِ منهُ، وأن يلـهمَكِ الصَّبرَ والمُصَابَرَةَ، فهو خيرُ مُستعان به. والدُّعـاء لـه بـأن يُطَـهِّركَ بِمَا طـهَّر بِـهِ «مريـم» سيدة نساء العالمين. وأن يَعْصِمَ حبيبَكِ بما عَصَمَ بِهِ يُوسُفَ عليه السلام، إنَّه عَلـىٰ كـلِّ شَـيء قدير.

٢- بتذكُّر الموقف العظيم لسيدنا يوسف عليه السلام: ﴿قالَ ربِّ السِّجْنُ أحبُّ إليَّ مِمَّا يدعونني إليه، وإلاَّ تصرِف عنِّي كَيدَهُنَّ أصبُ إليهِنَّ وأكُن من الجـاهلين﴾ فكانَت النتيجة: ﴿فاستجابَ لَهُ ربُّه فصرفَ عنه كيدَهنَّ إنَّهُ هو السميعُ العليم﴾ [سورة يوسف: الآيات ٣٢-٣٤].

٣ - بمصاحبة الطَّاهرات العَفيفَاتِ الفَاضِلاتِ مثلـكِ لتَتَعَـاوَنُوا جميعـاً علـىٰ الفضيلة.

٤- بالابتعادِ عَن مصاحَبَةِ رفيقاتِ السُّوء، ولا تَلْتَمِسِي لهــنَّ الأعـذار.. فإن لم تَفْعَلِي مثلهن، فإنَّ سُمعتهن السَّـيئة ستصيبك.. ولا تَنْسـي أنَّ الشـياطين صِنْفَـان: شياطين الإنسِ، وشياطين الجنِّ.

٥- بالابتعاد قدر الإمكان عَن سَيْل الأغَانِي العَاطفية الَّتي ليس لهَا هدفٌ سِوىٰ تَخْريب العقول، وإيقاظ العواطف، واستثارة الغرائز. والبديلُ لها الأناشيدُ الإسلاميَّةُ الرَّائِعَةُ الَّتي تُنشِّطُ روحَ الإيمانِ في قلبِ المسلم.

٦- عدمُ تصديق الأكاذيبِ الَّتي تَنْشُرُها الأفلامُ القديمةُ الَّتي لا تكَادُ تَخْلُو مِن قِصَّةِ حُبٍّ ملتهبةٍ حتَّىٰ لو كانَ الفيلم كُوميدياً أو وَطَنِيّاً، وكأنَّ الدُّنيا تَنْحَصِرُ في رؤيةِ المحبوبِ والقُربِ منهُ، وكأنَّنا ما خُلِقْنَا إلاَّ لنحبَّ هذا النَّوعَ مِنَ الحُبِّ!.

مع ملاحظة أنَّ الأفلامَ القديمةَ كانت تُنْهِي القِصَّةَ ـ بَعْدَ اللِّقاءات المُحَرَّمَةِ ـ بالزَّواج.. أمَّا الحديثةُ فالعلاقَةُ تَتَطَوَّرُ إلىٰ الزِّنا وشرب الخَمْرِ وَالرَّقْصِ الخليع!.

وبالمناسبة.. هَل رأيتِ فيلماً واحداً تَحْرِصُ فيه الفتاةُ عَلىٰ عِفَّتِهَا وَحَيَائِهَا وطُهْرِهَا؟.

أنا لا أذكُرُ إلاَّ فيلم (أبي فوق الشَّجَرَة) الَّذي تعفَّفت فيه البَطَلَةُ، فهجرَهَا حبيبُهَا إلىٰ راقصةٍ ساقطةٍ!.

٧- عدم اقتناءِ القصَص الموجَّهة لِغِوَايَةِ الفتياتِ مِن أمثِلَةِ سِلْسِلَتَي: «عبير» و«زهور» الَّتي تَتَراوح قصصها بين الحبِّ الرُّومانسي، والزِّنا، وتَنْتَشِرُ إعلاناتها في كلِّ مكَانٍ. ويصلُ عَدَدُها إلىٰ ما فوقَ الألف قِصَّة.

٨- ألاَّ تُصَدِّقي ما يَرِدُ مِن حكَايَاتِ الحبِّ الملتهبَةِ للمشاهِيْرِ مِنَ الفنَّاناتِ وغَيرِهن بالمجلات التافهة، ولكِ أنْ تَسْتَبْدِلي ذلكَ بِقِرَاءةِ قِصَصِ الصَّالِحَاتِ مِن أمَّهَاتِ المؤمنينَ ونِسَائِهِنَّ، والصَّحابيات للدكتُورة «بنتِ الشَّاطئ» وغيرها، أو استَمِعي لأشْرِطَةٍ مهمَّةٍ أذكرُ لكِ منها: «نِسَاء خالدات» للدكتور «طارق السويدان» أو حَلَقَات «نلقىٰ الأحبة» الَّتي تحكي عن أمهات المؤمنين للدَّاعية «عمرو خالد».

ولتكُن قُدْوَتك هي فاطمةُ بنت رسول الله ﷺ، وعائشة رضي الله عنها، ومريم البتول، وأمثالهن.

٩- بأن تُمَارسي الهوَايات المختلَفة سَوَاء الرِّياضيَّة أو الثَّقافيَّة أو اليَدَويَّة، أو غيرها.. مَع الحِرْصِ علىٰ التَّفوق في الدِّراسَةِ بنِيَّةِ أن تكُوني مُسْلِمَةً فَطِنةً واعيةً، قويَّةً، وبِنيَّةِ بِرّكِ لوالديك، فَتَنَالي الأجْرَ والثَّوابَ عَن كلِّ مَا تَقُومينَ بِهِ مِن مَجْهُودٍ وتَعَبٍ.

١٠- ألاَّ تكوني كالوَرْدَة: رخيصةَ الثَّمن، سَهْلَةَ المَنَال، يقطِفُها مَن يُرِيدُ، ومَع الوَقْتِ تَذْبُلُ وتَمُوت.. ولكِن كوني كاللُّؤلؤة: غالية الثمن، صَعْبَة المنال، لا يَحْصُلُ عليها إلاَّ مَن يَسْتَحِقُّها، أمَّا قيمتها فتَزْدَادُ معَ مرورِ الوَقت.

١١- أن تَلْتَحِقي بِدُروسٍ لِتَعَلُّم تَجْويدِ القرآنِ، وتَحْرصي علىٰ المشاركَةِ في المُحَاضَرات والنَّدواتِ الدِّينيةِ.. وهناك تَجِدينَ الصُّحْبَةَ الصَّالِحَةَ والعَوْنَ علىٰ طاعَةِ اللهِ وَمِن ثمَّ السَّعادَةَ والرَّاحَةَ والهَنَاءَ في الدنيا والآخرة.

١٢- أن تَشْتَركي في المُنْتَدَيَاتِ النِّسائيَّة الرَّاقية المُتَاحَة عَلىٰ شَبكَةِ الإنترنِت، فَتَسْتَمْتِعي وتُفيدِي وتَسْتَفِيْدِي.. مِن هَذِهِ المُنْتَدَياتِ الصَّالحة.. وعَلىٰ سبيلِ المِثَال ما هو متاح علىٰ الروابط التالية:

أ- لها «أون لاين»
http :/ www.lahaonline.com

ب- منتدىٰ «بأقلامهن» بواحة المرأة
http: /www.wahaweb.com

ج- لك
http://www.lakii.com

د- وردتي
http://www.my-rose.net

هـ- عالم حواء
http://www.hawaaworld.net

و- إمارات المرأة المسلمة

http:/www.uae4ever.com

ز- الورود

http:/vb.alwrood.com

ح-المنتدىٰ النسائي بشبكة الفوائد

http:/forum.fwaed.net

ط- منتدىٰ المرأة المسلمة بشبكة أنا المسلم

http:/www.muslm.org

١٣- أن تقدمي العون ـ قدر استطاعتك ـ لمن يحتاجه، فتُعلِّمي الجَاهِلَ، أو تُسَاعِدِي الضعيف، أو تَمْسَحِي علىٰ رأس اليتيم، أو تَزُوري المرضىٰ، أو تروِّحي عَن الأرامل.. وهو ممَّا يُشعركِ بالسَّعادة والرِّضَا عَن النَّفس، وبقيمتكِ الحقِيْقِيَّة، نَاهيك عَن الحَسَنَاتِ الَّتي سَتَحْصُلِينَ عَلَيْهَا إن نَوَيْتِ القيامَ بذلكَ ابتغاءَ مَرْضَاةِ الله تعالىٰ.

س- ولكنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بالسُّوءِ؟!.

(ج) نَعم لقد قال اللهُ تعالىٰ علىٰ لسانِ امرأة العزيز: ﴿ومَا أبرِّئُ نَفْسِي إنَّ النَّفسَ لأمَّارَةٌ بالسُّوء﴾.. ولكنه استَطْرَدَ: ﴿إلا مَا رَحِمَ ربِيٌّ﴾ [سورة يوسف:٥٣] لذا عليك بِمُجَاهَدَة نفسك، والدُّعاء المستمر، بأن يَجْعَلَكِ اللهُ تعالىٰ مِن المرحُومينَ الموفَّقينَ إلىٰ طاعَتِهِ، ولا تَنْسي أنَّه هو مالك المُلكِ، فَتضَرَّعي إليه قائلة: «اللَّهُمَّ آتِ نفسي تَقْواهَا، وزكِّها أنتَ خَيْرُ مَن زكَّاها، أنتَ وليُّها ومولاها.. اللَّهُمَّ يَا مَالِكَ المُلكِ مَلِّكني نَفْسِي ولا تُسَلِّطها عليَّ بِذُنُوبِي».

س- ومَاذا لَو سَافَر أو ابْتَعَدَ عني وَانْقَطَعَت أخبَارُهُ؟.

(ج) لا أجد إجابة سوىٰ الآية الكريمة: ﴿اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وإليهِ المَصِيرُ﴾. ولا

تنسي أنَّ أبينا آدم وأمَّنا حواءُ حين هَبَطا إلىٰ الأرض افْتَرَقَا، ولكنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَهُمَا في عَرَفَةَ.

كمَا أنَّ يُوسُفَ عليهِ السَّلامُ افترقَ عَن أبيهِ وَهُو طفلٌ، فلم يَعُد يَتَذَكَّر شكْلَ أبيهِ وَلا مكَانَهُ، ولكنَّ يَقِينَ سَيِّدنَا يعقوبَ عليهِ السَّلامُ دَفَعَهُ إلىٰ أن يقول: ﴿هَلْ آمَنُكُم عَلَيْهِ إلاَّ كَمَا أَمِنتُكُم علىٰ أخِيْهِ مِن قَبْل، فَاللهُ خيرٌ حَافِظاً وهُوَ أرْحَمُ الرَّاحِمِيْن﴾ [سورة يوسف:٦٤]. أي فاللهُ خيرٌ حافظاً يحفظُ ابني يُوسُف، وسيرحم كِبَري وضَعْفِي ووجدِي بِولَدِي، وأرجو مِنَ اللهِ أن يَرُدَّهُ عليَّ وَيَجْمَع شَمْلِي بِهِ إنَّهُ أرحمُ الرَّاحمينَ.

س- وماذا بعد ذلك؟.

(ج) حين يأتِي الموعدُ الَّذي حَدَّدَهُ اللهُ تَعَالىٰ تَتَزَوَّجِينَ ممَّن أحَبَّك وأحببتيهِ واحْتَرَمَكِ واحْتَرَمتيه، وَوَثِقَ بِكِ وَوَثقْتِ به، وطلَبْتُمَا مَعَاً رضْوانَ الله تعالىٰ، وآثَرْتُمَا الحياءَ مِنَ اللهِ والعِفَّةَ والطُّهرَ، ولكِ أن تَتَخَيَّلِي كيفَ ستَكُونُ حَيَاتكمَا بَعْدَ الزَّوَاج!.

وَصَدِّقِينِي إنَّ طَعْمَ الثَّمَرةِ الَّتي تَعِبْتِ في زَرْعِهَا واجتهدتِ في العِنَايَةِ بِهَا، وَصَبَرْتِ وَأنتِ تَنْتَظرِينَ نُمُوَّهَا، ثمَّ فرحتِ بحصَادهَا يكونُ أحلىٰ بكثيرٍ مِنَ الثَّمرةِ الَّتي قَطفتيها أو وقعت في حجرك!.

أمَّا إنْ لم يَتِمَّ الزواج لأي سببٍ ـ لا قدَّرَ اللهُ تعالىٰ ـ فاعْلَمِي أنَّ اللهَ لا يقدِّرُ لكِ إلاَّ الخيرَ وهو أعْلَمُ بِمَا يَصْلُحُ لَكِ، وأنَّ اللهَ تعالىٰ يُحِبُّكِ ويرعاكِ أكْثَرَ ممَّا تُحبِّينَ نَفْسَكِ وتَحْرِصينَ عليهَا، لأنَّهُ خَلَقَكِ بِيَدَيْهِ الكريمتين، فأنتِ صنعَتُهُ الَّتي لا يُرِيدُ بها إلاَّ الخيرَ!.

ولأنَّه هُو الرَّحمن الرَّحيم الكَرِيم السَّلام الوَدُودُ العَفُوُّ الوَهَّابُ العَدْلُ اللَّطِيف الخبيرُ، البَرُّ، الرؤوفُ.. فَتَضَرَّعي إليهِ سُبْحَانَهُ قائلةً: « اللَّهُمَّ خِر لي، واختَر لي،

فإنَّك لا تختارُ إلاَّ الخير ».

ولا تنْسي أن تَفْعَلِي كمَا فَعلَت أمُّ سَلمة حينَ حَزنَت حُزْناً شديداً لوفاةِ زَوْجِهَا، فلمَّا قِيْلَ لها: « قولي: إنَّا لله وإنَّا إليهِ رَاجعونَ، اللَّهُمَّ اوْجرني في مُصيبَتِي واخلُف لي خَيْراً منها ».

فَلَمَّا قَالت ذَلكَ - وهي لا تتخيل أنَّ هناكَ مَن هُوَ خيرٌ مِن أبي سَلَمَةَ لِتَتَزَوَّجه - زوَّجَهَا اللهُ مِن سَيِّد الخَلق: محمَّد ﷺ!.

ولا تَتَزَوَّجي بعدَ ذَلِكَ إلاَّ مِمَّن تَرْضَينَ دِيْنَهُ وخُلُقَهُ، فإنَّهُ إن أحبَّكِ أكْرَمَكِ، وإن كَرِهَكِ لم يظلِمكِ.. واعلَمي أنَّ الدُّنيا فَانِيَةٌ وأنَّها دَارَ اختِبَارٍ وعَمَلٍ ولَيْسَت دَار بَقَاءٍ وخُلُود، وأنَّ اللهَ سَيُبْدِلُكَ خيراً إنْ شَاءَ اللهُ في الآخِرَةِ حينَ تكونينَ أجْمَلَ مِنَ الحُور العِيْنِ بِطاعَتِكِ وخَشْيَتِكِ للهِ تَعَالىٰ ومُجَاهَدَتِك لِنَفْسِكِ والشَّيطان.. وعَسَاهُ أن يُزَوِّجَكِ مِن حَبيبكِ في الجنَّةِ بَعْدَ أن تُصْبِحَ الظروفُ هناكَ مُهيَّأةً لزواج سعيد مبارك.

والآن أستودِعُكِ اللهَ الَّذي لا تَضيعُ وَدَائِعُهُ، علىٰ أمَلِ اللِّقَاء بِكِ في الجنَّةِ إن شَاءَ اللهُ تعالىٰ..

* * *

ستار أكاديمي

الفضيحةُ الأخلاقيَّةُ الَّتي تَعِيشُها أمَّتُنا المَهْزُومَةُ رُوحيّاً وَعَسكَرِيّاً

التَّعريف بهَذِهِ البَرامج

برامج ظَهَرت في الفَتْرَةِ القَلِيْلَةِ الماضِيَةِ تُسَمَّىٰ بـ (تلفزيون الواقع– Real TV) عبْرَ استِنْسَاخِهِم لبرنَامج فَرَنْسي سَاقِط أطلقوا عليهِ اسم «ستَّار أكَادِيْمِي» حيثُ قامَت قَنَاةُ العُهر والقوادة العلَنِيَّة (LBC) بـزجِّ مجموعَةٍ من الشَّباب المَائع والبنَاتِ المُبْتَذلاتِ بِمَاخُورٍ كَبيرٍ سَمَّوهُ زوراً وبُهْتَاناً بالأكاديمية..

وهذه البرامجُ تَعْتَمِدُ علىٰ الوَاقِعِيَّةِ وَالطَّبيعِيَّة في التَّصْويرِ وَتَسَلْسُلِ الأحْدَاثِ!! لا تحتَاجُ إلىٰ إعدادٍ ولا تَحْضِيْرٍ، وإنَّما تعتمدُ اعتماداً كليّاً علىٰ مخاطبَةِ الغَرَائِزِ، والعواطِفِ، واستِنْهَاضِ الفُضُولِ لَدَىٰ المشاهِدِ، وذَلِكَ مِن خِلال تَسْليطِ البَثِّ عَلَىٰ لحظاتِ اختلاء محرَّم بين رجال ونساءٍ يجمعهم صفةُ التَّفاهة، وعَدَم البراءةِ، يَقُوم اجتماعهم من أوّله إلىٰ آخره علىٰ الفَوضَىٰ الأخلاقية، والتَّحلل من روابط الإسلام، والقِيَم والعَادات والتَّقاليد الَّتي نشأت وتربَّت المجتمعاتُ الإسلاميةُ عليها، ثمَّ وضعوا أرقاماً للهواتف ليَتَّصِلَ بهم الشبابُ والشَّاباتُ ليصوتوا علىٰ أفضل نموذج من هؤلاء النُّجوم في عالم الضَّياع.. ليصوِّتوا علىٰ أفْضَلِ نَمُوذَج ضَائع وخَائِبٍ وَمَائع مِن الشَّبَابِ العَربي..!

في الوقت الَّذي يُمَزَّقُ الإسلامُ وأهلُه في كلِّ مكان، وتُسْتَحَلُّ ثَروَاتُ العَرَبِ

والمُسْلِمينَ وتُهْدَرُ دماؤهُم رخيصةً في فِلِسْطينَ، وفي كلِّ الأرضِ، وبينما المسلمونَ يَئِنُّونَ ضَعْفاً وَخوراً وذلاً ومهانةً، يُفَاجأ العالَمُ العربي والإسلامي بانحطاطٍ جَدِيْدٍ يخترعُهُ الفَرَنْسيُّونَ ثمَّ يأتي مَن يزعمونَ أنَّهم عربٌ ومسلمونَ، لِيَسْتَنْسِخُوا هذا الانحِطَاطَ وَيُطَبِّقُونَهُ علىٰ أولادِنا وبناتِنا وشَبَابِنَا، ويجعلونَ العالَمَ العَرَبِيَّ والإسلاميَّ كلَّهُ مشدوهاً مشدوداً بآخِرِ التَّقليعات السَّاقِطَةِ، والمنكر الفاضح ومبارزة اللهِ في المعاصِي وعلىٰ الهَوَاءِ مباشرةً بِبَثٍّ حيٍّ وَمُباشر لمجموعةٍ مِنَ الضَّحايا الشَّباب والبَنَاتِ الَّذين يتنافسون علىٰ المنكَرِ وَعَلىٰ كلِّ مَا يغضبُ اللهَ تعالىٰ..

فمن يكن منهم أكثر إجادةً للرَّقْص يكن فَائزاً بالدَّرَجَاتِ العُلْيا! ومن يكن أكثرهم حَميميةً مَع صَدِيْقَاتِهِ ولَطيفاً ورُومانْسِيّاً يكن هو الفَائِزُ الأوَّلُ!!.

ومن يُجِيْدُ المقامَاتِ وَالغِنَاء والعَزَف وكلَّ أنواع الغَفْلَة، يكن هُو الأوَّل عَليهم جميعاً!.

الأهدافُ مِن وراءِ هَذِهِ البَرَامِج

أوَّل مَا يَجِبُ أنْ نَعْرِفَهُ هُو أنَّ هَذِهِ البَرَامج لا عَلاقَةَ لهَا مِن نَاحِيَةِ الأَهْدَاف لا بِصِنَاعَةِ النُّجُوم، ولا بِاكتشافِ المَوَاهِبِ، ولا غير ذَلِكَ، وَلَيْسَ لَهَا إلاَّ هَدَفَان رَئيسانِ عِنْدَ مَن يَقُومُ بِعَرْضِهَا وَتَسْوِيقِهَا:

الهدفُ الأوَّلُ: لا نَجِدُ في بيانهِ عِبَارةً أبْلَغ ولا أروعَ ولا أخْصَر مِن عِبَارَةِ القُرآن، وهُو: إشاعةُ الفَاحشَةِ في الَّذين آمنوا.. قال تَعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

إنَّ الإنسان لو أعْمَلَ ذرَّةً واحدةً مِن عَقْلِهِ لاكتَشَفَ أنَّ الهدفَ الرَّئيسيَّ مِن هذه البرامج هُو إشاعَةُ الفاحِشَةِ في المؤمنينَ، وإرادة الميل لأمَّةٍ سارت في منهجها على صِرَاطٍ مستقيم، وليسَ شيءٌ أدلَّ على ذلك من مناخ الاخْتِلاطِ بين أولئك الشَّباب الَّذي حرصت عليه هذه القنَوات، ثمَّ تشجيعُهم على التَّفاعل البيني، وكَسر الحواجِز، ثمَّ يُضِيفُون على ذلكَ الملابسَ الفَاتِنة للفتياتِ، مَع التَّشجيع وغضِّ الطرفِ عن حَالاتِ الالتمَاسِ الصَّريح بين هؤلاء المختلطين، بالضَّم، والقُبُلات، والنظرات، والضَّحِكَات.. ثمَّ النَّقل الفَضَائي الموَجَّه على مَدَار السَّاعة، وهذه الأمور لا تدعُ مجالاً للشَّكِّ في أنَّ الأمرَ ما هو إلاَّ إشاعة للفاحشةِ في الَّذين آمنوا، وليس هناك أهدافٌ مُجَرَّدَةٌ، وإنَّما هو مَشْرُوعٌ تقويضِيٌّ لِمُكْتَسَبَاتِ الأمَّةِ يُمَثِّل فيهَا أولئِكَ الشَّبابُ المشاركُ الطُّعمَ، والشَّبابُ المُشَاهِدُ الهَدَفَ.

الهدفُ الثَّاني: تَحقيقُ المكاسِبِ المَاليَّةِ الكبيرةِ والسَّريعَةِ بِأعْمَالٍ غَيْر مُكْلِفَةٍ دُنْيَويًّا، وإن كانَت تكلِّفُهُم كَثِيراً عِنْدَمَا يَقِفُونَ عِنْدَ رَبٍّ عَظيمٍ، نَهَىٰ عَن الإفسَادِ في الأرضِ بَعْدَ إصلاحِهَا، وضَاعَفَ العقوبةَ على دعاةِ الضَّلال.

وأما كيفَ يحقِّقُونَ هذهِ المكَاسِب؟ فَعَن طَرِيق فَتْح اعتِمَادِ خُطُوط الهَاتِف في كلِّ دولةٍ والحُصُول عَلَىٰ الأرقَام، وبَعْدَهَا يَتِمُّ اقتِسَام عوائِدِ المكالَمَاتِ بينَ فَاتح اعتِمَادِ الخطِّ وهُو القَنَاة، وبينَ مُقَدِّم الخطِّ وهُو شَركة الاتِّصَالاتِ، وهكَذَا تَفَنَّنَ أصحابُ هذهِ الفضَائياتِ في الطريقةِ الَّتي ينظِّفُون بهَا جيوبَ الجمهورِ، ولا عَزَاءَ للمتَّصلينَ المغفلينَ والَّذينَ يدفعونَ فواتيرَ هواتِفِهم لهذهِ القنَواتِ. والَّذي يَدُلُّكَ علىٰ صِحَّةِ هذا الكَلَام الحِرص المُسْتَميت مِن هَذهِ القَنَوات أن تُوجِد أفراداً مِن كلِّ

الدول لِيُنَــاصِرَ التَّافِهونَ مِـن كـلِّ دولـةٍ صَاحِبَـهُم وتَضْمَـن أكـبرَ عـددٍ مُمكِـن مِـن الاتِّصَالاتِ الَّتي تعودُ عليهَا بالرِّبح الوفير.

وقد بلغَ عَدَدُ المُتَّصلينَ علىٰ أحدِ هَــذه البـرامج وهُـوَ بَرْنَـامج ستَار أكَـادِيْمِي مَايلي:

(السعودية): ١١ مليوناً وثلاث مئة ألف متصل..

(مصر): ٢٣ مليوناً ومئة وخمسة وسبعون ألف اتصال

(لبنان): ١٨ مليوناً وخمسمئة وستة وثلاثون ألف اتصال..

(الكويت): ٣٠٠ ألف اتصال..

(الإمارات): مليون ومئتان وواحد وعشرون ألف اتصال..

(اليمن): سبعة آلاف اتصال..

(سورية): ١٦ مليوناً وتسعمئة ألف وثلاثة وثلاثون اتصال..

(الأردن): ٨ ملايين وثمانية وسبعون ألف اتصال..

والآن إذا جَمَعَت عَدَدَ الاتصالاتِ فَسيَكُونُ مُجْمَل الاتصالاتِ أكْثَر مِن سَـبْعِين مليون اتِّصَال..!

بينمَا كانَ عَدَد المُصَوِّتينَ مِن جميعِ البلدانِ العربيةِ في مَجْلِـس الأمْـنِ وَالأمـم المُتَّحِدَةِ عَلىٰ وثيقَةِ الاعتراضِ علىٰ الحربِ عَلىٰ أفغانِسْتَان المُسْلِمَةِ آنـذاك وَصَـلَ إلىٰ ثَلاثَةِ مَلايين صَوْت..!!.

وبذلك يكونُ أكثرَ مِن سبعينَ مليون صَوت لـ «ستَار أكاديمي» مِــنَ المسـلمين والعربِ لِتَشْجيع وَتَرْشيح المَائعينَ مِنَ الشَّبابِ والمُتَبَرِّجاتِ والضائعاتِ مِنَ البَنَاتِ

يطلبون فيها الفوزَ لمن أُغرموا فيهم وعَشِقُوهُم في ـ ستَار أكاديمي ـ مُقَابِل ثَلاثَة مَلايين اتِّصَال فَقَط يُطَالِبُونَ بِعدَم سَحْقِ المُسلمينَ بِأَفْغَانستَان!.

❁ مخاطر هذه البرامج

ـ أولاً: إنَّ هَذِهِ الفضائياتِ غزَت كثيراً من البيوتِ، وَهَذِهِ البرامج اكْتَسَبَت مِنَ المُشَاهِدينَ مِن الجِنسَين شيئاً كبيراً، فَوَجَبَ التَّحذير مِنْهَا، ذَلِكَ أَنَّهَا مَدَارُ الحديثِ عندَ كثيرٍ مِنَ الشَّبابِ، وَجَمْعٍ غَفِيْرٍ مِنَ الفَتَيَات.

ـ ثانياً: هذه البرامجُ تَعْتَمِدُ علىٰ أسلوبِ سَحْقِ الفضيلةِ والأخلاقِ الكريمَةِ في نفوسِ الشَّبابِ والبنَاتِ، وتهدِمُ المفاهيمَ الصَّحِيْحَةَ عِنْدَهُم، وتزيلُ حَاجِزَ النَّفْرَة بينَ المرأةِ والرَّجلِ الأجنبي عنْهَا، وهي تَخْتَزِنُ رِسَالَةً إعلاميةً موجَّهَةً بعنايَةٍ، وهَدَفُهَا الرَّئيسي هوَ تَنْمِيَةُ الاندماجِ بَيْنَ الجِنْسَينِ، وإشعَار النَّشءِ أنْ لا إشكَالَ في بِنَاءِ العَلاقَاتِ وَالصَّداقاتِ بَيْنَ الجِنْسينِ، وأنَّ قَضِيَّةَ تَحَسُّسِ الفَتَيَاتِ مِن الفتيانِ وَطُقُوس الفَصْلِ بَيْنَ الجِنْسَينِ، والحدُود في عَلاقَاتِهِم هِيَ أمورٌ لا صحَّةَ لَها، ومَعَ كَثْرَةِ مُشَاهَدَةِ الشَّبابِ وَالفَتَيَاتِ لِهَذِهِ الرِّسَالَةِ الإعلاميةِ الخطيرةِ بِألْفُونَها، ثمَّ قليلاً قليلاً يعتادُ المشاهدونَ عَلىٰ رؤيةِ الحَرَام، ويُعَايِشُونَهُ لحظةً بلحظةٍ، ورويداً رويداً حتَّىٰ يَعتادوا العيشَ بنفسِ الطريقةِ الَّتي تُقَدَّمُ لهم، وَهُم بِهذِهِ الطريقةِ السافِلَةِ يجعلونَ الشبابَ والفتياتِ يَقُولونَ في أنفسِهِم: كلُّ هذه القُبَل، والرَّقصاتِ، والضَّم، والاختلاءِ الآثِمِ والمَشَاهِدِ الفَضَائِحِيَّةِ عَلىٰ مَرْأىٰ وَمَسْمَعٍ مِنَ العَالَمِ أجْمَع، وعلىٰ الهواءِ مباشرةً.. ومَع هذا يُصَوِّتُ النَّاسُ لَهُم وَيُشَجِّعُونَهُم فَمَا بَالُنَا نَحْنُ لا نَفْعَل مِثْلَهُم وَلَو سراً؟ لماذَا لا نُقَلِّد حَيَاتَهُم الرُّومانسية!؟.

وهكذا يسعونَ لِتَتْفيهِ الشَّباب وتَفْسِيقِهِم، والفتَاةُ تَتعَلَّم أصولَ العُهْر والفُجور بالمجان، وعلىٰ الهواء مباشرةً، وهكذا تُنْحَرُ كلُّ فضيلةٍ في المجتمع، ولا يبقىٰ من القِيَم والمُثُل الكريمةِ إلاَّ الشِّعارات الجوفاء، يُقَدَّم هذا، وبمساعدةٍ من بعض الآباء لمجتمعٍ يعلِّم بُنَيَّاتِهِ منذ نعومة أظفارهِنَّ أنَّ نَظَرَ الرجل إلىٰ المرأة وخَلْوَتَهُ بها حرامٌ، ثمَّ ترَىٰ هذه البِنْتُ المسكينَةُ هذا السَّيْلَ الجَارفَ مِنَ الفَسَادِ !!.

- ثالثاً: تعتمدُ هذه البرامجُ علىٰ أسلوبِ التَّتْفِيهِ والتَّخْديرِ لطَاقَاتٍ تَسْتَطِيعُ بالإيمان أن تَعْمَلَ الكثيرَ، فَتَسْعَىٰ لِتَغْييبِ عقولٍ بهدايتِهَا تَنْفَع مجتمَعَها الكثيرَ، وأي جيلٍ سيَتَخَرَّج لنا في المستقبل إذا ربَّيناه علىٰ اللَّيالي الحمراءِ، وعوَّدناه علىٰ مسابقاتِ الرِّقَّةِ، ونُجوميةِ التَّعري؟!!.

كيف يُرَادُ لهذا الجيل أن يُحَرِّرَ الأقْصَىٰ.. وأن يطردَ الغُزاةَ ؟!!.

إنَّ هذهِ الفضائيات تُرَبِّي شَبَابَنا وفتياتنا ليكونُوا قَنَواتٍ لعُبُور العَدُوِّ، وأدواتٍ لخدمته، تريد أن تُخَرِّجَ تَافِهِينَ يَشْتَاقُون لمن يُمْسِك بخطامهم، لن يناصروا قضيةً، ولن يطلبوا حقّاً، ولن يحفظوا شرفاً..

سَيَتَرَبَّىٰ علىٰ مِثْل هَذِهِ البَرَامج حَتْماً جِيْلٌ يُسَلِّمُ للعدوِّ مفَاتيحَ الحُصُون الأخيرةِ للإسْلام..

ويرحِّبُ بِهِ في دِيَاره وَعِنْدَ أهله وشَرَفِهِ كما فَعَل أشياعُهُم مِن قَبْل!!.

جيل يدافع عن أمته بلبس الجلود، ومصاحبة العلُوج، وَيَتَتَرَّسُ بالمساحيقِ والدّهاناتِ..ماذا ترجو منه؟!!.

رابعاً: هذه البرامج تجعل هؤلاء النُّجوم قدواتٍ يتأثَّرُ بهَا الشَّبابُ فَتَتَخَلْخَلُ

المثلُ العُليا عند أجيالنا، وهذا يحصل شِئْنَا أم أَبَيْنَـا عنـد أبنائِنَـا إذا شـاهدوا قنـاةً كاملةً تنقل نقلاً مباشراً لإقامَةٍ مختلطةٍ لمجموعَةٍ مِن النِّساء وأشبَاهِ الرِّجـال، وتَنْقُـل بالصَّوت والصُّورة سُلُوكَهُم الرَّخيص غير الهَـادِف، وغـير الـبريء، وأكلـهم ونومـهم وكلّ شيء في حياتهم، إلاَّ في دورة المياهِ فَتَنْقُل صوتهم فقط، وهكذا كَأنَّها في بَنْـكٍ مركزي تنتقل بين الغُرَف لتنقل تصرُّفاتهم، فـإذا شـاهَدَ الإنسـانُ الغـرُّ هـذه العنايـة بهؤلاء الأفراد سَيَظُن أنَّهم جاؤوا من كوكبٍ آخر، وأنَّ لهم مَزِيَّةً تجعلهم يسـتَحِقُّون هذا، فيحاكونهم ويعجبون بهم، وهكذا ينشرونَ الفسـادَ في المجتمعـاتِ، والشَّـريط الإخباري أسفل الشَّاشة يُعَزِّز هذا الإفساد فهو يحمِلُ رسائلَ غَرَام لا تَقِلُّ مجوناً عمَّا تَحْمِلُه الكاميرات، وإذا كانَت هذه البرامج تبثُّ من أجل صنع النجوم، فمـن حقِّنَـا أن نَتَسَاءلَ ما هذه النُّجومية الَّتي يريدون؟.

ما هي ميزة هؤلاء؟.

هل حَرَّرُوا بلداً؟ أم اخـترعوا برنامجـاً يسـهل معيشـةَ النَّـاس؟ أم اكتشـفوا دواءً لمرض الإيدز أو السُّكَّر؟.

أم هم علماء في الفَلَكِ أو الجيولوجيا؟.

أم لهم مَيِّزة في العلم والدعوة ؟ أم ماذا؟.

ماهي نجوميتهم الَّتي يسوِّق لها أولئك الفجرةُ؟.

هل يعقلُ أنْ تكونَ النُّجُومية عندَ العربِ والمسلمينَ مَحْصُورَةً في السخفِ وَقِلَّةِ الحيَاءِ؟ هَل نَحْنُ في حَاجَةٍ إلىٰ زيادَةِ نُجُوم الضَّياع؟!!.

خامساً: دَعْمُ بَعْضِ دَوائِر التَّوجيهِ في بَعْضِ البُلدانِ العربيةِ لِمِثْل هَـذِهِ الـبَرَامج

لإشغالِ الشُّعوبِ عَن قضَايَاهَا الحقيقيةِ، شعوبٌ ومؤسساتٌ تَسْتَنْفِرُ جُهْدَهَا وَوَقْتَهَا وَمَالَهَا.. لإنجَاحِ مُرَاهِقٍ أو مُرَاهِقَةٍ في الغِنَاءِ، وفي إثْبَاتِ أنَّهُ الأكثر (بَسَالةً) في الصُّمُودِ حتَّىٰ آخِرِ السِّباق! وَتَحْتَفِلُ البلادُ الَّتي يَقْتَرِبُ (نجومُها) مِنَ التَّصفياتِ، وتبدُو كأنَّمَا تُهيِئ نفسَهَا لإطلاقِ قمرٍ فضَائي في مَداره، أو كأنَّها سَتُهْدِي للأمَّةِ قائداً ربانياً، أو فاتحاً عظيماً!

مراهقونَ ومراهِقَاتٌ يَرْقُصونَ علىٰ ضِفَاف نشَرَاتِ الأَخْبَارِ المُثْقَلَةِ بالاحْتِلالاتِ والشُّهدَاءِ، وكلمَّا سَقَطَ منهُم واحدٌ في التَّصفيات بكَت عَلَيْهِ الأُمَّةُ كمَا لَم تَبْكِ سُقُوطَ بَغْدَادَ!

إسرائيل وفضيحة (ستار أكاديمي، وسوبر ستار)

في تَطَوُّرٍ غَريب وغَير بريء، امْتَدَحَت وزارةُ الثقافةِ اليهودِيَّة في إسرائيلَ بَرْنَامج «سُوبَر ستَار العَرَب» الَّذي أشرفَت عليهِ شركَةٌ أمريكيةٌ يُشْتَبَهُ في أنَّها (يهو ـ مَسيحِيَّة) ومَوَّلَتْهُ، وأَعْرَبَت علىٰ لسانِ وزيرهَا «جلعاد شالوم» أنَّه برنامج جَيِّد يحفزنا علىٰ إمكانِيَّةِ العيشِ مَع العَرَبِ!.

وحفلت الصُّحُفُ الصهيونيةُ الصَّادرة في نهايَةِ أغسطس الماضِي بِتَغْطِيَةٍ واسعةٍ لبرنَامج «سوبر ستار» العرب الَّذي امتَدَّ بِضْعَةَ أَشْهُر في عدَّة بلدانٍ عَربية، وشَاركَ فيه أكثر مِن خَمْسة مَلايين عَرَبي لاختيارِ أفضل مُغَنٍّ أو مغنِّية عربيةٍ (لها مَوَاهِب راقِصَة) في حينَ كانت الصَّفَحَات العِلْمِيَّة لهذه الصُّحف تَتَحَدَّث عَن التكنولوجيا

الصهيونية وَبَيْعِها للعربِ، والتَّطور في البرنامج النَّووي الصهيوني الَّـذي لا يتحـدَّثُ عنه أحدٌ رغم الضَّجةِ المثَارة عن (محاولات) كُوريا الشَّمالية وإيران استِخْدَام الطَّاقَة النَّووية !!.

فَالوزير « جلعـاد شـالوم» كمـا نَقَلَـت عنـهُ صحيفـة (هـآرتس) بتَـاريخ ٢٠٠٣/٨/٢١. امتدَحَ بشدَّة هذا البرنامج الَّذي اهتَمَّ به أيضاً عرب فلسطين المحتلة عامي (٤٨ و٦٧) وشارك بعض المرفَّهين منهُم فيه، واعتَبَرَ أنَّهُ من النَّوعية الَّتي تقرب بين العرب والصهاينة [أي: أن المطلـوب هـو انْشِـغَالُ الشَّـباب العربـي في الغنـاء والرَّقص والمُنَافسة فيه]!.

وقـالَ المستشَـارُ السياسـيّ لرئيـس الـوُزراء شـارون (دوري غولـد) لصحيفـة « واشـنطن بوسـت» الأمريكيـة بتـاريخ ٢٠٠٣/٨/٢٢ تعقيباً علىٰ الضَّجَّة حـول البرنامج: « لقد أثبت برنامج سوبر ستار العرب، أشياءَ كثيرة وأهمّها أنَّ عدوَّنا ليس المسلمينَ، لكن عَدُونا هُو الإسلامُ وتعاليمُهُ ـ القُرآنُ والسنَّة ـ» .

أما الصَّحفي دايفيد سليفان، من صحيفَةِ (جيروزالم بوست) كتبَ أيضاً بتـاريخ ٢٢/ ٢٠٠٣/٨ بعدَمَا لاحَظَ الضَّجة الَّتي أحدثَهَا هذا البرنَامج في صفـوفِ الشَّباب العربيّ يقولُ: (إنَّ الواقعَ يقولُ إنَّ العربَ أو المسلمينَ الَّذين يؤمنـونَ بعقيـدةِ مَحْـوِ إسرائيلَ مِن الخريطةِ أصبَحُوا قلائِلَ جِداً، وإنَّ برنامجَ « سُوبّر ستَار» أعطانَـا الأمـلَ لوجودِ جيل عَربيٌ مُسْلِم مُتَسَامح للعَيْش مَع دولةِ إسرائيل اليهودية)!.

والغريب أنَّ أحـداً لا يسـأل نفسـه: لمـاذا يـهتَمُّ الصهاينـةُ بمثـل هـذه البَرَامج الغنائِيَّة ويشجعونها، بل ويُسَخِّرُونَ محطات الإذاعَةِ والتلفزيون الصهيونية الموجَّهـة للعربِ لنقل هذه الأغانِي والفِيديو كلِيْب العَرَبي ؟!.

والجواب ربَّما لا يحتاج إلىٰ إجابَةٍ في عقول الشَّباب الَّذين لم تلوثهم المَوْجَةُ الصهيونية وثقافَةُ السَّلام الصهيونية الَّتي سَعوا لترسيخها ـ مع أمريكا ـ عبر العديد من برامج ورحلات السَّلام الَّتي ضمَّت شباباً عربياً وصهيونياً وأمريكياً معاً بهدف إزالة الجليد، ولكنَّها فشلت بعدما تبين الوجه الحقيقي للصَّهاينة في فلسطين.

حُكْمُ هَذِهِ البَرَامِج

أصدرت اللجنةُ الدائمةُ للبحوثِ العلميةِ والإفتاءِ في المَمْلَكَةِ العَربيَّةِ السُّعُودية فَتْوىٰ بتحريمِ بَثِّ تِلكَ البَرَامج ومشاهَدَتِها، وتَمْويلِها والمشاركَة فيها، والاتِّصال عليها للتَّصويتِ أو لإظهارِ الإعجَابِ بِهَا، وذلكَ لِمَا اشتَمَلَت عليهِ هذه البرامجُ مِن استبَاحَةٍ للمحرَّماتِ المُجْمَع عَلىٰ تَحْريمِها وَالمُجاهَرَة بِهَا.

العلاجُ والحلُّ

يتساءلُ البعضُ وما هُوَ الحلُّ؟ وكيف نُوقفُ هذا الغَزو الجَارف والَّذي يدخلُ بيوتَنَا دُونَ استِئْذَان؟ والعلاج نذكره في النقاط التالية:

أولاً: الوعيُ بهذهِ الظواهِرِ المؤلمَة، وَنَتَائِجِها، وبِأخْطارِها المؤلمةِ علىٰ أمَّةِ الإسْلام.

ثانياً: القيامُ بالواجبِ الشَّرعيِّ بإنكارِ هَذِهِ المنكراتِ في أنْفُسِنَا، وفي بُيُوتِنَا ومَع مَن حَولنَا، إنَّها مسؤوليةُ الأبِ مَع أولادِهِ، والأخ مَع إخْوَانِهِ، والطَّالب مَع زُمَلائِهِ، والجارِ مَع جيرَانِهِ.

ثالثاً: تَنْقِيَة بُيُوتِنَا وَمَنَازلنَا منهَا، والحذَر مِن استدراج الشَّيطانِ لنَا بِاسْمِ الثَّقَافَةِ والوَعي، أو الغَفْلَةِ عَن أولادِنَا بِحُجَّةِ أنَّ التَّربيةَ لا تَتَحقَّق بالمَنْع والحَجْزِ، وأنَّ

الأصلحَ لَـهُم أنْ يَعْرِفُوا الخَـيْرَ مِـن الشَّـرِّ، فَـلا نَحْـنُ حَمَيْنَـاهُم مِـنَ المَفَاسِـدِ، ولا فَقَّهْنَاهُم بِالخَيْرِ وَالشَّرِّ.

نَعَم فكُلُّنا راعٍ وكلُّنا مسؤولٌ عَن رعِيَّتِهِ، لا بدَّ أن نَتَّقِي اللهَ فيمـن تحـت أيدينـا، لا بدَّ أن نعلمَ أنَّها أمانةٌ عظيمةٌ، تذكَّر يوماً تكون فيـه في أمسّ الحاجَـةِ إلىٰ مِثْقَـالِ ذَرَّةٍ من حَسَنَةٍ، فإذا بكَ تُسْأل عن أسبابِ فَسَاد أبنائِكَ وَبَنَاتِك، يوم يتعلقون بِكَ يَومَ القِيَامَةِ ويأخذونَ بتلابِيْبِكَ يقولونَ: يا ربِّ لقد أضَاعَ الأبُ الأمَانَةَ، يا ربِّ كان سـبباً في انحرافِنَا، وذلك كلّه بسببِ مَا جَلَبْته لهم من وسَائِل تَرْفيه وَتَسْلِيَةٍ مُحَرَّمَةٍ.

وأنتم أيها الشُّباب والشَّابات، اتقوا الله تبارك وتعالىٰ، واعتَصِمُوا بكتابِـهِ وَبِسُـنَّةِ نَبِيِّهِ، واعلَمُوا أنكُم مُسْتَهْدَفُونَ مِن أعداءِ الأمَّةِ، وأنَّ هدفكُم في هـذه الحيـاةِ أسمَـىٰ ممَّا يُرَاد بكم، فَأَعِيدُوا النَّظر مَرَّتين، وارجعوا البَصَـرَ كَرَّتـين، وإيَّـاكم ثـمَّ إيَّـاكُم أن يكونَ قُدْوتكم هؤلاء الَّذين مَا لهم في الآخرة مِن خَلاق، فَقُدوَتُنَا جميعاً محمَّـد ﷺ والمرءُ يُحْشَرُ مَع مَن أحبَّ، حَشَرَنَا اللهُ وإياكم في زُمْرَتِهِ وَتَحْتَ لِوائِهِ.

رابعا: أن هذه البَرَامجَ لَيْسَـت إلاَّ حَلَقَـة مِـن سِلْسِـلَةٍ طويلـةٍ تَسْتَهْدِفُ تَغْريـب مُجْتَمَعَاتِنَا، وتُوَجِّهُ سِـهَامَهَا نحـو ناشِـئتنا، ممَّـا يجعـل مسـؤولية التربيـة مسـؤولية جسيمة، إنَّها لن تتحقَّقَ بِمُجَرَّدِ أنْ نَشْعُرَ بأنَّها مُهِمَّة، ولا بِمُجَـرَّدِ أنْ نَتَحَـدَّثَ عَنْـهَا في مَجَالِسِنَا، إنَّ انفِتَاحَ مُجْتَمَعَاتِنَا علىٰ هذا العالَم بِمَا فيهِ يَجْعَل الأسـرةَ المسـلمةَ أمامَ تَحَدِّيات جِسَام، فاسْتِنْسَاخ التَّجاربِ السَّابقَةِ، أو تكرار مَا فَعَلَهُ معنَـا آباؤنـا لم يَعُد كافياً، إنَّنا بحاجةٍ لأن نَتَعَلَّم فُنُـونَ التَّربيـةِ، وبِحَاجَـةٍ لأنْ نَتَمَلَّـك القـدرة علـىٰ إقناع أولادِنا وعَلىٰ حِوَارِهِم والتَّأثيرِ عَلَيْهم، وبِحَاجَةٍ لأَنْ نَمْتَلِكَ القُدْرَةَ علىٰ كَسْبِ

قلوبِهِم وعُقُولِهِم. وهذا يَفْرِضُ عَلَيْنَا أنْ نَقْرأ وَنَسْمَعَ وَنَتَحَاوَرَ ونَتَبَاحَثَ في أمورِ التَّربيةِ وَسَنَبْقَىٰ مَع ذلكَ نَحتَاجُ إلىٰ المزيدِ.

خامساً: لا بُدَّ من التفكيرِ في برامج تُوَاجِهُ هَذا العَفَنَ تَشْغَلُ أولادَنَا عَن مُتَابَعَةِ السُّوءِ، برامِج إعلامِيَّة جادَّة، وبَرَامِج تَرفيهِيَّة مُحَافِظَة، في الحَيِّ، والمَدْرَسَةِ، وَوَسَائِلِ الإِعْلام، ولن تَنْجَح هذه البدائِل إنْ كانَت بَاهِتَةً لا تُغْرِي النَّاشِئَةَ بِمُتَابَعَتِهَا والتَّفَاعُل معهَا.

وهي مُهِمَّةٌ يَشْتَرِكُ فيها التَّربويونَ، والإعلامِيُّونَ، وأصحَابُ المالِ، وأصحابُ القرارِ.

سادساً: لا بدَّ مِن تطويرِ الخطابِ الدَّعوي المُوَجَّهِ للنَّاشِئَةِ وَتَنْوِيعِ أَدَوَاتِهِ والسَّعْي لِتَجَاوز النَّمَطِيَّةِ والأداءِ المُمِلِّ.

رسالةٌ خطيرةٌ من فتاةٍ

سأنقل لكم أهمَّ مَا ورد في رسالة فتاةٍ ممَّن خدع ببرنامج «ستار أكاديمي» لأبين للعالمين أثر هذا البرنامج وكلُّ ما هو عَلىٰ شَاكِلَتِهِ علىٰ فَتَيَاتِنَا وَشَبَابِنَا المِسْكين.. تَقولُ صَاحِبَةُ الرِّسَالَةِ نقلاً عمَّن وَصَلَتْهُ:

أنا يا أستَاذ محمَّد فتاةٌ أبلغُ السَّابعةَ عَشرة مِن عُمُري.. اسْتَمَعْتُ مِن زميلاتِي في الثَّانويَّةِ عَن برنَامج يَعْرِضُونَ فيهِ مجموعةً من الفتياتِ والشُّبابِ يجلسونَ مَعاً في مكانٍ واحدٍ ليلَ نَهَار، وَقَالت لي صَدِيقتي: يا فلانَة أنت دائماً تقولينَ لا أعْرِفُ كيفَ أكَلِّمُ الشَّباب.. ولا أعرفُ كيفَ أبدأ معهم الكلام.. إنني أشعر برهبة من إقامَةِ

عَلاقةٍ مَع أحدهم.. والآن يَا صَديقتي تَابعي هَذا البرنامج لكـي تَتَعَلَّمـي منـه فنـونَ العلاقاتِ الشَّبَابِيَّة..!

ثمَّ أردفَت صديقَتُها الشَّيطانَةُ الَّتي تَقَنَّع بلباس تلميذةٍ قائلةً لها: ركِّزي ببرنامج (ستار أكاديمي) جيداً لمدَّة يومين فقط، وستكْتَشِفيـنَ أنَّ الرَّهبـةَ والخـوفَ والحيـاءَ الَّذي يَتَمَلَّكك من إقَامة علاقةٍ مع الشَّباب ما هِي إلاَّ رهبة التَّخلـف.. ومـا حيـاؤك إلاَّ عبارة عن عُقْدَةٍ نفسيَّةٍ..!

وتكملُ الفتاةُ رسالتها وتَقُول: انتظرتُ متىٰ أخرجُ مِنَ المدرسَةِ بفَارغ الصَّـبر في ذلكَ اليومِ، ولَمَّا وَصَلْتُ البيتَ جَلَستُ، وليسَ لي شُغْلٌ سِوىٰ مُشَـاهَدة مـا يَحْصُـلُ علىٰ الهواءِ مباشرةً.. فكنتُ أرىٰ البنات والشَّباب يُقَبِّلُونَ بَعْضهم بَعْضـاً بـين سـاعَةٍ وأخرىٰ.. وتارة أخرىٰ يَضُمُّونَ بَعْضهم بعضاً..

فَقُلتُ في نَفْسي يا إلهي هؤلاء يَضُمُّونَ بَعْضهم بعضاً ويَتَرَاقَصُونَ.. فَضْـلاً عَـن قُبُلاتِهِم السَّاخنة الَّتي لا تَنْقَطع وأمَام العَالَم جَمِيعاً.. وأنا مـا زلـتُ خَائفـةً ومُـتَرَدِّدَةً مِنَ التَّحدُّث حتىٰ بالهاتِف مَع صَدِيقٍ ما!؟.

وأصبحتُ بعدَ أيَّام فَقَط مِن مُتَابَعَتِي لهُـم عَلـىٰ الهَـواء أشـعُرُ بـأنَّني فعـلاً فتـاةً متخلفـةً ومحرومـةً مِـنَ الحيـاةِ الرُّومانسـيَّة المليئـة بِـالحبِّ وَدفءِ المَشَـاعِر.. ثـمَّ أصبحـتُ أتمنَّـىٰ في كـلِّ لحظـةٍ أن أكـون أنـا الَّـتي في الأكاديميـة الآن لأحظـىٰ بالجلُوس سَاعَاتٍ طِوال مَع المشاركِ الفُلانـي في هَـذا البَرْنَـامج الرَّائـع.. أريـد أن أرقص معه.. أريد أن أتصَنَّعَ الزَّعَل منهُ ليأتي ويُرَاضِيَنِي ويُقَبِّلُنِي.. ويفعلُ مَعِي كمَا يَفْعَل مَعَ الفَتَيات الأُخريات..!

وأصبَحْتُ أذهبُ إلىٰ المدرسةِ ومَا عندي حَدِيْثٌ إلاَّ عَـن المُشَـارك الفلانـيِّ في هذا البرنَامج وأصبحتُ أتخَيَّلُه في الغُرْفَةِ مَعِي!.

وَبَدَأتُ أشْعُرُ بِالجُرأةِ دَاخِلي بـالتَّحَدُّث مـع أحـدِ الشَّباب والتَّعـرُّف علـىٰ أي واحد مِنَ الذِّئاب الَّذيـن يَتَسكَّعُونَ في الأسـواق.. وأقولُ في نفسـي إلىٰ متـىٰ وأنـا حَارِمَةٌ نَفْسي مِن كلِّ هذا؟!.

وخَتَمَت رسَالتها وملخَّصها هو: أنَّها بَيْنَمَا كَانَت علىٰ هذه الحَال وَبَيْنَمَـا كـانت نَفْسُهَا تأمرُها بأن تَعِيْشَ الضَّياع وتُجَرِّب حَظَّها في عَالم الحَرَام..

اتصلت بها إحدىٰ صديقَاتِهَا بِالمَدْرَسَةِ وهي تقولُ لها: هَل رأيتِ اليومَ مـا كتبـه أحد كتَّاب جريدة «السياسة» عن برنـامَجكِ المفضَّـل (سـتار أكـاديمي!؟) اقْرَأيـهِ الآن فَهُوَ مَقَالٌ سَاخِنٌ.

تقول الفتاةُ: فدخلتُ فوراً علىٰ شبكَةِ الإنْتَرنت، فَـهَالَني عنـوان المَقَـال (هكـذا يُخَنِّثُونَ الشَّبابَ) وما إن بدأتُ بِقِرَاءةِ أوَّل عِبارَةٍ مِنَ المقالِ حتَّىٰ شعرتُ بالقَشْعَرِيرَة تَسْري بجَسَدِي.. وكُنْتُ أشْعُرُ أن المقالَ مكتوبٌ لي أنَا بالذَّات مِن سَائِرِ النَّاس..!

تقول: وعندَما وَصَلتُ الىٰ حديثِ رَسُول الله ﷺ: «لتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَن كَانَ قَبْلَكُم شِبْراً بِشِبْرٍ، وذِرَاعاً بِذِرَاعٍ، حتَّىٰ لَوْ أنَّ أحَدَهُم دَخَلَ جُحْرَ ضَـبٍّ لَدَخَلْتُم، وَحَتَّـىٰ لَـوْ أنَّ أحَدَهُم جَامَعَ امْرَأتَهُ بِالطَّرِيْقِ لَفَعَلْتُمُوهُ». [رواه الحاكم، وهو حديث صحيح].

أُقْسِم باللهِ يا أستاذ محمَّد: ما إن قرَأتُ هذا الحديثَ حتَّىٰ جَثَوتُ علـىٰ ركْبَتَي وأنا أبكي بِحُرْقَةٍ وحَسْرَةٍ علىٰ نَفْسِي، ولقـد شَعَرتُ كيفَ أنِّـي قـد جَسَّدتُ هـذا الحديثَ علىٰ نَفْسِي وكيفَ أنِّـي رَضِيتُ طـوَال هـذه الأسـابيع والأشـهر الفَائِتَـةِ أن

أعيشَ حَيَاةَ هؤلاءِ الفَتَياتِ السَّاقِطَات وأن أقلّدهُنَّ وتَمَنَّيتُ أن أكونَ واحدةً منــهنَّ.. لَقَد صَدَقَت نَصِيْحَة صَدِيْقَاتِي..

أمَّا صَدِيْقَات السُّوء.. عندمَا قَالُوا لي إلىٰ متَىٰ أنت مُتَخَلِّفَة وَرَجْعِيَّة؟!.

لقد جَعَلُوني عِبْرَ هذا البرنامج الحَقِـيْر أرىٰ الفَضِيْلَـةَ تَخَلُّفـاً.. والحيَـاءَ عُقْـدَةً نَفْسِيَّةً.. والعفَافَ والطُّهْرَ والسَّتْرَ رَجْعِيَّةً وَغَبَاءً..!

وإنِّني أشكُرُكَ يَا أستَاذ مُحَمَّد شكْراً عَظِيْماً علىٰ هـذه الصَّفْعَـة الَّـتي صَفَعْتَنِـي بِـهَا فِي مَقَالِكَ. لَقَد جَعَلْتَنِي أرىٰ الحَقِيْقَةَ الَّتي كدتُ أنسَاهَا وأنسَىٰ نَفْسِي ودِيـني وأنوثَتِـي وَأنساقُ وراءَ هَؤلاءِ الفُجَّار.. سَامِحْنِي يَا أستَاذ عَلىٰ هَذِهِ الإطَالَةِ.. والسلام.

فَتَاةٌ فِي الثَّانِيَة عَشَرَ مِنْ عُمُرِهَا تَصْرُخُ: زَوِّجُونِي

صُدِمَ الأبُ حِينَمَا صرخَت ابنَتُهُ فِي وَجْهِهِ قَائِلَةً: أبِي أرِيدُ أنْ أتزَوَّج!!.

وهي الَّتي تبلغُ مِنَ العُمُر اثنَا عَشَر سَنَةً.. فما الَّذي دَفَعَها إلىٰ هَذَا الفعل؟.

إنه ستار أكاديمي.. نعم لقد كـانت هَـذِهِ الفتـاةُ إحـدىٰ ضحايَـا هَـذِهِ البـرامج الرَّذيلة السَّاقطة.. وقد تعرَّفْتَ عليه قبلَ قَليل..

تلكَ الفتاةُ الَّتي تَسَمَّرت أمامَ هَذا البرنَامج وأمَام أولئـكَ المخَنَّثِين حتَّـىٰ وهُـم نَائمين أملاً مِنْهَا أن تُشَاهِدَ منهُم مَا يَلْفِتُ الانْتِبَاهَ (طبعاً انتباه السَّخيفين) حتَّىٰ إنها تَرْفُضُ الخروجَ إلىٰ أي مكانٍ لكي لا يفوتها شيءٌ مِن مُشَاهَدَة أولئك الحثالة..

وهكذا كَانت حَالَتُها مَع غَفْلَةِ الأبِ والأمِّ، حتىٰ ذلك اليوم الَّذي صَرَخَت فيه بِوَجْهِ أبيها.. أبي أَريدُ أن أَتزَوَّج!! والذي باتَ مدهوشاً من طلبِها..

فكيف لا تَقُولُ ذلكَ وهِيَ الَّتي تُتَابعُ أولئكَ الشَّبابَ الَّذين يُغَازِلُونَ ويُدَاعِبُونَ الفتَيَات وعلىٰ مرأىٰ مِن مَلايين المشاهدين !!.

لَقَد خُدِشَ الحيَاءُ وَذُبِحَ العَفَافُ وضَاعَا في هذه الضلالات..

فيا تُرىٰ مَن المُلام؟ أهيَ الفتاة؟ أم الوَالدَين اللَّذَين تَركَا ابنَتَهم تُشَاهد هَذا الانحطاط؟.

أم القَائِمينَ عليه والمُشَاركينَ فيه؟؟.

أَريدُ أن أعْرفَ الإجابَةَ لأَدْعُوَ علىٰ المُتَسَبِّبِ في ظُلْمَةِ اللَّيل البَهيم..

اللَّهُمَّ مَن أرادَ بِالمسلمينَ والمسلماتِ سوءاً فَأَشْغِلْهُ في نَفْسِهِ، وَاجْعَل تدميرَهُ في تَدْبيرِهِ..ومن أرَادَ إفسادَ عَقِيْدَتنا فَشُلَّ جَوَارحَهُ وأخْرِس لِسَانَهُ وأعْمِي عَيْنَهُ وَعَرِّضْهُ للفِتَن وَأمِتْهُ شَرَّ مِيْتَة يَاربَّ العَالمينَ.

* * *

خَطَرُ المَوَاقِعِ الإِبَاحِيَّة

بسمِ اللهِ، والحمدُ للهِ، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتَّبَع سنته إلى يوم الدِّين، وبعد:

إنَّ مسألةَ الإباحيةِ الخلقيةِ والدَّعارةِ مِنَ المخَاطِرِ العَظيمَةِ عَلى المجتمعَاتِ القديْمَةِ وَالمعاصِرَةِ وَقَد أخبرَنَا الرسولُ ﷺ: «ما تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِي أخْطَرُ عَلى الرِّجالِ مِنَ النِّسَاءِ».

لقد ذكَرت وزَارَةُ العَدْلِ الأمريكية في دراسة لها: أنَّ تجارَةَ الدَّعارة والإباحية الخُلُقِيَّة تجارةٌ رائجةٌ جداً.. يبلغُ رأسُ مالها ثَمَانية مِليار دولاراً.. ولها أواصِر وَثِيْقَة تَرْبطُها بالجريمة المُنَظَّمة. وإنَّ تِجارَةَ الدَّعارة هذه تَشْمَل وسائِلَ عَديدَة كالكُتُب والمَجَلاَّت وأشرطة الفيديو، والقنوات الفضائية الإباحية والإنترنت.

وتفيد إحصاءات الاستخبارات الأمريكية (FBI) أن تجارة الدعارة هي ثالث أكبر مصدر دَخلٍ للجريمة المُنَظَّمة بعد المخَدِّرات والقُمَار..

حيث إنَّ بأيديهم ٨٥٪ من أرباح المجلات والأفلام الإباحية.

وهنالك في الوقت الحاضر في أمريكا وحدها أكثر من (٩٠٠) دار سينما متخصصة بالأفلام الإباحية وأكثر من (١٥٠٠٠) مكتبة ومَحَل فيديو تُتَاجِر بأفْلام وَمَجَلاَّت إباحية.

وهذا العددُ يفوق حتَّى عدد مطاعم «ماكدونالد» بنسبةِ ثلاثَةِ أضْعَاف.

ولقد كانَت أمريكا في المَاضِي تُحَاربُ إلىٰ درجةٍ كبيرةٍ انتشَار الإباحِيَّةِ في مُجْتَمَعِهَا بِفَرْض بَعْضِ الأنظمَةِ والقوانين، ولكِن مِنَ الملاحَظِ في هَذا العَصْرِ أنَّ المُعَارضينَ لانْتِشَارِ الإباحيَّةِ بَدَؤُوا يَخْسَرُونَ هَذِهِ الحَرْب حيثُ نَجَحَت الاستوديوهاتِ بِتَخْفِيْفِ المُرَاقَبَةِ علىٰ الأفْلام، وتَغْيير مَفْهُوم الإبَاحِيَّةِ لَدَىٰ المقيِّمين، فَأَصْبَحَت الأفلامُ الَّتي كانت تندرجُ تَحْتَ بَنْدِ الأفْلام الإباحيةِ (X) قبل قرن يعاد تَقْييمُهَا اليومَ وإدْرَاجُهَا تَحْتَ بَنْدِ (R) الأخف.

كما تَمَّ إنشاءُ فئاتٍ أخرَىٰ بَينيَّة كفئة (NC-17) للهدف نفسه.

ولقد تَمَّ بِنَجَاح مُؤَخَّراً في أمريكا قَلْب وإلغاء قَانون «العِفَّةِ في الاتِّصَالاتِ» (Communications Decency Act of 1996) ليتمكن النَاس من الاستمرار في أعمال الإباحية دون أي قيود قانونية.

ومن المعلوم أنَّ أمريكا هي أوْلىٰ دولِ العَالم في إنتاج المواد الإباحِيَّةِ.. فَهِيَ تُصَدِّر سنوياً (١٥٠) مجلة من هذه النوع أو (٨٠٠٠) عدد سنوياً.

وتجارةُ تَأجيرِ الأفلامِ الإباحِيَّةِ قَد زَادَت من (٧٥) مليون سنة [١٩٨٥ م] إلىٰ (٦٦٥) مليون سنة [١٩٩٦م].

ولقد عرفَ أهلُ هذه التِّجارة في السَّابق أنَّ هنالكَ فئة مِنَ النَّاس قَد تُطَاوِعُهُم نفوسُهُم الخوض في هَذِهِ الأمور لولا خوف العار من أن يَرَاهُم النَّاس وهم يَدْخُلُونَ أمثال هذه المتاجر أو دور السينما.

لذَا أخذُوا في تَسْهِيلِ هَذِهِ الأمور قَدَرَ المُسْتَطَاع كَالسَّمَاح للنَّاسِ باقْتِنَاءِ هَذِهِ المواد عَن طريقِ البريدِ. واستكمالاً لهذِهِ الجهودِ (وَبَعْدَ ضُغُوطٍ مِنَ الحكومَةِ) قَامُوا بِتَغْليفِ هَذِهِ المَوَاد بِوَرَقٍ بُنِّي يُخْفِي مُحْتَوَيَاتها قَبْلَ الإرسَال.

ومع ذلك أصبحَ النَّاسُ يعرفونَ محتوَيَات أمثَال هَذِهِ الرَّسَائل فكانَ ذلك رادعاً للبَعْضِ مِمَّن لا زَالَت فِطْرَتُهُ سَلِيْمَةً وَيَخْشَىٰ العارَ.

لاحظَ تُجَّارُ الدَّعَارة هَذِهِ العَوَامل فَأَصْبَحَ منَ اللازم إيجَادُ الطُّرُقَ المناسبة أكثر لِتَوصِيلِ هذهِ المَوَاد إلىٰ منازل النَّاس بِطَرِيقَةٍ مُبَاشَرَةٍ وَخَفِيَّةٍ.

ومن هذا المنطَلَق تمَّ الاستفادَةُ مِن البثِّ المباشَرِ وَالهَاتِف وشبكَةِ الإنـترنت. وقَد تُمَثِّلُ شبكَةُ الإنترنت في الوقتِ الحاضِرِ أكْثَر هذِهِ الطُّرُق نجاحاً في هَذَا الصَّدد حيثُ إنَّ صفحَات النَّسيج العَـالَمِي المُتَعلِّقَـة بالدَّعَـارَةِ تُمَثِّـل ـ بـلا مُنَـافِس ـ أشَـدَّ الصَّفَحَاتِ إقبالاً في كُلِّ العَالَم والعياذُ باللهِ تعالىٰ..

ما هي شبكة الإنترنت؟

شبكة الإنترنت عبارةٌ عَن مئاتِ الملايين مِـن الحَاسبَاتِ الآليَّـة حَـولَ العَـالَم مرتبطةً بَعْضها ببعض. ومع تَرابُطِ هَذا العددِ الهَائِل مِـنَ الحَاسِبَاتِ أمكـنَ إرسال الرَّسَائِل الإلكترونية بينَهَا بلمحِ البَصَر بالإضَافَةِ إلىٰ تَبَادُلِ الملفَّات والصُّـور الثَّابتـة أو المتحركَةِ وَالأصْوَاتِ.

وقد تمَّ الاتفاقُ علىٰ نظام مُوَحَّد لِتَبَادُلِ جميعِ هَذِه الأنماط مِنَ المعلوماتِ تَمَّ تسميته النَّسيج العَالمي.

انتقال الدَّاء إلىٰ الإنترنت وتوغله في المنازل

إنَّ حجمَ الإقبالِ عَلىٰ شبكَةِ الإنترنت يَتَضَاعَفُ تقريباً كـلَّ مئـةِ يَـوم.. حيـثُ صرَّحَت وزارة التِّجارةِ الأمريكية بِأنَّ عددَ الصَّفَحاتِ في النَّسيج العَالَمِي بَلَغَ (٢٠٠) مليـون صَفْحَـةٍ في نهايَـةِ عَـام (١٩٩٧م) و (٤٤٠) مليـون صَفْحَـــة في نهايَـــةِ عَـــام

(١٩٩٨م) وأنَّ عددَ روَّادِ النَّسيج بلغوا (١٤٠) مليون في عام (١٩٩٨م).

ولقد أقرَّ هذا العدَدَ شركةُ «جنيرال ماجيك» ومجلَّةُ التَّايم.. ولكن هنالك مَن يرىٰ أنَّ هذا العددَ فيه تحفظ وأنَّ العدَدَ الحقيقيَّ للصفَحَات في عـام (١٩٩٨م) قـد بلغَ (٦٥٠) مليون صَفْحَة.

ويُتَوَقَّـعُ لهـذا العـددِ أنْ يـَزْدادَ إلىٰ (٨) مليـارات في عـام (٢٠٠٢م). وعـدد الصَّفحات الإباحية في الإنترنت تقدر بنحو (٢،٣٪) من حجـم الصفحـات الكليـة في الإنترنت.. وهذا العددُ يُعَدُّ صغـيراً نسـبياً إلاَّ أنَّـه لا يُعطـي الصُّـورة الحقيقيـةَ لحجم المشكِلَةِ.

وكمثَالٍ علىٰ ذلكَ يمكِنُ أنْ يكـونَ في مدينَـةٍ واحـدَةٍ مئـةُ سوقٍ، ولكـن أكـثر النَّاس مقبلونَ علىٰ سوقٍ واحدٍ بين هَذِهِ المِئَة. وبـالفِعْلِ نَجِـد الأرقَـام تَعْضُـدُ هَـذِهِ النَّظَرِيَّةَ.

فشـركة (Playboy) الإباحيـة مثـلاً تزعـم بـأنَّ (٤،٧) مليـون زائـر يـزور صفحاتهم في الأسبوع الواحد.

وقَامَت بَعْضُ الشَّركاتِ بدراسَةِ عَدَدِ الـزُّوار لِصَفَحَـاتِ الدَّعـارة والإباحِيَّـةِ في الإنترنت فوَجَدَت شَركَةُ (WebSide Story) أن بعضَ هذه الصفحاتِ الإباحيَّـةِ يزورُهَا (٢٨٠٠٣٤) زائراً في اليوم الوَاحِد.. وهنالك أكـثَر مـن مِئَـةِ صَفْحَـةٍ مشَـابِهَةٍ تَسْتَقْبِل أكْثَرَ من (٢٠٠٠٠) زائراً يومياً، وأكثر مـن (٢٠٠٠) صفحـة مشـابهة تستقبلُ أكْثَر من (١٤٠٠) زائر يومياً.

وإنَّ صفحـةً واحـدةً فقـط مـن هَـذِهِ الصَّفَحَـات قَـد اسْتَقْبَلت خِـلالَ سَـنَتَين (٤٣٦١٣٥٠٨) زائر.

وإنَّ واحدةً من هَذِهِ الجِهَاتِ تزعُمُ أنَّ لَدَيْهَا أكثر مِن ثلاثمئة ألف صُورَة خَليعة تمَّ توزيعُها أكثر من مِلْيَار مرَّة.

ولقد قامَ باحثونَ في جَامِعَةِ «كارنيجي ميلون» بإجراء دراسةٍ إحصائيَّةٍ علىٰ (٩١٧٤١٠) صورة استرجعت (٨،٥) مليون مرَّة من (٢٠٠٠) مدينة في (٤٠) دولة، فوجدوا أن نصف الصُّور المستعادَة مِن الإنترنت هي صُوَرٌ إباحية وأنَّ (٨٣،٥٪) من الصُّورِ المتداوَلَةِ في المجموعَاتِ الأخبارية هِي صورٌ إباحيَّةٌ.

وفي عمليةِ إحصاءٍ أجْرَتْهَا مؤسسة زوجي (Zogby) في مارس عام (٢٠٠٠م) وجد أن أكثر من (٢٠٪) من سكان أمريكا يزورون الصفحات الإباحية.

ويقولُ الباحثُ ستيف واترز: إنَّهُ غالباً ما تبدأ هذهِ العملية بفضُولٍ بريءٍ ثمَّ تَتَطَوَّر بعدَ ذلكَ إلىٰ إدمانٍ مَعَ عَواقبَ وَخِيْمَة كإفسادِ العلاقَاتِ الزَّوجِيَّةِ أو تَبِعَاتٍ شرٌّ من ذَلك.

وقَد وجدَ التُّجَّارُ صعوبةً فائقةً في جمعِ الأموالِ عَن طريقِ صَفَحَاتِ النَّسيج العَالمي إلاَّ في شريحةٍ واحدَةٍ وهي شريحة صَفَحَاتِ الدَّعارة فإنَّها تِجَارَةٌ مربحَةٌ جداً، ويُقْبِلُ النَّاسُ عليها بكثرةٍ ولو اضْطرُوا لِدَفْعِ الأموالِ الطائِلَةِ مُقَابِل الحُصُولِ عَلىٰ هَذِهِ الخِدْمَةِ.

لاحظَ الدُّكتورُ «برانـدون» أنَّ الدِّعَايَةَ والإعلام لهَا أكبرُ تأثيرٍ علىٰ خُلُقِ ومَصِيْرِ المُجْتَمَعَاتِ.

يقول الدكتورُ «براندون»: إنَّ جهازَ التِّلفَازِ قَدْ دَخَلَ في أمريكَا وكَندا في سنَةِ (١٩٤٥م). وفي الفترةِ مَا بينَ (١٩٤٥ و ١٩٧٤) ارتفعَت نسبةُ القَتْلِ في تِلْكَ الدَّوْلَتَين بِنِسْبَةِ (٩٣٪) في أمريكا و (٩٢٪) في كندا. فرأىٰ الدكتُور أنْ يَعْضُدَ نظريَّتَهُ بعلاقَةِ

وسَائِل الإعلامِ في تَفَشّي الإجرام، بأنْ أجرىٰ بحثاً علىٰ مُجْتَمَع جُنُوب أفريقيا.

كانَت حكومَةُ جنوبِ أفريقيا قَد مَنَعَت دُخُول جهَاز التّلفاز في دَوْلَتِهم لأسبَابٍ سِيَاسيَّةٍ حتَّىٰ سَنَة (١٩٧٥م).

ولقد كـانَت وسَـائِلُ الإعـلام الأُخْـرَىٰ كـالكُتُبِ وَالإِذاعَـةِ وَالمَجَـلاَّتِ وَغَيْرِهَـا مُتَوَافِرَةً بكَثْرَةٍ وَمُتَطَوِّرة، لِذَا أمكَن استِبْعَاد تأثيرهَا عَلَىٰ دِراسَتِهِ هَذِهِ.

لاحظَ الدكتور « براندون » أنَّ نسبةَ جَرِيمَـةِ القَتْـل قَـد انخفضَـت في جَنُـوب أفريقيا بنسبة ٧٪ في نفس الفترة ما بين (١٩٤٥ و ١٩٧٤م) الَّتي ارتفعَت فيـهَا نِسْبَةُ جرائِم القَتْل في أمريكا وكَندا. وفي سنَةِ (١٩٧٥م) دخـلَ جِـهَازُ التّلفـاز في جنـوب أفريقيا فرأىٰ الدكتُور أن يتابعَ أثر هَذا الجهاز علىٰ سُلُوك المجتمع وقيَمِهِ.

تنبأ الدكتور « براندون » بأنَّ مجتمعَ جنوب أفريقيا سَيَشْـهَدُ ارتفاعـاً في نِسْبَةِ الإجرام خِلال (١٠ إلىٰ ١٥) سنة من تاريخ (١٩٧٥م) سنة دخول التلفاز، وأنَّ أول فئة ستقبل علىٰ هذه الجريمة الشّباب البيض، ثمَّ يَلْحَقُـهُم الشَّـباب السُّودُ بعـدَ ذلـك بحوالي ثلاثِ سَنَوات. وبالفعل، لَقَـد نُشـرَت سـنة (١٩٨٩م) إحصـاءات عـن عـدد ضحايا جَرِيمَةِ القَتْلِ في جنُوب أفريقيا في سنة (١٩٨٧م) فوجدوا أنَّ نسبة القَتْلِ في تِلْكَ السَّنة قَد ارتَفَعَت بنسبةِ (١٣٠٪) عما كانَت عليه سنة (١٩٧٥م).

أي أنَّ عدد ضحايا جريمة القتل قد ازدَادَ إلىٰ أكثر مـن الضّعفين خـلال فـترة الاثنَي عشرة سنة هذه.

وحينما سُئل الدكتُور « برانـدون » كَيْـفَ عَـرَفَ أنَّ الشَّـبَابَ البيـضَ سَيَسْـبِقُونَ الشَّبابَ السُّودَ إلىٰ هَذا الأَمْر؟ صـرَّح قَـائلاً: إنَّ الطائِفَـةَ الثَّريـةَ في مجتمَـع جنـوبِ أفريقيَا في ذلكَ الوَقْت كانَت طائِفَةُ البيضِ.

لذا عرف الدكتور أنّهم سيكونون أوّل المقتنين لتلك الأجهزة الجديدة وأنَّ أطفالهم سيكونونَ أوّل الأطفال تعرضاً لهذه الوسيلة وتشبعاً منها.

ثم بعد مضي ثلاثِ سَنَوات سَيَشْتَرِي السُّودُ الأجهزةَ المستخدَمَةَ عِنْدَ البيضِ فَتَبْدأ بالتّأثير عَليهم. فإذا مضَىٰ قُرَابَة عَشْر سَنَوات فَسَوفَ يَشِبُّ أولئك الأطفالُ البيض الَّذين تَرَبَّوا علىٰ التِّلفاز فيبدأ ظهورُ تأثيرهِ عَلَيْهِم، وهكَذا مَع السُّود. وبالفِعْل حَصَل الأمرُ كما تَوَقَّعَ الدكتور براندون.

ولقد بحثَ الدكتور براندون مجموعةً أخرىٰ كبيرة من العوامل المؤثرة المحتملة كفوارق السنِّ، والتَّمدُّن، وانتِشَار الأسلحةِ، والأحوالِ الاقتصاديَّةِ، وتناول الخمور، وتطبيق القصاص والاضطرابات السِّياسيَّة والقومية، فلم يجد لأيٍّ من هذه العوامل تزامناً أو توافقاً لهذه الأحداثِ حتَّىٰ يتمكن من عَزْو هذه الظاهرة إلىٰ شيء منها.

يُلاحَظُ أن هذه دراسة واحدةٌ فقط مِن ضمن عددٍ كبير جداً من الدِّراسات المُشَابِهَةِ الَّتي تثبت تَأثُر البشرِ بما يُشَاهِدُونَهُ، والتأثير السَّلبي لتلك الوَسَائِل علىٰ سُلُوكهم.

كالإدمانِ، والانحطاط، والتَّدني، والشَّغف بما هو أشنع وأبشع من ناحية الإباحية الأخلاقية، كالاغتصاب وتعذيب المُغتَصَبين، واللواط، واغتصاب الأطفال، وفعل الفاحشة بالجمادات والحيوانات، وَفِعْل الفاحِشَةِ بالمَحَارم وغير ذلكَ، نسألُ اللهَ العَافِيَةَ.

دراسةٌ

ويؤكّدُ هذه الحَقِيقةَ بحثٌ أجراهُ الباحثونَ (اليزابيث باولوتشي، ومارك جينيوس، وكلوديو فايولاتو) في كندا حيث قاموا بدراسة (٧٤) بحثاً مختلفاً كلُّها تَدْرُس تأثيرَ المواد الإباحية الجنسية علىٰ الجرائم الجنسية بشتىٰ أنواعها.

ولقد شَمَلَت هذه الدراساتُ عدداً من الدُّول الصِّنَاعِيَّة مثل: «أمريكا وكندا ودول أوروبا» ما بينَ السَّنوات (١٩٥٣ و ١٩٩٧م) تَشْمل في مجموعها دراسة (١٢٩١٢) شخصاً قد تعرَّضُوا لمثل هذه المواد.

كان من نتائجِ هَذا البحْثِ أنَّ نسبةَ الانحطاط الخُلُقي العام ـ حَسَب مَعَايير الغَرْب ـ هي ٢٨٪ (وتشمل: التعري، والتجسس على أعراض الآخرين بالكاميرات الخفية، والاحتكَاكِ الجِسْمَاني بالآخرينَ في الأماكِن المُزْدَحِمَةِ، إلخ).

كما وجدوا أنَّ نسبةَ الازدياد في جرائم العنف والاغتصاب تزداد عند متداولي المواد الإباحية بنسبة ٣٠٪. وأنَّ نسبةَ الانحطاط في العلاقاتِ الزَّوجية والقُدْرَة الجنسية مع الزوجة تتدنى بنسبة ٣٢٪. ونسبة تَقَبُّل جرائِم الاغتصابِ وَعَدَم المبالاةِ بها تَزْدَادُ بنسبة ٣١٪.

ولقد قامَ «دارل بوب» الضَّابط في شرطة (ميشيغان) بأمريكا بدراسة (٣٨٠٠٠) حالة اغتصاب ما بين السنوات (١٩٥٦ و ١٩٧٩) فوجد أن نسبة ٤١٪ من مقترفي تلك الجريمة كانَ قَد عَرَّضَ نفسَهُ قبل أو خلال ارتكابِ جَريمته إلى مواد إباحية.

ويدعمُ هَذا الموقفَ الباحِثُ «ديفد سكات» الَّذي وجد أن ٥٠٪ من المغتصِبين قد عرَّضُوا أنفُسَهُم لمواد خَليعة لتهيئَةِ وَتَنْشِيْطِ أنْفُسِهِم جِنْسِيَّاً قَبْلَ المُبَاشَرَةِ بِجَرِيمَتِهِم.

وإن الاستخباراتِ الأمريكيةَ (FBI) قد وجدوا أن في ٨٠٪ من حالات جرائم الاغتصاب يتمُّ العثورُ على مواد إباحية إمَّا في موطنِ الجريمَةِ أو في مَنْزِلِ الجَانِي.

وفي دراسة للدكتور «وليام مارشـال» اعـترف (٨٦٪) مـن المغتصبـين بأنـهم يكثرون مِن استِخْدَام المواد الإباحيةِ واعترَفَ (٥٧٪) منهم أنه كان يُقَلِّدُ مشـهداً رآه في تِلْكَ المَصَادِرِ حينَ تَنفيذِهِ لِجَرِيمَتِهِ.

أمَّا بالنِّسبَةِ لجريمةِ اغتصابِ الأطفالِ فَلَقَد وُجِدَ بَعْدَ دراسَةِ (١٤٠٠) حالة مـن هذا النَّوعِ في مدينَةِ «لويسفيل» ما بينَ السَّنواتِ (١٩٨٠ و١٩٨٤م) أنَّ صـوراً عاريـةً للبالغينَ مُتَواجِدَةَ عندَ جميع هَؤلاءِ المجرمـينَ، وصـوراً خليعـة للأطفـالِ مَوْجُـودَةَ عندَ أغلبهم.

وَوُجِدَ لاحقاً في دِراسَةٍ شَامِلَةٍ لهذه المأساةِ مِن قِبَلِ مَجْلِس النُّـواب بأمريكـا، أنَّ أكثرَ سِمَةٍ مُوَحَّدَةٍ بين هؤلاء المُجْرِمينَ ـ من غير مُنَـافِسٍ ـ هُـو تداولُـهُم للصُّـور العَارِيَةِ للأطفالِ.

وإنَّ الشُّرطَةَ الأمريكيةَ كثيراً مـا يتقمَّصُـون شَخْصِيَّات الأطفـالِ في الإنـترنت لِيَصِيدُوا بها المجرمينَ المستدرجينَ للأطفَالِ وَالمُغْتَصبينَ لَهُم.

ولقَد صرَّحَ الدكتور «مايكل مـهتا» مِـن جَامِعَـةِ (كويـنز في كينجستون باونتـاريو) بكندا بَعْدَ دِرَاسَةٍ دامت (١٨) شهراً أنَّ هنـالك اتجاهـاً ملحوظـاً في الصُّور الخَليعَـة إلىٰ تَصْوِيرِ الأطفالِ وَقَد زادَت نِسْبَتُهَا من ١٥٪ عام ١٩٩٤ إلىٰ ٢٠٪ عام ١٩٩٦.

شَواهِدُ حَيَّةٌ

ولقد وجدَ الدكتُور «فيكتور كلاين» بعدَ دراسةٍ لَهُ لمجموعَةٍ كبيرةٍ مِمَّن ابتلُـوا بهذا الدَّاءِ أنَّ تواجُدَ المواد الإباحيَّةِ بسهُولَةٍ أمام النَّاس، مِن غـيرِ حَجْـبٍ أو تَصْفِيَـةٍ يُشَكِّلُ إغراءً شديداً يَصْعُبُ علىٰ هؤلاءِ الأفرادِ مُقَاوَمَتُهُ حتَّىٰ لو كلَّـف ذَلِـكَ فُقْـدَان

مبالغَ ضَخْمَةٍ مِنَ المالِ.

كما وجَدَ أنَّ تواجدَ القنواتِ الفضائيَّــة الإباحيــة في المَنْزل يـؤدّي إلىٰ نتَـائج وخيمَة كَاعْتِدَاءِ الأطفال عَلىٰ أخواتِهم الصِّغَار واغتصابِهم جِنْسِيّاً.

وأخيراً وجدَ الدكتور «فيكتور» أنَّ أمثالَ هؤلاء المعتدينَ رُبَّمـا لا يُعـرفُ عنـهم سوءُ الخُلُق أو فِعْل الشَّرِّ مثل ذَلِكَ الرَّجُل المتفوق دراسياً، والرئيس لِشَرِكَتِهِ، والفَـاعِل للخَيْرِ الَّذي ظَهَرَ بَعْدَ ذلكَ أنَّـه كـانَ يَغْتَصِبُ النِّسـاء بحـدِّ السِّكين أو المُسَـدَّس في منطقتي «فينكس» و«توسون» وكانَ الدَّافع الوحيدُ لهذه الأعمـال الَّـذي وجـدُوهُ هـو سهولة حصوله عَلىٰ المواد الإباحِيَّةِ في صِبَاه وتَشَبُّعه بهَا منذُ الصِّغَر.

ولقد قامت الاستخبارات الأمريكية (FBI) بمقابلة واسـتجواب (٢٤) مجرمـاً في السجون، كلهم قد اغتصبَ وقتلَ عدداً كبيراً من البالغينَ أو الأطفالِ فوجـدُوا أن ٨١٪ منهم كان يُعَرِّضُ نفسهُ بكثرةٍ للمواد الإباحية، ثمَّ يقوم بتطبيق ما قد رأىٰ علىٰ الآخرين بطرقٍ شنيعةٍ وفظيعةٍ تفوقُ الوَصْفَ.

وكان من هؤلاء المجرمين رجـلاً اسمـه «أرثـور جـاري بيشـوب» (Arthur Gary Bishop) والذي قام بالاعتداء الجنسي المريع علىٰ خمسة أولاد ثم قَتَلَهُم جميعاً، وكان أصغر ضحايـاه سنّاً يبلـغُ مـنَ العُمُـرِ (٤) سنوات فقـط (Danny Davis)!

ولقد اعتادَ هذا المجرمُ أمثال هذه الجَرَائم لدرجة أنَّه لم يعد يُلْقِي لها بالاً.

فكان مثلاً يقتل أحدَ الأطفال فيلقي بجَسَدِهِ في شنطة السَّـيارة ثـمَّ يذهـب إلىٰ العملِ ويتنَاول الغَدَاءَ فإذا فَرَغَ مِن جميع مَشَاغِلِهِ ذَهَبَ وَتَخَلَّصَ مِنَ الجُثَّةِ.

وكان أحدُ ضَحَايَاهُ الطِّفل « كيم بيترسون» (Kim Petersen) والبالغ من العمر (١١) سنة والَّذي قامَ « آرثور» بقَتْلِهِ بِالرَّصَاصِ وَالإغراق ثمَّ شَوَّهَهُ جِنْسِياً.

ولَقَد وصفَ « دون بيل» الضَّابط في شُرْطَةِ (يوتا) هَذَا المجرم بأنَّهُ رجلٌ في ظَاهِرِهِ في غَايَةِ اللُّطف والمَرَح والامتِنَاع عَن السَّذاجَةِ في الكَلام، ولا يمكنُ أبداً لأيٍّ كانَ أن يَشُكَّ بحقيقةِ ما تُخْفِيْهِ نَفْسُهُ.

ويؤكِّدُ ذَلِكَ مَا عرفَ عَن هَذا المُجْرِمِ في نَشْأتِهِ مِن كَوْنِهِ عُضْوٌ فعَّالٌ في الكشَّافة، ومن أَحَدِ البَارزينَ والمتفوقينَ لَدَيْهِم، والحَائِز علىٰ أسْمَىٰ أوْسِمَتِهِم.

كما كانَ أحد المبشرين لدِينِ النَّصْرانية (Mormon Missionary) وبعد اعتقاله وإدانته ودخوله السِّجن صَرَّح قائلاً: « لو أنَّ مواد الدَّعَارَة والإباحية قد مُنِعَت عنِّي في صِبَايَ لم يكن شَغَفِي بالجِنْس والشُّذوذ والإجرام ليتحقق» .

كما قالَ أيضاً واصفاً تأثير مواد الدعارة عليه: « إنَّ أثرها عليَّ كانَ شنيعاً للغاية فأنَا شاذٌّ جنسياً، ومغتصب للأطفال وقاتل، وما كانَ كُل ذلك لِيَتَحقَّق لولا وجود مواد الدَّعارة والإباحيةِ وتَفَشِّيهَا» لَقَد أعْدِمَ « جاري بيشوب» في (١٠/٦/١٩٨٨م).

وهنالك مثال حيٌّ آخر للنتائج الوخيمَةِ وتَفَشِّي الإجرام نَتِيْجَةَ الانغماسِ في مواد الدَّعارة. وهذا المثالُ هُو مثالُ القَاتِل السَّفاح الَّذي ذَاع صيتُهُ في كلِّ أنحاء أمريكا والمَعْرُوف باسم « تيد باندي» (Ted Bundy) وكان هذا الرَّجُل من بيت محافظٍ وعضْواً في الكشَّافة، وطالبَ قَانُون، وشَابّاً وسيماً وَجَذَّاباً وخلوقاً.

لَقَد تمَّ القبضُ علىٰ هذا السَّفاح بعد أن اختَطَفَ وعَذَّبَ وشَوَّهَ وقتَلَ قريباً من (٤٠) امرأة.

وكان لا يكتفي بتعذيبِ وَخَنْقِ واغتِصَاب ضَحَايَاه فَحَسْب ولكنَّه كانَ يَتَفَنَّن في ألوان الشَّنَاعَةِ المُريعة كأنْ يَنهَش ويأكل لحومَهُنَّ ويُشَوِّه أخريات بالسَّكاكين.

وكانت أصغر ضحاياه طفْلَة تبلغُ من العمر (١٠) سنواتٍ، قامَ هذا السَّفاح باختطافها وتعذيبها واغتصابها وأكل لحم وركها، ثمَّ قَتَلَها شَنْقاً، وتركَ جُثَّتَهَا ليأكلها العفن في مرحاض للخنازير.

ولقد تم إدانته بجريمة القتل تلك بعدَ أن تَمَّ تطبيق آثار أسنَانِهِ على آثار اللَّحْم المفقودِ في جِسْم الطِّفلة القَتِيلَةِ وَتَطَابقهمَا.

ولقد استَمَرَّ هذا المجرمُ يدَّعي البراءةَ فترةً طويلةً جداً مِنَ الزَّمن حتَّى التَفتَّ عليه آلافٌ من النَّاس الَّذين صَدَّقُوا مَزَاعِمَهُ وطالبوا بإطلاقِ سَرَاحِهِ فوراً ومن غَيْرِ تَرَدُّدٍ.

ولكن في نهايَةِ الأَمْر حُكِمَ عليه بالإعدامِ فَحينَذاك اعْتَرَفَ بجَرَائِمِهِ. ففي مقابلَةٍ مُصَوَّرةٍ مُسَجَّلَةٍ مَعَهُ قبل إعدامِهِ بِقَليلٍ صَرَّحَ قائلاً: «أنتُم سَوف تَقْتُلُونَنِي، وهذا سَوفَ يَحْمِي المجتَمَعَ مِن شَرِّي، ولكن هُنَالِكَ الكثيرُ الكثيرُ أمثَالي مِمَّن قد أدمنوا الصُّوَرَ الإباحِيَّةَ، وأنتُم لا تفعلونَ شيئاً لِحَلِّ تِلْكَ المُشكِلَةِ».

وقال أيضاً: «في البدايةِ هي (الصورُ الإباحيَّةُ) تُغَذِّي هذا النَّوع مِنَ التَّفكير.. مثل الإدمان، فإنَّك تَتَطَلَّعُ دائماً إلى ما هو أصعَب وأصعَب، شيئاً يُوَلِّدُ درجةً أعلى من الإثارة، ثمَّ تَصِل إلى حدٍّ لا يمكنُ لِصُوَرِ الدَّعَارَة أن تُشْبِعَ غرائِزَكَ، وتَصِل إلى نقطة انطلاقٍ حيث تبدأ تقولُ لنفسك هل تَستَطيع مُمَارَسَة هَذِهِ الأفعال، أنْ تُشْبِعَ تلكَ الغَرَائِزَ بشكلٍ أفْضَل مِن مُجَرَّد القراءة أو النَّظَر».

وقال أيضاً: « أنا وأمثالي لم نُولَد وُحُوشاً، نحنُ أبناؤكم وأزواجكم، ترَبَّينَا في بُيوتٍ محافظَةٍ، ولكنَّ الموادَ الإباحيةَ يُمْكِنُهَا اليوم أن تَمُدَّ يَدَيْهَا داخل أي منزل فَتَخْطف أطفَالَهُم ».

وقالَ قبلَ ساعاتٍ من إعْدَامِهِ: « لقد عِشْتُ الآنَ فَتْرَةً طويلة في السُّجون، وصاحَبْتُ رجالاً كثيرينَ قَد اعتَادُوا العنفَ مِثْلِي، وبدونِ استِثْنَاء فَإِنَّ كلَّهُم كَانَ شديد الانغِمَاس في الصُّور الإبَاحِيَّةِ وَشَديد التَّأثر بتِلْكَ المَوَاد وَمُدْمِناً لها ».

وبشكلٍ مُمَاثِل فإنَّ القَاتلَ « جيفري دامر » (Jeffrey Dahmer) قد بدأ حياته الإجرامية بالاغتصاب المتكرر للنِّساء، ثمَّ تَطَوَّرت اتِّجاهاتُهُ الإجرامية بعد ذلك إلىٰ الشُّذُوذ والقَتْل الذي يفوق الأوصاف، حيثُ اغتصبَ وَقَتَل عشرات من الرِّجال والأطفال.

وكان يحبسُ ضَحَايَاه لفتراتٍ طويلةٍ جداً يَغْتَصِبهم ويُعَذِّبُهُم ويُشَوّههم فيها يومياً بطرق مبتدعة وجديدة في كلِّ مرة، ثم إذا ملَّ مِن ذلك قَتَلَهُم وقَطَّع أجسَادَهُم بالمناشير ثمَّ أكلَ بَعْضَ أعضائِهِم وتركَ بعضَهَا في الثَّلاجات وأذابَ بَعْضَهَا بالأَحْمَاض.

وحينمَا قَبَضَت الشرطةُ عليه وَجَدُوا في مَنْزلِهِ رُؤُوساً بِلا أجسادٍ في الثَّلاجَاتِ والدَّواليب وموزَّعةً هنَا وهُناك، ووجدوا أيضا قَلْبَ أَحَد ضَحَايَاه في الثَّلاجَةِ، فحين سألوهُ عن ذَلِكَ قَالَ: « كُنْتُ احتفِظُ بهِ لآكُلهُ لاحقاً ». وكَانَ هَذا المجرمُ يَهتَمُّ بالمشاركةِ في « مسيراتِ أهل الشُّذوذ » ووجدتِ الشُّرطة في منزلِهِ حينَمَا قَبَضُوا عليهِ أعداداً مهولة تكادُ لا تُحْصَىٰ مِنَ الأفلام والصُّور الإباحِيَّةِ.

ولقد تُوفِّي جيفري في حمام السجن عام (١٩٩٦م) إثْرَ الضَّرب المتتالي بقضيب من حديد أنْزَلَهُ بهِ سَجينٌ آخَر.

عواقبُ الإباحِيَّة وتأثيرها علىٰ المجتَمَع

تفيدُ إحصاءات وزارة العدل الأمريكية، بأنَّ تفشِّي وسائل الدَّعارة مِنَ الأسبابِ المُبَاشرة في تفشِّي أنواع أخرىٰ من الجرائم والمآسي الاجتماعية، ومنها:

في بحث أجرته الوزارة سنة (١٩٧٩م) في «فينكس أرازونا» وُجِدَ أنَّ الأحياءَ الَّتي فيها متاجرُ تتاجرُ بوسائل الدَّعارة تزداد فيها جرائم الممتلكات بنسبة (٤٠٪) وتزداد فيها جرائم الاغتصاب بنسبة (٥٠٠٪) مقارنة بالأحياء الأخرىٰ.

وبشكلٍ مُمَاثِلٍ فإنَّ دراسة مُمَاثِلَةً في «تكساس» وُجد فيها أنَّ نسبة الازدياد في الجرائِم الجِنْسِيَّةِ تَزْدَادُ في أمثالِ هَذِهِ الأحياءِ من (١٧٧٪) إلىٰ (٤٨٢٪) مقارنة بالأحياءِ الأخرىٰ.

وَيَرىٰ العلماءُ أنَّ السِّمَةَ المُوَحَّدَةَ لِمُقْتَرِفي القَتْل الجَمَاعي (serial killers) هو كونهم غالباً ما يقدمون علىٰ جرائمهم لأسبابٍ جنسِيَّةٍ في بادئ الأَمْرِ، ثُمَّ تَتَطَوَّر عملياتهم الإجرامية بعد حين من إدمان الجِنْس إلىٰ التعذيب والقتل وفعل الفاحشة في جثث الأموات وغير ذلكَ مِنَ الجرائِم المُريعَةِ.

الَّذين يُرَوِّجُونَ الوَسَائل الإباحِيَّةَ غالباً ما تكون لهم علاقات وطيدة بالجريمة المنظمة، كما يَدْعُونَ إلىٰ تَفَشِّي جَرَائِمَ أُخْرَىٰ. فمؤسسة (Playboy) تدعو منذ سنة (١٩٦٦م) إلىٰ إباحة المخدرات.

وقد بدأت المؤسسةُ منذ سَنَةَ (١٩٧١م) بالتَّبرع سنوياً بمبالغ لا تَقِل عَن (مئة ألف دولار) لإلغاء قوانين منع المخدراتِ.

وتُصْدِرُ هذه المؤسسةُ سنوياً عدداً مِن المقالاتِ الَّتي تَدْعُو النَّاسَ إلىٰ نُصْرَتِهِم في تلكَ المسَاعِي.

فَإدمَانُ الوَسَائل الإباحِيَّة كما أسْلَفْنَا يَجُرُّ تَبِعَات أُسَرِية، كتَفكُّكِ الروابط الزَّوجيةِ، وضَعْف قدرة الرَّجل مَع زوجته جنسياً، وتفشي الزِّنا وعواقب أُسريَّة واجتماعية غَير حَمِيْدَة.

وتفيدُ الإحصاءات أن (٣٣٪) من ضحايا الاغتصاب يفكرون بالانتحار أو ينتحرونَ.

وفي الوَقْتِ الحَاضر فإنَّ نسبةَ (١٢٪) من نساء أمريكا يتعرَّضْنَ لنوع من الاعتداءِ الجِنْسِيِّ في حَيَاتِهِنَّ.

(٨٠٪) من ضحايا الاعتداء الجنسي من الأولاد الذكور يصبحون بعد ذلك مدمنين لأنواع المخدرات والمُسكرات. و (٥٠٪) منهم يفكر بالانتحار و (٢٣٪) منهم يقدم على الانتحار و (٧٠٪) تبقى معهم عقد نفسية.

الَّذين يدمنونَ الموادَ الإباحيةَ غالباً ما تُصبحُ أحوالهم مثل مُدمِني المُخَدِّرات والمسكِرَات، فبعدَ حين مِنَ الزَّمن فإنَّهم يجدونَ أنَّهم لا يتمالكون أنفُسَهُم أمامَ هَذا البلاءِ وَهُم على استِعْدَادٍ لإفنَاءِ أمْوَالِهِم مِن أجلِ إشْبَاعِ غَرَائِزِهِم.

لا يُعرفُ المَدَىٰ الحقيقِي لهذِهِ الكَارِثَةِ الاجتِمَاعِيَّةِ لأنَّ أكثر الضَّحايا يَعْرِفُونَ الجَاني وغَالباً ما يكونُ (مَحْرَماً أو قَريباً أو صَدِيْقاً للعَائِلَةِ) ويَدُومُ الاعتداءُ سَنَواتٍ طويلَة مُتَوَسِّطُهَا (٦، ٧) سنوات عند البَنَاتِ ويكون أوَّل عَهْدِهِنَّ بالاغتصابِ في سنِّ ستِّ سَنَوات!.

وتَجْدُرُ الإشارةُ هنَا إلىٰ أنَّ كلَّ هذه الأبحاث قَامَ بها غَربيون غَير مسلمين، وإنَّ القيم والمبادئ والأَخْلاقَ الإسلاميَّةَ أرفَعُ وأجلُّ وأشْمَخُ مِن قِيَمِهِم.

فهم لا يَقِيْسُونَ مثلاً نسبةَ الازديادِ في جريمةِ الزِّنا لأنَّهم لا يَرونَ ذلك جَريمةً، فكيف بهذهِ الإحصاءاتِ كُلّها لَو أخذَت مَعايِيرَ الإسلام في الحسْبَانِ؟

وصدَقَ رسولُ اللهِ ﷺ عندَمَا قَالَ: « ..لَم تَظْهَرِ الفَاحِشَةُ في قَومٍ قَطُّ، حتَّىٰ يُعْلِنُوا بِهَا، إلاَّ فَشَا فِيْهِم الطَّاعُونُ والأَوْجَاعُ الَّتي لَم تَكُن مَضَتْ في أسْلافِهِم الَّذِينَ مَضَوْا.. » . [رواه ابن ماجه، وهو حديث صحيح].

لقد قامَ الباحثُ الدكتُور « دايفد ويت » في جامِعَةِ (آكرون أوهايو) بدراسةِ ظاهِرَةِ تَفَشِّي الفاحِشَةِ والإباحيةِ بينَ الشَّبابِ والشَّاباتِ الَّذين تتَرَاوَحُ أعمارُهُم ما بين (١٦–٢٠) سنة عبْرَ العُقُودِ السّتة الأخيرة فَوَجَدُوا ازدياداً ملحوظاً في هَذِهِ الظاهِرَةِ كَمَا هُو مُبَيَّنٌ في الجدولِ الآتِي:

السنة	الذكور	الإناث
1940	40%	20%
1950	42%	21%
1960	60%	25%
1970	60%	40%
1980	77%	64%
1990	85%	70%

كما قامَ بتوزيع استِبَانَاتٍ ورصَدَ بَعْضَ الحقائِقِ المُتَعَلِّقَة بِزنَا المُتَزَوِّجينَ في أمريكا، فوجَدَ أنّ (٥٠٪) من الرجال و (٢٥٪) من النِّساءِ قَد اعتَرَفُوا بممارَسَةِ الزِّنا بَعْدَ الزَّوَاجِ.

وعِنْدَ قراءتنَا للحديثِ السابقِ نَتَوَقّع أنْ نَجِدَ الطاعُونَ والأمراضَ الجديدَةَ مُتَفَشِّيةً فيهِم، وبِالفِعْلِ ابتُلِيَ هؤلاءِ عبْرَ السَّنَوات الأخيرة بِشَتَّىٰ أصنافِ الأمراضِ

كَالزُّهري والهربس(القُوباء) والسيلان والحرشفية والإيدز وغيرها (Syphillis, Herpes, Gonorrhea, Chlamydia, AIDS). فمثلاً لقد شاع وباء الزهري المسبب للعقم وأمراض الدماغ في أمريكا في فترة (١٩٣٠م) كما شاع من قبل في القرن الخامس عشر، وهذا المرض لا ينتقل إلاَّ بالإباحية الجنسية.

وفي عام (١٩٨١م) صرَّح مُتَحَدِّث باسم مركز مكافحة الأوبئة بأمريكا (Center for Disease Control) أنَّ هنالك قرابة (٣٢٥٠٠٠) مريض مصاب بمرض الزهري بأمريكا. كما أنَّه يتم رصد (٢،٥) مليون حَالَة جَدِيْدَة سنوياً لشَبَابٍ في مَرْحَلَةِ الثَّانَوِيَّةِ العامَّة مُصَابينَ بِـأمْرَاضٍ جِنْسِيَّةٍ مُنَوَّعَـةٍ، كَـالزُّهْري، والسَّيلان، والحرشفية، والالتِهَابِ الكَبِدِي الوَبَائِي.

ولكنَّ مَرَضَ هَذا العَصْرِ بِلا شَـكٍّ هـو مَـرَضُ الإيـدز، ولقَـدْ صـرَّحَ كثيرٌ مـن الباحثينَ بأنَّ أكثر من (٨٠٪) من حالاتِ الإيدز مَصْدَرُهَا الإباحِيَّةُ الخُلُقِيَّةُ.

أمَّا اليـوم فـإنَّ مركـزَ مكافَحَـةِ الأوبئَـةِ بأمريكَا (Center for Disease Control) يقدرون عدد حالات الإصابة بفايروس (HIV) فيما بين (٦٥٠٠٠٠ إلى ٩٠٠٠٠٠) حالة وأنَّ أكثر من (٢٠٠٠٠٠) منهم لا يعلم أنَّه يحمل هذا الفيروس.

وحتىٰ تاريخ (١٩٩٩/١٢/٣١) فقد رَصَـدَ المركـز (٤٣٠٤٤١) حالـة وفـاة مـن جراء هذا المرض الخبيث، فأصبحَ مَرَضُ الإيدز يَحْتَلّ المركَـزَ الخَـامِسَ في قَائِمَـةِ أسبابِ الوَفياتِ في أمريكَا للفِئَةِ مَا بين (٢٥–٤٤ سنة) وهذا الرَّقَمُ يفوقُ عَـدَدَ قَتْلَىٰ أمريكا في حَرْبَي فِيْتنام وكُوريَا مَعَاً.

أما في «نيويورك» و«لوس أنجلوس» و«سانفرانسسكو» فـإنَّ مـرض الإيـدز هو السَّببُ الرئيسي للوفاةِ بينَ الشَّبَابِ وَالشَّابَّاتِ.

وإنَّ منظمة الصِّحة العالمية (World Health Organization) تقدر عددَ المصابين بفيروس الإيدز (HIV) حول العالم بـ (١٣) مليون حالة، منها (٦١١٥٨٩) حالة قد تطورت إلىٰ مرض الإيدز.

ومن المعروف عن فيروسِ الإيدز أنّه أسْرَعُ الفيروساتِ المعروفَةِ علىٰ وَجْهِ الأرْضِ تَغيراً وتحولاً إلىٰ أشكَال جَدِيْدَةٍ.

كما أنَّه من المعلوم أنَّ أول ظهوره في الغَرْبِ كانَ في أهْلِ الشُّذُوذِ في مَدِيْنَتَي « سانفرانسسكو » و « نيويورك » ثمَّ انتقلَ بَعْدَ ذلك إلىٰ ممارسي الزِّنَا.

وكانَ في بادئ الأَمْرِ يُعْرَف هذا المرض باسم « مَرَض تَدَنِّي المَنَاعَةِ في أهل الشُّذُوذِ » (GRID" for Gay Related Immune Deficiency) وإن المعهدَ الوطنيَّ لِدِرَاسَةِ الحَسَاسِيَّاتِ وَالأمراض المُعْدِيَةِ بأمريكا (NIAID) رصد في أوّلِ سِتَّةِ أشْهُر مِن سنة (١٩٩٦م) تزايداً في تفشي الإيدز جلُّه بين المراهقين الذين تتراوحُ أعمارُهُم ما بين (١٣–١٩) سنة يبلغ (٥٢٤٪) وأن جلَّ هذه الزيادة كانت في الشَّاذينَ مِنْهُم ثُمَّ الزُّناة.

وفي سنةِ (١٩٨٠م) قَامَ أهلُ الشذوذِ بحملةٍ إعلامية مكثَّفة لتوعية أفراد مُجْتَمَعِهم الخَبيثِ لِمَخَاطِرِ هَذا المَرَضِ، نَتَجَ عَنْهَا نُزُولٌ ملحوظٌ في عَدَدِ المُصَابِيْنَ.

ولكنْ إثْرَ وَفَاةِ كَثِيْرٍ مِنَ الجيلِ الأوَّل مِن أهْلِ الشُّذُوذ وتَدَنِّي نِسْبَةِ المُصَابين بهذا المَرَض في تِلْكَ الفَتْرَة فَقَد أخذَ المُرَاهِقونَ الشَّاذونَ بالتَّشَجُّع للعودةِ إلىٰ أعمَالِهِم الخبيثَةِ مَرَّةً أخْرَىٰ.

وصَدَقَ اللهُ تَعَالىٰ حيثُ قالَ: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣]

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وإنَّ لهذِهِ الأمراض تَبِعَاتٌ اجْتِمَاعِيَّة واقتِصَادِيَّة وسياسِيَّة عديدة. فَمَثَلاً من المعلوم أنَّ مُتَوَسِّط تكلفة معالجة (وليس شفاء) شخص مصاب بالإيدز حتىٰ يتوفىٰ تبلغ (١٢٠) ألف دولار. كما أنَّ هذِهِ الأمراض تَجْلب كَوارثَ عائلية واجتماعية وارتفاعاً في نسبَةِ البَطالة وتَفَشّي الفَقْر وَغَير ذلكَ مِن التَّبعاتِ السَّيئة، نَاهيك عَمَّا يَتَعَرَّض إليه الأطباءُ والممرضونَ وغيرُهُم مِنَ الأخطارِ الجَسِيْمَةِ.

تَصْدِيرُ الإبَاحِيَّة بِدَعْوىٰ الحريَّةِ

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

أمَّا في زمانِنا فإنَّ أهلَ الغرب بِقِيَمِهم الفَاسِدَة، وأمراضِهم الخَبيثة ومبادئهم الذميمة، لم يكتفوا بإفشاءِ الرَّذائل والمنكراتِ ودواعي غضبِ الجبَّار بينهم، ولكن تمادَىٰ بهم الحالُ إلىٰ محاولَةِ تَصْديرِ هَذِهِ المَصَائب والأمراضِ إلىٰ دُول الإسلام.

فَنَجِد جمعيةَ «مُرَاقَبَةِ حُقُوق الإنسَان» (Human Rights Watch) مثلاً تذم وتنكر بشدة أي مُحاولات لِدُولَ الخليج العربي لِحَجْب الإنترنت وَيَدْعُونَنَا إلىٰ «الانفِتَاح والحُرِّيَّة».

ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العليِّ العظيم..

فَضَائِحُ الاختِلاطِ والتَّحَرُّر

« البيتُ الغَربيُّ مِنَ الدَّاخِلِ »

اعلم ـ وفَّقَنا اللهُ وإيَّـاكَ ـ أنَّ قُرابةَ نِصفِ المعتَـدىٰ عليـهنَّ في بريطانيَـا، يتـمُّ الاعتداءُ عليهنَّ أوَّلاً داخِـلَ البيـتِ مِـنَ الأبِ أو مِـن صَدِيـقِ الأمِّ، حتَّـىٰ إنَّ إحْـدَىٰ المجلاتِ نَشرَت وقَالَت: إنَّ أخْطَرَ مكانٍ يعيشُ فيه الإنسـانُ الأوربـي هُـو المَـنْزِلُ.. وذكَرَت مَجلَّة التَّايمز أنَّ نصفَ الشَّاكيات يُغْتَصَبنَ في البيوتِ الأمريكيةِ.

مـا بـين (٥٠ ـ ٧٠٪) مـن الرجـال الأمريكـان يخونـون زوجاتـهم علىٰ فـراش الزوجية و(٣٢٪) من الزوجات يخن أزواجهن.

و(٩٠٪) مِنَ النِّسَاءِ مُتَزوِّجَات بِـدُون عُذْرِيَّـة، وفي بريطانيـا فَقـد وصَلَـت نسـبةُ العذرية عند الفتيات صفر ٪ كما توجد ظاهرة تبادل الزَّوجات.

وأنَّ أكثرَ من مليونين وَنِصْـف المَلْيُـون مِـنَ الأزواج الأمريكيين مَارَسُـوا تَبَـادُل الزَّوْجَات بِانْتِظَام أو عَلىٰ عَينكَ يَا تَاجِر.. وَنِسْبَة ٥٠٪ من الصبيـان والبنـات قَـد تمَّ بَيْنَهُم لِقَاءٌ جِنْسِيٌّ قَبْلَ الخَامِسَةِ عَشْرَةَ.

أمَّا كَثْرَةُ الطَّلاق في الغَرْبِ فقَد كَتَبَت « دول ستريت جورتال » أنَّ واحداً مِن كلِّ أمريكيين طلَّق زوجَتَهُ..

وهناكَ تقريرٌ صادِرٌ عَن وزارة الصِّحَّةِ الأمريكيةِ عَن السَّنَواتِ بين ١٩٨٥ـ ١٩٩٤م جاءَ فيه: أنَّ عددَ النِّسَاءِ والفتياتِ اللواتي كنَّ ضَحِيَّةَ العنفِ بَلَغَ عَام (١٩٩٤م) أكثر من خَمْسَةِ مَلايـين. وتقـول: إنَّ كـلَّ امـرأة مِـن ثمـاني نِسَـاءٍ فَـوْقَ سِـنِّ البلـوغ في

الولاياتِ المتَّحِدَةِ تَعَرَّضَت للاغتصابِ مـرَّة في حياتِـهَا عَلـىٰ الأقـلّ، وهَـذا يُعَـادِلُ مليون أمريكية مُغْتَصَبة فأوضاعُ أمريكا في ظلِّ السَّلام والحُرِّيَّةِ، كأوضَـاع البُوسـنَةِ والهرسِك في ظلِّ الحربِ الإجراميَّةِ الصِّربيَّةِ.

النِّسـاء عـام (٢٠٠٠م) عنـوان مؤتمـر وطــني في بـاريس ٧٠٪ مــن الشــابات الفرنسيات يَعِشْـنَ وَحِيْـدَاتٍ، ونَقَصَـت أعـدادُ المتزوجـاتِ زَواجـاً شَـرْعياً بِمِقْـدَارِ (٦٨٠٠٠) ألف امرأة، ٢٠٪ من الولادات عن طريقِ الزِّنا والعياذُ باللهِ تعالىٰ..

في أمريكا وَحْدَهَا يُقْتَلُ مليون وَنِصـف المليـون جَنِين سَنَوياً، بِسَـبَبِ عَمَلِيَّـةِ الإجهاضِ (أينَ حقوقُ الإنسان؟!).

يقول (اندروشاييرو): إنَّ أكثرَ مِن عشرة آلاف فتـاةٍ أمريكيـة تَضَـعُ مولـوداً غـير شرعي سنوياً، وهي لَم تَبْلُغ بَعْدُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِن عُمُرِهَا.

هذا مع وجود وسائل منعِ الحَمل..!!.

مارأيكم يادعاةَ التحرُّر والتَّطور والتَّدهور هل تريدونَ المجتمعَ بهذهِ الحالة ؟!.

* * *

ضحايا الاغتصاب

تفيد الإحصاءات بأنَّ ضحايا الاغتصاب يُبَلِّغْنَ عَن تَجَاربهنَّ..

بَدأ المزيدُ من النِّساءِ بالإبلاغِ عَن عَمَليَّات الاغتصابِ وهنَّ واثقات من أنَّ سلطات تنفيذ القانون ستأخذُ قضَايَاهُنَّ علىٰ مَحْمَل الجدِّ.

هذه هي الأخبار الجيدة الَّتي يقرؤها المدافعونَ عَن ضحايا الاعتداءاتِ الجِنْسِيَّة في الإحصاءات الحكومية عن الاغتصابِ عام (٢٠٠٢م).

(ويمنز إي نيوز) تشيرُ إحصاءاتُ مكْتَبِ التَّحقيقَاتِ الفِيْدرالي إلىٰ أنَّ مُعَدَّلاتِ الاغتصابِ ارتفعَت بنسبةِ (٤٪). لكن قد يكونُ هَذا خَبَراً جَيِّداً.

ووفقاً لمسحٍ حديثٍ أجراهُ مكتبُ الإحصاءاتِ التَّابع لوزارة العَدْل، فإنَّ النِّسَاء يَتَقَدَّمن بأعدادٍ قياسيةٍ للإبلاغ عَن عَمَليَّاتِ الاغتصابِ والاعتداءاتِ الجنسيَّة الَّتي يتعرَّضن لهَا.

ويقولُ مُنَاصِرُو الضَّحايا إنَّ هَذا الازديَادَ في الإبْلاغ عَن الاعتداءاتِ - وَليس الازدياد في عَدَدِ عملياتِ الاغتصابِ بِحَدِّ ذَاتِه - هُو الَّذي رَفَعَ أرقَامَ مكْتَبِ التَّحقيقاتِ الفيدرَالي (أف بي آي) بمَا أنَّ المكتبَ لا يَحْتَسِبُ إلاَّ الجرائِمَ الَّتي يَتِمُّ إبلاغهَا إلىٰ سلطاتِ تَنْفيذِ القَانُون.

ويُظهر هذا أنَّ المزيدَ مِنَ الضَّحايا يثقن بأنَّ سلطات تنفيذ القانون سَتَأخذ قضاياهنَّ علىٰ مَحْمَلِ الجدِّ.

ولقَد صَرَّحَت «جيمي زوبياك» النَّاطِقَةُ بِاسْم الشَّبكَةِ الوَطَنِيَّةِ للاغْتِصَابِ

والاعتِدَاءاتِ الجِنْسِيَّةِ وَسِفَاح القُرْبَىٰ في واشنطُن العَاصِمَة قَائِلَةً في مُقَابَلَةٍ هَاتِفِيَّةٍ:

« بَدَأَ النَّاسُ يَعُونَ أَنَّ الأمرَ سَيُؤْخَذُ بِجِدِّيَّةٍ ».

ويتقدمُ أكثرُ من نصفِ ضَحَايَا الاعتداءاتِ الجنسيَّة للمرَّة الأولىٰ منذ بدأ مكتب الإحصاءات بجمعِ المعلوماتِ قَبْل (٣٠) عاماً، ممَّا يشكل ذروة اتجاه تصاعدي بدأ عام (١٩٩٩م). فَمُنْذُ عَام (١٩٩٣م) وحتىٰ عام (١٩٩٥م) أبلغ « ٣٠،٨٪ » فَقَط مِن ضَحَايا الاغتِصَابِ والاعتداءِ الجِنْسِيِّ عَن الاعتداءاتِ عَلَيْهِنَّ، وفقاً للمسح الوطني لضحايا الجرائم الذي يُجْرىٰ سنوياً، والصَّادِر عَن المكتبِ في (٢٤) أغسطس. أما السَّنة الماضية، فَقَد تَقَدَّم أكثرُ مِن (٥٣٪).

وقد عَزَا سكوتُ « بيركوويتز » رئيسِ وَمُؤَسِّسِ الشَّبكَةِ الوطنيةِ للاغتِصَابِ والاعتداءاتِ الجِنْسِيَّةِ وَسِفَاح ذوي القُربىٰ، وهي أكبَرُ منَظَّمَةٍ مُنَاهِضَةٍ للاعتداءاتِ الجِنْسِيَّةِ في البِلادِ، هَذا الارتفَاعَ في الإبلاغ عَن الاعتداءاتِ إلىٰ السِّيَاسَاتِ المُتَشَدِّدة فيما يَتَعَلَّقُ بالإجرام، وَوَعْي شَعْبِي أكْبَر وَجِيْلٍ من النِّسَاءِ نَشَأ عَلىٰ عِبَارَة « لا، تَعْني لا ».

إنَّ المعدلَ السَّنوي للاتِّصالات الشَّهرية بالخطِّ المباشر للشَّبكة الوطنية للاغتصاب والاعتداءات الجِنْسِيَّةِ وَسِفَاح ذوي القُربىٰ قَد ارتَفَعَ حَتَّىٰ الآنَ بِمُعَدَّلِ (٢٧٪) عام (٢٠٠٣م) مشيراً إلىٰ أنَّ المزيدَ مِنَ النِّساء بدأنَ بالتكلُّم عن الاعتداءات الجنسيَّة الَّتي يتعرضن لها.

ويبدو أنَّ الازديادَ في بلاغاتِ الاغْتِصَابِ لَدَىٰ مكْتَبِ التَّحقِيْقَاتِ الفِيْدرَالي يُثْبِتُ نَتائجَ مكْتَبِ إحصَاءاتِ وزَارَةِ العَدْلِ.

شكوكٌ إحصائيةٌ

قد تدعو نَتَائج المسح السَّنوي للضَّحايا إلىٰ الابتهاج عندَ جمعها مع أرقامِ مكتبِ التَّحقيقاتِ الفيدرالي، والزيادة في الاتصالات علىٰ الخطوط المباشرة، لكِنَّ خبراءَ الإحصاءاتِ يُحَذِّرون مِنْ أنَّ أرقام هذه السَّنة قَد تكون شُذُوذاً عَن القَاعِدَةِ.

«أيعقَلُ أنْ تَشْهَدَ ارتفاعاً حاداً هَذِهِ السَّنةَ وهبوطاً في السَّنة المُقْبِلَةِ؟ حتْمَاً لا» هذا ما أكَّدته «باتسي كلوس» إحدىٰ كِبَار خُبَراءِ الإحصاءاتِ مِن فرْعِ إحصاءاتِ الضَّحايا التَّابع لمكتبِ إحصاءات وزارة العَدْل في مقابَلَةٍ هاتفيةٍ حَدِيْثَةٍ. «إنْ كُنْتَ تَبْحَث عَن ميل، فَلا تتكلَّم عَنْهُ إجمالاً ما لم تكُن تَسِيْر في الاتِّجَاهِ نَفْسِهِ مُنْذُ فَتْرَةٍ طَويلَةٍ».

وتُبرزُ هَذِهِ الشكُوك المَشَاكِلَ المُستَمِرَّةَ الَّتي يُوَاجِهُهَا الَّذينَ يُحَاوِلُونَ تَحْدِيدَ مُعَدَّلاتِ جَريمَةٍ موصومَةٍ بالعار، ولا يَتِمُّ الإبلاغُ عَنْهَا بِشكْلٍ كافٍ.

ويُجْري خبراءُ المسحِ الوطنيِّ لضَحَايا الجرائمِ مقابلاتٍ معَ عيِّنةٍ تمثِّلُ الشَّعبَ وتسألهُم عَن الجرائمِ الَّتي عانُوا منها، وكَم وَاحِدَةً أبلغوا عَنْهَا، ثمَّ تعمِّم هذه الأرْقَامَ علىٰ مَجْمُوع السكَّانِ.

وقد استَقَرَّت النِّسبة المئوية لعملياتِ الاغتصابِ عِنْدَ (٣٠٪) من عام (١٩٩٣م) وحتىٰ عام (١٩٩٩م) ثم تجاوزت (٤٥٪) عام (٢٠٠٠م) وتراجعت قليلاً عام (٢٠٠١م) إلىٰ حوالي (٤٠٪).

كما أنَّ الإبلاغ عَن أنواع أخرىٰ مِنَ الجَرَائِم العَنِيْفَةِ ارْتَفَعَ منذُ عَام (١٩٩٣م). وعَلىٰ سبيلِ المثال، تمَّ الإبلاغُ عن (٧١٪) من عمليات السَّرقة عام (٢٠٠٢م) مقابل (٦٠٪) عام (١٩٩٣م).

وبشكلٍ إجمالي، ازدَادَت نسبةُ الإبلاغ عَن كُـلِّ أنـواع الجرائِـم العَنيفـة بِنِسْبَةِ (٦٪) منذ (١٩٩٣م) من (٤٣٪) إلىٰ (٤٩٪).

غيرَ أنَّ الزيادَةَ في نسبَةِ الإبلاغ عَن عملياتِ الاغتصـابِ فَـاقَت الاتِّجَـاهَ العَـام. فَمِن عــام (١٩٩٣م) إلىٰ عـام (٢٠٠٢م) مثلاً، ارتفـع معـدَّل الإبـلاغ عـن عمليات الاغتصاب بنسبةٍ تَتَعَدَّىٰ الـ(٢٠٪) في حين أنَّ الإبلاغ عن عمليَّـات السَّـرقة ارتفـع بنسبةِ (٨٪) فحسب أكبر مسح من نوعه وهو المسح الوطنيُّ لضحايا الجرائم الـذي بدأ عام (١٩٧٢م) ويكَلِّفُ حوالي (١٥) مليون دولاراً سنوياً، وتجرىٰ المقابلات مـع ما بين (٦٠،٠٠٠ و٧٠،٠٠٠) عائلة كـلّ ستة أشهر، ويُسـأل أفـرادُ العـائلات الذيـن تخطوا سنَّ الـ (١٢) من العمـر عـن أنـواع الجَرَائـم الشَّخصية، وتلـك الَّتي تطـال الملكيات. وتبقىٰ هذه العائلات ضِمْن نِطَاق المَسْح طيلةَ ثلاث سَنَوات.

وبينَ عام (١٩٩٣) والسَّنة الماضية، لاحـظَ مكتـبُ الإحصـاءات هبوطـاً بنسـبة (٥٥،٦ ٪) في أعداد عملياتِ الاغتِصَاب.

ويُقدَّر أنَّ (٢٤٧,٧٣٠) عملية اغتصاب واعتداء جنسي ـ واحدة كـل دقيقتـين ـ جَرَت عام (٢٠٠٢م) وكان ما يَزيدُ عن (٨٧٪) من الضحايا من النِّساء.

وإلىٰ جانبِ تقريرِ الإجرامِ السَّنوي الَّذي يُقَدِّمُـه مكتـبُ التحقيقـات الفيـدرالي، فإنَّ مسح ضحايا الجرائِم هُوَ المُؤَشِّرُ الأكثر أهمية للاتجاهَاتِ الإجْرَامِيَّةِ.

ويساهِمُ التَّقريرُ في تَعْدِيـلِ اسـتراتيجياتِ تنفيـذِ القَـانون والسِّياسـاتِ العامَّـة، محدداً أين تُصْرَفُ أموالُ الضَّرائب، تُصْرَفُ علىٰ خَدَماتِ الضَّحايا والحِفَـاظ علـىٰ الأمْنِ والنُّظامِ.

وفي مُقَابلةٍ هاتفيةٍ أجريَت مَــع «بنجـامين إي سـوندرز» مِـنَ المركـز الوطَنِـيِّ لمعالجَةِ وإجراءِ الأبحاثِ عَن ضَحايـا الجَرائـم في «تشارلسـتون» بولايـة (سـاوث كارولينا) حيث يُدِير برنامج الطفل والعَائِلَة، صرَّح قائلاً: «مَع أنَّنَا نَمْلِكُ فِكْرَةً عَـن الأسبابِ المُحَدَّدَةِ الَّتي تَدْفَعُ النِّساءَ إلىٰ الإبلاغ عَن الاعتداءاتِ إلىٰ السُّلُطاتِ، فَمَا زَالَ أمامنَا الكثير لِنَتَعَلَّمَهُ. وَمِنَ المُهِمِّ أنْ نَستَمِرَّ في فَهْم العَوَامِلِ الَّتي تُشَجِّع النِّسـاءَ علىٰ التَّقدُّم وَالاستِفَادَةِ مِنَ الخَدَمَاتِ الَّتي يَحتَجْنَ إليهَا».

وتَحُولُ أسـبابٌ عَديـدَةٌ دُون الإبـلاغ عَـن عمليـاتِ الاغتصـابِ، وفقـاً لمكْتَـبِ الإحصاءاتِ، لأنَّ الضَّحايا لا تَمِيلُ إلىٰ الإبلاغ عَـن جَرَائِـم «خاصَّـة أو شـخصية» وعن جَرَائِم ارتُكِبَت بِحَقِّهِنَّ مِن شَخْصٍ يَعْرِفْنَهُ، كمَا أنَّ معظـمَ ضَحَايـا الاغتصَـابِ والاعتداءاتِ الجنسيةِ (٦٩٪) يعرفن مُهَاجِمِيهِنَّ.

لا إحصاءات عن الأطفال

ينطـوي المسـحُ علـىٰ عُيـوب تُصَعِّـبُ كشـفَ الاعتـداءاتِ الجنسـيةِ، وأحَدُهَـا اقتِصَارُهُ عَلىٰ أفرادِ العائلاتِ الَّذينَ يَتَعَدّونَ سنَّ الـ (١٢) مِن أعمَارِهِم.

وتشيرُ تقديراتُ الحكومَةِ إلىٰ أنَّ الأطفالَ ما دون سِنِّ الـ (١٢) هم ضحايا أكـثر مِن (٣٠٪) من مجموع الاعتداءاتِ الجنسيةِ.

كما أنَّ أساليبَ المَسْح لا تَضَمَـن خُصُوصِيَّـةَ الأشـخاصِ الَّذيـن تُجْـرَىٰ مَعَـهُم المُقَابَلاتُ.

وممَّـا يُعِيْـقُ كَشْـفَ جريمـةٍ غالبـاً مـا يَقْتَرِفُـهَا أفـرادٌ مِـنَ العَائِلَـةِ أو الشُّـركاء الحَميمُونَ للضَّحيةِ فَلا يُبَلَّغُ عَنْهُم غالباً.

ويقولُ سوندرز: « أقولُ لكُم بصراحة، إنَّهُ مِن غَـير المرجح أن نكتَشِف كـلَّ أو حتىٰ معظم هذه الأنواع الحسَّاسة من الجَرائم».

وقد عبَّر عن شكوكِهِ حيالَ الازدياد المُفَاجئ في الإبلاغ عَن الاعتداءاتِ قائلاً: « لا أعتقدُ أنَّ النِّسبةَ قد بلغت (٥٠٪)». ملمِّحـاً إلىٰ أنَّـها كـانت تبلـغ (٢٥٪) فحسب. ومع ذلك يرىٰ أنَّ زيادة الخدمات الَّـتي تقـدَّم للضَّحايـا وتدريـب الشُّـرطة علىٰ التَّعاطف مع حالات كَهَذِهِ والوعي العام المتزايد، هي عوامـل تُشَـجِّع النِّسَـاءَ علىٰ الإبلاغ عَن اعتداءات ما كنَّ ليفصِحْنَ عنها قبل (٣٠) عاماً.

إنَّ الوعيَ العَام والحَمَلات التَّثقِيْفِيَّة في الجامعَاتِ، إضافةً إلىٰ حالاتٍ مشـهورَةٍ مِثل مَزَاعِم الاغتصابِ في أكاديمية سِلاح الجوِّ، وفَضَائح الاعتداءاتِ الجِنْسِيَّة بـين رجالِ الدِّين، وعَمَلِيَّاتِ اختطافِ الفَتَيَاتِ الشَّاباتِ الشَّهيرَةِ، زَادَت الوَعْيَ العامَّ حَولَ عملياتِ الاغتصابِ والاعتداءاتِ الجِنْسِيَّة إلىٰ حَدٍّ لم يُسْبَق لَهُ مَثِيْلٌ.

وتقولُ « زويباك » مِنَ الشَّبكة الوطنيةِ للاغتصابِ والاعتداءاتِ الجنْسِيَّة وسِـفَاح القُربىٰ: « هذا يؤكد أنَّها جَرِيمةٌ عنيفَةٌ وخطيرةٌ وأنَّ الملامةَ لا تَقَعُ علىٰ الضَّحِيَّةِ ».

[« آجيلين لودر » كاتبة مستقلة، تقيم في مدينة نيويورك].

* * *

الفارسُ المزعومُ

رنَّ الهاتِفُ ..ألو.. ألو..

أحذَري يا قَريبَةَ الدَّمْع مِنَ المَحَاجِرِ ..

أحذري فَلَسْتِ رَخيصَةً يَا جَوْهَرَةً مِنَ الجَواهر ..

كَم ـ واللهِ ـ آلمَنِي وَآلَم كلُّ شَهْمٍ حَالُ تِلْـكَ الفَتَـاةِ الَّـتي عَاشَـت مَـع « الفَـارسِ المَزْعُوم» .

هَذا الفَارسُ الَّذي ألقَاهَا في الآلم مَجْروحَةً، وجعَلَهَا تَعيشُ في أحْلامِـهَا أرجُوحَـةً، لَقَد أتقَنَ دَورَ العَاشقينَ، وكَـانَ مَعَـها في الخِطَـابِ مُبِيْـن.. أسَـرَهَا بِجَمِيْـلِ الكَلِمَـاتِ، وَقَيَّدَهَا بلطيفِ العِبَارَاتِ، كَسَاهَا مِن الثَّنَاءِ حُلَّةً، وَأهْدَاهَا مِن بيْنِ الشَّوكِ فُلَّةً.

فَبَنَت بآمَالِهَا القُصُورَ، وَسكَـنَت بأَحْلامِها الدُّورَ والقُصُـورَ، وَشَـيَّدَت في عَالَمِـهَا الأبْرَاجَ، وَصَارَعَت مَع فَارسِهَا الأمْوَاجَ.

لقد ظَلَّت هَذِهِ الجَرِيحَةُ أشهراً طويلـةً وَهِـي تَبْنِـي عَلـىٰ رَمْـلٍ، وَتَلْـهَثُ خَلْـفَ سَرَابٍ، بَذَلَت لَهُ مَشَاعِرَهَا، وَتَوَسَّـلَت إليـهِ بِآهَاتِـهَا، وَأعْطَتْـهُ مَـا لَيْـسَ يُعْطَـىٰ مِـن حَيَاتِهَا. لقد أعطتهُ كلَّ شيءٍ..

كَم تَخَيَّلَت الفَسَاتِينَ الَّتي سَيَشْتَريهَا، وَالعُطُور الَّتي سَيُهْدِيهَا، والرَّسَائِل الَّتي سَيُعْطِيْهَا.

كَم اخْتَرَعت مكَاتيباً سَتُرْسلُها..

وَأسْعَـدَتني وَرُودٌ سَوفَ تُهْدِيْهَـا..

وكَم ذَهَبَت لِوَعْدٍ لا وُجُودَ لَـهُ..

وكَم حَلُمَتْ بِأثْواب سَأشْتَريهَـا..

ما ظَنَّت يوماً مِنَ الأيام، أنْ يُغْلِظَ لهَا في الكَلام، فَهي نُورُهُ الّذي يَلْمَعُ، وَشَمْسُـهُ الّتي تَسْطَعُ.

غرَّها الثَّنَاء، فَحَلَّقَت في السَّماء، ولكن! مَا لَبِثَت أنْ هَوَت بِهَا الرِّيـحُ في مكَـانٍ سَحيقٍ.. لَقَد قتَلَ أحْلامَهَا، وَذَبحَ آمَالَهَا، وَشَتَّتَ خيَالَهَا.

لَقَد انْتَهَىٰ كُلُّ شيءٍ في لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ.

نَعَم.. في لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ. عندما استسلمت لهُ في لحظةِ ضعفٍ، وساعةِ غفلةٍ.

– صرَخَت: يَا مَن وَقَفْتُ دَمِي عَلَيْكَ عندما فَضَضْتَ بكارتي، وأزهقت أنوثتي.

بعدَها رَفَضْتَنِي وأذللتَني.. وأهَنْتَنِي..

مِن بَعْدِ مَا كُنْتُ الضِّيَاءَ بِنَاظِرِيكَ..

لَقَد وَجَدَ هَذَا الفَارسُ صَوْتاً آخَرَ..

صَوْتاً هُوَ أرقُّ عُذُوبَةً، وَأكْثَرُ في الخيَالِ خُصُوبَةً.

سَيَلْعَبُ مَعَهَا الدَّوْرَ نَفْسَهُ، وَيُعِيدُ اليَومُ أمْسَهُ..

يُرَدِّد لَهَا القِصَصَ نَفسَهَا، وَيُعْطِيهَا مِنَ الثَّنَاءِ حِصَصاً..

حتَّىٰ إذا سَئِمَ مِنْهَا، أطبَقَ في وَجْهِهَا سَمَّاعَةَ الهَاتِفَ وَهُوَ يُرَدِّدُ قائلاً:

تَقُولِينَ الهوَىٰ شيءٌ جَمِـيلٌ   ألَم تَقرئي قَدِيْماً شِعْرَ قَيْـس

❁ فَهل يا أختاهُ بَعْدَ ذَلكَ سَيَبْقَىٰ لهَذَا (المخَادع) مكَانَاً في سَمْعِك، وَحَظّاً مِن مَشَاعرِكِ، وَنَصِيْباً مِن خيَالِك، (أُخَيَّتِي) إنَّ السَّعيدَ مَـن اتَّعَـظَ بِغَـيْرِه، وَالشَّـقِيَّ مَن اتَّعَظَ بِنَفْسِهِ.

أذكرُ مرَّةً أنّني سألتُ أحدَهُم ـ وكانَ جاءني مستفتياً تَائباً مـن الفَاحِشَـةِ ـ: هـل هـذه هي المرَّة الأولىٰ الّتي تتعرَّف فيها علىٰ فتاةٍ ؟ فقالَ لي: لا ، إنَّ هذه الفتاةُ هي الرَّقم (٢٥)..

نساءٌ عصرياتٌ (نثر)

إنَّ الغفْلَةَ تبْعَثُ همّاً.. فالبنتُ ستُصْبحُ أُمّاً.. والدُّش سيَعْرضُ فِلْماً.. لِيزيدَ الأُمَّةَ فهْماً.!

وإليكُم هَذِهِ النَّشْرَةُ.. لِنَعيشَ سَوِيّاً تِلكَ الحَسْرَةَ.. عَن وَاقع بَعْضِ الفتيَاتِ.

فَعبَاءتُهَا كَالفُسْتَان.. فيهَا النَّقْشُ وبالألْوان.. ضَاقَت بالجِسْم الفتَّانِ.. لِتُواكِبَ هَذِهِ الأزْمَان..

كَشَفَت عَن أجْمَل عَيْنَين.. وتَمُدُّ بَيَاضَ الكَفَّين.. كَي تَمْضِي بِالسُّوقِ وَحِيْدَةَ.. دُونَ المَحْرَم تِلْكَ مكِيْدَة.. فَأبُوهَا ضَرَبَ مَواعِيدَهُ.. والأمُّ عَجُوزٌ وَقَعِيْدَةٌ.. وَأخُوهَا يرْقُبُ صَيْدَهُ..

ضَاقَت للجِسْم الفتَّان.. فَمَضَت تَمْشِي بِالأسْواقِ.. تَسْألُ عَن أحْلَى الأذْوَاق.. كَم هَذا؟؟ خَفِّض يَا بَائع الأثمَان.. بِلِسَانٍ مَكْسُور مَائع.. وَمَضَت تَمْشِي في الأسْوَاقِ.

فَرآهَا بَعْضُ الشُّبَّان.. وَقَعُوا في كَيْدِ الشَّيْطَان.. قَالُوا يَا أجْمَلَ إنْسَان.. سَلِي العَاشِقَ والوَلْهَان وتعَالي نَمْضِي بِأمَان.. كَي نَنْسَى كُلَّ الأحْزَان..

لَو كَانَ لَدَيْهَا مَحْرَم.. مَا اسْتَجْرَأ ذَاكَ المُجْرم.. أنْ يَنْظُرَ أو أنْ يُقْدِمَ.

لكنَّ البنْتَ بِغَفْلَتِهَا.. تَزْعُمُ أن تِلكُم رَاحتهَا.. تَمْشِي بِالسُّوقِ بِمُفْرَدِهَا.. يَا حَسْرَةَ تِلْكَ الفتَيَاتِ..

وَأسْمَع عَن بَعْض النكَبَاتِ.. بِنْتٌ في عُمْر الوَرْدَات.. تَبْحَثُ في بَعْضِ القَنَوَاتِ.. عَن فِلْمٍ فيهِ النَّكَسَات.. لِتَعيشَ حَيَاةَ الحَسَرَاتِ.. وَتُدَمِّر أغْلَى الغَايَاتِ..

فَتصيح بِكُلِّ سَخَافَة.. وَتَقُولُ بِدُونِ مَخَافَة.. هَذا ظُلْمٌ للنِّسْوان.. أنْ تَمْشِي مِثْلَ الغِرْبَان.. وبِلا فِتَنٍ أو ألْوَان.. أينَ مَقَالاتِ الحُرِّيَّةِ؟ أولَستُ فَتَاة عَرَبِيَّة؟ عَاشَت في التَّاريخ أبِيَّة.. هَيَّا أعْطُوني الحُرِّيَّة..

قُولِي لي مَا مَعْنَىٰ الحُرِّيَة؟ دُونَ حَيَاءٍ أو عَصَبِيَّة.. حَتَّىٰ لَو كَانَت هَمَجِيَّة.. لَن تُفْسِدَ لِلودِّ قَضِيَّة!

فالحريةُ للفتَيَات.. في تَقْلِيدِ الغَرْبِيَّاتِ.. في تَقْلِيدِ يَهُودِيَّات.. بِاللُّبْسِ الضَّيِّقِ مَرَّة.. بِالجِسْمِ العَارِي كَرَّة.. بِالشَّعْرِ المَنْفُوش كَرَّة.. تَركُضُ مَرَّة.. تَرْقُصُ مَرَّة.. تُخْطَفُ مَرَّة.. تَبكِي تَبكِي ألفي مَرَّة. يَا حَسْرَةَ تِلْكَ الفَتَيَات.

والحريةُ في الأَعْمَال.. أنْ تَعْمَلَ عَمَلَ الأبْطَال.. وتَصِيْرَ مُدِيْرَةَ أعْمَال.. مَعَهَا البِيْجَر وَالجوَّال.. أولَسْنَ شَقَائِق لِرجَال؟ يَا خَيْبَةَ تِلْكَ الفتَيَات.

وَالحُرِّيَّةُ دُون شَطَارَة.. أنْ تَركَب أفْخَم سَيَّارَة.. وتَقُودَ بكلِّ مَهَارَة.. تَتَمَكْيَج عِنْدَ إشَارَة.. وَتُسَلِّم عِنْدَ المَارَّة.. تَدْخُل حَارَة.. تَسْأل تَارَة.. تَضْحَك تَارَة.. هَذِهِ بِالفِعْل حَضَارَة. (حَقَارَة).. يَا حَسْرَةُ تِلْكَ الفتَيَات.

والحُرِّيَّةُ يَا أحْبَاب.. أنْ تَخْتَارَ لَهَا أصْحَاب.. بِعَلاقَاتٍ جِدّ شَرِيفَة.. أو قُبُلاتٍ شِبْه عَفِيفَة.. يَا ضَيْعَة تِلْكَ الفتَيَات..

والحُرِّيَّةُ في الأوقَاتِ.. فَبِلا ذِكْرٍ أو صَلَوات.. قَد ضَاعَت كُلُّ الطَّاعَات.. إلاَّ أفْلام القَنَوَات.. تَحضُر بِخُشُوع وَثَبَات.. ضَاعَت فِيهِنَّ القُرُبَات.. يَا غَفْلَة تِلْكَ الفتَيَات.

والحُرِّيَّةُ وَالأَنبَاءُ.. مَاذا يَنْزِلُ مِن أزْيَاء؟

مِن فُسْتَانٍ دُونَ غِطَاء.. أو مِن ثَوبٍ دُونَ كِسَاء.. أو لُبْسٍ مِن دُون رِدَاء..

فاللُّبسُ بِدُون مَلابِس.. واللُّبْسُ لهَا لا شَيء.. وَالسِّتْرُ لَهَا لا شَيء. وَالعَقْلُ لهَا لا شَيء. حُرِّيَّةُ بَعْضِ الفَتَيَات!

يا بِنْتَ الإسلامِ أجِيْبِي.. وتَعَالي للحَقّ أنِيْبِي.. عُـودي للرَّحْمَـن وَتُوبِـي.. كـي تُوْضَع عَنْكِ الزَّلات..

هَذا عَن بَعْضِ الفَتَياتِ.. للهِ الحمدُ قَليلات.. لكـن البَعْـضَ يَزيـدُ.. وَالشَّيطانُ لَهُنَّ يكِيْدُ.. فَأعُوذُ بِرَبِّ الأكْوَان.. مِن كَيْدِ كَفُورٍ فَتَّان.. أو مِن هَمَزَاتِ الشَّيطانِ..

والحقُّ لا بُدَّ الآنَ أن يُقَال.. عَن فَتَياتٍ بِالإيمانِ.. يَخْشَيْنَ اللهَ المنَّـان.. نِعْمَـت واللهِ تِلكَ الفَتَيَات..

تَتْبَعُ فيهنَّ الصَّحْوَة.. وَلَهُنَّ خَديجَةُ قُدْوَة.. هَذِهِ وَاللهِ الأُسْوَة..

قَد غَطَّـت كُـلَّ مَفَاتِنِـهَا.. مـن رأسِـهَا حَتَّـىٰ قَدَمَيْـهَا.. لا تُبْصِـر حَتَّـىٰ كَفَّيْـهَا.. بِعَبَاءتِهَا في حِشْمَتِهَا.. فَازْدَادَت شَرَفاً قِيمَتُهَا.. بُورِكَ فِي تِلْكَ الفَتَيَاتِ.

كَالدُّرَّةِ في الصَّدَفِ مَصُونَة.. جَوْهَرَةٌ حَقّاً مكْنُونَة..لا يُبْصِرُهَا غَيرُ المَحْـرَم.. أو زوجٌ بِالحِفْظِ سَيَنْعَم.. مَا أرْوَع تِلْكَ الفَتَيَات.

أنَّىٰ كَانَت فَهِيَ جَمِيْلَة.. فَالعَيْنَان تكُونُ كَحِيْلَـة.. في دَمَعَـاتٍ غَـيْر عَلِيْلَـة.. إنْ قَامَت في اللَّيلِ جَلِيْلَة.. قَد صَلَّت بَعْضَ الرَّكَعَات..

والثَّغْرُ لَهَا فَتَّان.. إنْ ذكَرَت فِيْهِ الرَّحْمَن.. مَـا أجْمَلَـهُ يَـا إخْـوَان.. إنْ تَتْلُـو فيـهِ القُرْآن.. في صَوْتٍ عَذْبٍ رَنَّان..

يا رَبَّاهُ إليكَ مَتَاب.. أنتَ المُعْطِي وَالوَهَّاب.. فَاغْفِر للعَبْدِ المُرْتَاب.. وَتَقَبَّل يَا رَبّ مَتَاب. أنْتَ الوَاحِدُ وَالتَّواب.. وَاسْتُرْ يَا رَحْمن عَلَيْنَا. وَقِنَا دَوْماً مَن يبغِيْنَـا.. إنْ بِالشَّرِّ أتَىٰ يَرْمِينَا.. والسَّلام.

أجملُ النِّساء

(حوارٌ بينَ الفَتَى ونَفْسِهِ)

ذاتَ يَوم .. حَدَّثتني نَفْسِي الأمارةُ بالسوءِ، وقَالَت لي: يَا فَتَىٰ مَتَىٰ تَـزْدَادُ المـرأةُ جَمَالاً في عَيْنَيْكَ؟.

قلتُ لِنَفْسِي: ولِمَاذا هَذَا السُّؤالُ اللَّعينُ الخبيثُ؟.

قَالت: إنْ صَدَقْتُكَ تَصْدُقُنِي؟.

قلتُ لِنَفْسِي: أَفْعَلُ إنْ شَاءَ اللهُ..

قَالت: إنَّ مُعَلِّمَنَا الأكبر (إبليسَ اللَّعـينَ) يعكـفُ علىٰ دِراسَـةِ وإحصَـاءِ أكْثَرِ الأسْبَابِ الَّتي تَجْعَل المرأةَ تَزْدَادُ جَمَالاً في أعْيُنِ الرِّجَال!.

قُلتُ لها: ولِمَاذَا هَذِهِ الدِّرَاسَةُ؟.

قَالَت: هُو يُريدُ عَمَل مَوسُوعةٍ مَنْهجِيَّةٍ يَتِمُّ تَوزيعُهَا علىٰ شَيَاطِينِ الإنسِ والجنِّ، فَمُعَلِّمُنا الأكبَرُ (إبليسُ اللعينُ) يريدُ أن يَنْقُـلَ أسـلوبَ عَمَلِنَـا إلىٰ أسَـاليبَ عَمَلِيَّـةٍ مَدْرُوسَة ودَقِيقَة بحيثُ لا تخطئُ سهامُهُ أبداً.. يريدُ أن يُطوِّرَ السلاحَ الذي يستخدمهُ ضدَّ الصِّنْفينِ معاً (الرِّجال والنِّساء).

والآن أخبِرني أيُّها الفتىٰ مَتَىٰ تَزْدَادُ المَرْأةُ جَمَالاً في عَيْنَيكَ؟.

قُلْتُ لَهَا: وَهَل لَدَيكُم طرقٌ وأشكالٌ تجعَلُ المرأةَ أكثَرَ جَمَالاً في أعْيُنِ الرِّجال؟.

قَالت: نَعم. يُوجَد الكثيرُ مِن الطُّرق والأشكَالِ، حَيْـثُ إنَّ كـلَّ رَجُـل يَمِيـلُ إلىٰ

طريقةٍ أو شكْلٍ معيَّن يجذبهُ ويوقعهُ في مَعْصِيَةِ اللهِ تعَالىٰ.. بحيثُ لا يبقىٰ لعقلهِ عملٌ ينتفعُ بهِ، بعد ثورانِ الشَّهوة..

قُلتُ لِنَفْسِي: يا نفسي الأمَّارَةُ بالسُّوءِ مَا رأيكِ أنْ تَذْكُري لي هَذهِ الطُّرُقَ والأشكَالَ وَأنَا أختَارُ مِنْهَا شكلاً مناسِباً؟.

قَالَت نَفْسِي: لا بَأس.. فَهَل تُعْجِبُكَ المَرْأةُ البيضاءُ أم السَّمراءُ؟.

قلتُ: لا هَذهِ ولا تِلكَ!.

قَالَت: هَل تُعْجِبُكَ المَرْأةُ ذات الشَّعر الطَّويل أم القَصِير؟.

قُلْتُ لها: لا هَذِهِ ولا تِلْكَ!.

قَالَت: هَل تُعْجِبُكَ المَرْأةُ النَّحيلةُ أم البَدينَةُ؟.

قُلْتُ: لا هَذِهِ ولا تِلْكَ!.

فَقَالَت لي نَفْسِي: هَذِهِ أشهرُ الأشكَال.

والآن لِنَنْتَقِل إلىٰ الطُّرُق والأفعالِ الَّتي تصنَعُها بعضُ النِّساءِ في الطُّرقاتِ أمام كثيرٍ من الرِّجال.. فَهَل تُعجبُكَ المرأةُ السَّافِرَةُ وقد كشفت عن شَعْرهَا وَنَحْرِهَا؟.

قُلْتُ: لا.. لا تُعجبني..

قَالَت لي: هل تُعْجبكَ المرأةُ الَّتي تَلْبِسُ البِنْطَال الضَّيق أم الثَّوب القَصير؟.

قلتُ لهَا: لا هَذِهِ، وَلا تِلْك..

قَالَت: هل تُعْجِبُكَ المَرْأةُ الَّتي تُبْدِي كَتِفَيْهَا وَفخِذيهَا؟.

قُلْتُ: لا.. لا.. لا تُعْجِبُنِي!.

قَالَت: هل تُعْجِبُكَ المَرْأةُ المُتكَسِّرةُ بِمشْيَتِهَا الضَّاربةُ بِرجْلِهَا الخَاضِعَةُ بِصَوتِهَا؟.

قُلْتُ: لا.. لا تُعْجِبُنِي..

فَقَالت لي: يا فَتَىٰ! لم يُعْجِبكَ شَيءٌ مِمَّا ذكَرْت!! وَلَم يَعُد لَديَّ شَيءٌ أذكُرَهُ!

قُلْتَ لَهَا: مَعْقُولٌ هَذا !! تَأمَّلي !! تَذكَّري أشكالاً أخرىٰ للنِّساءِ!!.. فَصمَتَت..

ثمَّ ابتَسمَت ابْتِسَامَةً صفْرَاء وَقَالَت: يَا شَقِي!!.

قُلتُ: مَاذا ! هَل تَذكَّرتِ شيئاً آخر؟!.

فَقَالت لي: هَل تُعْجبُكَ المَرأةُ بِمَلابِس البَحْرِ، وقد أظهرت كلَّ مَفَاتِنِها؟!.

قُلْتُ: لا.. لا.. لا تُعْجِبُني..

فَأبتَسَمَت (نَفْسِي) ابتِسَامَةً خبيثةً وقَالَت: يَا لَئِيم!!.

قُلْتُ: مَاذَا؟.

قَالَت: إذن تُعْجِبُكَ المرأةُ عندما تُغْلِقُ الأبوابَ وَتَقُول هَيْتَ لكَ؟!.

قلتُ لَهَا: قَبَّحَكِ اللهُ يَا نَفْس السّوء.. مَا أفْسَدكِ وَأفْسَد خُلُقك!!.

قَالت: وَاللهِ مَا بَقِي عِنْدِي شكْلٌ وَلا طَرِيقَةٌ إلاّ ذكَرْتُها لكَ ! قُل لي بِاللهِ عَلَيْكَ مَتَىٰ تزدادُ المرأةُ جمالاً في عَينيكَ؟.

قُلْتُ: حسناً سَأخبرُكِ الآن.. إنَّ المرأةَ تَزْدادُ جَمالاً في عَيْنِي عِنْدَمَا تَزْدَادُ وَجْنَتَيهَا احمِرَاراً!!.

قَالَت: مَاذا!! احمِراراً لَم أفْهَم!.

قُلْتُ لها: تَزدادُ المرأةُ جمالاً في عَيني عندَمَا يَزْدَادُ رَأسُهَا انخفِاضاً!!.

قَالت: انْخِفَاضاً !! مَا بِكَ يا فَتَىٰ! تكلَّم بِوُضُوح أكثر.. أرْجُوكَ..

قُلْتُ لها: إنَّ المرأةَ تَزْدادُ جَمالاً في عَيْنِي كلَّما ازدَادت حَيَاءً.

قَالت : حَيَاءً!! أتَعبَثُ بِي يَا فَتَىٰ!!.

قُلْتُ: لا وَاللهِ.. إنَّني وكَثيرٌ من الرِّجالِ لا تُعْجِبُنَا طُرُقكِ وَأشكَالك الَّتي ذكَرْتِ.. فَهَذِهِ الطُّرقُ والأساليبُ التَّافِهةُ أشبَه ما تكُون بالأصبَاغ الَّتي تَضَعُهَا المَرأة علىٰ وَجْهِها وَالَّتي تَزُول مَع أوَّل وضُوء للصَّلاة!!.

إنَّ الحياءَ في المرْأةِ هُو الَّذِي يَشُدُّني ويَشُد الكثيرينَ مِنَ الرِّجال الأسوياءِ.. لا الأشقياء..

ولتعلمي أنَّ انجذابَ الرَّجلِ للمَرْأةِ تحكُمُهُ عَلاقَةٌ طرديَّةٌ بحيائِها.. فكلَّما زاد حياءُ المرأة زَادَ انجِذَابُ الرَّجُل وَإعجابُهُ بِهَا..

أفَهِمْتِ يَا نَفْسِي الآنَ أي أنواع النِّساء أجْمَل وأفضل؟؟.

يا ٱبنَتِي إنْ أرَدْتِ آيَةَ حُسْنٍ ... وجمَالاً يُزَيِّنُ جِسْماً وَعَقْلا
فَٱنبذِي عادَةَ التَّبَرُّجِ نبذاً ... فجَمالُ النُّفُوسِ أسْمَا وأعْلَىٰ
صِبْغَةُ اللهِ صِبْغَةٌ تُبْهِرُ النَّفْـ ... ـسَ تَعَالىٰ الإلٰهُ عَزَّ وَجَلَّا
ثمَّ كُوني كَالشَّمْسِ تَسْطَعُ للنَّا ... سِ سَواءٌ مَن عَزَّ منهُم وذَلاَّ
زينةُ الوَجْهِ أن تَرىٰ العينُ فيهِ ... شَرَفاً يَسْحَرُ العيونَ ونُبْلا
وَٱجْعَلِي شيمةَ الحياءِ خِماراً ... فَهُو بِالغَادَةِ الكريمةِ أولىٰ
ليسَ للبِنْتِ في السَّعَادةِ حَظٌّ ... إنْ تَنَاءىٰ الحَيَاءُ عنْهَا ووَلَّىٰ
وَٱلبَسِي مِن عَفَافِ نفسِكِ ثَوباً ... كُلُّ ثوبٍ سِواهُ يَفْنَىٰ وَيَبْلَىٰ
وإذا مَا رَأيْتِ بُؤْساً فجُودي ... بِدُمُوعِ الإحْسَانِ يَهْطُلْنَ هَطْلا
فَدُمُوعُ الإحسانِ أنْضَرُ في الخَدِّ ... وأبْهَىٰ مِن اللآلي وَأغْلَىٰ
وَٱنظري في الضَّميرِ إن شِئْتِ مِرآ ... ةً ففيهِ تَبْدُو النُّفُوسُ وَتجلَىٰ

الفرق بين النساء في الغرب والشرق

قَد لا تَعْرفُ المرأةُ في بَـاريس أو لنـدن أو نيويـورك أو مُوسكُو حقيقَـةَ الإكـرامِ الَّذي تَنَالُهُ المَرْأةُ المسلمةُ في الشَّرق، لأنَّها بَعيدةٌ عَنْهَا فإذَا مَا نَقلت وَسَائِلُ الإعـلام بعضَ الأخبارِ عنهَا فإنَّها تنقلُ صُورَةً مُشَوَّهَةً لا تُمثِّلُ الحقيقَةَ.

لكنَّ المرأةَ الغربيـةَ إذا سَافَرت إلىٰ الشَّرق المسلمِ وَاقتَرَبت مِـنَ المـرأةِ فيـه أدركَت الحَقِيْقَةَ الغَائِبَةَ عَنْهَا وَلَمَست بِنَفْسِهَا السَّـعادَةَ الَّتي تَعِيْـشُ فيـهَا المُسْـلمةُ، السَّعَادَةُ المَحْرُومةُ منها في المُجتَمع الغَربيِّ.

وهَذا ما حَدَثَ للمحَامِيةِ الفَرنْسِيَّةِ كريستين الَّتي يَروي لنَـا قِصَّتـهَا وَيَنْقُـل لنَـا حكَايَتهَا، يَاسِر عبد رَبِّه في مجلة «ياسمين» هَل تَرْغبـينَ عَزيزتـي حـواء في قِـرَاءةِ هَذه القِصَّة الحَقيقيةِ المُشَوِّقَةِ حَقَّاً؟.

عبْرَ قَرنَين منَ الزَّمن خَاضَت المرأةُ الفرنسيةُ معركةً ضَاريَةً مَع الرَّجُـل وَالدَّولَـةِ والقَوَانين.

فَقَـد وَجَـدَت أنَّ الرَّجُـلَ يَحْتَـلُّ المَراكِـزَ الحكُوميَّـةَ فَطَـالَبت بِمُسَـاوَاتِها مَعَـهُ ثُـمَّ وَجَـدَت أنَّ الرَّجُـلَ يعمـلُ ويكسَـبُ في جَمِيْـع الحُقُـول التُجاريَّـة وَالاقتِصَادِيَّـة والسِّيَاسيةِ فَرفَعت صوتَهَا وكافَحت ونَاضَلت مُطَالِبَةً بِالمُسَاواةِ.

ثمَّ وَجَدَت أنَّ الرَّجُلَ استَعْمَلَ الطَّائرَةَ والسَّيارَةَ فَصرَخَت في وَجْهِهِ قَائِلَةً:

ولِمَاذَا لا أقُودُ أنَا السَّيَّارةَ والطائرةَ؟؟.

الحكُومَاتُ الفَرَنْسِيَّة أعْطَت للمَرْأةِ الفَرَنْسِيَّةِ بِالتَّدريج كُلَّ مَا طَالَبت بِهِ. وَالمَرْأةُ اليومَ تَعيشُ بِفَرَنْسَا في ظلِّ قَوانين تُساويهَا تماماً بالرَّجُل، حَيثُ لَم تَعُـد وَظيفـةٌ مَـا

حكراً علىٰ الرَّجُل وحدَهُ، بَل أصبحَت المرأةُ تطالبُ بالمَنْصِبِ نَفْسِهِ وقَـد حَصَلَـت عليه بالفعل.

فَالمرءُ يجدُ أنَّ المرأةَ الفرنسيَّةَ أصبحَت وزيرةً وَنَائِبَةً في البرلمـانِ وَضابِطَـةً في الشـرطةِ وقَاضيـةً في المحـاكِمِ وَسَـائِقَةً للسـيارات العامَّـة، وفلاَّحـةً في المَزْرَعَـةِ، وَشرطيةً تُوقِفُ المُخَالفينَ مِنَ الرِّجَالِ أو النِّسَاءِ وتكْتُـب بِحَقِّهِم مخالفـةً ماليـةً و.. فَهَل حَقَّقَت المرأةُ الفرنسيةُ سَعَادَتَها؟.

(كريستين) فتاةٌ فرنسيةٌ جميلةٌ وُلِدَت في باريسَ مِن أبٍ باريسي وَ أم مِن مَدينَـةِ «مرسيليا» ولأنَّها البنتُ البكْرُ فَقَد اعتنَىٰ بهَا الأَهْلُ حتَّىٰ أخَذت حَظَّهَا مِـن الثَّقافـةِ ونالت شَهَادَتَهَا الجامعيةَ في كُلِّيةِ الحقوقِ بنجاحٍ وكَان عَلَيْـهَا أن تَعْمَـلَ في مكْتَـبِ أحَدِ المُحَامينَ وَتُرَافع حتَّىٰ يَحِقَّ لهَا أنْ تَعْمَل وَحْدَهَا في مكْتَب خَاصٍّ بِهَا.. تقـولُ كريستين: في الصباحِ أستيقظُ في السَّادسَةِ صباحاً حيثُ يبتدئُ عملـي في التَّاسِـعَةِ فَآخذُ حَمَّامي وَأشرَبُ قَهوتي علىٰ عَجَلٍ ثمَّ أهَرْوِلُ مِنَ المَنْزِلِ حتَّـىٰ مَحَطَّـةِ القطـار الذي يَنْقُلُني عبرَ الستِّ وَعشرينَ مَحَطَّةً إلىٰ مركز عَمَلِي.

وَالرِّحلَةُ تسـتغرقُ أكْـثَرَ مِـن سَـاعَةٍ، وحـينَ أصـلُ إلىٰ المكْتَـبِ يكـونُ أسْـتَاذِي (تَقْصِدُ المُحَامي الَّذي تَعْمَل عِنْدَهُ) لَم يَصِل بَعْدُ فَأقرأ الصحـفَ، وَأتَسَـلَّىٰ بِسَـمَاع أخبَار المُترفينَ منَ النَّاسِ حتَّىٰ يَحضُرَ الأُستَاذُ الَّـذي يكـونُ كَعَادَتِـهِ مُتَجَـهِّمَ الوَجْـهِ فَيُوَجِّـهُ لي الأوامـر (نَعَـم الأوَامِـــر) فَأتَوَجَّـــهُ إلىٰ هَـــذِهِ المَحكَمَـــةِ أو تِلْـــكَ لأُرَافع في قَضِيَّةٍ لا يَهمُّني مَن سَيَرْبَحُها.. وَاستِطْراداً مَن يَخْسَرُهَا.

وعندَ الظُّهر أتَوَجَّهُ إلىٰ أيِّ مَطعَم شَعبيٍّ فَأزْدَرِدُ بَعْضَ لُقَيْمَـاتٍ دُونَ أيَـة لَـذَّةٍ في الطعامِ، وَأعُود بَعدَها إلىٰ المكتبِ لأدرسَ بعضَ القضايَا الَّتي يكَلِّفُني بهَا الأستاذُ..

و في المساءِ أعودُ لأركبَ القطار في رحلَةِ السِّتَّ وَعشرينَ مَحَطَّة وَأتحمَّلُ هذا السّكيرَ الَّذي يَدْعُوني للعَشَاءِ أو ذَاكَ الَّذي يَطْرَحُ عليَّ أسئلةً غبيةً بقصدِ مُغَازَلَتِي وَلا بُدَّ مِن أن أجِيبَ رَغْمَ مَعْرفَتِي المُسْبَقَةِ بِنوايَاه..

بَعدَها أصلُ إلىٰ البيتِ مُتْعَبَةً فَأشَاهِدُ برامِجَ التّلفزيون دُون أنْ يَشُدَّني أيُّ مَوضُوعٍ منهَا ثمَّ أتَنَاوَلُ طعامَ العشاء، ثُمَّ .. آه مِن ثُمَّ .. ثُمَّ أنَامُ.

في الصباحِ يَعُودُ المَشْهَدُ ذَاتُهُ حتَّىٰ تَأتِي عُطلَةُ الأسبوعِ وَهي يَومَانِ فَمَاذَا أصْنَعُ؟؟.

في البَيْتِ شُغلٌ أيضاً وهو شغلٌ شاقٌ.. فَفِي يومِ السَّبت لا بُدَّ مِن شِرَاءِ الأغْرَاض للبيتِ - أي مؤونة الأسبُوع - وتَرتيب بَعْض الأغْرَاض، ويوم الأحد لا بدَّ أنْ أغْسِلَ ثِيَابِي الَّتي اتّسَخت طوالَ الأُسبوع، وَلا بدَّ مِن كنْسِ البَيْتِ وتنظيفه والعَمَل في حَدِيْقَةِ المنزل.. فَهَذِهِ شَجَرَةٌ يجبُ تهذيبُ غصونِهَا.. وَتِلْكَ وَرْدَةٌ تَحْتَاجُ إلىٰ سَمَادٍ خَاصٍ.. وَهَذِهِ غَرْسَةٌ جَديدَةٌ آن وَقْتُ غَرْسِهَا.. ألمٌ وحسرةٌ.. وهذه الحديقةُ الَّتي أعتَنِي بهَا لا أرىٰ فيهَا الشجرةَ حينَ تُثْمِرُ.. وَلا الوردَة حين تشرقُ.. وَلا الزّنبقة حين تَنْبُتُ.. فَالحَيَاةُ تضطرني دَوماً للرَّكْضِ.. وَأتَسَاءل لماذا؟ فَلا أجِدُ جَواباً..

صَحيحٌ أنّني أكسبُ بعضَ المالِ لكن هَل المالُ وحده يُعْطِي السَّعَادَةَ؟.

في السَّنَةِ الماضيةِ تَقُولُ كرستين:

حَصَلتُ علىٰ إجَازةٍ وَعَزَمْتُ علىٰ أنْ أزورَ بُلْدَانَ المشرقِ العَرَبيّ. بَعْضُ الصَّديقاتِ نَصَحْنَنِي بِأنْ لا أقومَ بِهَذِهِ المغامَرَةِ غير المضْمُونَةِ النَّتَائج..! كَيْفَ تَذْهبينَ لبلدانٍ مُتَخَلِّفَةٍ لا تَزَالُ المرأةُ فيها جاريةً عندَ الرَّجُل، وَالرَّجُلُ هُو سَيِّدُ

البَيْتِ وسيِّدُها؟ هكَذا قُلْنَ لي وَاَستطردن:

بَـل وكيـفَ تَذْهبينَ إِلىٰ بلـدانٍ لا تَعْـرفُ المـرأةُ فيـهَا أيَّ حَـقٍّ مِـن حُقُوقِـهَا بَل هِي لا تَرىٰ إلاَّ مِن خِلالِ الرَّجُلِ حَتَّىٰ في عَيْنَيْهَا..

تَقُول كريستين : لكِنَّني كُنْتُ قَد قَرَّرتُ ولأَنَّني قَرَّرتُ فَقَد ذَهَبْتُ.

سَبْعَةُ أَسـابيعَ قَضَيْتُـهَا في زيـارَةِ كُـلٍّ مِـن بَـيروتَ وَدِمَشْـقَ وَعَمَّـانَ وبَغْـدَادَ وَهَاأنَذا أعودُ إلىٰ باريس فَمَاذَا وَجَدْتُ؟.

وَجَـدْتُ رَجُـلاً يذهَـبُ إلىٰ عَمَلِـهِ في الصَّبَـاحِ وَيَتْعَـبُ.. وَيَشْـقَىٰ.. يَعْمَلُ حَتَّىٰ إذا كَانَ المَسَاءُ عَـادَ إلىٰ زَوْجَتِهِ.. عَـادَ وَمَعَـهُ الخُـبْزُ وَمَع الخُـبْزِ حُـبٌّ وَعَطْفٌ وَرعَايَةٌ وحنانٌ وشَوقٌ كبيرٌ لَهَا وَلِصِغَارهَا..

فَالأُنثَىٰ في تِلْكَ البِلادِ غالباً لا عَمَلَ لَهَا إلاَّ تَربيَة جِيْلٍ والعِنَايَـة بِـالرَّجُل الَّـذي تُحِب أو علىٰ الأَقَلِّ بِالرَّجُل الَّذي كَانَ نصيبها وَقَدَرهَا..

في الشَّرق تَنَامُ المرأةُ وتَحْلُمُ وَتُحقِّق مَا تُرِيدُ.. فَالرَّجُلُ قَد وَفَّرَ لَـهَا خُبْزاً وَحُبَّاً وَرَاحَةً وَرَفَاهِيَةً.

وفي بِلادنَا حَيْثُ نَاضَلَت المرأةُ مِن أجلِ المساواةِ فَمَاذَا حَقَّقَت؟.

انظُر إلىٰ المرأةِ في غَرْب أوروُبَّا فَلا تَرَىٰ أمامَكَ إلاَّ سِلْعَةً. فَالرَّجُلُ يَقُولُ لَهَا: انْهَضي لِكَسْبِ خبزكِ فَأنتِ قَـد طلبـتِ المُسَـاوَاةَ وَمَـا دُمْـتُ أعْمَـلُ فَـلا بُـدَّ أن تُشَارِكيْنِي بِالعَمَلِ لِنكْسَبَ خُبْزَنَا مَعاً.

وَمَع الكَدِّ وَالتَّعَب وَالعملِ لكسبِ الخبزِ تَنْسَـىٰ المـرأةُ أنوثَتَـهَا وَيَنْسَـىٰ الرَّجُـلُ شَريكَتَهُ في الحياةِ، وَتَبْقَىٰ الحياةُ بِلا مَعْنَىٰ ولا هَدَف.

المَرْأةُ في الغربِ مُضْطَرَّةٌ للعَمَلِ لِكَسْبِ خُبْزِهَـا حتَّـىٰ في بَيْـتِ أهْلِـهَا أو بَيْـتِ

زوجها.. المرأةُ في الغربِ ربَّمَا كَسَبَت المساواةَ لكنَّهَا خَسِرَت أُنوثَتَهَا وحياتها..

سَيِّدَتي العَرَبيَّة: أجْمَلُ تَحِيَّةٍ وبَعْد: هَل تَرْغَبينَ في المُسَاوَاةِ!.

المرأةُ في بِلادِكُم مَلِكَةٌ

كانَت جارتُنا عَجوزاً يَزيدُ عمرُها على السَّبعين عاماً. وكانَت تستثيرُ الشَّفَقَةَ حين تُشَاهَدُ وهي تَدْخُلُ وتَخْرُجُ وليسَ معها مَن يُساعدُهَا مِن أهْلِهَا وذويهَا.

كَانَت تَبْتَاعُ طعَامَهَا ولبَاسَهَا بِنَفْسِهَا.. وكانَ مَنْزِلُهَا هادئاً ليسَ فيه أحدٌ غيرهَا، ولا يَقْرَعُ بَابَهَا أحدٌ!.

ذاتَ يَومٍ قُمْتُ نَحوهَا بِوَاجبٍ من الواجباتِ الَّتي أوجبَهَا الإسلامُ علينَا نحوَ جيرَانِنَا، فَدُهِشَت أشَدَّ الدَّهْشَةِ لمَا رَأَت، مَع أنَّنِي لَم أصنَع شيئاً ذا بَالٍ، ولكِنَّهَا تَعِيشُ في مُجْتَمَع لَيْسَ فيهِ عَمَلُ خَيْر، وَلا يَعْرِفُ الرَّحْمَةَ والشَّفَقَةَ، وعَلاقَةُ الجَار بِجَارِه لا تَعْدُو في أحْسَن الحالاتِ تحيَّةَ الصَّباح والمساءِ.

جاءت في اليَوم الثَّاني إلى منزلنَا بشيءٍ من الحَلْوى للأطفال، وأحضَرَت معَهَا بطاقةً من البطاقاتِ الَّتي يُقَدِّمونَها في المنَاسباتِ وكَتَبَت علىٰ البطاقة عبارات الشُّكر والتَّقْدِير لمَا قَدَّمناه نَحْوَهَا، وشَجَّعْتُهَا علىٰ زيارةِ زَوجَتِي فكانَت تزورُهَا بينَ الحينِ وَالآخَر، وخِلالَ تِرْدَادِهَا علىٰ بَيْتِنَا عَلِمَتْ أنَّ الرَّجُلَ في بلادِنَا مسؤولٌ عَن بيتِهِ وَأهْلِهِ يَعْمَلُ مِن أجْلِهِم وَيَبْتَاعُ لهمُ الطعامَ وَاللِّبَاسَ، كمَا عَلِمَت مَدىٰ احترَام المُسْلمينَ للمرأةِ سواء كانَت بنتاً أو زوجةً أو أمّاً، وبشكلٍ أخصَّ عندمَا يَتَقَدَّمُ سِنُّهَا حيثُ يتسابقُ ويتنافَسُ أولادُهَا وأبناءُ أولادِهَا في خِدْمَتِهَا وَتَقْدِيرِهَا.. وَمَن أعْرَضَ عَن خِدْمَةِ وَالِدَيهِ وتَقْدِيم العَوْنِ لَهُمَا كانَ مَنْبُوذاً عندَ النَّاسِ.

كانَت المرأةُ المسنَّةُ تُلاحظُ عن كَثَبٍ تَمَاسُكَ العائِلَـةِ المُسْلِمَةِ وكَيْـفَ يُعَـامِلُ الوَالِدُ أبناءهُ، وكيْفَ يَلْتَفُّونَ حَولَهُ إذا دَخَلَ البَيْتَ، وكَيْـفَ تَتَفَـانَى المَـرْأةُ في خدمَـةِ زَوْجِهَا.. وكَانَت المسكينَةُ تُقَارنُ مَا هي عَليهِ وما نَحْنُ عليهِ.

كانَت تَذْكُرُ أنَّ لها أولاداً وأحفاداً لا تَعْرِفُ أينَ هُم، وَلا يَزُورُهَا مِنْهُم أحـدٌ، قَـد تَمُوتُ وَتُدْفَنُ أو تُحْرَقُ وهُم لا يَعْلَمُونَ، ولا قِيْمَةَ لِهَذا الأَمْرِ عِنْدَهُم، أمَّا مَنْزِلُهَا فَـهُوَ حَصِيلَةُ عَمَلِهَا وكَدِّهَا طَوال عُمُرِهَا.

وكانَت تَذْكُرُ لِزَوْجَتِي الصعوباتِ الَّتي تُوَاجِهُ المرأةَ الغَرْبِيَّةَ في العَمَـل، وَابتِيَـاع حَاجِيَّاتِ المَنْزِل، ثمَّ أنهَت حَدِيْثَهَا قَائلَـةً: إنَّ المـرأةَ في بِلادِكُـم (ملكـةٌ) ولَـولا أنَّ الوقتَ مُتَأخِّرٌ جداً لَتَزَوَّجتُ رجلاً مِثْلَ زَوْجِكِ ولَعِشْتُ كَمَا تَعِيشُونَ!.

ومثلُ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ يُدْرِكُهَا كُلُّ مَن يَدْرسُ أو يَعْمَلُ في دِيَارِ الغَـرْبِ، ومَـع ذَلِـكَ فَلا يَزَالُ في بلادِنَا مَن لا يَخْجَل مِن تَقْلِيدِ الغَرْبِيِّينَ في كُلِّ أُمُورِ حَيَاتِهِ، وَلا تَزَالُ في بلـدانِ العَـالَم الإسْلامِي صُحُـفٌ وَمَجَـلاَّت تَتَحَـدَّث بإعْجَـابٍ عَـن لِبَـاسِ المَـرْأةِ الغَربِيَّةِ، وَالأزْيَاءِ الغَربيَّةِ وَالحُرِيَّةِ الَّتي تَعِيشُ في ظِلِّها الغَرْبِيَّةُ!.

اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أنْ أنْعمت علَينَا بِنِعْمَةِ الإسْلام.

قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَـيَّ إِسْـلامَكُمْ بَـلِ اللهُ يَمُـنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيْمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. [الحجرات: ١٧].

* * *

ما لنا وللغرب

يا ابْنَتِي مَا لَنَا وَللغَرْبِ.. يا ابْنَتِي لا تَسْمَعِي للنَّاعقينَ، الَّذينَ يَغْمِزُونَ ويلمزونَ، فما زالوا بِأختك في أماكِنَ أخرىٰ حتىٰ نَزَعُوا عنها حِجَابَها، فَهَل رَضُوا بِهَذا؟.

لا، لقد نَزَلُوا إلىٰ ثَوْبِهَا، حتىٰ قَصَّرت مِن هُنا أصبعاً ومن هنَاك أصبعاً، إلىٰ أن ألقوا بِهَا علىٰ شَاطئ البحرِ عَارية تماماً من كلِّ شيء، إلاَّ الشيء الَّذي يَقْبُحُ مَرآهُ، وَيَجْمُلُ سترُهُ، ثمَّ تركُوهَا تَمْشِي في الشَّارعِ، كَاسِيةً عَارِيَةً، مَائِلَةً مميلةً، لا يُكَلِّفُ أحدُهم نيلَ إحداهنَّ (مِن هَذا الكائِنِ المُشَوَّه) إلاَّ أن يشيرَ بِيَدِهِ، فَتَتَرَامىٰ عَلَيْهِ، لا يَحْجُزُهَا دِيْنٌ، ولا يَمْنَعُهَا عُرْفٌ، ولا يُمْسِكُهَا حَيَاءٌ، قَد هَانَت حتَّىٰ صارَ عِرْضُها يُبْذَلُ في ملء بَطْنِهَا وَسترِ جَسَدِهَا، ويلٌ لهَا مِنَ النَّار.. ويلٌ لهَا مِنَ النَّار..

أين هيَ مِن حديثِ النبيِّ ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا بَعْدُ: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، ونِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيْلاتٌ مَائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الجنَّةَ، ولا يَجِدْنَ رِيْحَهَا، وإنَّ رِيْحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيْرَةِ كَذا وكَذا». [رواه مسلم].

لكنَّ القومَ خَدَعُوهَا.. قَالوا لها: هَذِهِ هِيَ الحضارَةُ والمدنِيَّةُ، فَصَدَّقَتْهُم.. كَذَبُوا واللهِ، أيكونُ الطُّهرُ عَيْباً، والعَفَافُ عاراً، والخَيْرُ شراً، والنُّورُ ظَلاماً؟ مَا لَنَا وَللغَرْبِ، لِيَذْهَب الغَرْبُ بِنِسَائِهِ إلىٰ الجَحِيْم، أمَا كَفَانَا تفكيراً برؤوسِ غَيْرِنا، أمَا كَفَانَا نَظَراً بِعُيونِ عَدُوِّنا، أما كَفَانَا تَقْلِيْداً كَتَقْلِيدِ القِرَدَةِ.. ليصنَعَ بنَاتُ الغَربِ مَا شِئْنَ وشَاءَ لهنَّ رجالُهم، فَمَا لَنَا ولَهُم، وتكوني أنت ـ يا ابنَتي ـ كمَا نُريدُ نَحْنُ ويريدُ لكِ اللهُ تَعالىٰ.

فَلَيْسَ في الدُّنيا أكْرَم منكِ وأطْهَر، ما تَمَسَّكْتِ بِدِيْنِك، وحَافَظْتِ علىٰ حِجَابِك، وتَخَلَّقْتِ بِأَخْلاقِك الحسَنَة..

فَمِن نِساءِ الغَرْبِ مَن تُحَارِشُ الرِّجالَ صِناعَاتهم الثَّقيلة، إنَّها ممتَهَنَة في عُقْرِ دَارهَا، تَرْبَحُ المالَ مَن لديْها جمالٌ، فإنْ ذَهَبَ جمالُهَا رَمَوهَا كما تُرْمَىٰ ليمُونَة امتصَّ ماؤُها. وللأسفِ قَلَّدْنَاهُم، تركْنَا الحَسَنَ، وأخذْنَا القَبيحَ، مِن تَمْثِيلٍ، وَغِنَاءٍ، وَفَنٍّ، وَرَقْصٍ، كأنَّنا مَا خُلِقْنَا إلاَّ للغِنَاءِ والطَّربِ وَالفَنِّ والرَّقْصِ.

وأخيراً: أهمس إليك ـ يا ابنتي ـ بكَلِمَةٍ لا بُدَّ مِنْهَا بعدَ أن خَبرتِ الذِّئْبَ وَفِعَالَه، أقُولُ لكِ: أنتِ الآنَ صَبِيَّةٌ جميلةٌ، وأنتِ إلىٰ الخَامِسَةِ والعشرينَ تُطْلَبِيْنَ وبعدَ ذلكَ تُطْلَبِيْنَ فَإنْ طَرَقَ داركُم مَن تَرْضَيْنَ دينَهُ وَخُلُقَهُ، فَلا تَتَرَدَّدِي في قَبُولِهِ.. ولا تَمتَنِعِي ولا تُسَوِّفي، فَإنَّ الجمالَ وَالصِّبا لا يَدُومان، فإمَّا المرضُ، وإمَّا القبرُ، نَعَم القبرُ الَّذي لابدَّ لكلِّ حَيٍّ منهُ، القبرُ يَا ابْنَتِي الَّذي يَفِدُ إليهِ كُلّ يوم وُفُودُ البَشَرِ مَحْمُولِينَ علىٰ أيدِي آبَائِهم وأمَّهَاتِهِم وأحْبَابِهِم، لِيُقَدِّمُوهُم بِأَنْفُسِهِم هَدَايا ثمينةً إلىٰ الدُّودِ، ثُمَّ يُخَلُّونَ بينَهُم وبينَهُ يأكلُ لحومَهُم وَيَمْتَصُّ دماءهُم، وَيَتَّخِذُ مِن أحداقِ عُيُونِهم ومَبَاسِمِ ثُغُورِهِم مَرَاتِع يَرْتَعُ فيهَا كمَا يَشَاءُ بِلا رُقْبَىٰ ولا حَذَر، وعندها لا يَمْلِكُ مالِكٌ عَن نَفْسِهِ دَفْعاً، ولا يَعْرِفُ إلىٰ النَّجاة سبيلاً، نَعَم يَا ابْنَتِي.

هو الموتُ ما مِنْهُ مَلاذٌ وَمَهْرَب ... إذا حطَّ ذا عَن نَعْشِهِ ذَاكَ يَركَبُ
نُؤَمِّلُ آمَالاً وَنَرْجُو نتَاجَهَا ... لَعَلَّ الرَّدىٰ فيمَا نَرْتَجِيهِ أقْرَبُ
وَنَبْنِي القُصُورَ المشمخَراتِ في الفَضَا ... وفي عِلْمِنَا أنَّا نَمُوتُ وَتَخْرَبُ

* * *

احذري يا عروسة العنوسة

يعلم اللهُ عزَّ وَجَلَّ أنَّني إذا رَأيتُ عانساً مِن أقَاربي أو أنسَابي أوسَمِعْتُ بأخبارِ العوَانِسِ تألَّمْتُ وحَزِنْتُ لَهُنَّ ولأوضَاعِهِنَّ ومُسْتقبلهنَّ.

وممَّا زادَ مَعْرفَتي بأخبارِ العوَانِسِ طبيعة عَمَلي كمأذون عُقُودِ الأنكِحَةِ وإمام جَامع مَع إلقاء بَعْضِ المُحَاضرَاتِ هنا وهناك.. فَأجِدُ أسئِلَةً كثيرةً واتِّصالات هاتفية عَن العنوسة.

فقررتُ بعدَ التَّوكُّل علىٰ الله والاستعانَةِ به الكتابةَ عن هذا الموضوعِ الحسَّاسِ، وبعدَ ذلك ألقيتُهُ في بَعْضِ المناطِقِ والمحافظَاتِ والمراكِزِ فَنَالَ إعجَابَ الحَاضرِينَ وشدَّ انْتِبَاهَهُم وطالبني بَعْضُهُم بالاهتِمَام بهذا المَوْضُوع وطرقه دائماً.

فبدأتُ بزيادَةِ البحثِ والاطلاع والسؤالِ عن أسبابِ تأخيرِ زواج الفتياتِ ثُمَّ التفكير في كيفيةِ العِلاج.. ولا زلت حتىٰ الآن أبحث عن الصواب والزيادة طمعاً في الأجرِ ونَفْع المُسْلِمينَ وإبراءً للذِّمَّةِ وتنفيذاً لأمرِ الحبيبِ عليه الصلاة والسلام..

عنوسةُ الفَتَيَاتِ

(أسبابُهَا ـ عِلاجُهَا ـ مَوقفُ الفتَاةِ مِنْهَا ـ أضْرَارُها)

أرىٰ أنَّ السِّنَّ المناسبَ لزواج الفتياتِ يَبْدَأ من السَّابعة عَشر عاماً حَسْب حَالَةِ الفتاة الجسميَّة.

أمَّا إذا بلغتِ الفتاة الثَّانيةَ والعشرينَ عاماً فَقَد يُطلِقُ عَلَيْها بعضُ النَّاس عَانِساً،

إلىٰ أن تبلغَ خَمْساً وعشرينَ سَنَةً، ثُمَّ تجد عامَّةَ النَّاس يطلقونَ عليها عَانِساً. وهـذا التَّقسيم في نظري خاصٌّ بهذا الزَّمان وإلاَّ فلـو رجعنَا إلىٰ القـرون المفضَّلَـةِ لرأينـا العَجَبَ العُجَاب من حِرْصِهم علىٰ تزويج الفَتَيات وهنَّ صغيرات، وأكبر مثال علـىٰ ذلك أنَّ الرسولَ ﷺ خطبَ عائشةَ رضي الله عنها وعمرهَا ستَّ سنواتٍ ودخَـلَ بـها وعمرها تِسْع سنوات.

أيها الإخوةُ والأخوات:

لاشـكَّ أنَّ العنوسـةَ مـرضٌ اجتمـاعيٌّ تُعَـاني منـه بعـضُ البيـوتِ والأُسَـر والمجتمعاتِ ولَهُ أضرارٌ عاجلةٌ وآجلةٌ للعَانِس ولأَهْلِهَا، وله أسبابٌ وعلاجٌ.

فأمَّا عَن أسبابِ العُنُوسَةِ فقد قَسَّمْتُهَا إلىٰ ثَلاثَةِ أقْسَام رَئِيسِيَّةٍ:

(القسمُ الأوَّل)

أسبابُ العنوسَةِ الخاصَّة بِالفَتَاةِ

١- مواصلةُ الدِّراسة: بعـضُ الفتيـات عندَهُـنَّ مفـاهيم خاطئـة عَـن الـزَّواج والدِّراسة، وأنَّ الزواج يعيقُ سَيْرَ الدراسةِ أو يؤخرُهـا، وهـذا بـلا شـكَّ فـهمٌ خـاطئٌ ويحتاج إلىٰ تصحيح، بل العكس هـو الصَّحيـح أي أنَّ الـزواج يُسَاعِدُ علـىٰ الفَـهْم والتَّركيزِ، وقَد سَمِعْتُ وقرأتُ في كُتُبِ التَّربية وعِلْم النَّفْس بأنَّ الكثيرَ مِـنَ الشـبابِ والشَّابات البالغينَ سنَّ الزَّواج يكونُ عندهم شُرُودٌ ذِهْنِي وكـثرة في الأفكـارِ والسَّـرَحَان، ثُمَّ ضَعْفٌ في التَّحصيلِ العلميِّ، فلمَّا تَزَوَّجُوا ذهبت عنهم هذه الأفكارُ وَصَفَت عقولُـهُم وزادَ فهمُهُم وتركيزُهُم في دراستهم حتَّىٰ أصبَحُوا مِنَ المتفوقين والمتفوقَات.

لماذا تَغَيَّرت أحوالُهم من الضَّعف إلىٰ القوَّة؟!.

لأنَّ الفتَىٰ والفتاةَ إذا بلغا سنَّ الزَّواج تحرَّكت فيهم الغَريزَةُ الجِنْسِيَّةُ الَّتي ركَّبهَا الله في الذَّكر والأُنْثَىٰ، فإذا أُشْبِعَت هذه الغريزة بِالحلالِ فإنَّ العقلَ يَرْتَاحُ من التَّفكير فيها، ويبدأ بالتَّفكير في غيرهَا مِنَ الأُمور الدِّراسيَّة والمَصَالح الدِّينيةِ والدُّنيوية النافعة. فأقول لأخَواتي الفتيات يمكن ـ ولله الحمد ـ الجمع بين الدِّراسة والزَّواج، وإذا افتَرَضْنا أنَّه حصلَ التَّعارض بينهما إمَّا الدِّراسةُ وإما الزَّواج فَقَدِّمي الزَّواج علىٰ الدِّراسةِ لأنَّه مطلبٌ شرعيٌّ، وهو أهمُّ مِن مواصلةِ الدِّراسَةِ، وحتَّىٰ لا تُعَرِّضي نفسَكِ للعنُوسَةِ، وكثيراً ما نَسْمَع ونقرأ أنَّ بعضَ الفتياتِ اللاَّتي أصْبَحْنَ ضحيَّةً للعنوسة تصرخُ وترفعُ صوتَها قائلةً: خُذُوا شَهَادَتِي.. خُذُوا وَظيفَتِي وأعطوني طِفْلاً يَمْلأُ عَليَّ الدُّنيا بِضَحِكِهِ وبكَائِهِ.

وأضربُ لكنَّ هذا المثال للحَذَر مِنَ الوقوع في العُنُوسَةِ بسببِ مُواصَلَةِ الدِّراسَةِ وتأخيرِ الزَّواج.. فتاةٌ رفضت الزَّواج بعدَ الثَّانوية العَامَّةِ وكَانَ عُمُرُهَا تِسْعَةَ عَشرَ سنةً، وقالت: لن أتزوجَ إلاَّ بعدَ الكلية ولمَّا تخَرَّجت من الكليةِ كان عمرُها ثلاثاً وعشرين سنة (يعني دخلت في العنوسَةِ) إذا لم تُعِد سنةً أو سنتين، وبعد التَّخَرُّج قالت: لن أتَزَوَّج الآن لأنَّني أريدُ أن أرتَاح مِن عنَاءِ الدِّراسة بِالعَمَل في التَّدريسِ فعملت به سنتين مثلاً.. فأصبحَ عمرُها خمساً وعشرين سنة.. وهي تَشْعُر بذلكَ أو لا تَشْعُر.. والنَّتيجة أنَّ الخاطبين انصرفوا عنها وتوقفوا وخَاصَّةً الشَّباب، فأصبحت عندها مُشكِلَة، هي تُرِيد وَتَتَمَنَّىٰ شاباً لكن الشَّاب لايريد بنتاً أكبرَ منه سناً، هي لا تريدُ رجلاً كبيراً في السِّنِّ، وربما أنها لا تريدُ الَّذي معه زوجة، فتصبحُ تعذِّبُ نَفْسَها وتقتلُ مستقبلَهَا الحقيقي، وتُضَيِّع زَهْرَةَ شَبَابِهَا بدخولها في قطار العنوسة بسبب مواصلة الدراسة.

وربما أنَّ الوالد كان له نصيبٌ من الإثم لأنَّه شجَّعَهَا على مواصلةِ الدراسةِ وتأخيرِ الزَّواج أو أنَّهُ رضيَ بتصرُّفَاتِها، ولم يُقْنِعْهَا بالزَّواج في حِيْنِهِ ثُمَّ مُواصلة الدِّراسَةِ فأنصحُ كلَّ فتاةٍ (محبَّةً فيها وإبراءً للذِّمَّةِ) أنَّه إذا تقدَّمَ لها الزوجُ الكفءُ وشَاوَرَهَا والدُها أن تُوافِقَ عليه وتَشْتَرِطَ مواصلَةَ الدِّراسَةِ ولا تضيع هذه الفُرصة.

٢- المبالغة والتَّشَدُّد في مواصفات الزَّوج:

إنَّ بعض الفتياتِ تَتَشَدَّدُ وتُبَالِغُ في شُرُوطِ الزَّوج ومواصفاتِهِ، فرُبَّما تقدَّم لخطبتها عدَّةُ شبابٍ أو رجالٍ فترفضُ وتعلِّلُ الرَّفْضَ بأنَّ فلاناً طويلٌ.. وهذا قصيرٌ.. وهذا ليس لهُ شَخصيَّة.. وهذا غيرُ جميل.. وهذا غير مُوَظَّف أو وظيفتُهُ لاتناسبني.. أو راتبهُ قليل، وربما أنَّ بعضَ الفتياتِ (هداهنَّ اللهُ) ترفُضُ هذا لأنَّه شابٌ مُلْتَزِم وتقول: لن يُحَقِّق لي رغباتي الشَّخصية من التلفاز أو الدّش، أو الخروج للأسواق والحدائق...إلخ.

وربَّما تقدم لها زَوجٌ كامل المواصفاتِ في نظرهَا، ثُمَّ ترفضُهُ لأنَّ عندَهُ زوجةٌ فهي لاتريدُ المُتَعَدِّد أو أنَّها تريدُ شخصاً معيناً لأنَّها معجبةٌ فيه.. ولا تريدُ غيرَهُ وربَّمَا أنها تُضربُ عن الزَّواج وترفضُ الخاطبين إلاَّ من فلان فقط. وقَد يكونُ فيهِ مَوانعُ شرعية أو يرفضُهُ الوَالِدُ أو الوالدةُ فيحصلُ العِنَادُ مِنَ الفتاةِ وأهلها بعدَ الزَّواج منه.. لكنَّ الفتاةَ العاقلةَ الَّتي تخطِّط للنَّجاح وَالسَّعادة في الدُّنيا والآخرةِ هي الَّتي تبحثُ عن المواصفاتِ الشَّرعيةِ للزَّوج وهي الدِّينُ والأمَانَةُ والخُلُق.. فَإذا وَجدَتْهَا وَقَبِلَت بِهَا فَسَوفَ تُوَفَّق بإذن اللهِ للمواصفَاتِ الصَّحيحَةِ.. فَأنصَحُ الفتاةَ بالأخذِ بوصَايا النَّاصح الأمين الَّذي بَيَّنَ شروطَ الزَّوج ومواصفاته حيثُ قَالَ ﷺ: «إذا أتاكُم من تَرْضَونَ دينَهُ وأمانَتَه فأنكِحُوهُ ..». الحديث صحيح.

فهذه الشروطُ هي الّتي تُحقّقُ السّعادَةَ للفتَاةِ، ولا شَكّ بِهَا، فَأَنْعِم وأَكْرِم بِهَا مِن شُروطٍ ومُواصَفَاتٍ بَيّنَهَا لنا الّذي لايَنْطِقُ عَن الهَوىٰ ﷺ.

٣- أوهام وأفكار ووَسَاوس تُرَاود الفتاة:

مثلُ الخوفِ مِنَ الفَشَل في الزّواج أو التّشَاؤم مِنَ الرّجال، وأنّ فيهم القَسْوَة والشّدّة وعدَم الرّحمة، أو الخوف من عدم القُدْرَة علىٰ إدارة المنزل والقيام بحقّ الزّوج، أو حبّ الاستمتاع بالدُّنيا والركون إلىٰ الرّاحة وتركِ المَسْؤوليات.. إلخ.

ولاشكّ أنّ جميعَ الأشياءِ السّابقة أوهامٌ لا صحّةَ لها، وهي مِن وساوسِ الشّيطانِ الّتي يصيدُ بهَا بعضَ الفتياتِ لكي يُوقِعهنّ في العنوسةِ، ويَحرمُهُنّ مِنَ السّعادَةِ بالزّوج والأولاد، والعاقلةُ الّتي تعرفُ عداوةَ الشّيطان ومداخِلَهُ لا تضربُ لهذه الأوهامِ حِسَاباً، وتعانِدُ الشّيطان في ردّ وساوسِهِ وَأوهَامِهِ وَتحرص عَلىٰ ما يُسْعِدهَا في الدُّنيا والآخِرَة.

٤- إصابةُ الفتاةِ ببعض العَاهَاتِ أو آثار بعضِ الأمراض:

فَقَد تكُونُ بعضُ الفتياتِ مبتلاة مِنَ اللهِ بعاهَةٍ منَ العاهاتِ أو بعيبٍ مِن عيوبِ الخِلْقَةِ، كأن تكون كَفِيفَةً أو عَرْجَاءَ أو تكونَ طويلةً طولاً مفرطاً.. أو قصيرةً قِصَراً مفرطاً.. أو نحيفةً نحافَةً مفرطةً.. أو سمينةً سمناً مفرطاً.. أو فيها بَرَصٌ وخَاصّةً إذا كانَ البرصُ في وجهها أو يديها (وهذه الأمور السابقة) ليس للفتاةِ دَخْلٌ فيها فَهيَ مِن خَلْقِ اللهِ عَزّ وَجَلّ وقَد يكونُ اللهُ ابتلاهَا به تكفيراً لسيئاتِهَا، ورفعاً لدرجاتِهَا، وعلامةً علىٰ أنّ اللهَ يحبها إذا رضِيَت وصَبَرت.. وفي الحديثِ أنّ الرّسُول ﷺ قال: « إنّ عِظَمَ الجزَاءِ مَع عِظَم البَلاءِ، وإنّ اللهَ إذا أحبّ قوماً ابتَلاهُم فَمَن رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، ومَن سَخِطَ فَلَهُ السُّخَطُ ». فبعضُ الخاطبين لا يَرْغَبُ بالزّواج مِنْهَا.. فَهل

تَبْقَىٰ عانِساً بدونِ زوَاج أو مرفوضة عند الأزواج؟!

الجوابُ: أرىٰ أنْ يَتَقَدَّم لها بعضُ الأزواج حتَّىٰ وإن كانت مَعَـهُ زوجـةٌ غيرهَـا أو متوسط السِّنِّ، يـتزوجُ بـهَا طمعـاً في الأجْـرِ مِـنَ الله في إعفَافِهَا وتَطييـبِ خَاطرهَـا وإسعَادِهَا بطفلٍ يَقُومُ بخدمَتِهَا، ويملأ عليها الدنيا.

وعليها أن توافقَ وتَقْبَلَ بالزَّواج منَ الرَّجُلِ وإنْ كانَ الزَّوجُ مِنَ المصـابِ ببعـضِ العاهاتِ إذا كان يمكِنُ العيش معه، لاحرجَ ولا عيبَ علىٰ الفتاةِ المذكورةِ أن يكون بينَهَا وبين اللِّجان في بعضِ الجمعيـاتِ الخيريَّـةِ وقُضَـاة المَحَـاكِم اتِّصَـالٌ هَـاتفي سريّ بشأن البحثِ لهَا عَن زوج يناسبها.

٥- رَفْض بعض الفتيات التَّعدُّد للزوجاتِ:

نرَىٰ ونسمعُ بعض الفتياتِ تَرفُضُ الزَّواج من المعدِّد لزوجَاتِـهِ، حتَّـىٰ وإن كـانَ هَذا المعدد صالحاً أميناً خلوقاً.

أقولُ في البداية قد تكونُ بعضُ الفتياتِ معذورةً في الرَّفض لسَبَبَين:

السبب الأول: أنَّ بعضَ المعددين لزوجاتهم لايعدِلُونَ بينهنَّ، فهم الَّذين شَوَّهُوا سمعةَ التَّعَدُّد، فنسمعُ أنَّ البعض منهم يميل مَع البكْرِ أو الجديدةِ، ويهمِلُ الثَّيِّبَ أو أمَّ الأولاد، لأنَّها كَبُرَت أو كَثُرَ أولادُهَـا، ورُبَّمَـا أنَّ البعـضَ منـهُم يُهْمِلُـهَا وَأولادَهَـا حتىٰ بِدُون نفقةٍ ولارعَايَةٍ ولامبيتٍ، وهذا وأمثالُهُ علىٰ خَطَـرٍ مـن التَّـهديد والوعيـد الذي أخبر به النبي ﷺ بقوله: «مَن كانَ لـه امرأتَـان فَمَـالَ إلىٰ أحدهمـا، جـاءَ يَـومَ القيَامَةِ وشِقُّه مَائِلٌ». أي يأتي يومَ القيامة مفلوجاً، والعياذ باللهِ تعالىٰ.

وهذه فضيحةٌ له يومَ القيامةِ، ثُمَّ يرىٰ سبيلَهُ إمَّا إلىٰ الجنَّةِ وإمَّا إلىٰ النَّار.

فأوصي المُعَدِّدَ لِزَوْجَاتِهِ أن يَتَّقِيَ اللهَ وَيَعْدِلَ بينَهُنَّ في المبيتِ وَالسَّكَنِ والكِسْوَةِ والعِشْرَةِ، وأمَّا محبَّةُ القلبِ فإنَّه لا يُـلامُ عليـها لأنَّـه لايملكـها قـالَ تَعـالىٰ: ﴿وَلَـن تَسْتَطِيعُوا أن تَعْدِلُوا بينَ النِّساءِ وَلَو حَرَصتُم﴾ الآية. يعني: مَحَبَّة القَلْبِ ومَـا يلحـقُ بِهَا.. ولكِن عليهِ أن يَحْذَرَ مِن هَذِهِ المحبَّةِ القَلْبيَّةِ أن تَجْعَلَهُ يَتَّبـعُ هَـوَاه فيميـل مَـع المحبوبَة، وَيَظلم غيرها مِنَ الزَّوجاتِ. ولذلكَ فإنَّ النَّبِيَّ ﷺ لمَّا عَدَلَ بـينَ زَوْجَاتِـهِ في المَبيتِ وَالسَّكَن والكِسْوَةِ والعِشْرَةِ.. قالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ هَذا قسْمِي فيمَا أَمْلِكُ، فلا تَلُمْنِي فيمَا تَمْلِكُ ولا أملكُ».

❁ وهَل للفَتَاةِ مَوقِفٌ مِن هَذا؟

نعم لها موقفٌ قبلَ الزَّواج بأن تُحْسِنَ الاختيار بأن يكونَ الزَّوجُ المعدِّد المُتَقَدِّمُ لها صَالحاً أميناً ذو خُلُـقٍ رفيـعٍ، يخـافُ اللهَ وَيُرَاقِـب اللهَ عَـزَّ وَجَـلَّ قبـلَ أن يُرَاقِـبَ زَوْجَاتِهِ.. ويخاف من عقوبَةِ اللهِ في الظُّلم وعَدَم العَدْل بينهنَّ.

أمَّ إذا ابتُليت بزوج بعد الزواج: لا يعدلُ فعليهَا أنْ تكْثِرَ مِن نصيحَتِـهِ وَتخويفِـهِ مِن اللهِ وتهدي إليهِ الأشْرِطَةَ والكُتَيِّباتِ الَّتي تُسَـاعِدُهُ علـىٰ العَـدْلِ، وتُرسِـلُ لـه مـن أقاربِهَا مَن يُنَاصِحُه بِذَلِكَ، وبالمقابِل عليهَا أن تصبرَ وَتُحْسِنَ عِشْرَتَهُ وَتَتَلَطَّفَ مَعَهُ، وتحسنَ استِقْبَالَهُ وَتَتَجَمَّلَ لَهُ، وتُعامله باللِّين والحِكْمَـةِ، وسـعَةَ الصَّـدر، فـإنَّ هـذهِ المعاملَةَ الحسنَةَ سَوفَ تُغَيِّر زَوْجَهَا وَتَجْذِبُهُ لهَا عَن قريبٍ بإذن اللهِ تعالىٰ.

أمَّا مَن يُظْهِرُونَ تَعَدُّدَ الزَّوجات بأنَّهُ جريمةٌ كُبرىٰ وظُلـمٌ للزوجـةِ الأُولىٰ حتَّـىٰ يُشَوِّهوه عندَ الفتيات والنِّساء، حتَّىٰ أننا سَمِعْنا وقرأنا في بعضِ الصُّحفِ والمجلاتِ مَـن يُحَـاربَ تَعَـدُّدَ الزَّوجَـاتِ، وربَّمَـا ـ والعيـاذُ بـاللهِ ـ سمحُـوا للـزَّوج بالحبيبـةِ وَالصَّديقَةِ والعَشِيْقَةِ.. ولا يسمحوا لـهُ بالزَّواج مِن ثَانِيَةٍ أو ثَالِثَةٍ.. بَل يحاكمونَـهُ إذا

عَدَّدَ زوجاته ـ وهذا في خارج بلادنا الإسلاميَّة ـ.

ولا يُنْكِرُ تَعَدُّدَ الزوجات إلاَّ جاهلٌ أو معاندٌ أو حاقِدٌ علىٰ الإسلام وأهلِه، وحاقِدٌ علىٰ المَرْأَةِ نَفْسِها، وهذا وأمثاله محكومٌ بفسقِهِ، إذا كان يُحَارِبُ التَّعددَ المشروعَ ويعيبُهُ وهو يعلمُ أنَّ اللهَ أباحَهُ لأنَّه ردَّ أمراً أنزلَهُ اللهُ في كتَابِه.. فقَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالىٰ ﴿فَانْكِحُوا ماطَابَ لكُم منَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وثَلاثَ ورُبَاع..﴾ الآية.

وأمَّا الغيرةُ والحزنُ الذي يُصيبُ أكثرَ النِّساء عندمَا يأخُذُ زَوْجُهَا الأُخرىٰ فَهِيَ غَيْرَةٌ عَاطِفِيَّةٌ وطبيعيَّةٌ إذا كانَت في حدودِ المَعْقُولِ، وقَد حَصَلَت هذه الغيرةُ مِن بعض أزْوَاج النبيِّ ﷺ ورضيَ اللهُ عنهُنَّ أجمعين..

فمن فَضْلِ اللهِ عزَّ وَجلَّ وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ أنْ أباحَ للرَّجُل تَعَدُّدَ الزَّوجاتِ المَشْرُوع والمَشْروط بالعَدْلِ، وهو بلا شَكٍّ من أعظَم الأسْبَابِ للقَضَاءِ عَلىٰ العُنُوسَةِ في هَذا الزمان الذي يقلُّ فيه الرجالُ وتكثرُ فيه النساءُ.. فَأوصي الفَتَيَات الحَرِيصات علىٰ مُسْتَقْبَلهنَّ أن تُوَافِقَ الزَّواجَ مِنَ المُتَعَدِّد إذا كانَ صَالحاً وأميناً وخلوقاً.. وإن كانَ نصيبُها منه نِصْف رجل أو ثُلُثه.. فهذا خيرٌ لها من أن تَبْقَىٰ عَانِساً.. أو مِن زوجٍ كامِلٍ لايقومُ بِحقُوقِهَا ولا يُعَاشِرُهَا بالمعروفِ..

(القسمُ الثَّاني)

أسباب العُنُوسة الخاصَّة بالآباء والأولياء

١ـ ما تَقدَّم لنَا الكُفء [إذاً تجلس في البيت حتى يأتيها رزقها].

إنَّ بعضَ الآباءِ (هداهُم اللهُ تعالىٰ) إذا لم يَتَقَدَّم لابنَتِهِ الكفء حتَّىٰ بلغَ سِنُّها فوقَ العشرينَ أو أكثر، إذا نُوقش الوالد قال: « تجلسُ في بيتها حتَّىٰ يأتيها رزقها » .

فَنَقُول لهذَا الوَالِد: إلىٰ متىٰ تجلسُ في بيتها؟!.

وهل كلامُهُ هذا تَبرأُ به ذمته عندَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ! لو كَانَت الفتاةُ تَحْتَ سِنِّ العِشْرينَ لربَّمَا وافَقْنَاه علىٰ هذا الكلام.. ولكن البنتَ دَخَلَت في سنِّ العُنُوسَةِ وَرُبَّمَا العنوسة المتأخرة.. وهو يَتَفَرَّجُ عليهَا مكتوفَ الأيدي.. يُرَدِّدُ هذِهِ الكلمات «تجلسُ في بيتِهَا حتَّىٰ يأتيها رزقها..» أمَا عَلِمَ الوالِدُ أنَّ البحثَ لَهَا عَن زوج هُو من أسبَابِ رزقهَا، وقَاصِمَة الظَّهر أنَّ بعضَ الآباءِ إذا قِيْلَ له اخطُب لابنَتِكَ ابْحَث لها عَن زوجٍ.. فإنَّهُ يَغْضَبُ عليكَ، ويستغربُ سؤالَكَ ويقولُ أنا أخطُبُ لابنَتِي.. أنا أبحثُ لها عَن زوج. هذَا التَّصرف عيب، ماذا يقول النَّاس عَنِّي.. هذا لا يريدُ ابنَتَهُ وهي رَخِيْصَةٌ عنده.. يريدُ فِرَاقَهَا.. يريدُ أن يُهديها للأزواج وغيرها من الكلمات..إلخ.

الجواب: إنَّ الوَلِيَّ أو الوالدَ القارئَ لكتابِ الله والمستمعَ إليهِ المطَّلعَ علىٰ سنَّةِ رسوله ﷺ وهَدْيِ صَحَابَتِهِ الكرام، والذي يَعْرفُ أخبارَهُم يعلَمُ أنَّه ليس عَيْباً أنْ يخطُبَ الوالِدُ لابْنَتِهِ زَوْجاً صَالحاً.. يُصَرِّحُ له بذلك أو يُلَمِّحُ له ويكْفِيْنَا مِن ذَلِكَ ما ذكَرَهُ اللهُ عَن شعيب عَليهِ السَّلامُ في سورة القَصَصِ لَمَّا عَلِمَ أمَانَةَ مُوسَىٰ عليه السَّلام وَخُلُقه، أنكحَهُ إحدىٰ بنَاتِهِ نكاحاً صريحاً.. قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عنهُ: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧].

وهذا عمرُ بنُ الخطاب يعرضُ ابنتَهُ حَفْصَةَ علىٰ أبي بكْرٍ الصِّديق ثُمَّ علىٰ عُثْمَان بنِ عفَّان رضي الله عنهم أجمعين.. فسكتَا .. ثُمَّ تَزَوَّجَهَا الحبيبُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام.. فأقولُ وأنصحُ الآباءَ المحبِّين لبنَاتِهم، والَّذين يبحثونَ عن

سعادتِهم في الدُّنيا والآخِرَةِ، والَّذينَ يريـدونَ بَـرَاءة الذِّمَّـةِ وَهُـم يَعْلَمُـونَ أنَّ بنَاتـهم دَخَلْنَ في العنوسَةِ أن يُسارعوا في البحثِ لهنَّ عن أزواجٍ صالحين..

٢- ردُّ الكُفْء لأنَّه غَير موظَّف أو غنيّ:

بعضُ الآباءِ إذا تَقَدَّم لابنتهِ شابٌّ أو رجلٌ كفءٌ لها (صَاحِبُ دِيْنٍ وأمانَةٍ وَخُلُقٍ) سَأَلَهُ عن عَمَلِهِ وَرَاتِبِه ثُمَّ اعتَذَرَ مِنْهُ وردَّه! لماذا تَعْتَذِر منه؟ لأنَّهُ غَير مُوَظَّف أو راتِبُـهُ في الوظيفةِ قليلٌ، وهذا في عُرْفِ بعضِ النَّاس فقير، فبعضُ الآباءِ يَخَافُ علىٰ ابْنَتِـهِ من الجوعِ والعطَشِ أو أن تَعِيْشَ ابنتُهُ علىٰ الزَّكَاةِ والصَّدَقَات والتَّبرعاتِ الخيريَّةِ مَع هذا الزوج. وهَذِهِ نظرةٌ قاصرةٌ من بعضِ الآباءِ والأولياءِ، أقول له ألم تقـرأ كتـابَ اللهِ تعالىٰ، ألم تمرَّ بتلكَ الآية الكريمة: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

فالزَّواجُ يا سيِّدي مِن أعظم أبوابِ الرِّزق ومفاتيحه..

٣- تَتَزَوَّج الكُبرى ثُمَّ الوُسْطَى ثُمَّ الصُّغرى:

بزعمِهِ أنَّهُ يَجْبُر خاطرَ الكبرىٰ علـىٰ حسـابِ أخَوَاتِـها فقـد يكـونُ في الكـبرىٰ بعضُ المَوَانع مِنَ الزَّواج مثل قِلَّـة الجمَـال، أو عـدم التَّمَسُّـك بـالدِّين، أو السُّـمعة السَّيئة أو أنَّ الكُبرىٰ لا ترغبُ بِالزَّواج الآنَ أو غير ذلكَ مِنَ الأسباب.

وبإصْرارِ الوَالد علىٰ تزويـج الكُـبرىٰ تكـونُ الضحيَّـة أخواتـها بـأن يَدخُلْـنَ في مَرْحَلَةِ العُنُوسَةِ بسبب أختِهِم الكُبْرىٰ الَّتي أصبحت حَجَـرَ عَـثْرَةٍ عَلَيْـهِنَّ، وإذا نظـرَ العَاقِلُ بعينِ البصيرةِ فإنَّهُ يعلمُ أنَّ الزواجَ قِسْمَةٌ ونصيبٌ ولَعَلَّ مِـن أسـبابِ نصيبِـهَا فَتْح المجالِ لأخَوَاتِها بالزَّواج إذا تَقَدَّم لهُنَّ الكفء.

ولا شكّ أنّ للفتاة موقف من هذا؟ فَعَلىٰ الفتاةِ الكُبرىٰ أن تُصَارحَ والدِهَا ووالِدَتَهَا بضرورةِ السَّمَاح لأخواتها بالزَّواج، وأنّ عَدَمَ تَقَدُّم الزَّوج لها من قضاءِ اللهِ وَقَدَرِه وتُقنع والدِهَا بأنّ رفضَهُ من تزويج أخواتِها معناهُ إجبارٌ للأزواج أن يَتَقَدَّمُوا للكبرىٰ، وهذا الرَّفضُ يؤدي ببقية الأخواتِ إلىٰ العنوسَةِ، وعليهَا أن تُقْنِعَ والدهَا بأنَّهُ لا مَانعَ من تَزويج أخوَاتي الأقلّ مِنّي سنّاً وأنا راضيةٌ وبكلّ فَرَح وسُرُور.

٤- إكراهُ الفتَاة أو منعها على الزواج بقَريبها:

فإذا تقدَّم لها شابٌ من غير عائلتها، رفضَ الآباءُ وعرضوها علىٰ أبناء عائلتهم، وهذه حالاتٌ تكثُرُ في القرىٰ غالباً.

فبعضُ الآباءِ يُجْبِرُ ابنَتَهُ بالزَّواج مِن قَريبِهِ أو مِن فُلان أو فُلان، إمَّا لمصلَحَتِهِ أو تَعَاطُفاً مَع قَريبِهِ، وقد يكونُ هذا الزَّوجُ ـ القريب ـ ليس كُفئاً للزَّوجة فتَرفُض الزَّواج به فَيُصِرُّ الوالدُ علىٰ الزَّواج منهُ، وتُصِرُّ هيَ علىٰ رَفْضِ الزَّواج منه، فتكون عانساً مع مرور الأشهر والسَّنوات.

فتَصَرُّف الوَالد خِلاف هَدْيِ الرسولِ ﷺ فَقَد أمَرَنَا النَّبيُّ ﷺ باستِشَارَةِ الفتاةِ وأخذِ رأيها، وطلبِ موافقتها ورضاهَا، فإن كانَت بِكْراً سكَتَت، وإن كانَت ثَيِّباً نطقت بالرِّضَا أو عَدَمِه.

فَعَلىٰ الآباءِ أنْ يَتَّقُوا اللهَ وَيَحْذَرُوا من إجبارِ البِنْتِ عَلىٰ الزَّوَاج بِمَن ليسَ كُفئاً لَهَا إلاَّ إذا افترَضْنا أنَّ الفتاةَ تَرفُضُ الصَّالحينَ وتُريدُ الفاسقينَ..

٥- استفادةُ الأب من ابنته فَلا يَرغَبُ في تَزْويجها:

فإذا كَانت الفتاةُ في البادِيَة أو في القُرىٰ والهَجَر فإنَّ بعض الآباءِ يَستَخدِمُها في رَعي الغَنَم أو في الزراعَةِ فهي بِزَعْمِهِ أفضل له مِن عَامِل، وإذا تَقَدَّم لابْنَتِهِ الخَاطبين

اعتَذَر منهُم وصَرَفَهُم بالحِيَل والكَذِب.. ويقولُ: البنتُ ما زالت صغيرةٌ.. البنتُ مَخْطوبة لابنِ عَمِّها.. البِنْتُ لا تريد الزَّواج الآن.. وغيرها مِنَ الأعْذَار. وإذا كانتِ الفتاة في الحَاضِرةِ (المدن) وكانَت مُعَلِّمة أو مُوَظَّفَة، فإنَّ بعضَ الآباءِ يُريدُ أن يَسْتَفيدَ مِن راتِبِهَا فَيَستَلمهُ أو تُعْطِيه البنتُ مِن هَذا الرَّاتبِ ثُمَّ يُقَابِل الحَسَنَةَ بالسَّيئة والعياذ بالله. فَإذا تَقَدَّمَ لها الخُطَّابُ اعتذرَ مِنْهُم وَصَرَفَهُم بالأقَاويل والحِيَلِ الكَاذِبَةِ لأنَّهُ يريدُ أن يَستَمِرَّ في الاستفادَةِ مِنَ الرَّاتِبِ ويخافُ إنْ زَوَّجَهَا انقطَعَت عنه الفائدةُ، فيكون هذا الولي أو الوالدُ قَد أوقع نفسَهُ بِجَرَائِمَ عديدة منها:

١ـ أنه قابل الحسنةَ بالسَّيئةِ واللهُ عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿هَل جَزَاءُ الإحسانِ إلاَّ الإحسَانُ﴾.

٢ـ أنَّ هذا المالَ من هذا الرَّاتب بهذه الطريقَةِ سُحتٌ وحرامٌ، ولا يجوز. لأنَّهُ من غير طيبٍ منها. وهو المكلف بالنَّفقة عليها.

٣ـ أنَّه تَسَبَّبَ لابنَتِهِ بالعنوسَةِ، وحَطَّمَ حياتَها، وقَضَىٰ علىٰ شَبابِهَا بسببِ الحِيْلَةِ والكَذِبِ والطَّمَع.

٤ـ أنَّ هذا الوالدَ عَرَّضَ نفسَهُ للظُّلم مِن أقربِ النَّاس إليه وهي ابْنَته، وفلذة كبدِهِ وقد يُعَجِّلُ اللهُ لهُ العقوبَةَ في الدُّنيا قَبْلَ الآخِرَة، وفي الحديث الصحيح، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «واتقوا الظلمَ فإنَّ الظلمَ ظُلُمَاتٌ يوم القيامة».

ويستطيع الوالد أن يستفيدَ مِن راتِبِ ابنَتِهِ بالحلالِ والصِّدق إن كانَ فقيراً.. ولا حرجَ ولا عيبَ في ذَلِكَ.. فلا عيبَ أن يُصَارِحَ ابْنَتَهُ في ذَلِكَ وَيَتَّفِق معَهَا علىٰ ربع الرَّاتب أو نصفه مثلاً لأنها تعرف ظروفَهُ (بِدُونِ خَجَلٍ ولاحياءٍ) فإذا حَصَلَ هَذا الاتفَاقُ والمصارَحَةُ، فإنِّي علىٰ يقينٍ بأنَّ الوالدَ سوفَ يُوافِقُ علىٰ أوَّلِ زَوْجٍ يَتَقَدَّمُ إذا

كانَ كُفئاً، وَيَستَشير ابنَتَهُ فيه، ويشترطُ ذَلِكَ في العَقْدِ.. وعلىٰ الفتاةِ أن تُصارِحَ وَالِدهَا إن رأتهُ يمانعُ في زواجها لأجل المال.. فتقول له بطريقةٍ ذكيَّةٍ: إنَّ مِن شكْرِي للهِ وَقِيَاماً بالوفَاءِ لبعض جَميلك عليَّ فإنَّ لَكَ رُبُع راتِبِي أو نصفه ما دمتُ علىٰ قَيْدِ الحياةِ..

(القسمُ الثَّالثُ)

أسبابُ العنوسَةِ الخاصَّة بالأُسْرَةِ

١- غلاءُ المهورِ:

وهو مشتركٌ بين الوَالِدِ والوالدَةِ والفتاةِ وبقية العائِلَةِ، فكلُّ واحدٍ من هؤلاءِ له كِفْلٌ منه، وإن كانَ الوالدُ عَليه الكفلُ الأكبرُ وهو المُتَّهم بذلك غالباً.

فأقول له: إنَّ بعضَ الآباء يُغَالي في المُهُور ويعتَقِدُ بأنَّ له حقاً فيه والوالدة لها حقٌّ فيه، وربما الأولادُ والبناتُ لهم حقٌّ فيه.. وخاصَّةً في بعض القُرىٰ والهجر البعيدة.. ولذلك تَجِد أنَّ العائلةَ بكامِلِهَا يَتَّفقونَ علىٰ المغالاةِ في المَهْر، وربَّمَا أنَّ بعض الآباء فكَّر في سَدَادِ دينِهِ مِن مهْرِ ابنَتِهِ أو بِنَاءِ مَنْزِلِهِ، وبَعض الآباء جعلَ ابنَتَهُ سلعةً يبيعُهَا علىٰ الزَّوج بيعاً بكذا مِئَة ألف مِنَ اللَّيراتِ أو الرِّيالاتِ أو الدُّولاراتِ.. أو أكثر.

وفي الحقيقة أنَّ المهرَ هو ملكٌ للزَّوجَةِ مقَابل استِحْلال فَرْجِهَا ولا يَجُوزُ لأحدٍ أن يَأخُذَ مِنهُ شيئاً إلاَّ بِإِذْنِهَا. والمَهْرُ كلَّمَا كانَ قليلاً كانَ الزَّوَاجُ مباركاً كمَا جاءَ في الحديثِ أنَّ الرَّسولَ ﷺ قَالَ: «أقَلُّهنَّ مَهْراً أعظمهنَّ بركةً». [وفيه ضعف].

وللأسف يقولُ بعضُ الآبَاءِ: نَزيدُ المهرَ علىٰ الزَّوج حتَّىٰ تكونَ ابنتُنا غاليةً عندَهُ ويَعْرِفَ قَدْرَهَا وَلا يَتَسَاهَل في طلاقِهَا..

وهذا لا شكّ فهمٌ خاطئٌ.. وأرىٰ أنّ زيادةَ المهرِ هُوَ السَّببُ في كثْرَةِ المَشاكِلِ أو الطَّلاق لأنّ الزَّوجَ قد ركَّبَ ديوناً وأسلافاً وقروضاً مِن أجلِ المَهْر فَهُو يفكّـر فيـها في اللَّيل والنَّهار، وإذا افترضنَا أنّ الزوجَ أرادَ الطَّلاق فَلَن يُطَلّق في الغَالِبِ إلاّ بعدَ إكراهِ لزوجتهِ وخَاصَّةً في هَذا الزَّمن الَّذي انْتَشَرت فيهِ الحيل والخداع والكذب.

لكنَّ الكلامَ المنطقيَّ والعقليَّ والموافقَ للسُّنَّةِ هُو تَخْفيفُ المَهْر فتكونُ الزَّوجَـةُ عندَهُ مُعَزَّزَةً لأنَّها جاءتـهُ كالهَدِيَّـة، فيعـرفُ قدرهَـا وقَـدْر والديهَا، ويجـازي أهْلَـهَا بالإحسانِ والكَرَامَةِ وَصَدَقَ مَن قَالَ:

إذا أنتَ أكْرَمْتَ الكَريـمَ مَلكْتَـهُ … وَإنْ أنْـتَ أكْرَمْـتَ اللَّئيـمَ تَمَـرَّدَا

ويجبُ علىٰ الفَتَاةِ أن تُقْنعَ والديها بتخفيفِ المهرِ وتقليله، إلا إذا كانَ الخاطبُ غنياً وصرَّحَ أنَّ المهرَ أمرٌ ثانويٌّ عنده، المهم أن تكونَ الفتاة جيِّدة..

٢ – المهر الثاني: «الشَّبكة» و «قَصر الأفراح»..

وهي تكليفٌ للزَّوج بأشياءَ ثَانوية، مجاراةً للنَّاس وتقليداً لهم مثل (إلزام الزَّوج بالشَّبكة، وضرورة الزَّواج بقصْرِ الأفراح وأن يكونَ القصرُ علـىٰ رغبتِهم، وأن يُذبـح من الغَنَم كذا وكذا، ويقدَّم مِن العشاء والخضراوات كذا وكذا.. ولا بـدَّ مِـن وُجُـودِ الطُّبـول والمغنيـين والمغنيـات، أو إحضـار الشُّـعَراء وغيرهـا.. ممَّـا يُفـرَض علـىٰ الزَّوج.. ويُلِحُّونَ علىٰ الزَّوج لتنفيذها، ولا يفكرونَ هل فيهَا إسرافٌ وتبذيرٌ أم لا؟.

هل تُرْضِي اللهَ أم تُغْضِبهُ؟ هل هي حَرَامٌ أم حَلالٌ؟ هَل هي بِدْعَـةٌ أم سنَّةٌ؟ هَـل الزَّوجُ يستَطيعُها أم لا؟ كلُّ هَذا لا يَهُمّهُم ولايَعْنيهم.. لماذا؟ لأنَّهم يُجَارُونَ العَادات والتَّقاليد.. ولأنَّ الَّذي يَتَصرَّفُ بهذِهِ الأمـور، إمَّـا النِّسَـاء وإمَّـا السُّـفَهَاء مِـنَ الأولادِ وَالبَنَاتِ، وحُجَّتُهم أنَّ النَّاس يفعلونَ هَذا.. وَيقُولُون هل ابنَتُنَا فيهَا نقصٌ عَـن بنـاتِ

أَقَارِبِها.. فإنَّ هؤلاءِ فعلُوا ذلكَ ونحن مثلهم.

٣- هذه عادتُنا تَأخيرُ زَواج بَنَاتِنَا:

لقدَ شَاعَ وانتَشَر عند بعضِ عَوائِل المسـلمينَ تأخـير زَواج بَنَاتِـهم، ونَشَـأ هـذا شيئاً فشيئاً حتَّىٰ أصبحَ عندَهُم عادةً، وربَّما ورثوا هذه العادةَ السَّيئة عن بعضِ الآباءِ والأجدادِ، ثُمَّ تعارف عليها الصِّغَارُ والكبارُ والرِّجَالُ والنِّساء حتىٰ أصبحَ الأمـرُ عندَهُـم طبيعياً ولايَهُمّـهم أن ابنَتَهُم عـانس أو كبـيرة، وربمـا لم يفكّـروا بزواجِـهَا أصـلاً إلاَّ إذا بلغت سبعاً وعشـرين سـنَةً أو أكـثر، وقـد تكـون هـذه العائلـة متعلمـة ومثقَّفـة وبعـض أفرادِها ملتزمينَ بالشَّريعةِ الإسلاميةِ، ومع ذلك كلِّه تجدهُـم مستسـلمونَ لهـذه العـادَةِ، مكتوفي الأيدي أمامها.. فينالُ النَّاسُ مِن عِرضِهم وهم يعلمون أو لا يعلمون.

ولا شكَّ أنَّ مَن تَعَصَّبَ لهذِهِ العَادَةِ وأعمَىٰ عَيْنَهُ وفِكْرَهُ عنها أنّه أنَانيٌ لا يعـرفُ العَدْلَ والإنصافَ.. فأين العدلُ والإنصافُ مِن وَالِدٍ أو أخٍ إذا جاءَ وَقْتُ النَّـومِ ذَهَـبَ إلىٰ فِرَاشِهِ واستَأنَسَ مَع زَوْجَتِهِ.. وهذه البنتُ العَانِسُ المسكينَةُ يَطُولُ عليهَا الليـلُ، وتُطَالعُ نجومَ السَّمَاءِ، وَتَتَقَلَّب علىٰ الفِراش تشكُو حَالَهَا إلىٰ اللهِ؟!.

العدلُ والإنصافُ أن تَجْعَلُوا أنفُسَكُم مكـانَ ابنتِكُـم العَانِس وتُحِسُّوا بآلامِهَا وتحبونَ لها مثلما تحبونَ لأنفسكم.

فتوبـوا إلىٰ اللهِ مِـن هـذا الظلـم الشَّـنيع واطلبُـوا السَّـماح والعَفْـوَ مِـن بنـاتِكُم وأخواتِكُم العَوَانس وسارعوا في تزويجهن، قبلَ انقطاع الأمل وفوات الأوان..

٤ - سُوء سُمْعَةِ الأسرة:

فَقَد يكونُ الوَالِدُ مشهوراً مُجَاهراً بِبَعْضِ الجرَائِم والمعاصي أو قَد يكـون ممَّـن يَتَعَاطىٰ المُخَدِّرات والمسكراتِ، وقد يكون سكَنُهُ في السِّـجن أكْـثَر مِـن سكَنِهِ في

مَنْزِلِهِ، أو يكون أحدُ الأولادِ مشهوراً بذلِكَ، أو بفعلِ اللّواط والزّنا، وأشدُّ مِن ذلك كلّه، أن تكونَ الأمُّ تَتَعَامَل بالغَدْر والخِيَانَةِ، ومعروفَة بالمغازلاتِ وكثرةِ الخُروج من المَنْزل لهذا الشّيء، أو قد تكون الأمُّ بذيئةَ اللّسان سَيّئةَ الطّباع، معروفَةً بسوءِ الأَخْلاق والمعامَلَةِ مَع النَّاس، فَقَد تَتَأثَّرُ بناتُها بهذا ولا شكَّ، لأنَّ البنتَ أكثر احتكاكاً بأمِّها، والنَّاس يسألونَ عَن طباع الأمِّ وسُمْعَتِهَا وأخْلاقِهَا وكيفية تربيتِهَا لبَنَاتِهَا ولذلك انتشرَ عندَ النَّاس قولهم: «قَبْل أن تَضُمَّها اسال عَن أمِّها».

فلا شكَّ أنَّ هذه الأمورَ السَّابقة تُؤثّر في سُمْعَةِ الأُسْرَةِ لهَا، ومِن ثمَّ فإنَّ الخاطبين يحرصونَ علىٰ نَزَاهَةِ سمعَتِهِم فلا يَقْتَرِبُونَ مِن هذهِ الأسرةِ أبداً..

(أضرارُ العنوسةِ)

إذا كان في البيت عانسٌ أو عوانِس فلا بدَّ من وجود الضَّرر شئنا أم أبينا، والضَّررُ علىٰ حَسبِ حالة الفتاة.

فقد تكونُ ضعيفةَ الإيمانِ قليلةَ الحياءِ، وقد تكون قويَّة الإيمان كثيرَةَ الحياءِ، فكلا الفتاتين السَّابقتين سوف ينالُها الضرر.. كيف؟!.

١- الفتاة الأولى:

ضعيفة الإيمان وقليلة الحياءِ فإنَّها سوفَ تُكْثِرُ الخروجَ مِن المنزلِ مُتَجَمِّلةً، وتستعرض في مشْيَتِهَا كأنَّها تقول أنَا فلانة بنتُ فلان، والذي لم يزوجني حتىٰ الآن اخطبوني منه.. وإن كانَت الفاحِشَة لا تَخْطُر علىٰ بالها في البداية ولكنَّها مَع كثرَةِ الخُروج مِنَ المنزل مُتَجَمِّلَةً متعطِّرةً، أضف إليه ضَعْفَ الإيمانِ وقِلَّةَ الحياءَ قَد تُفْتَنُ في نَفْسِهَا أو تَفْتِنَ غيرها..

ومَع مُرُور الأيَّام قَد تَقَع في فاحشةِ الزّنا فيكون عليها وزرُ هذه الفاحشَةِ الَّتي

قَرَنَهَا اللهُ تعالىٰ بالشركِ، وقد يكون علىٰ والديـها وزرٌ أيضـاً مِـن هـذا الزّنـا لأنَّـهُما تَسَبَّبا في عُنُوستِهَا، ويعلمَانِ بِخُروجِهَا مِنَ المنزلِ علىٰ تلكَ الحالَـةِ وهمـا سَاكِتَان علىٰ ذَلِكَ.

٢- الفتاة الثانية:

قوية الإيمان كثيرة الحياء. مِنَ الطبيعيِّ أنَّها لن تتصرف مثـل الفَتَـاةِ السَّـابقة.. إذاً ما هو الضَّررُ عليها؟!.

نظراً لقوَّة إيمانها وكـثرةِ حيائـها سـوفَ تكتُـم مـا بِقَلْبِـهَا مـن الهمـومِ والغُمُـوم والأَضْرَارِ فهي في الصَّباح والمساءِ ترىٰ من قَريباتِهَا أو صديقاتِها مَن هـي في سِنِّها ومَعَهَا أربَعَةُ أطفالٍ أو طفلين.. وهي حتَّىٰ الآن لم تَتَزَوَّج ومنَ الطَّبيعيِّ سوفَ يَمْنَعُها حياؤها من الكَلام بهذا المَوضُوعِ، لأنَّ البنت عندنا في البلاد الإسلامية لـن تطلـب مِن والدها أو تُطَالِبَـهُ بـالزواج، فَتُصَـاب هـذه المقـهُورة المظلومـةُ بـالعُقَدِ النَّفْسِيَّةِ وبالأمراضِ البَدَنيَّـةِ وربمـا لَزِمَـت الفِـرَاشَ مريضَـةً، ومـا بيدهَـا إلاَّ أن تَرْفَـعَ أكـفَّ الضَّراعة إلىٰ الله قائلة: «حسبِيَ اللهُ ونعْمَ الوكيلُ» وربما تدعـو عَلَـىٰ والدِهَـا حتَّـىٰ وإنْ قَدَّمت له الطعَام والشَّرابَ.. تَدْعُو عليه سِرّاً أو جَهْراً.. والقصَصُ للعوَانِـسِ مِـن هَذا النَّوع كثيرةٌ ومنَها قِصَّةٌ ذكرهَا الشيخ محمـد بـن عثيمـين وغـيره مـن المشـايخ والعلماء والقصة معناها: (ذُكِرَ أنَّ رجـلاً أخَّـرَ زواج ابنَتِـهِ حتَّـىٰ بلـغ عمرهـا سـبعاً وعشرينَ، فأصيبت البنتُ بالأمراضِ النَّفسية والبدنية حتىٰ لَزِمَت الفِرَاشَ فلمَّـا قـدر اللهُ عليهَا الموتَ قالت هذه المظلومَةُ: أينَ والـدي؟ فجـاءَ الوالـد ثُـمَّ قَـالَت لـه: يـا والدي قل آمين.. فقال: آمين. فقالت: قل آمين. فقـال: آمـين. فقـالت: قُـل آمـين. فقال: آمين. قَالَت: حَرَمَكَ اللهُ الجنَّة كما حَرَمْتَنِي الزَّواج، ثُمَّ ماتَت).

وبعض الفتيَات العوَانِس قَالَت لِوَالدها عِنْدَ الوَفَاةِ: يا والدي إنَّ لي وَلَك مَوْقفاً عندَ اللهِ وَلَن أسَامِحَكَ فيه لأنَّك مَا زَوَّجْتَنِي.

ألا يَخَافُ بعضُ الآباءِ مِن دَعْوَةِ المظلومِ وقَد حذَّرنَا منْهَا النَّبيُّ ﷺ بقوله: «واتَّقِ دَعْوَةَ المظلومِ فَإنَّهُ ليس بينَهَا وبينَ اللهِ حجابٌ».

نعوذ بالله مِن غَضَبِ اللهِ ونَعُوذُ به مِنَ الظُّلم ومِن دَعَواتِ المَظْلُومينَ، وَنَسْتَغْفِرُ اللهَ العظيمَ علىٰ ما فَعَلْنا في أنْفُسِنَا، وأخطأنا فيهِ عَلىٰ أولادِنَا ذكوراً وإناثاً، وَنَسْألُ اللهَ براءة الذِّمَّة في هَذهِ الأمانَاتِ إنَّه سميعٌ مجيبُ الدُّعَاء.

[بقلم/حمد بن عبد الله إبراهيم الدوسري بتصرف].

* * *

قَصَصٌ مُؤْلِمَةٌ مِنَ الوَاقِعِ

أبي حطمتني وأنت تبكي

عرفت تلكَ الفتاةُ المسكينةُ العلاقةَ بين الشابِّ والفتاةِ عبرَ القَنَوات الفضَائية، فكانَت إذا نامُ أهلُ البيتِ قامت لتنظرَ إلىٰ ما حرَّم اللهُ تعالىٰ من مناظرَ سَافرة ضمن برامجَ سَاقطة، تثيرُ الغريزةَ والشَّهوةَ، ومع مَرِّ الأيَّام لم تَتَمالَك الفتاةُ نَفْسَهَا دونَ عَشيْقٍ يُنَفِّسُ عنها ما يختلجُ بينَ جَوَانِحِهَا، فَأرَادَت هَذِه الفتَاةُ أن تَخُوضَ التَّجربةَ، وَتَعَرَّفت علىٰ أحدِ الشَّباب من فَصِيْلَةِ الذِّئَاب البشريَّة الَّتي لا تعرفُ الرَّحمةَ، وكانت لقمةً سائغةً لهُ، وفي أيَّامنا هذه نماذج كثيرة منهَا، فَمَاذَا جنَت بعدها هذه الفتَاةُ المسكينةُ؟! لَقد جنَت هذه البِكْرُ العَذْراءُ جَنِيناً بَيْنَ أحشَائِهَا بَعْد قصَّةٍ دَامِيةٍ مُؤلمة..!!.

وَوَقَعت الفتاةُ مَع صَاحِبِهَا في قَبْضَةِ رجالِ الأمنِ، وجاءَ أبوها بَعْد اسْتِدْعَائِهِ لِيَرىٰ الفَاجِعَةَ بنفسِهِ..!!

وقفَ الأبُ أمامَ ابْنَتِهِ وَقَد تَمَنَّىٰ الموتَ قبلَ أن يَراها في ذلك الموقفِ..

صرخَ في مَجْمَعٍ من رجالِ الأمنِ: دَعُوني أَقْتُلُها!.

لقد شوَّهت سمعَتِي .. لقد دمَّرت شَرَفي.. لقد سوَّدَت وَجْهِي أمَام النَّاس..!!.

عندَها رَفَعَت البنتُ رأسهَا وواجَهَت أبَاها قائلةً له: أبي أنتَ السَّبب، جئتنا بطبقِ الدش وتركتنا من غير رقابةٍ، وكأنَّك جئتنا بعاهرةٍ ودونما أن تشعُرَ، أنتَ السببُ في كلِّ ما جرىٰ لي، وجئت الآن تبكي علىٰ طهري وعفَافي..!!.

وبهذه الكلِمَاتِ وصفَ حَالَهَا مع أبيْهَا أحدُ الشُّعَراء فقَالَ:

كَفَىٰ لَوْماً أَبِي أَنتَ المُلامُ كفَاكَ فَلَم يَعُدْ يُجْدِي المَلامُ
بِأيِّ مَوَاجِعِ الآلامِ أَشْكُو أبي مِنْ أَيْنَ يُسْعِفُنِي الكَلامُ
عَفَافِي يَشْتَكِي وَيَنُوحُ طُهْرِي يُغْضِي الطَّرْف بِالألم احْتِشَامُ
أبي كانَت عيونُ الطُّهْر كَحلِيْ فَسَالَ بِكُحْلِهَا الدَّمْعُ السِّجَامُ
تُقَاسِي لَوْعَةَ الشَّكوىٰ عَذَاباً وَيَجْفُو عَيْنَ شَاكِيهَا المَنَامُ
أَنَا العَذْرَاءُ يَا أَبَتَاهُ أَمْسَت علىٰ الأَرْجَاسِ يُبْصِرُهَا الكِرامُ
سهامُ العَار تُغرس في عفَافِي وما أدراكَ مَا تلك السِّهامُ؟!
أبي مَن ذا سَيُغْضِي الطَّرفَ عُذراً وفي الأَحْشَاءِ يَخْتَلِجُ الحَرَامُ
أبِي مَن ذا سَيَقْبلنِي فَتَاةً لَهَا في أعيُنِ النَّاس اتِّهَامُ؟
جِرَاحُ الجِسْم تَلْتَئِم اصْطِبَاراً وَمَا للعِرْضِ إنْ جُرِحَ التِئَامُ
أبِي قَد كَانَ لي بِالأمسِ ثَغْرٌ يَلُفُّ بَرَاءَتِي فِيهِ ابْتِسَامُ
بِأَلْعَابِي أداعِبُكُم وأغفُو بِأَحْلامٍ يَطِيْبُ بِهَا المَنَامُ
يقيمُ الدَّارَ بالإيمانِ حَزْمٌ ويحملُها علىٰ الطُّهْر احْتِشَامُ
أَجِبْنِي يَا أَبِي مَاذا دَهَاهَا ظَلامٌ لايُطَاقُ بِهِ المُقَامُ
أَجِبْنِي أَيْنَ بَسْمَتُها؟ لِمَاذا غَدَا للبُؤْسِ في فَمِهَا خِتَامُ؟
بِأيِّ جَرِيْرَةٍ وَبِأيِّ ذَنْبٍ يُسَاقُ لِحَمْأةِ العَارِ الكِرَامُ
أبِي هَذا عَفَافِي لا تَلُمْنِي فَمِنْ كَفَّيْكَ دَنَّسَهُ الحَرَامُ
زَرَعْتَ بِدَارِنَا أَطْبَاقَ فِسْقٍ جَنَاهَا يَا أبِي سُمٌّ وَسَامُ
تشبُّ الكُفْر والإلحادَ نَاراً لهَا بِعُيونِ فِطْرَتِنَا اضْطِرَامُ

نَـرَىٰ قصَـصَ الغَـرَامِ فَيَحْتَوِينَـا ... مَثَارُ النَّفْسِ مَـا هَـذا الغَـرَامُ
فنـونُ إِثَـارَةٍ قَـد أَتْقَنُوهَـا ... بِهَا قَلْـبُ المُشَـاهِدِ مُسْـتَهَامُ
نَـرَىٰ الإِغْـرَاءَ رَاقِصَـةً وكَأْسَـاً ... وَعُـهْراً يَرْتَقِـي عَنْـهُ الكَـلامُ
كـأَنَّك قَـد جَلَبْـتَ لنَـا بَغِيَّـاً ... تُراوِدُنَـا إِذا هَجَـعَ النِّيَـامُ
فَلَو للصَّخْرِ يَا أَبَتَـاهُ قَلْبٌ لَثَارَ ... فكَيْـفَ يَـا أَبَـتِ الأَنَـامُ
تُخَاصِمُني عَلىٰ أَنقَاضِ طُـهْرِي ... وَفِيكَ اليومَ لَـو تَـدْرِي الخِصَامُ
زرعتَ الشَّوكَ في دَرْبِي فَـأَجْرَىٰ ... دَمَ الأَقْـدَامِ وانْـهَدَّ القَـوَامُ
جنَـاكَ ومَـا أَبـرِّي منـهُ نَفْسِـي ... ولستُ بِكُـلِّ مَـا تَجْنِـي أُلامُ
أَبِـي هَـذا العِتَـابُ وذاك قَلْبِـي ... يُؤَرِّقُـهُ بِـآلامِي السَّـقَامُ
نَدِمْـتُ نَدَامَـةً لَـو وَزِّعوهَـا ... عَلىٰ ضُلَّالِ قَومِي لاسْـتَقَامُوا
مَـدَدْتُ إِلىٰ إِلـهِ العَـرْشِ كَفِّـي ... وَقَـد وَهَنَـتْ مِـن الأَلَـمِ العِظَـامُ
إِلهـي إِنْ عَفَـوتَ فَـلا أُبَـالي ... وإِنْ أَرغَـىٰ مِـنَ النَّـاسِ الكَـلامُ
أَبِي لا تُغْضِ رَأسَـكَ في ذهُولٍ ... كمَـا تُغْضِيـهِ في الحُفَـرِ النَّعَـامُ
لجانِي الكَرم كأس الكَـرم حُلوٌ ... وجَنَـىٰ الحَنْظَـل المـرُّ الـزُّؤَامُ
إِذا لم تَـرْضَ بِـالأَقْدَار فَـاْسْـأَل ... ختَام العيـشِ إِنْ حَسُـنَ الختامُ
وكـبِّرْ أَرْبَعـاً بِيَدَيْـكَ واهتِـف ... عَلَيْـكِ اليـومَ يـا دُنيـا السَّـلامُ
أَبِـي حَطَّمْتَنِـي وَأَتَيْـتَ تبكِـي ... عَلىٰ الأَنْقَاضِ مَا هَـذا الحُطَامُ
أَبـي هَـذا جنَـاكَ دِمَـاءُ طُـهري ... فَمَـن فِينَـا أَيَـا أَبَـتِ المُـلامُ ؟

وهذه القصيدة للشاعر محمد بن عبد الرحمن المقرن، جزاه الله عنَّا خيرَ الجزاء.

شَرِيطُ الفِيدِيُو الّذِي دَمّرَ حَيَاتِي

فتاةٌ في المرحلَةِ الجَامعيَّةِ في كلِّيةِ الآدابِ قسـمِ ـ علمِ النَّفسِ ـ ولهَـا أخـواتٌ ثلاثٌ، منهُنَّ من تدرُسُ في المرْحلةِ الثّانويَّةِ والأُخريتـانِ في المرحلَـةِ المتَوسّطةِ .. وكانَ الأبُ يعملُ في محلٍّ بقالَة ويجتهدُ لكَي يوفِّرَ لهُم لقمةَ العَيشِ .. وكانَت هـذِهِ الفتاةُ مجتهدةً في دراستِها الجامعيَّـةِ، معروفَـةً بحسـنِ الخلُـقِ والأدَبِ الجَـمِّ، وكـلُّ زميلاتِها يحببْنها ويرغَبنَ في التَّقرُّبِ إليهَا لتفوُّقِهَا المميّزِ..

تقولُ في قِصَّتِها: في يومٍ منَ الأيَّامِ خرجْتُ من بوَّابةِ الجامعةِ، وإذَا بشَابٍّ أمامِي في هيئَةٍ مهنْدَمةٍ، وكانَ ينظُرُ إليَّ وكأنَّه يعرِفُني، لم أعطِهِ أيَّ اهتمَامٍ، سارَ خلفِي وهُوَ يحدّثُني بصَوتٍ خافِتٍ وكلِماتٍ صِبيانِيَّةٍ مثـلَ: يَـا جَميلَـة..أنَـا أرغَـبُ في الزَّواجِ منكِ.. فأنَـا أراقبُـكِ منـذُ مـدَّةٍ، وعرفْـتُ أخلاقَـكِ وأدبَـكِ.. سِرْتُ مسْرِعةً تتعثَّرُ قدمَايَ.. ويتَصَبَّبُ جبيـني عرَقـاً، فأنَـا لم أتعَـرّضْ لهـذَا المَوقـفِ أبـداً مِـن قبـلُ.. ووصَلْتُ إلىٰ منزِلي مُنهكَةً مُرتبكَةً أفكِّرُ في هَذا المَوضُوعِ، ولَم أنَمْ تلكَ الليلَـةَ مـنَ الخوفِ والفَزعِ والقلقِ..

وفي اليومِ التَّالي وعنْدَ خُروجِي منَ الجامِعَـةِ وجدْتُهُ منتظِـراً أمَـامَ البـابِ وهُـوَ يبْتَسمُ، وتكرَّرَت مُعاكساتُهُ لي والسَّيرُ خلفِي كـلَّ يـومٍ، وانتَـهىٰ هـذا الأمـرُ برسَـالَةٍ صغيرَةٍ ألقاهَا لي عنـدَ بـابِ البيـتِ وتَـردَّدْتُ في التقَاطِـهَا، ولكـنْ أخذتُـها ويَـدَايَ ترتَعشَانِ وفَتحتُها وقَرأتُها، وإذَا بِهَا كلماتٌ مملوءةٌ بالحُبِّ والهيامِ والاعتذَارِ عمَّا بدرَ منهُ من مضايقاتٍ لي..

مَزَّقتُ الورقةَ ورَميتُها وبَعدَ سُويعاتٍ رنَّ جَرسُ الهاتفِ فرفعتُهُ وإذَا بالشَّابِّ نفسِهِ يطارِدُني بكَلامٍ جميلٍ ويقولُ لِي: هل قرأتِ الرِّسالةَ أمْ لا؟.

قلتُ لهُ: إن لَم تتأدَّبْ أخبَرتُ عـائِلتي والويـلُ لَـكَ.. وبعـدَ سَـاعَةٍ اتَّصـلَ مَـرَّةً أخرَىٰ وأخَذَ يتودَّدُ إليَّ بـأنَّ غايَتَـهُ شـريفةٌ وأنَّـهُ يريـدُ أن يستقرَّ ويـتزوَّجَ وأنَّـهُ ثـريٌّ وسَيَبني لي قصْراً ويحقِّقُ لي كُلَّ آمالي، وأنَّهُ وحيدٌ لم يبقَ من عَائلتِهِ أحَدٌ عَلَىٰ قيـدِ الحَياةِ و.. و.. و..

رقَّ قَلبِي لَهُ وبدأتُ أكلِّمُهُ وأسترسِلُ معَهُ في الكَلامِ، وبـدأتُ أنتظِرُ الهـاتفَ في كلِّ وقتٍ.. وأترقَّـبُ لَـهُ بعـدَ خروجِـي مـنَ الكُليَّـةِ لعَلِّـي أراهُ ولَكِـنْ دونَ جَـدوىٰ. وخرجْتُ ذاتَ يومٍ مِن كلِّيَّتي وإذَا بِهِ أمَامِي.. فَطِرتُ فَرحاً، وبَـدَأتُ أخـرُجُ معـهُ في سيّارتِهِ نتجوَّلُ في أنحاءِ المَدينَةِ، كنتُ أشعُرُ معَهُ بأنَّني مسلوبةُ الإرادَةِ عـاجزةٌ عـنِ التَّفكيرِ، وكأنَّهُ نزَعَ لُبِّي مِن جَسَدي.. لقَدْ كنتُ أصدِّقُهُ فيمَا يقولُ وخاصَّةً عندَ قولِـهِ لي: إنَّكِ سـتَكونينَ زَوجـتي الوَحيـدَةَ وسـنعيشُ تحـتَ سـقفٍ واحِـدٍ تُرفـرِفُ عَلَيـهِ السَّعادَةُ والهَناءُ.. كنْتُ أصَدِّقُهُ عندَما كَانَ يقـولُ لي: أنـتِ أمـيرَتي، وكُلَّمـا سمعْـتُ هَذا الكلامَ أطيرُ في خيالٍ لا حدودَ لَهُ، وفي يومٍ منَ الأيَّامِ ويَا لَهُ مِن يومٍ كانَ أسوداً. دمَّرَ حياتِي وَقَضىٰ علَىٰ مُستقبَلي وفضَحَني أمامَ الخَلائِقِ، خرجْتُ معَهُ كالعَادَةِ وإذَا بِهِ يقودُني إلىٰ شقَّةٍ مفروشَةٍ، دخلْتُ وجلَسْنَا سَوِيّاً وَنسيتُ أنَّ الرَّجـلَ عندَمـا يَخلُـو بامرأةٍ يكونُ الشَّيطانُ ثالثَهُما.. ولكنَّ الشَّيطانَ استعمَرَ قَلبي، وامتَلأ قلبِي بكَلامِ هذَا الشّابِّ، وجلَسْتُ أنظُرُ إليهِ وينظُرُ إليَّ ثمَّ غشيتنا غاشيةٌ منْ عَـذَابِ جـهنَّم.. ولم أدْرِ إلا وأنَا فريسَةٌ لهذَا الشَّابِّ، وفَقَدْتُ أعزَّ مَا أملِكُ..

قُمْتُ كالمَجنونَةِ أقول له مَاذَا فعلْتَ بِي؟.

❁ لا تَخافي أنْتِ زَوجَتي..

❁ كيفَ أكونُ زوجتَكَ وأنتَ لم تعقِدْ عليَّ..

❁ سَوفَ أعقدُ عليكِ قريباً.

وذهبْتُ إلىٰ بيتِي مترنِّحةً، لا تقْوىٰ ساقايَ علَىٰ حَمْلِي واشتَعلتِ النِّيرانُ في جَسَدِي.. يا إلهي مَاذَا فعلْتُ؟ أَجُنِنْتُ أَنَا.. مَاذا دَهاني، وأظْلَمَتِ الدُّنيَا في عينَيَّ وأخَذْتُ أبكِي بكاءً شَديداً مُرّاً، وتَركتُ الدّراسةَ.. وسـاءَ حَالي إلىٰ أقصَىٰ دَرجَةٍ، ولم يُفلحْ أحَدٌ من أهْلِي في أنْ يعرِفَ كُنْهَ ما فيَّ، ولكنِّي تعلّقْتُ بأملٍ وهُوَ وعدُهُ لِي بالزَّواجِ، ومرَّتِ الأيَّامُ تجرُّ بعضَها بعضاً، وكانَت علَيَّ أثقلَ منَ الجبالِ.

مَاذَا حدَثَ بعدَ ذلِكَ؟؟.

كانَتِ المفَاجَأةُ التي دمَّرَت حيَاتي.. رنَّ جـرسُ الهـاتفِ وإذَا بصوتِـهِ يـأتِي من بعيدٍ ويقولُ لي.. أريدُ أن أقابِلَكِ لشَيءٍ مُهِمٍّ.. فَرِحـتُ وتـهلَّلتُ وظننـتُ أنَّ الشـيءَ المُهمَّ هوَ ترتيبُ أمرِ الزَّواجِ.. قابلتُهُ وكَانَ مُتَجهِّماً تبدُو علَىٰ وجهِهِ علاماتُ القَسوةِ وإذَا بِهِ يبادِرُني قائلاً: قبلَ كلِّ شيءٍ لا تُفكِّري في أمرِ الزّواجِ أبَداً.. نريدُ أن نعيشَ سوِيّاً بلا قيدٍ.. ارتفَعَتْ يَدِي دونَ أن أشعُرَ وَصَفَعتُهُ علَىٰ وجهِهِ حتَّىٰ كَادَ الشَّررُ يطيرُ من عينَيْهِ وقلْتُ لَهُ: كنْتُ أظنُّ أنَّك ستُصلحُ غلطتَكَ.. ولكنْ وجدتُكَ رجُلاً بلا قِيَمٍ ولا أخْلاقٍ، ونزلْتُ منَ السَّيارَةِ مسرعةً وأنَـا أبكِـي، فقـالَ لي: هُنَيهَـةً مـن فضلِـكِ ووجدْتُ في يدِهِ شريطَ فيديو يرفعُهُ بأطرَافِ أصابِعِـهِ مستهتِراً، وقـالَ بنبرةٍ حـادَّةٍ: سأحطِّمُكِ بهَذا الشَّريطِ، قلتُ لَهُ: ومَا بداخِلِ الشَّريطِ.. قالَ: هلمِّي معِـي لتَـرَي مَـا بداخِلِهِ، ستكونُ مفاجأةً لكِ، وذهبْتُ مَعَهُ لأرَىٰ ما بداخِلِ الشَّـريطِ ورأيـتُ تصويـراً كاملاً لِمَا تَمَّ بيننا في الحَرامِ..

قلتُ لهُ: مَاذَا فعلْتَ يَا جَبَان... يا خَسيس..

قالَ: كَانتْ هناكَ كاميراتٌ مخفيَّةٌ مسلَّطةٌ علَينا تسجِّلُ كلَّ حركةٍ وهمسةٍ، وهَذا الشَّريطُ سيكونُ سِلاحاً في يدي لتَدميركِ إلا إذَا كنتِ تحتَ أوامِري ورَهـنَ إشـارَتي. وأخذْتُ أصيحُ وأبكِي لأنَّ القضيةَ ليسَت قضيَّتي بل قضيَّة عائلـةٍ بأكملِهَا.. ولكِنَّـه رفضَ إعطائي الشَّريطَ.. والنَّتيجَةُ أن أصبَحْتُ أسيرةً بيَدِهِ ينقُلُني من رجُلٍ إلىٰ رجُلٍ ويقبضُ الثَّمنَ.. وسقطْتُ في الوحلِ، وانتقَلَت حياتِي إلىٰ الدَّعارَةِ وأسـرَتي لا تعلَـمُ شيئاً عن فعلَتي فهيَ تثقُ بي تماماً..

وانتشرَ الشَّريطُ.. ووقعَ بيدِ ابنِ عمِّي فأنفجرَتِ القضيَّـةُ وعلِـمَ والـدي وجميـعُ أفرادِ أسرَتي وانتشرَتِ الفضيحةُ في أنحَاءِ بَلْدَتِنا، ولُطِّخَ بيتُنَا بالعَارِ، فَهرَبْتُ لأَحْمِي نفسِي واختفيْتُ عنِ الأنظارِ وعلمْتُ أنَّ والِدي وشقيقاتِي هاجَروا إلىٰ بـلادٍ أخـرىٰ، وهاجَرَتْ معهُم الفضيحةُ تتعقَّبُـهُم، وأصْبَحَـتِ المَجَـالسُ يُتحـدَّثُ فيـهَا عَـن هـذَا الموضوعِ.. وانتَقَلَ الشَّريْطُ منْ شابٍّ لآخرَ.. وعشْـتُ بـينَ المُومِسَـاتِ مُنْغَمِسَـةً في الرَّذيلَةِ، وكانَ هذَا النذْلُ هوَ المُوجِّهُ الأوَّلُ لي يُحَرِّكُني كَالدُّميَةِ في يدِهِ وَلا أسـتطيعُ حراكاً.. وكانَ هذا الشَّابُّ السَّببَ في تَدْميرِ العَديْـدِ مِـنَ البُيـوتِ وضيـاعِ مستقبلِ فتياتٍ في عمرِ الزُّهورِ.. وعزمْتُ عَلىٰ الانتِقَامِ..

وفي يومٍ منَ الأيَّامِ دخَلَ علـيَّ وهـوَ في حالَـةِ سُـكرٍ شَـديدٍ فَـاْغتَنَمْـتُ الفرصَـةَ وطعنْتُهُ بمديَـةٍ.. فقتَلْـتُ إبليـسَ المتَمَثِّـلَ في صُـورَةٍ آدميَّـةٍ، وخلَّصْـتُ النَّـاسَ مِـن شُرُورِهِ، وكانَ مَصيري أنْ أصبحْتُ وراءَ القضبانِ أتجَرَّعُ مرارَةَ الذُّلِّ والحِرمانِ، وأندَمُ علَىٰ فعلَتي الشَّنيعَةِ وعَلَىٰ حَياتِي التي فرطْتُ فيهَا..

كلَّما تذكَّرتُ شريطَ الفيديو خُيِّلَ إليَّ أنَّ الكاميراتِ تطـارِدُني في كـلِّ مكـانٍ..

فكتبتُ قصّتي هذهِ لتكونَ عِبرةً وعِظةً لِكُلِّ فتاةٍ تنسَاقُ خلفَ كلماتٍ برّاقةٍ أو رِسالةٍ مزخْرَفةٍ بالحُبِّ والوَلَه والهيام، واْحذَري الهاتفَ يا أختَاهُ.. اْحذَريه..

وضعْتُ أمامَكِ يا أختَاهُ صورةَ حياتي التي انتَهَت بتحطِيمي بالكامِلِ وتحطِيمِ أسرَتي، ووَالدِي الَّذي ماتَ من الحسرةِ، وكَانَ يردِّدُ قبلَ موتِهِ حسبِيَ اللهُ ونعمَ الوكيلُ.. أنا غاضِبٌ عليكِ إلىٰ يومِ القيامةِ..

مَا أصعبَهَا مِن كلمةٍ! لَقد دمَّرتُ حيَاتِي وأزهقتُ رُوحي بِيَدِي.

۞ ذكرَ هذهِ الحادِثةَ الشَّيخُ أحمدُ بنُ عبدِ العزيزِ الحصينِ في رسالَةٍ صغيرةٍ عنوانُها –شريطُ الفيديو الذي دَمَّرَ حيَاتي– وكانَ ممَّا قالَهُ في المقدِّمةِ:

فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهديِ هديُ محمّدٍ صلىٰ الله عليهِ وسلَّم، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها وكلَّ محدثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أمَّا بعدُ: هذهِ حادِثةٌ وقعَتْ في مجتمعٍ إسلاميٍّ وفي دولَةٍ إسلاميَّةٍ وهيَ واقعيةٌ، راحَ ضحيتَها فتاةٌ في مقتبَلِ العمرِ بِسَبَبِ كَلِمَاتٍ معسولَةٍ تحملُ بينَ طياتِها تدميرَ عائلةٍ بأسرِهَا وربَّما مجتمعٍ بأكملِهِ..

هذهِ الحادثةُ وقعَت في عامِ ١٤٠٨هـ وأخبرَني بهَا ابنُ عمِّ هذهِ الفتاةِ.. وكانَ في يدِهِ شريطُ الفيديو! وكانَ يَتحسَّرُ علىٰ ضَيَاعِ شَرَفِ العَائِلَةِ الَّذي لطِّخَ بالعَارِ بسببِ طيشِ هذهِ الفتاةِ، وانْسِيَاقِها خَلْفَ الكَلامِ المعسولِ، وهذِهِ الحادثةُ ليستْ بالأولىٰ بلْ حَدَثَ مِثلُها في بَعْضِ الدُّولِ العَربيةِ ولفتياتٍ من أكبرِ العائلاتِ، وكم منْ فتاةٍ قُتِلَتْ بسببِ فضيحتِها.. أوِ انتحرَت.. أو كانَت نهايتُها مستشفىٰ الأمراضِ العقليَّةِ.. ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيمِ..

* * *

ذكرياتُ عجوز مع حبيبها الخائن

دمعةُ حزنٍ وحسرةٍ سَقَطَت مِن عَيَني جَارَتنَا العَجُوز المطلَّة علىٰ النَّافذة، لَقَد أغمضَت عَيْنَيهَا وكَتَمَت غَصَّةً داميةً في فؤادها، حَبَسَت آهَاتٍ تكَادُ تُقطِّع أحشَاءهَا، عرسٌ مطلٌ علىٰ نافِذَتها كم أفْرَحَهَا وأحْزَنَهَا..

رَجَعَت بِذَاكِرَتهَا إلىٰ الوَرَاءِ إلىٰ الوَرَاءِ..

كم كانت هذِهِ العجوزُ في صِبَاهَا فَاتِنَةً وَجَمِيْلَةً..

كانت تَتَمَنَّىٰ زوجاً وأسرةً وبيتاً كبيوت الأحلام، خدماً، وحشماً، هذا ما تَتَمَنَّاه.

أفاقت علىٰ الواقع المريرِ وأعَادَت بِنَظَرِهَا إلىٰ النَّافِذَةِ رَأت فُستَانَ العَروسِ، تذكرت عَبَثَها بالمجلاتِ وبَحْثَها عمَّا يَليقُ بِهَا، رفعت نظرها إلىٰ السماءِ وأسقطت دمعة حارَّةً حرقَت وجنتيها..

عادت إلىٰ الماضي من جديدٍ تَذَكَّرت مَا سَبَب كلِّ هَذا الهمِّ وَالحزنِ وَالعَذَابِ.

في يومٍ رَبيعِيٍّ خَرَجَت وَالدتُها برفقةِ وَالدِهَا إلىٰ السُّوق مع أختِها الصغرىٰ، لم تكن تودُّ الذهابَ مَعَهُم، رنَّ الهاتفُ.. أسْرَعَت إليهِ.. كَانَت صَدِيْقَتُها المُتَحَدِّثَةُ، دَعَتْهَا إلىٰ نُزْهَةٍ قصيرةٍ والتَّجول في أحَدِ المراكز الجَدِيْدَةِ..

وافقَتْ دونَ تردُّد..

جاءتها صديقتُها وذهبتا سويَّةً.. تَبَادَلَتَا أطرافَ الحديثِ.. سَأَلَتْهَا صَدِيْقَتُها إذا كَانَ لَدَيْهَا (بوي فريند) أي صَدِيْق؟!!.

أجابت بكلِّ براءةٍ وقَالَت: كيفَ أخونُ ثِقَةَ أهْلِي بِي!!.

الصديقة: كلامٌ قديمٌ لا أحبُّ سماعَهُ..

فجأةً قَفَـزَت الصَّديقـةُ وأشَـارت إلىٰ أحَـدِ المحـلاَّت وقـالت: انظُـري.. هُنَـاكَ مجموعةٌ مِن الشَّباب.. هيًا.. هيًا لا تُضيِّعي الفُرْصَةَ..

رفضتُ رَفْضاً قَاطعاً، ولكن مَع إصرارِ صَدِيْقَتي وَافقتُها بِالذَّهاب للتَّعرُّفِ عليهم بَعْد عِدَّة جَوْلاتٍ..

ها هي ذي تَستَلِمُ وتأخذ ورَقَةً رَماها عَليها أحدُهُم فيها رقمُ هاتفـه.. إنَّـه ذئـبٌ مِنَ الذِّئاب. هنأتها صديقتُها بصديقِهَا الجديد..

وانتهت النُّزهَةُ.. وعَادت الفَتَاتَان إلىٰ المنزِلِ..

كانَ ضميرُ الفتَاةِ يُعذِّبُها..

وفي تِلْكَ الأثناءِ تلَّقت اتِّصَـالاً.. إنَّـهُ مـن الصَّديقَـةِ المَشْؤُومةِ نفسِـهَا.. وكـانَ الاتِّصال كَالتَّالي:

الفتاةُ: أهلاً..

الصديقةُ: ألم تتَّصلي بِصَدِيْقك بَعْدُ؟.

الفتاةُ: لا أسْتَطيعُ!.

وبعدَ محاولاتٍ من صَدِيقَتِهَا المَشْؤومَةِ اسْتَسْلَمَت الفتاةُ واتَّصلَت..

كانت المحادَثَةُ الأولىٰ مُختَصَرَةً، لكنَّ الثانيةَ كانَت أطول بِكَثِير، وانْتَهَتِ الثَّالِثَةُ بِمَوْعِدٍ معَ الحبيبِ.

وذهبت الفتاةُ إلىٰ الموعدِ ويا لَيْتَهَا لَم تَذْهَب، ذَهَبَت بكَرَامَتِهَا وَعِزَّتها وشرفِهَا.. وحينَ عَادَت هذهِ الفَتَاةُ مِن هَذا المَوْعِدِ.. عَادت وهي تَجُرُّ العَارَ وراءهَا، مَاذَا تَفْعَلُ مَاذَا تقولُ لأَهْلِهَا..؟؟ لأمِّها وَأَبِيْهَا..

ومَضَت الأيامُ والأشهُرُ.. لاحظت بعدَها حركَةً في رَحِمِهَا..

يا إلهي هَذِهِ ثمرةُ الخطيئَةِ.. ثَمَرَةُ الزِّنىٰ..

هربت من المنزلِ لأنَّها خافَت مِنَ الفَضِيْحَةِ..

ومضتِ الأيامُ والشهور إلىٰ أن اكتمَلَ حملُها.. وحانَ موعدُ وضعها..

ذهبت إلىٰ إحْدَىٰ النِّساءِ الشَّهيرات بِالتَّوليد في المنزلِ..

لتَضَعَ طفلةً من الزِّنىٰ.. هَرَبَت وتركَت الطِّفْلَةَ وَرَاءهَا.

تذكَّرت صَاحِبَهَا.. الَّذي كانَ سبباً في تَعَاسَتِهَا وشَقَائِهَا..

اتصلت بالحبيب لعلَّهُ ينقذها..

أطلقَ ضحكةً سَاخرةً.. فَهِي ليسَت أوَّل مَن تُنْجِبُ منهُ مِنَ الزنىٰ.. وأقْفَلَ سمَّاعةَ الهَاتِفِ بِوَجْهِهَا..

ماذا تَفْعَل.. لَجَأت إلىٰ التَّسوُّلِ..

وفي أيَّام غيبَتِها تَمَّ الإبلاغ من قِبَلِ وَالديهَا عَن اخْتِفَائِهَا.

عُثِرَ عَلَيْهَا وَتَمَّ إدخَالُهَا الإصْلاحيَّة.

خَرَجَت بعدَ أنْ أصبَحَت في الثَّلاثينياتِ.

لَجَأت إلىٰ العَمَلِ كَخَيَّاطَةٍ وبَقِيت وَحْدَهَا طوالَ هَذِهِ السِّنينَ بَعْدَ أن تَبرَّأ أهلُها مِنْهَا!.

دموعٌ مُتَتَالِيَةٌ سَقَطَت مِن عَيْني العجوزِ الضَّعيْفَةِ، عندَما رَأت فُسْتَانَ العَرُوسِ وتذكَّرت مَا وَعَدَهَا بِهِ الحبيبُ الكاذِبُ المُخَادعُ..

دارت بهَا الدُّنيا.. أهَازيج العُرْسِ تَخْتَلِطُ بِنَحِيْبِها.

وَقَعَت أرضاً بَعْدَ صَرْخَةٍ دامِيةٍ، وهيَ تَصرُخُ وتَقُولُ: ارحَمْنِي يَا رَبِّ.. ارحَمْنِي يا اللهُ.

وبعدها بمدَّةٍ مَاتَت جَارتُنا العَجُوزُ..

ودُفِنَت بعدهَا دونَ أن تجدَ عيناً عَلَيْهَا بَاكيةً..

حُرِمَت الحياةَ الزَّوجِيَّةَ الهانِئةَ..

حُرِمت الأبناءَ والأحفاد، والنَّظر في عُيُونهِم والعَطْفَ عَلَيْهِم..

حُرِمَت كلمةً هي من أعْظَم الكلماتِ.. كَلِمَة مَامَا..

كلُّ ذلكَ لأجلِ مَوْعِدٍ واحدٍ.. ولِقَاءٍ واحِدٍ.. ارحَمْـهَا يَـا ربَّ العبـاد.. خَسِـرَت الدُّنيا فلا تَخْسِر الآخرة..

فهل تُقدِّري يا أختـاهُ حَجْـمَ الخَسَـارةِ الَّـتي جَنَتْـها تِلْـكَ العَجُـوزُ حين مَشَت بِقَدميهَا لِلِقَاءِ صَدِيْقِهَا الخَائِنِ..

هذا اللِّقاء المحرَّم.. حَرَمَهَا لذَّة العيشِ الهانئ طيلةَ سنواتِ عُمرها.. وخسِـرت كلَّ شيءٍ..

وفي الخِتَام أقول لكِ يا ابنَتِي: السَّعِيْدُ مَن وُعظَ بِغَيْرِهِ..

وإيَّاكِ وَرفيقَاتِ السُّوء..

وفي الحديثِ الصَّحيح: قَالَ ﷺ: « إنَّمَا مَثَلُ الجَلِيْسِ الصَّالحِ، وجَلِيْسِ السُّـوءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ، ونَافخِ الكِيْرِ فَحَامِلُ المِسْكِ، إمَّا أنْ يُحْذِيَكَ، وإمَّـا أنْ تَبتَـاعَ مِنْـهُ، وإمَّا أنْ تَجِدَ مِنهُ رِيْحاً طَيِّبَةً، ونَافخُ الكِيْرِ، إمَّا أنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وإمَّا أنْ تَجِـدَ رِيْحـاً خَبِيْثَةً ». [متفق عليه].

* * *

وكان الشيطان رابعنا

قالَ أبو عبدِ الله: لا أعرفُ كيفَ أروي لك هَذِهِ القِصَّــة الَّـتي عِشْتُهَا مُنْـذُ فَـتْرَةٍ، والَّتي غَيَّرَت مَجْرَىٰ حَيَاتِي كُلّها، والحقيقَةُ أنَّني لَم أقُرّر أنْ أكْشِـفَ عَنْـهَا.. إلاَّ مِـن خِلال إحسَاسِي بِالمَسْؤُولِيَّةِ تِجَـاه اللهِ عَـزَّ وَجَـلَّ.. ولِتَحْذِيـر بَعْـض الشَّـباب الـذي يَعْصِي ربَّه.. وبَعْض الفتياتِ اللاَّتي يَسْعَيْنَ وَرَاءَ وَهْمٍ زَائِفٍ اسمُهُ الحُبُّ..

كنَّا ثلاثة مِنَ الأصدقاءِ يجمعَ بينَنَا الطيشُ والعُجْبُ كلاَّ بَـل أرْبَعَـةٌ.. فَقَـد كَـانَ الشَّيْطانُ رَابِعُنَا..

فكنَّا نذهبُ لاصطيادِ الفتياتِ السَّاذَجَات بِالكَلام المَعْسُـول، ونَسْتَدْرجهنَّ إلىٰ المزارع البَعِيْدَةِ، وهنَاكَ يُفَاجَأن بأنَّنا قد تَحَوَّلنَا إلىٰ ذئَابٍ لا تَرْحَم تَوَسُّـلاتِهِنَّ بَعْـدَ أنْ مَاتَت قُلُوبُنَا ومَاتَ فِينَا الإحساسُ.

هكَذا كَانَت أيَّامُنَا ولَيَالِينَا في المَزَارِع، في المُخَيَّمَات، وَالسَّيارَاتِ عَلـىٰ الشَّاطِئ، إلىٰ أنْ جَاءَ اليومُ الَّذي لا أنسَاهُ..

ذَهَبْنَا كَالمُعْتَاد للمَزْرَعَةِ، كَان كُلُّ شيءٍ جَاهِزاً، الفَرِيسَةُ (فتاة) لِكُلِّ وَاحِدٍ منَّـا، الشَّرابُ الملعونُ، شيءٌ واحدٌ نسيناهُ هو الطعامُ.. وبعدَ قليـلٍ ذهـبَ أحَدُنَـا لِشـرَاءِ طَعَام العشَاءِ بِسَيَّارَتِهِ، كانَت السَّاعَة السَّادِسَةُ تقريباً عِنْدَمَا انْطَلَقَ.. وَمَرَّت السَّاعَاتُ دُون أنْ يَعُودَ، وفي العَاشِرَة شَعَرْتُ بالقَلَقِ عَليهِ فَانطلقت بسيارتي أبحثُ عنه.. وفي الطريقِ رأيتُ حادثاً فظيعاً.. وعِنْدَمَا وَصَلْـتُ فُوجِئْـتُ بِأنَّـهَا سَيَّارةُ صَدِيقـي والنَّـارُ تَلْتَهِمُهَا وهي مَقْلُوبَةٌ عَلىٰ أحَدِ جَانِبَيْهَا.

أسْرَعْتُ كالمجنُون أحَاول إخْرَاجَهُ مِنَ السَّيارَةِ المُشْتَعِلَةِ، وَذُهِلْتُ عِنْدَمَا وَجَدْتُ

نِصْفَ جَسَدِهِ قَد تَفَحَّمَ تَمَاماً، لكِنَّهُ لا يَزَالُ عَلىٰ قَيْدِ الحيَاةِ فَنَقَلْتُهُ إلىٰ الأَرْضِ..

وَبَعْدَ دَقيقَةٍ فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَأَخَذَ يَهْذِي ويصرخُ قائلاً: النَّار.. النَّار.

فَقَرَّرتُ أنْ أحمِلَهُ بِسَيَّارتي وأسرع بهِ إلىٰ المستشْفَىٰ لكنَّهُ قال لي بصوتٍ بَاكٍ: لا فَائدة.. لَن أصِل..

فَخَنَقَتْنِي الدُّمُوعُ وأنا أرىٰ صديْقِي يَمُوتُ أمَامي، وفُوجئتُ به يَصْرُخُ: ماذا أَقُولُ له.. ماذا أَقُولُ له؟ نظرتُ إليهِ بِدَهْشَةٍ وسألْتُهُ: مَن هو؟ قَال بصوتٍ كأنَه قَادم مِن بِئْرٍ عَمِيْق: الله.

أحسستُ بالرُّعْبِ يَجْتَاح جَسَدِي ومشَاعري، وفجأةً أطلقَ صديقِي صَرْخَةً مُدَوِّيَةً، ولفظَ آخرَ أنْفَاسِهِ.. وَمَضَت الأيَّامُ لكنَّ صُورَةَ صَدِيْقي الرَّاحِل لا تَزالُ تترَدَّدُ في ذِهْني وهُو يَصْرُخُ والنَّار تَلْتَهِمُهُ. ماذَا أقولُ لَهُ.. مَاذا أَقُولُ للهِ تَعالىٰ؟.

ووجدتُ نفسي أتساءلُ: وأنا ماذَا سأَقُولُ لَهُ ؟ فاضَت عينَاي واعتَرَتْني رعْشَةٌ غريبة.

وفي نفسِ اللَّحظَةِ سمعتُ المؤذِّنَ يُؤذِّنُ لصلاةِ الفَجْرِ مُنَادِياً: اللهُ أكبرُ.. اللهُ أكبرُ.

وعندما نادىٰ: حيَّ عَلىٰ الصَّلاة.. أحْسَسْتُ أنَّـه نِـداءٌ خـاصٌ بـي يَدْعُونِـي إلىٰ طَرِيق النُّور والهِدَايَةِ..

فَاَغتسلْتُ وَتوَضَّأتُ وَطَهَّرت جَسَدِي مِن الرَّذيلةِ الَّتي غَرِقْتُ فِيْهَا لِسَنَواتٍ..

وأدَّيتُ الصَّلاة.. ومن يَومِهَا لَم أتْرُك فرضاً. وأحمدُ اللهَ الَّذي لا يُحْمَدُ سِواه.. لَقَد أصْبَحْتُ إنساناً آخرَ.. وسبحَانَ مُغَيِّر الأحوال.. وبأذن اللهِ تَعَالىٰ أستَعِدُّ للذَّهَـاب لأدَاءِ العُمْرَة، وإنْ شَاءَ اللهُ الحج فَمَن يَدْري، الأعمارُ بِيَدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتعَالىٰ.

تلكَ حِكَايَةُ توبَتِي وَهَا أنَا ذا أَقُول لكلِّ شابٍّ: الحذَرَ.. الحذَرَ مِـن صُحْبَـةِ مَـن يُعينوكَ علىٰ تَعدِّي حدود الله وفي حكَايَتِي عِبْرَةٌ وَعِظَةٌ فَهل مِن مُعْتَبِر؟.

كُوخُ الأَحْزَان

كتبَ أحدُهُم قائلاً: كَانَ لي صَدِيقٌ أحِبُّـهُ لِفَضْلِهِ وَأدَبِهِ، وكَانَ يَرُوقُني مَنْظَرُهُ ويُؤنسُنِي كلامهُ وَمَحْضَرهُ..

قَضيتُ في صُحْبَتِهِ عَهْداً طويلاً مَا أنكِرُ مِن أمْرِهِ، وَلا يُنْكِرُ مِن أمْرِي شَيْئاً حَتَّىٰ سَافَرْتُ وتركتُهُ.. وَتَرَاسَلْنَا بعدهَا حِيناً ثمَّ انقَطَعَت بَيْنَنَا العَلاقَاتُ..

رَجَعْتُ بعدَ مُدَّةٍ من السفرِ.. وَجَعَلْتُ أكْبَرَ هَمِّي أن أرَاهُ ولو للحظَةٍ.. لمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ مِن صِلَةٍ، وَطَلَبْتُهُ في جَمِيعِ المَوَاطِنِ الَّتي كُنْتُ ألقَاهُ فيهَا فَلَم أجِد لَهُ أثراً!.

ذَهَبْتُ إلىٰ مَنْزِلِهِ فَحَدَّثَنِي جِيرَانُهُ أنَّهُ نَقَلَ سكنَهُ مُنْذُ عَهْدٍ بَعِيْدٍ..

وَقَفْتُ بَينَ اليأسِ وَالرَّجَاءِ وقد غلبَ علىٰ ظَنِّي أنِّي لَن أرَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ اليَوْم وأنِّي قَد فَقَدْتُ ذَلِكَ الرَّجُلَ..

وبينمَا أنَا عائِدٌ إلىٰ مَنْزِلي في لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيالي دَفَعَنِي جَهْلِي في الطَّريق في الظَّلام إلىٰ سُلُوكِ طَرِيْقٍ مُوحِشٍ مَهْجُور، يُخَيَّلُ للنَّاظِرِ فِيْهِ أنَّهُ مَسْكَنٌ للجنِّ.. إذْ كانَ متَعارفٌ بيننا أنَّه لا وُجُودَ للإنْسِ فيهِ..

فَشَعَرتُ كأنِّي أخُوضُ في بَحْرٍ.. وكَأنَّ أمواجَهُ تُقْبِلُ بِي وتُدْبِر، فَمَا إنْ تَوَسَّطتُ الشَّارع حتَّىٰ سَمِعتُ في مَنْزِلٍ مِن تِلكَ المَنَازِلِ أنَّةً تَتَرَدَّدُ في جَوفِ اللَّيل، ثُمَّ تَلَتْهَا أنَّةٌ أخرىٰ.. ثمَّ صرخَةٌ.. فَأثَّر في نَفْسِي هَذا الأنينُ وقُلْتُ: يَا لَلْعَجَبِ كَم يكْتُمُ هَذَا الليلُ مِن أسْرَارٍ، وكُنْتُ قَد عَاهَدْتُ اللهَ أن لا أرىٰ حَزِيْناً إلاَّ سَاعَدْتُهُ..

فَتَلَمَّسْتُ الطريقَ إلىٰ ذَلِكَ المَنْزِلِ وَطَرَقتُ البابَ طَرْقاً خَفِيْفاً، ثُمَّ طَرَقْتُهُ طَرْقاً

أكثرَ قُوَّةً، وإذا بالبابِ يُفْتَحُ مِن قِبَلِ فَتَاةٍ صَغِيرَةٍ فتَأَمَّلْتُهَا جيداً! وإذا بِيَدِهَا مِصْبَاحٌ وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ مُمَزَّقَةٌ!.

قلتُ لها: هَل عِنْدكُم مَرِيضٌ؟ فَزَفَرَت زَفْرةً كادَت تَقْطَع نِيَاطَ قَلْبِهَا وقَالَت: نَعَم أدركني.. إنَّ أبِي يُحْتَضَرُ!! يموتُ..

مَشَت الصَّغيرةُ أمَامِي فَتَبِعْتُهَا حتَّىٰ وَصَلَت إلىٰ غُرْفَةٍ ذَات بَابٍ قَصِيرٍ وَدَخَلْتهَا فَخُيِّلَ إليَّ أنَّنِي دَخَلْتُ إلىٰ قَبْرٍ وَلَيْسَ إلىٰ غُرْفَةٍ..

وإلىٰ مَيِّتٍ وَلَيْسَ إلىٰ مَرِيضٍ!.

دَنَوْتُ مِنهُ حَتَّىٰ صِرْتُ بِجَانِبِهِ، فَإذا هُوَ قَفَصٌ مِنَ العِظَامِ يَتَرَدَّدُ فيهِ نَفَسٌ مِنَ الهَوَاءِ ضعيف..

وَضَعْتُ يَدي علىٰ جَبِينه فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ الدَّامِعَتَين وَأطَالَ النَّظَرَ فِي وَجْهِي.. ثمَّ فَتَحَ شَفَتَيْهِ وَقَالَ بِصَوْتٍ منخَفِض: أحْمَد..! حمداً للهِ علىٰ سلامتِك.. فَقَدْ وَجَدْتُكَ أخيراً يَا صَدِيقِي..

فشعرتُ كأنَّ قَلْبِي يَتَمَزَّقُ وَعَلِمْتُ أنَّنِي قَد عَثَرْتُ علىٰ ضَالَّتِي الَّتي كُنْتُ أنْشُدُهَا.. يا الله ما هذهِ المصادفة.. إنَّها الأيامُ والمقاديرُ.. إنَّهُ صَدِيقِي الَّذي كنتُ أبحثُ عَنهُ وَقَد فَقَدْتُ الأمَلَ في لِقَائِهِ مِن جَدِيْد.. إنَّهُ رَفيقِي الَّذي كُنتُ أعرِفُهُ لكِنَّنِي لَم أعْرِفْهُ مِن مَرَضِهِ الذي هو فيه..

فَقُلْتُ لَهُ: صَدِيقِي (..) قُصَّ عليَّ قِصَّتَكَ.. أخْبِرْني مَا خَبَرُكَ.. ما الذي أتىٰ بكَ إلىٰ هنَا؟؟.

فقال لي: اسْمَع مِنِّي قصَّتي لعلِّي أريحُ قَلْبِي مِن عَذَابِ الضَّمِيْر.. ثمَّ سَاقَ القِصَّةَ فَقَالَ:

مُنْذُ سِنينَ كُنْتُ أسكُنُ أنَا ووَالِدتِي بَيْتاً ويَسكُنُ بِجِوارنَا رَجُلٌ مِن أهْلِ الثَّراءِ.. وكَانَ قَصْرُهُ يَضُمُّ بَيْنَ جَنَبَاتِهِ فتاةً جميلةً.. ألَمَّ بِنَفْسِي مِنَ الشَّوق وَالوَجْدِ مَا لَم أسْتَطِع مَعَهُ صَبْراً.. وَمَا زِلْتُ أتَابِعُهَا وَأعَالِجُ أمْرَهَا حتَّىٰ أوْقَعْتهَا في شِبَاكِي..

ولقد أتىٰ إلىٰ قَلْبِهَا مَا أتىٰ إلىٰ قَلْبِي.. وَعَثرتُ عليهَا في لَحْظَةٍ مِنَ الغفْلَةِ عَن اللهِ بَعْدَ أنْ وَعَدْتها بالزَّوَاجِ.. فَاسْتَجَابَت لي وَأسْلَمَت نَفْسَهَا لي وألقت بروحها بينَ يديَّ.. ولا أخفيكَ سراً لقد سَلبتهَا شَرَفَهَا في يَوْمٍ مِنَ الأيامِ.. وَمَا هِيَ إلاَّ أسابيعٌ قَلِيْلَةٌ حتَّىٰ عَرَفتُ أنَّ في بَطْنِهَا جَنِيْناً يَضْطَرِبُ! فطَفِقْتُ أبْتَعِدُ عَنْهَا وَأقْطَعُ حَبْلَ وُدِّها..

وهَجَرَت الفتَاةُ ذَلِكَ المَنْزِلَ الَّذي كُنْتُ أزُورُهَا فِيْهِ وانقطَعت عنيِّ أخبارُها..ولَم يَعُد يَهُمُّنِي مِن أمْرِهَا شَيْءٌ.. ومرَّت علىٰ الحَادِثَةِ أعْوَامٌ..

وفي ذات يومٍ حَمَلَ إليَّ البريدُ رسَالَةً مَدَدْتُهَا وَقَرَأتُ مَا بِدَاخِلِهَا وإذا بِهَا تكْتُبُ إليَّ هَذِهِ الفتاةُ ! وتَقُول:

« لَو كانَ بِي أنْ أكتُبَ إليكَ لأُجَدِّدَ عَهْداً دَارِساً.. أو وُدّاً قديماً ما كَتَبْتُ سَطْراً واحداً، ولا خَطَطْتُ حرفاً واحداً، لأنِّي لا أعتَقِدُ أنَّ عهداً مِثْلَ عَهْدِكَ الغَادِرِ، وَوداً مِثْل وُدِّك الكَاذِب، يَسْتَحِقُّ أنْ أحْفَلَ بِهِ فَأذكُرهُ، أو آسَفَ عليهِ فأطلبَ تَجْدِيْدَهُ..

إنَّك عَرَفْتَ حينَ تَركْتَنِي أنَّ بَيْنَ جَنْبَيَّ نَاراً تَضْطَرِم، وَجَنِيْناً يَضْطَرِبُ، تِلْكَ للاسَفِ عَلَىٰ المَاضِي، وذَاكَ للخوفِ مِنَ المُسْتَقْبَل، فَلَم تُبَالِ بِذَلِكَ، وَفَرَرتَ مِنِّي حتىٰ لا تُحَمِّل نَفْسَكَ مَؤُونَةَ النَّظَرِ إلىٰ شَقَاءٍ أنتَ صَاحِبُهُ، ولا تُكَلِّفَ يَدَكَ مَسْحَ دُمُوعٍ أنْتَ مُرْسِلُهَا..

فهل أستَطِيْعُ بَعْدَ ذَلِكَ أن أتصوَّرَ أنَّك رَجُلٌ شريفٌ، لا بَل لا أستَطِيعُ أنْ أتصوَّرَ

أنّكَ إنسانٌ، لأنَّكَ مَا تَركْتَ صفَةً مِنَ الصِّفَاتِ المُتَفَرِّقَةِ في نُفُوسِ العَجْمَاوَاتِ وَالوُحُوشِ الضَّارِيَةِ إلاَّ جَمَعْتَهَا في نَفْسِكَ، وظهرتَ بِهَا جَمِيْعهَا في مَظْهَرٍ وَاحِدٍ..

كَذَبْتَ عَلَيَّ في دَعْواكَ أنّكَ تُحِبُّنِي ومَا كُنْتَ تُحِب إلاَّ نَفْسَكَ، وكلّ مَا في الأَمْرِ أنّكَ رأيتني السَّبيلَ إلىٰ إرْضَاءِ نَفْسِكَ، فَمَرَرت بِي في طَرِيقِكَ إليهَا، ولولا ذَلِكَ مَا طَرَقْتَ لي بَاباً، ولا رأيتَ لي وَجْهاً..

خُنْتَني إذْ عَاهَدْتَنِي علىٰ الزَّواج، فأَخْلَفْت وَعْدَكَ ذَهَاباً بِنَفْسِكَ أن تَتزَوَّجَ امْرَأَةً مُجْرِمَةً سَاقِطَةً، وما هَٰذِهِ الجَرِيمَةُ ولا تِلْكَ السَّقْطَةُ إلاَّ صورَةَ نَفْسِكَ، وَصَنْعَة يَدِكَ..

وَلَولاكَ مَا كُنْتُ مُجْرِمَةً ولا سَاقِطَةً..

فَقَد دَفَعْتُكَ ـ جَهْدِي ـ حتَّىٰ عَيِيتُ بِأَمْرِكَ، فَسَقَطْتُ بينَ يَدَيْكَ سُقُوطَ الطِّفْلِ الصَّغِيْر، بينَ يَدَي الجبَّار الكَبِيْر، سَرَقتَ عِفَّتِي، فَأَصْبَحْتُ ذَلِيْلَةَ النَّفسِ حَزِيْنَةَ القَلْبِ، أَسْتَثْقِلُ الحياةَ وَأَسْتَبْطِئُ الموتَ، وأيُّ لَذَّةٍ في العَيْشِ لامْرَأةٍ لا تَسْتَطِيْع أن تكُونَ زوجةً لِرَجُلٍ.. ولا أمّاً لولدٍ! بَل لا تَسْتَطِيعُ أنْ تَعِيْشَ في مُجْتَمَعٍ مِن هَٰذِهِ المُجْتَمعَاتِ البَشَرِيَّةِ إلاَّ وهي خَافِضَةَ رَأسهَا، تَرْتَعِدُ أوصَالُها، وَتَذُوبُ أحشَاؤهَا، خَوْفاً مِن تَهكُّم المُتَهكِّمِيْنَ..

سَلَبْتَنِي رَاحَتِي لأنّي أصْبَحْتُ مُضْطرةً بَعْدَ تِلْكَ الحَادِثَةِ إلىٰ الفِرَار مِن ذَلِكَ القَصْرِ الكبير.. وَتِلكَ النِّعمَةِ الوَاسِعَة.. وَذَلِكَ العَيْشِ الرَّاغِدِ إلىٰ مَنْزِلٍ لا يَعْرِفُنِي فيهِ أحَدٌ..

قَتَلْتَ أبِي وَأمِّي، فَقَد عَلِمْتُ أنّهُمَا مَاتَا، وَمَا أحسبُ مَوتَهمَا إلاَّ حُزْناً لِفَقْدِي، وَيَأساً مِن لِقَائِي، قَتَلْتَنِي لأنَّ ذَلِكَ العَيْشَ المُرَّ الّذي شَرِبْتُهُ مِن كَأسِكَ، وَذَلِكَ الهَمّ الّذي عَالَجْتُهُ بِسَبَبِكَ، قَد بَلَغَا مَبْلَغَهُمَا مِن جَسَدِي وَنَفْسِي فَأصْبَحْتُ في فِرَاشِ

الموْتِ كالذُّبابَةِ المحْتَرِقَةِ تتلاشَىٰ..

هَرَبتُ مِن بَيْتِ وَالدِي إذْ لم يكُن لَدَيَّ قُدْرَة عَلىٰ مُوَاجَهَةِ بَيْتِي.. وَأبِـي وأمِّـي.. وَذَهَبْتُ إلىٰ مَنْزِلٍ مَهْجُورٍ وَعِشْتُ فيهِ عَيْشَ الهَـوَانِ.. وَتُبْـتُ إلىٰ اللهِ وَإنِّـي لأَرْجُـو أن يكُونَ اللهُ قَد قَبِلَ تَوْبَتِي وَاستَجَابَ لي دُعَائِي كي يَنْقُلَنِي مِن دَارِ الموْتِ وَالشَّـقَاءِ إلىٰ دَارِ الحيَاةِ وَالهنَاءِ..

وهاأنذا أمُوتُ.. وأنْتَ أيُّها الكَاذِبُ المُخَادِعُ.. واللِّصُّ القَاتِل.. لا أظُـنُّ أنَّ اللهَ تَارِكُكَ دُونَ أن يَأْخُذَ حقِّي مِنْكَ..!

فإنَّنِي مَا كَتَبْتُ لكَ وَاللهِ لأُجَدِّدَ مَعَكَ عَهْداً، أو أخطُـبَ لَـكَ وُدّاً.. وَأنْـتَ أهْـوَنُ عَلَيَّ مِن ذَلِكَ..

إنَّنِي قَـد أصْبَحْـتُ عَلـىٰ بَـابِ القَـبْرِ.. وَفي مَوْقِـفٍ أوَدِّعُ فيـهِ الحيـاةَ سَـعَادَتَها وَشَقَاءَهَا.. فَلا أمَلَ لِي فِي وِدِّهَـا وَلا مُتَّسَـعَ لي في عَـهْدِهَا.. وَإنَّمَـا كَتَبْـتُ لـكَ لأنَّ عِنْدِي وَدِيْعَةً لَكَ.. إنَّهَا ابْنَتُكَ.. فَإنْ كَانَ الَّذي ذَهَبَ بِالرَّحْمَةِ مِـن قَلْبِـكَ أبْقَـىٰ لَـهَا مِنْكَ رَحْمَةَ الأبُوَّة.. فَاقْبَلْهَا وَخُذْهَا إليكَ حَتَّىٰ لا يُدْرِكها مِـنَ الشَّـقَاءِ مِثْـل مَـا أدْرَكَ أمَّهَا مِن قَبْلُ ! والسَّلام.

طبعاً هِيَ مَاتَت.. ماتَت وَتَركَت البِنْتَ في هَذَا المكَانِ المَهْجُورِ وَلَيْسَ لَهَا عَائِلٌ إلاَّ اللهُ تعالىٰ..

يقولُ راوي القصَّةِ:

مَا إن أتْمَمْتُ قِرَاءةَ هَذا الكِتَابِ.. ثمَّ نَظَـرْتُ حتَّـىٰ رَأيـتُ مَدَامِعَـهُ تَنْحَـدِرُ مِـن جَفْنَيْهِ.. ثمَّ قَالَ لي صَديقي الطَّريح عَلىٰ الفِرَاش:

إنَّني واللهِ مَا إن قَرَأتُ هَذا الكِتَـابَ حَتَّـىٰ أحْسَسْـتُ بِرَعْـدَةٍ تَتَمَشَّـىٰ في جَمِيـعِ

أوْصَالي وَخُيِّلَ إليَّ أنَّ صَدْرِي يُحَاوِلُ أنْ يَنْشَقَّ عَن قَلْبِي.. فَأسرعتُ إلىٰ مَنْزِلِهَا الَّذي تَرَانِي فيهِ الآنَ.. هَذَا البيتُ الخَرِبُ.. وقَد رَأيْتُهَا في هَذِهِ الغُرْفَةِ وَهِي تَنَامُ عَلىٰ هَـذا السَّرِيرِ جُثَّةً هَامِدَةً لا حرَاكَ بِهَا..

وَرَأيتُ هَذِهِ الطِّفلَةَ الَّتي تَرَاهَا أمامَكَ وَهيَ في العَاشِرَةِ مِن عُمُرِهَـا تَبْكِـي حُزْنـاً عَلىٰ أمِّهَا..

وتَمثَّلت لي جَرَائِمِي في عَشِيَّتِي هذِهِ، كَأنَّمَـا هِـيَ وُحُـوشٌ ضَارِيَـةٌ هـذا يَنْشَـبُ أظفَارَهُ.. وذاكَ يُكَشِّرُ أنيَابَهُ.. فَمَا أفَقْتُ حتَّـىٰ عَـاهَدْتُ اللهَ تعـالىٰ أنْ لا أبْـرَحَ هَـذِهِ الغُرْفَةَ الَّتي سَمَّيْتُهَا غرفَةَ الأحزانِ حَتَّىٰ أعيشَ عِيْشَةَ تِلْكَ الفَتَـاةِ الضَّحيـة.. وأمـوتَ كمَا مَاتَت وَهَاأنَذَا أموتُ اليومَ رَاضياً مَسْرُوراً..

وَقَد تُبْتُ إلىٰ اللهِ وَثِقَتِي في رَبِّي أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يُخْلِفُ مَا وَعَدنِي، وَلَعَـلَّ مَـا قَاسَيْتُ مِنَ العَذَابِ وَالعَنَاءِ، وكَابَدْتُ مِـنَ الألَـم وَالشَّـقَاءِ كَفَّـارةٌ لِخَطِيئَتِـي.. وهـذه ابنتي أمانَة في عُنقِكَ.. احفظْهَا علىٰ الطُّهْرِ والعَفَافِ والفَضِيْلَة.. ولا تخبرهَـا شـيئاً عَن أمِّهَا وأبِيْهَا..

* * *

الحسناءُ الّتي دمّرت حياتي

قِصَّةٌ مُؤْلِمَةٌ يَرويهَا صَاحِبُها بِنَفْسِهِ فيقول:

في يوم أسْوَد وفي أحَدِ الأسواقِ التِّجاريةِ كُنْتُ جَالساً في أحَدِ المَقَاهِي (coffee shop) أشربُ القهوةَ وأقرأ جَريدتي المُفَضَّلَة فإذا بِفَتَاةٍ جميلةِ العَينين جَذَّابةٌ في جِسْمِهَا تَتَغَنَّجُ في مشْيَتِهَا، تَمرُّ مِن أمَامِي وَهِيَ تُنَاظِرُني نَظْرَةَ الوَلهَانَةِ المُتَعَطِّشَةِ لِجَمَالي وَوَسَامَتي وَأنَاقَتِي، فَإذا بِي أقُومُ واقفاً وأُطاردُها مِن غير شعورٍ، وإذَا بِهَا تَدْخُلُ أحَد المَحلاّت التجاريَّةِ، فَلَم أستَطع أنْ أدْخُلَ خَلْفَهَا وذلكَ خَوفاً مِن رجَالِ الهيئةِ وَلَيْسَ خَوْفاً مِنَ اللهِ (والعياذُ باللهِ) فَأدَارَت وَجْهَهَا وَأشَارَت إليَّ بِيَدِهَا البَيْضَاء الجميلَة النَّاعِمَةِ المُذَهَّبَةِ بِالخَوَاتِم وَالألْمَاسِ كي أدخلَ خلفَها.. وَمِن غَير شعُور دَخَلْتُ المَحلَّ.. فَقَالَت لي بِكُلِّ أدَبٍ لَو سَمَحْتَ ممكِن الرَّقَم، فَأمْلَيْتُهُ عليهَا شَفَهِيّاً وهي تُسَجِّلُهُ في الجوّال الّذي ظَهَرَ لنَا في هَذا العَصْرِ وَجَلَبَ لَنَا المَصَائِبَ وَالمَشَاكِلَ لأنّنا لم نُحسن استعمَالَهُ في الخَيْرِ.

وَبَعْدَهَا بِسَاعَاتٍ أي في آخِرِ اللَّيل هَاتَفَتْني وَبَدَأنَا بِالكَلام الجميلِ وَالإعْجَابِ المتبادلِ مِن كِلا الطَّرفين وَقَالَت لي: إنَّها مُطَلَّقَةٌ، وَسَيِّدَةُ أعمَالٍ، وَتَمْلِكُ أموالاً كثيرةً، وَتَبْلُغُ مِنَ العُمُرِ (٣١) عاماً ولكن من يَرَاها يَظنُّ أنَّهَا فَتَاةٌ بِعُمْرِ الـ (١٨) ربيعاً.

وبعدَ كُلِّ هذا الكلام بَدَأنَا بِتَحْدِيْدِ المُقَابَلاتِ وَتَقَابَلْنَا كَبِدَايَةٍ في المَطَاعِم ثُمَّ المَقَاهِي، وكُنْتُ في كُلِّ مُقَابَلَةٍ لا أستَطِيع أن أحصلَ منها على شيءٍ ولو قبلة.. أو

أن ألمسَ يَدَهَا.. فَزَادَ تَمسُّكِي بِهَا أكْثَرَ فأكثر، لأنَّني قُلْتُ في نَفْسِي إنَّهَا شَريفَةٌ وَلَم تَتَعَرَّف عَلىٰ أحَدٍ غَيري مِن قَبْلُ، ولا تُريدُ أنْ تَتَعَرَّف علىٰ أحَدٍ غَيْري لأنَّنِي في نَظَرِهَا الشَّابُّ الوسيمُ، وهَذَا صحيحٌ فأنَا علىٰ قَدَرٍ كبيرٍ مِنَ الجمَالِ.

وفي ذات يَوم هَاتَفَتْنِي وَقَالَت لي: أريدُكَ في أمْرٍ مُهِمٍّ. فَقُلْتُ لهَا: أنا تَحْتَ أمْركِ يَا حَيَاتِي. فَقَالَت لي: أريدُ أنْ أقَابِلَكَ في المَطْعَم الفُلانِي بَعْدَ سَاعَةٍ. فَقُلْتُ لها: أنَا قَادِمٌ عَلىٰ نَار (بَل عَلىٰ جَحِيْم)..

فَقَابَلْتُهَا في المَطْعَم وَدَارَ الحَدِيْثُ بَيْنَنَا فَقُلْتُ لَهَا: مَاذَا تُريدِيْنَ مِنِّي يَا حيَاتِي أنْ أفْعَلَ ؟ فَإذا بِهَا تُخرِجُ مِن حَقِيْبَتِهَا تَذْكَرةَ سَفَرٍ إلىٰ القَاهِرَةِ مِنَ الدَّرجَةِ الأُولىٰ بأسمي، وكَذَلك إقَامَة لِمُدَّةِ ثَلاثَةِ أيَّام في فُنْدُق سَميراميس (خمسةُ نُجُوم)..

وكَذَلك أعطتني شيكاً مُصَدَّقاً بأسمِي بِمَبْلَغ وَقَدْرُهُ (عَشَرَةُ آلاف) ريَال وقَالَت لي: أريدكَ أنْ تَذْهَبَ إلىٰ القَاهِرَةِ بَعْدَ غَدٍ كَمَا هُو مَحْجُوزٌ في التَّذكِرَة إلىٰ ذَلِكَ الفُنْدُق (الجَحِيْم) إلىٰ شَخْصٍ يُدْعىٰ (فلان) وهَذَا رَقَمُ هَاتِفِهِ (؟!؟!؟!) حتَّىٰ يَذْهَبَ بِكَ إلىٰ الشَّركَةِ الفُلانِيَّةِ وَتُوَقِّع نِيَابَةً عَنِّي مَعَهُ عَلىٰ كَمِّيَّةٍ مِنَ المَلابِسِ وَالأزيَاءِ العَالميَّةِ القَادِمَة مِن بَاريس، وَهَذِهِ وَرَقَةُ تَوكيلٍ مِنِّي بِذَلِكَ، فَأرجُو مِنْكَ الذَّهَابَ، فلا تتأخَّر.. فَقُلْتُ لَهَا: مِن عَيني يَا حَيَاتِي.

وَأخَذْتُ إجَازَةً مِنَ العَمَل بَعْدَ الشِّجَار مَع رَئِيسِي في الشَّركَةِ، وَسَافَرتُ في المَوعِدِ نَفْسِهِ (ويَا لَيْتَنِي لَم أسَافِر تِلْكَ السَّفْرَة) فَبَعْدَ أنْ وَصَلْتُ إلىٰ هُنَاكَ في السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ عَصْراً أخَذْتُ قِسْطاً مِنَ الرَّاحَةِ، وفي تَمَام السَّاعَةِ السَّادِسَةِ مَسَاءً أخَذْتُ هَاتفي الجوَّال وطَلَبْتُ ذَلِكَ الرَّقَم (ويا ليتَنِي لم أطلُبْهُ).

هل تَتَوَقَّعُونَ مَن كَانَ عَلىٰ هَذا الرَّقم ؟ إنَّهَا صَاحِبَتِي، لقَد سبقتني إلىٰ هناك!

فَقُلْتُ لَهَا مندهشاً: فُلانَة ؟؟ فَقَالَت: نَعَم بِشَحْمِهَا وَلَحْمِهَا، هَل تَفَاجَأْت يَا حَبِيْبِي؟؟ فَقُلْتُ: نَعَم. فَقَالَت لي: أَنَا آتيةٌ لأَشْرَح لَكَ الأمرَ أَكْثَر.. ثمَّ قَالت لي: تَعَال يَا حَبِيْبي إِلىٰ الجناح رَقَم (!؟!) فَذَهَبْتُ فَوْراً وَأَنَا مَبْسُوطٌ فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا الجِنَاح في نَفْسِ الفُنْدُقِ، وإذا هِيَ تلبسُ المَلابِسَ الشَّفَّافَةَ الخليعَةَ الفَاتِنَةَ الَّتي مَن رَآهَا وهي بِتِلْكَ الزِّي لا يَسْتَطِيعُ أَن يَمْلِكَ نَفْسَهُ!!.

فَعَانَقَتْنِي وَبَدَأَت تُقَبِّلُني وَتُدَاعِبُني.. فَنَسيتُ نَفْسِي وَجَامَعْتُهَا.. لا بَل زَنَيْتُ بِهَا وَالعِيَاذُ بِاللهِ تعالىٰ..

وهكذَا أَحلَوت الجلْسَةُ فَمَدَّدتُ إجَازَتي إلىٰ عَشَرَةِ أَيَام، وَمكَثْتُ هنَاكَ كُلَّ المُدَّةِ مَعَهَا، وَبَعْدَ أَنْ عُدْنَا إلىٰ بلدنا عَلىٰ طائرةٍ واحدَةٍ.. وفي الدَّرجَةِ الأُولىٰ أيضاً، المقعَدُ بِجَانِب المَقْعَد.. وَنَحْنُ في الجَوِّ وَالله يَرَانَا مِن فَوقنا، وكَأَنَّنا لَم نُحِسَّ بِوُجودِهِ تَعَالىٰ وَالعِيَاذُ باللهِ! وَاستَمَرَّت علاقتي مَعَهَا عَلىٰ هَذه الحَال لِمُدَّةِ سَنَةٍ تقريباً! أَذهَبُ لهَا للجِمَاع في قَصْرِهَا، وَهِي كَذَلِكَ كَانَت تَأتي إلىٰ شقَّتِي المُتَوَاضِعَةِ، ولَيْسَ لِشقَّتي الَّتي لا تَليق بِمَقَامِهَا وَلكِن كَانَت تَأتيني لِجَمَالي وَوَسَامَتِي وَإِشْبَاع رَغْبَتِهَا الجِنْسِيَّةِ ليسَ إلاَّ..!.

وذات يَوم كُنْتُ أَنَا وأخِي في إحدىٰ المدن.. فَقَدَّرَ اللهُ وَحَصَلَ لَنَا حَادِثٌ مُروري فَأُصيبَ أخِي بِنَزِيفٍ حَادٍّ وَأَنَا لَم أُصَب بِأيِّ أَذىً وَالحَمْدُ للهِ، وَإِنَّما كَدَمَاتٌ خَفيفَةٌ غير مُؤلمة، فَتَجَمْهَرَ النَّاسُ عَلَيْنَا وَأَتىٰ الهِلالُ الأحمرُ وأَسْعَفَنَا إلىٰ إحدىٰ المُسْتَشْفَياتِ القَرِيبَةِ مِنَ الحَادِثِ.. وأُدْخِلَ أَخي غُرفَةَ العَمَلِيَّاتِ فَوْراً.. وَطَلَبَ مِنِّي الطبيبُ أَنْ أَتبَرَّعَ لأخِي مِن دَمِي لأنَّ فَصِيلَتِي تُطَابِقُ فَصِيلَتَهُ.. فقلتُ: أَنَا جَاهِز.. فَأَخَذَني إلىٰ غُرْفَةِ التَّبرع بِالدَّم، وَبَعْدَ أَنْ أَخَذُوا مِنِّي عَيِّنَةً بسيطةً وَتَمَّ فَحصُهَا مِن

الأَمْرَاضِ المُعْدِيَةِ، ولقد كُنْتُ واثقاً مِن نَفْسِي وَلَم يَطْرأ عَلىٰ بَالي لَحْظتها صَدِيقَتِي الَّتي جَامَعْتُهَا، وخرجَت نَتيجَةُ الفَحْصِ، وأَتَىٰ الطَّبيبُ وَوَجْهُهُ حَزِينٌ.. فَقُلتُ لَهُ: مَاذا أَصَابَ أخِي يَا طَبيب ؟ قُل لي أَرْجُوكَ؟.

فَقَالَ: يَا ابْنِي أُرِيدُكَ أن تكُونَ إنساناً مُؤْمِناً بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِه، فَنَزَلْتُ عَن السَّرِيرِ وَاقِفاً وَصَرَخْتُ قَائِلاً هَل مَاتَ أخِي؟ هَل مَاتَ أخِي؟.

فَقَالَ: لا.. فَقُلْتُ مَاذَا إذن؟ فَقَال لِيَ الطَّبِيبُ: إنَّ دَمَكَ مُلَوَّثٌ بِمَرَضِ الإيدْز الخَبِيثِ.. فَنَزَلَ كَلامُهُ عَلَيَّ كَالصَّاعِقَةِ.. لَيتَ الأَرْضَ انْشَقَّت وَابْتَلَعَتْنِي.. قبلَ أن يَقولَ لي هَذَا الكَلامَ.. وإذَا بِي أَسْقُطُ مِن طُولي عَلىٰ الأَرضِ مَغْشِيّاً عَلَيَّ، وَبَعْدَ أنْ صَحَوْتُ مِن هَولِ الصَّدْمَةِ وجَسَدي يَرْتَعِشُ خوفاً ورهبَةً.. هَل حَقّاً أنّي مُصَابٌ بِهَذَا الدَّاءِ القَاتِلِ.. يَا اللهُ يا اللهُ ومُنْذُ مَتَىٰ وأَنَا بِهَذِهِ الحَالَةِ المزرية؟.

فقَالَ لي الطَّبيبُ: أنتَ غَيرُ مُصَاب ولكِنَّكَ حَامِلٌ للمَرَضِ فَقَط وَسَوفَ يَستَمِرُّ مَعَكَ إلىٰ مَدَىٰ الحياةِ وَاللهُ المُستَعَانُ!!.

وَبَعْدَ يَومينِ مِنَ الحَادِثِ تُوُفِّيَ أخِي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ فَحَزِنْتُ عليهِ حُزْناً شديداً لأنَّهُ لَيْسَ مُجرد أخٍ فَقَط ولكِن كانَ دَائِماً يَنْصَحُنِي بِالابْتِعَادِ عَن تِلْكَ الفَتَاةِ (صَاحِبَتِي) لأنَّنِي قَد صَارَحْتُهُ بِقِصَّتِي مَعَهَا مِن قَبْل.. وَبَعْدَ مَوتِ أخِي بِعَشَرَةِ أَيَّام إذْ بِصَاحِبَتِي تُهَاتِفُني وتَقُولُ لي أينَ أَنْتَ يَا حَبِيبِي؟ طَالَت المُدَّةُ.

فَقُلْتُ لها بِغَضَبٍ شَدِيْدٍ: مَاذَا تُريدين؟ فَقَالَت مَاذَا حَلَّ بِكَ؟.

فَقُلْتُ: مَاتَ أخِي بِحَادِثٍ وَأَنَا حَزِينٌ عليهِ.

فقالت: الحيُّ أبْقَىٰ مِنَ المَيِّت.. وَلَم تَقُل رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ.. لِقَسْوَةِ قَلْبِهَا.. ثمَّ أردفت قائلةً: عموماً مَتَىٰ أراكَ (ولَم تُقدِّر شُعوري بَعْد).

فَقُلْتُ لها: لَن أراكِ بَعْدَ اليَوم.

فَقَالَت: لماذا ؟ فَقُلْتُ لهَا: بِصرَاحَةٍ أنَا أحبُّكِ ولا أريدُ أنْ أضُرَّكِ بِشَيءٍ.

فَقَالَت: ومَا بِكَ ؟؟ فَقُلْتُ: أنَا حَامِلٌ لِمَرَض الإيدز.

فَقَالَت: كَيْفَ عرَفْتَ ذَلِكَ؟؟ فَقُلْتُ لها: عِنْدَمَا أُصِبْنَا بِالحَادِثِ أنَا وأخِي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ.. وذكرتُ لها القِصَّةَ كَامِلَةً..

فَقَالَت لي: هَل أتَيتَ فَتَاةً غَيري؟.

قلتُ لَهَا: لا.. وَأنَا صَادِقٌ..

ثمَّ قَالَت: هَل نُقِلَ إليكَ دَمٌ في حَيَاتِكَ؟

فَقُلْتُ لَهَا أيضاً: لا.. قَالت: إذن لقَد تَحقَّقَ مُنَايَ!!.

فَقُلْتُ لَهَا غَاضِباً: مَا قَصْدُكِ يَا فُلانَة ؟ فَقَالَت: أريدُ أنْ أنْتَقِمَ مِن جَمِيعِ الشَّبَابِ الَّذين كانوا سَبَباً في نَقْلِ المَرَضِ إليَّ وَسَيَرَوْنَ ذَلِكَ، وَأنتَ أوَّلُهم.. وَالبَقِيَّةُ مِن أمثَالِكَ في الطَّرِيقِ! وبَعْدَهَا بَصقَت في وَجْهِي وَأغْلَقَتِ السَّمَّاعَةَ.

قُلْتُ: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوكيلُ عَلَيْكِ يَا فَتَاة الإيدْز، وكَلِمَات أخرىٰ لا أريدُ أنْ أذكُرَهَا حتَّىٰ لا أجْرَحَ مَشَاعِرَكُم فانا اليومَ أبلُغُ مِنَ العُمُر (٣٢) عاماً وَلَم أتَزَوَّج بَعْدُ، وأُصِبْتُ بهَذَا المَرَض وأنا في الـ (٢٩) مِن عُمُري وكُنْتُ لَحظَتَهَا مُقْدِمٌ علىٰ الزَّوَاج (الخُطُوبَة) وَإلىٰ هَذا اليَوم وَوَالِدَتِي وَإخوَتِي يُطَالِبُونَنِي بِالزَّواج وَلكِنَّنِي أرْفُضُ ذَلِكَ لأنَّنِي حَامِلٌ للمَرَضِ الخَبِيْثِ وَهُم لا يَدْرُونَ..

وَأنا لا أريدُ أنْ أنْقُلَهُ إلىٰ شَريكَةِ حَيَاتِي وَأطْفَالِي، عِلْماً بِأنَّنِي أكْبَرُ إخْوَتِي وَوَالِدِي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ كَانَ يُريدُ أنْ يَفْرَحَ بِي وَلَكِنَّهُ تُوفيَ وَأنَا في الـ (٢٩) مِن عُمُري ولَم أحَقِّق حُلْمَ وَالِدِي .. حتَّىٰ زُمَلائِي في العَمَل يكَرِّرُونَ عَلَيَّ دَائِماً بِأنْ

أتزَوَّج، فأنَا اليومَ مُتْعَبٌ نَفْسِيَاً وَنَزَلَ وَزْنِي إلىٰ (٥٥) كيلو بَعْدَ أنْ كَـانَ قَبْـلَ المَـرَضِ (٦٨) كيلو .. كلُّ ذَلِكَ مِنَ التَّعَبِ النَّفسي والكَوابيـس المُزْعِجَـة مِـن هَـذا المَرَضِ الخَبيثِ والذي لا أدري أيْنَ وَمَتَـىٰ سَيَقْضِي عَلَـىٰ حَيَـاتِي، فَقَـد تُبْـتُ إلىٰ اللهِ تَوْبَـةً نَصُوحاً وَحَافَظْتُ عَلىٰ الصَّلَواتِ وَبَدَأتُ أدرُسُ وَأحْفَظُ القرآنَ الكَريمَ، وَلو أنَّ الوقتَ كانَ مُتَأخِّراً وبَعْدَ فَواتِ الأوَان ..

فها أنا ذا أوَجِّهُ رِسَالَتِي هَذهِ إلىٰ جَمِيْع إخْوَانِـي وَأخَوَاتِـي المُسْلِمينَ بِالابتِعَـادِ عَن كُل شيءٍ يُغْضِـبُ اللهَ كَالجِمَاع غَيْر الشَّرعي (الزِّنـا) وَغَـير ذَلِـكَ مِـنَ الأُمـورِ المُحَرَّمَةِ وليَتَّعظوا بي.

وهَذِهِ نَصِيْحَتِي أوَجِّهُهَا عبْرَ صَفَحَاتِ الإنترنِت وَعَــبْرَ النَّشَـرَاتِ أقُـولُ فِيْـهَا: إنَّ الحَيَاةَ جَمِيْلَةٌ وَطَعْمُهَا لَذِيذٌ.. وَبِالصِّحَّةِ وَالعَافِيَةِ وَطَاعَةِ اللهِ تعالىٰ هي ألَذُّ..

وليسَ في لَذَّةِ دَقَائِقَ منَ الجِمَاع غَير الشَّرعي يُضَيِّعُ الإنسانُ فيها حَيَاتَهُ وَتُـؤَدِّي بِهِ إلىٰ الجَحِيْمِ وَالكَوَابِيْسِ المُزْعِجَةِ وَغَيْر ذَلِكَ فإنِّي اليومَ أعيشُـها وكـلَّ يـومٍ.. والله المستعان .. وعليهِ التُّكلان، ولا حولَ ولا قوَّة إلاَّ باللهِ العظيم.

وفي الختام نصيحتي لكلِّ شابٍّ وفتاة: أن اتَّقـوا اللهَ تعـالىٰ واتَّعظـوا مـن قصَّـتي المؤلمة، فواللهِ ما كَتَبْتُهَا لكُم إلاَّ لِحُبِّـي وَخَـوْفي الشَّـديدينِ عَلَيكُـم مِـنَ الأمْـرَاضِ الخَبِيْثَةِ.. ومن غضبِ وانتقامِ اللهِ تعالىٰ.. فَأرجُو مِنكُم التَّقَرُّبَ إلىٰ اللهِ أكْـثَرَ وَتَقْوِيَـة إيمَانِكُم بِهِ تعالىٰ حَتَّىٰ لا يُغْويكُم الشيطانُ ويَجُرَّكم إلىٰ المُحَرَّمَاتِ وَالعياذُ بِاللهِ..

وأرْجُو مِنكُم أيضاً الدُّعَاءَ لي بِالشِّفَاءِ وَجَزَىٰ اللهُ خَيْراً مَن أعَانَ عَلـىٰ نَشْـرِ هَـذهِ القِصَّةِ للعِبْرَةِ وَالعِظَةِ..

*　　*　　*

الضَّحيَّةُ والقاضِي

كان من شبابِ الخَلاعَةِ واللَّهو، علمَ أنَّ المنزلَ الذي يجاورُ منزله يشتَمِلُ علىٰ فتاةٍ حسناءَ من ذواتِ الثَّراء والنِّعمة والرَّفاهيــة والرَّغـد، فرَمَىٰ إليـها النَّظـرةَ الأولىٰ فَتَعَلَّقت بها، فكَرَّرها أخرىٰ، فبلغَت منها كلَّ مبلغٍ، فتراسلا، ثمَّ تزاورا، ثـمَّ افترقـا، وقد ختمت روايتهما بما تختم به كلُّ روايـةٍ غَرامِيَّـةٍ يمثلـها أبنـاء آدم وحـواء علىٰ مَسْرَح هذا الوجود، عَادَت الفَتَاةُ تَحْمِـلُ بَيْـنَ جَانِحَتَيْهَا همَّاً يَضْطَـرِم في فُؤادهـا، وجَنِيْناً يَضْطَرب في أَحْشَائِهَا، وقَد يكون لها إلىٰ كتمان الأول سبيل، أما الثَّاني فسـرٌّ مُذَاع، وحديث مُشَاعٌ، إن اتَّسَعَت لَهُ الصُّدور، فلا تَتَّسعُ له البطونُ، وإنْ ضَنَّ به اليوم فَلا يَضِنُّ به الغَدُ..

فَلَمَّا أَسْهَرَ الهمُّ ليلَهَا، وأقضَّ مَضْجَعَها، لم تَرَ لها بُدّاً من الفرار بِنَفْسِهَا، والنَّجَاة بِحَيَاتِهَا، فَعَمَدَت إلىٰ لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيالي الدَّاجية فَلَبِستَهَا وتَلَفَّعَت بِردَائِـهَا، ثـمَّ رَمَـت بِنَفْسِهَا في بَحْرِهَا الأَسْوَد، فَمَا زالت أَمْوَاجُهَا تَتَلَقَّفها وتَتَرَامىٰ بـهَا حَتَّـىٰ قَذَفَـت بِـهَا إلىٰ شَاطِئِ الفَجْر، فإذا هي في غُرْفَةٍ مَهْجُورَة في إحْدَىٰ المَنَـازِلِ البَالِيَـةِ، في بَعْـضِ الأحياءِ الخَامِلَةِ، وإذا هِيَ وَحِيدَةٌ في غُرفَتِهَا لا مُؤْنِسَ لَهَا إلاَّ ذلك الهمُّ المضطرم.

وتدورُ عَجَلَةُ الزَّمان دَورتها، تِلْكَ العَجَلَةُ التي لا حِيْلَةَ لنَا في إيقافها فماذا كان؟.

أَمَّا الذِّئب فقد غَفَرَ المجتمعُ لـهُ، وقَبِـلَ توبَتَـهُ، ونسـيَ زَلَّتـه، ويُعَيَّـنُ قاضيـاً في المحكمةِ الشرعيَّةِ، أمَّا الفتاةُ المسكينةُ فقد وضَعت وأنجبت طِفْلَتَها في تلكم الغرفةِ المتهالِكَة، بَاعَت جميعَ مَا تملكُ يَدُهَا، وما يَحْمِل بَدَنُها، وما تَشْتَمِلُ عليهِ غُرفَتُـهَا

مِن حُلِيٍّ وثيابٍ وأثاثٍ، حتَّىٰ إذا طارَ غُرَابُ اللَّيـلِ عَـن مَجْثَمِـهِ.. أسدلت برقُعَـهَا علىٰ وجهها واتتزرَت بِمئزَرِهَا، وأنشَأت تَطُـوفُ شَـوارِعَ المَدِيْنَـةِ وَتَقْطَـعُ طُرُقَـها، لا تَبْغِي مَقْصِداً ولا تَرَىٰ غَايةً سِوىٰ الفِرَار بِنَفْسِها مِن هَمِّها، وهَمُّـها لا يَـزَالُ يُسَـايِرُهَا وَيَتَرَسَّم مَوَاقِعَ أقْدامِهَا..

وفي إحدىٰ اللَّيالي سِيقَ إليها رَجُلٌ، كانَ يَنْقِمُ عَلَيْهَا شَـأناً مِـن شُـؤونهِ لِشَـهَوَاتِهِ وَلَذَّاته، فَزَعَمَ أنَّها سَرَقَت كِيْسَ دَراهِمِهِ.. وَرَفَعَ أمْرَهَا إلىٰ القَضَاءِ..

وجاءَ يَومُ الفَصْلِ..

فَسِيْقَت إلىٰ المحكَمَةِ، وفي يَدِهَا فَتَاتُهَا، وَقَد بَلَغَت السَّابِعَةَ مِن عُمُرِهَا..

فَأخذَ القَاضِي يَنْظُرُ في القَضَايا وَيَحْكُم فيهَا..

حتَّىٰ أتىٰ دورُ الفتاةِ، فما إن وَقَعَ بصرُهَا عليهِ حتىٰ شُدِهَت عَن نَفْسِهَا..

وألَمَّ بها مِنَ الاضطراب والحَيْرَة ما كَادَ يَذْهَبُ بِرُشدِهَا..

وما ذَاكَ إلاَّ لأنَّها عَرَفَتْـهُ وَعَرَفَـت أنَّـه ذَلِـكَ (الذِّئبُ) الفَتَـىٰ الَّـذي كـانَ سَـبَبَ شَقَائِهَا، وَعِلَّةَ بلائِها..

فنظرت إليهِ نَظْرَة شزراء، ثمَّ صَرَخَت صَرْخَةً دوَّىٰ بها المكانُ دوياً وقَالَت:

رُويدكَ أيُّهَا القَـاضِي، لَيْـسَ لَـكَ أنْ تكُـونَ حكَمَـاً في قَضِيَّـتي، فكِلانَـا سَـارِقٌ، وكلانَا خَائِنٌ، والخَائنُ لا يَقْضِي عَلىٰ الخَائن، واللِّـصُّ لا يَصْلُـحُ أن يكـونَ قَاضيـاً بينَ اللُّصوص..

فَعَجِبَ القَاضِي وَالحَاضِرُونَ لِهَذَا المَنْظَرِ الغَرِيبِ.. ولهذا الكلام العجيب..

وهمَّ أن يَدْعُوَ الشُّرطيَّ لإخْرَاجِـهَا، فَحَسَـرت قِنَاعَـها عَـن وَجْهِـهَا، فَنَظَـر إليـهَا القَاضِي نَظْرَةً عَرَفَ فيهَا كلَّ شَيءٍ..

وعادتِ الفتاةُ إلىٰ إتمام حديثها فقالت: أنا سارقةُ المالِ، وأنتَ سارق العِرْضِ، والعرضُ أثمنُ مِنَ المَال، فأنْتَ أكبرُ مِنِّي جِنَايَةً، وأعظم جُرْماً، وإنَّ الرَّجُلَ الَّذي سُرِقَ مَالُهُ يستطيعُ أن يُعَزِّي نَفْسَهُ باستردَادِهِ، أو الاعتياض عنه، أمَّا الفتاةُ الَّتي سُرِقَ عِرْضُها فَلا عزاء لها، لأنَّ العرضَ الذَّاهبَ لا يعودُ، لولاكَ لَمَا سُرقت، ولا وَصَلْتُ إلىٰ ما وصلتُ إليهِ.. فَاترُكْ كُرْسِيَّك لغيرك، وَقِف بِجَانِبِي لِيُحَاكِمَنا القَضَاءُ العادلُ علىٰ جريمةٍ واحدةٍ، أنتَ مُدَبِّرُها وأنَا المسخَّرة فيها..

رأيتُكَ حينَ دَخَلْتَ هذا المكانَ، وَسَمِعْتُ الحاجب يصرخ لمَقْدَمِكَ، وَيَسْتَنْهضُ الصُّفُوفَ للقيَام لكَ! ورأيتُ نفسي حين دَخَلْتُ والعيون تَتَخَطَّاني والقلوبُ تَقْتَحِمُني، فقلت: يا للعجب، كم تكذبُ العَنَاوين، وكم تَخْدَعُ الألقابُ..

أتيتَ بِي إلىٰ هنا، لِتَحكُمَ عليَّ بالسجنِ كأنْ لم يكْفِكَ مَا أسْلَفْتَ إليَّ مِنَ الشَّقَاءِ حتَّىٰ أردتَ أن تجيء بلاحِقٍ لذلكَ السَّابِق.. ألم تَكُ إنساناً، فَتَرْثَىٰ لِشَقَائِي وبَلائِي؟.

إن لم تكُن عندي وسيلةٌ أمُتُّ بها إليك، فوسيلتي إليكَ ابْنَتُك هَذِهِ فهي الصِّلَةُ الباقيةُ بيني وبَيْنِكَ.

وهنا رفعَ «الذِّئبُ» ـ عفواً ـ رَفَعَ القَاضِي رَأسَهُ، وَنَظَر إلىٰ ابْنَتِهِ الصَّغيرةِ وأعْلَنَ أنَّ المرأةَ قد طافَ بِهَا طائفٌ مِنَ الجنونِ، وأن لا بُدَّ مِن إحَالَتِهَا عَلىٰ الطبيبِ.. فَصَدَّقَ النَّاسُ قَوْلَهُ ثُمَّ قَامَ مِن مَجْلِسِهِ.. وكأنَّ شيئاً لم يكن..

يَا اللهُ؟

عوَىٰ الذِّئبُ فَاسْتَأنَسْتُ بِالذِّئْـ ـبِ إذ عوىٰ وصوَّت إنسانٌ فَكِدْتُ أطِيرُ

۞ أرأيتِ يا ابنَتِي كيفَ تَنكَّرَ الذِّئبُ مِن فعلَتِهِ بكلِّ يُسْرٍ وسُهُولَةٍ، إنَّ هذهِ الفَتَاةُ كغيرِها منَ الفتَيَات كَانَت لَهَا أمٌّ تحنو عليها، وتَتَفَقَّدُ شَأنَهَا، وتَجْزَعُ لَجزَعِهَا، وتبكي لبكَائِها، فَفَارَقَتها، وكانَ لها أبٌ لا همَّ له في حَيَاتِهِ إلاَّ أن يَرَاهَا سعيدةً في آمالِها، مغتبطةً بعيشِهَا، فهَجَرَت مَنْزِلَهُ، وكان لها خَدَمٌ يقمن عليهَا ويسهرنَ بجانِبِها فأصبَحَت لا تُسَامِرُ إلا الوحْدَةَ، ولا تُسَاهِرُ إلاَّ الوحْشَةَ، وكان لها شَرفٌ يُؤْنِسُهَا ويَمْلأُ قلبَهَا غبطةً وسروراً ورَأسَهَا عظةً وافتخاراً فَفَقَدَتْهُ، وكان لها أملٌ في زواجٍ سَعيدٍ مع زَوْجٍ مَحْبُوب، فَرزأتْهَا الأيَّامُ في آمَلِهَا، كلّ هذا لأنها صَدَّقت مَا وَعَدَهَا، وانْسَاقَت وراءَ نَزْوةٍ عابرةٍ.. ولَم تَمتَثِل قولَ اللهِ عزَّ وجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [الأحزاب].

فلا تَغُرَّنَّكِ ـ يَا ابْنَتِي ـ الصُّورَةُ البَشَرِيَّةُ الَّتِي يَتَصَوَّرُ فيها الذِّئبُ.. وتلكَ المَلابِسُ الَّتِي يَتَسَرْبَلُ بِدَاخِلِهَا، فَلَو كَشَفَ لكِ عَن أنيابِهِ لَرَأيتِ الدَّمَ الأحمَرَ القاتِمَ يَتَرَقْرَقُ فيها.. أو عَن أظفَارِه لرأيتِ تَحتَهَا مخالبَ حَادَّةً.. أو عَن قَلْبِهِ لَرَأيتِ حَجَراً صَلْداً مِن أحْجَارِ الغرَانيت لا يَبِضُّ بقطرَةٍ مِنَ الرَّحمة، ولا تخلصُ إليه نَسْمَةٌ من العِظَةِ..

فَهُم ـ يا ابْنَتِي ـ سِبَاعٌ مفتَرِسَةٌ، وذئابٌ ضَارِيَةٌ، فكَم حَمَلُوا مِن فَتَاةٍ شقاءً وآلاماً لا طاقَةَ لها ولا لِمَخْلُوقٍ باحْتِمَالِهِ، وكم قَرحُوا مِن كبدٍ لأبٍ لو عَرَضَهَا في سُوقِ الهموم والأحزانِ ما وجدَ مَن يَبْتَاعهَا منه بِدِرْهَم، وكَم سَرَقُوا فَرْحَةَ زَوجٍ في لَيْلَةِ عُرْسِهِ فَطَلَّقَ زوجَتَهُ قبلَ أن يَبْنِي بِها غيرَ آسفٍ ولا حزينٍ. فالحذَرَ الحذَرَ يا ابنتي فالذِّئبُ لن يبكيَ علىٰ فريستهِ بعدَ الْتِهَامِهَا.. لأنَّ الذِّئبَ لا يَعْرِفُ الوفَاءَ أبَداً..

* * *

الليموزين والمرأة وأنا

لا أعلمُ ولا أدري من أينَ أبْـدأ هـذهِ القِصَّـةَ المفجعَـةَ الـتي بدأنَـا نسـمَعُ عـنْ مثيلاتِها في مجتمَعِنا الإسلاميِّ، فوَاللهِ كم هالتْنِي وأفجعَتني هذِهِ القصـــةُ الغريبـةُ والخطيرةُ..

لنْ أطيلَ عليكُمْ ولنترُكَ هذا المسـؤولَ يحكـي لنَـا ملابسـاتِ هـذِهِ الفاجِعَـةِ.. ولكنْ قبلَ أن يبدأ قِصتَهُ هذِهِ أريدُ أن أخبركُم بقِصَّةٍ لَها ضلعٌ في الموضوعِ وهيَ:

في يومٍ منَ الأيَّامِ وقفَ صاحِبُ الليموزين باكستانيُّ الجنسيَّةِ لزبونَةٍ خارجَةٍ من إحدَىٰ الأسواقِ، فأركبَها معَهُ في سيَّارتِهِ، ولم تدرِي بنفسِهَا إلا وهيَ معَ ثلاثَةِ رجـالٍ باكستانيينَ في إحدَىٰ البراري وهمُّوا باغتصابِهَا..

تقولُ الفتاةُ: واللهِ لو قالَ لي قبِّلي قَدمِي علىٰ أنْ أتركَكِ لقَبَّلتُها، ولكــنْ هَيهاتَ هَيهاتَ، وبعــدَ المحـاوَلاتِ المضنيَـةِ مـن هـذِهِ البنـتِ البكـرِ لكـي يتركُوهَـا وهُـم مصمِّمينَ علَىٰ فعلِ فاحِشَةِ الزِّنا بِهَا، أسعَفَهَا اللهُ بامرأةٍ عجوزٍ كانَت تمشِي في هــذِهِ الصَّحراءِ، فلمَّا رَآها هؤلاءِ الرِّجالُ تركُوا البنتَ وفرُّوا هَرَباً، اعتقــاداً منـهُم أنَّ هـذِهِ العجوزَ جنيةٌ..

اقتربَتِ العجوزُ منَ البنتِ فخافَتِ البنتُ وذكَرتِ اللهَ، وقالَت: بسمِ اللهِ أنتِ جنيّةٌ أم إنسيّةٌ؟

قالَتِ العَجوزُ: لا واللهِ.. ليتَني جنيَّةٌ.. فلَربَّما لو كنتُ جنيَّةً.. لَمَا تَركَـني ولـدِي في هذِهِ الصحراءِ لعيونِ زوجتِهِ أخسأَهَا اللهُ..

منْ هنَا كانَ التَّعارُفُ بينَهما إلىٰ أن أرسَلَ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ لهُم سيَّارةً يستَقِلُّها رجلٌ في الأربعينيَّاتِ..

وفي أوَّلِ الأمرِ خافَ الرَّجُلُ عندَما رأىٰ امرأتَينِ في الصَّحراءِ قبيلَ الغروبِ ولكنَّهُ رجَعَ ونَظَرَ في أمرِهِمَا وعندَما علِمَ بالقِصَّةِ أركبَهُما معَهُ وذهبَ بهِم إلىٰ أقْربِ قسمٍ للشُرطَةِ واستُدعِيَ هناكَ وليُّ أمرِ الفَتَاةِ.. وأخذَتْ أقوالُهَا حيثُ سألَهَا الشُّرطِيُّ: هلْ ستعرفِينَهُ إذَا رأيْتِ صورتَهُ؟.

قالَتْ: كيفَ لا أعرفُهُ ولقَدْ كنتُ أتوسَّلُ إليهِ ولَو قالَ لي حينَهَا : قبِّلِي باطِنَ قدمِي علَىٰ أن يترُكَني لقَبَّلْتُهَا..

فأمَرَ الشُّرطِيُّ أنْ تذهَبَ إلىٰ بيتِها.. وفي كلِّ يومٍ كَانَتِ المباحِثُ تطلُبُ من شَركاتِ الليموزين صُوَرَ مكفوليهَا لعلَّها تجدُ الشَّخصَ الخائِنَ أمَّا العجوزُ فسأترُكُ الكَلامَ عنْهَا إلىٰ أن يقُصَّ علينا هَذا الشَّابُّ قِصَّتَهُ فلنَتْرُككُم معَهُ فهوَ بالحديثِ أصدقُ وأجدَرُ..

يقولُ هذَا الشَّابُّ: أنا شابٌّ وسيمٌ، أبيضُ، أفضِّلُ لبْسَ الجينزِ والبنطالوناتِ علَىٰ لبْسِ الثِّيابِ لذَا لو رأيْتَني في بنطالِ الجينز يوحَي إلَيكَ منْ أوَّلِ نظرَةٍ بأنَّني من بلادِ الشَّامِ..

يقولُ: كنْتُ كعادَتي في كلِّ يومٍ خارجاً منَ الاستراحَةِ في السَّاعَةِ الثَّانيةِ والنِّصفِ ليلاً ذاهباً إلىٰ البيتِ وفي الطَّريقِ تعطَّلَتْ بيَ السَّيارَةُ فجأةً في أحَدِ الطُّرقِ وبينَما أنَا واقِفٌ لا أدري ماذَا أعملُ خطرَ ببالي أنْ أدعَ السَّيارةَ في مكانِها وأركَبَ أقرَبَ ليموزين وأذهَبَ إلىٰ البيتِ وغداً يُحِلُّها الحلاّلُ!!.

واقتربتْ سيارةُ الليموزين فأشرْتُ للسّائقِ وكانَ باكستانِي الجنسيَّةِ فركبْتُ معَهُ

.. ومنْ صفاتِي أنّني لا أتكلّمُ فأنَا هادئٌ في طبعي لسْتُ بالثّرثارِ كثير الكَلامِ .. وبينَما كنْتُ راكباً معَ سائقِ الليموزين بادرني بالسؤالِ: هلْ أنتَ سوريُّ الجنسيّةِ أم لبنَانيّ؟.

أخذْتُ لحظةَ تفكيرٍ وبعدَها ردَدْتُ عليهِ: لا لبنانيّ، وسكَتَ السّائقُ الباكستانيُّ قليلاً ثمَّ سألَ: أينَ تعملُ؟ قلتُ: في محلٍّ لبيعِ الملابسِ..

والباكستانيُّ يسألُ مرّةً أخرَىٰ: كمْ راتبُكَ؟.

فردَدْتُ عليهِ: ألفٌ ومئتَي ريال.. طبعاً كنتُ أجاريهِ، ولا أعلَمُ لماذَا كذَبتُ في البِدايَةِ ولكنْ هيَ أقدارُ اللهِ، ولْنَقُلْ لطفَهُ ورحمتَهُ..

قالَ السّائقُ الباكستانيُّ وهلْ يكفيكَ هذَا الرّاتبُ؟.

وبِسُرعةٍ رددْتُ عليهِ: نعمْ يكفِينِي.

قالَ البَاكستانيُّ: أنَا لو أعلَمُ بأنّني سوفَ أعمَلُ بهذَا المُرتّبِ لذهَبْتُ إلىٰ بلدِي..

لمْ أفهَمْ ماذَا يقصِدُ ولَكِنّهُ سكتَ واسترسلَ بعدَهَا في الأسئِلَةِ إلىٰ أنْ قالَ: هلْ تعلَمُ أنّني أكسبُ في الشّهرِ أكثرَ منْ عشرةِ آلافِ ريال؟!.

حينَها اعتَلاني الاستغرابُ وسألتُهُ بسرعَةٍ: كيفَ؟ ومنْ أينَ؟.

ردَّ البَاكستَانيُّ بقَولِهِ: هناكَ بناتٌ، وحشيشٌ، وخمرٌ، هل تريدُ؟.

ردَدْتُ عَلَيهِ وقلتُ: منَ المُمكِنِ أنْ يكونَ هناكَ حشيشٌ أو خمرٌ لكنْ بنَات !! هَذَا هُراء..

لمْ يجاوبْنِي بالكلامِ ولكنّه أخرجَ من تحتِ المقعَدِ ألبوماً كامِلاً بهِ صورٌ لمجموعَةٍ كبيرَةٍ منَ الفَتياتِ.. أخذْتُ الألبومَ وجلسْتُ أقلّبُ صفحاتِهِ إلَىٰ أنْ وقعَتْ

عينَيَّ علَىٰ صُورَةِ فتاةٍ لَم أرَ امرأةً في جمالِهَا، فسبحانَ من صوَّرَهَا.. فقلتُ لَهُ: أُريدُ هذِهِ.

قالَ: هذِهِ بثلاثَةِ آلافِ ريالٍ.. وبعدَ محاولاتٍ كنْتُ أعتقِدُ أنَّها يائسةٌ ردَّ عليَّ وقَالَ: لأنَّها أوَّلُ مرَّةٍ آتيكَ بهَا مقابلَ ألفي ريالٍ فوافَقْتُ..

ذهبَ بي إلىٰ البيتِ.. قلتُ: قفْ هنَا عندَ هذِهِ الشّقةِ.. نظرَ إليَّ باستهزاءٍ وقَالَ: هلْ هذَا هوَ بيتُكَ؟.

قلتُ لَهُ: لا.. هذَا بيتُ الكَفيلِ، وجلسْتُ أخبرُهُ بطيبَةِ كفيلِي وأنَّه منَ النَّوعِ الشَّبابيِّ، كَما يقولونَ، وقلتُ لَهُ: متَىٰ تأتي بالبنتِ؟.

قالَ: غداً.. فقلْتُ: كيفَ وأينَ.. وقُطِعَتْ كلمتِي.. أينَ، بأنْ يأتيَ بهَا في بيتِ كفيلِي الذي هوَ بيتِي بالطبعِ ولم يوافقْ في البدايَةِ، ولكنْ بعدَ إقناعٍ مِنِّي بأنَّ كفيلِي شبابيٌّ، وأنَّه لو عرضْتَ عليهِ سوفَ يدفعُ وسوفَ نستفيدُ، فوافقَ بشَرط أنَّه أنَا أعرِضُ علَيهِ لا هُوَ، ويكونُ إقناعُ كفيلِي الوهميِّ عن طريقِي فوافقْتُ، علىٰ أن يأتيَ بالفتاةِ غَداً لأنَّ كفيلِي لنْ يكونَ موجُوداً هوَ وعائلتُهُ، ولذلكَ أخذَ الباكستانيّ رقمَ هاتِفي وأخذْتُ رقمَ هاتفِهِ.

وبصرَاحَةٍ شديدةٍ.. لَم أنمْ جيّداً تلكَ الليلةَ، وكنتُ أتقلَّبُ علَىٰ فراشي وأقولُ: متَىٰ يأتِي غداً لكي يتحققَ مَا أريدُ.. ولقدْ كانَ كلُّ تفكِيري منصَباً علَىٰ هذِهِ الفتاةِ، وأنَا ما بينَ مصدِّقٍ ومكذِّبٍ إلىٰ أن أتَىٰ الغدُ الذِي طالَ انتظارُهُ، ورجَعتُ للبيتِ بعدَ العشَاءِ مبكراً، والأهلُ كانُوا مسافرين.. فكانَتْ فرصةً، وجلسْتُ عندَ الدّشِّ أنتظِرُ الهاتفَ، وكنتُ فِي كلِّ لحظَةٍ أقولُ لنفسِي: لماذَا تأخَّرَ صاحبُ الليموزين؟ هلْ أتَّصلُ بِهِ.. أو أنتظِرُ قليلاً.. إلىٰ أن قطعَ هذِهِ الأفكارَ صوتُ الهاتفِ، فكانَ

الباكستانيُّ فسارعْتُ إلىٰ سؤالِهِ بسرعةٍ: آلو.. آلو.. هلْ أتيْتَ بالفتَاةِ أم لا؟ أخبِرني بسرعَةٍ..

قالَ الباكستانِيُّ: في البِدايَةِ.. هلْ لديْكَ المبلغُ المتَّفقُ عليهِ؟.

فقلْتُ لَهُ: نعَم..

قالَ الباكستانِيُّ: أينَ أنتَ؟.

قلتُ: في بيتِ الكفيلِ الذي أنزَلْتَني عندَهُ البَارِحَةَ.

قالَ: افتحِ البابَ بسرعَةٍ.. ففتحْتُ البَابَ وإذَا بالفتاةِ في الليموزين!!

قالَ البَاكستانيُّ: أعطِني النقودَ أوَّلاً.. أعطِني ألفي ريال.

أعطيتُهُ ألفَي ريالٍ وأدخَلْتُ البنتَ إلىٰ البَيتِ.. وبعدَما جلَستِ البنتُ المسكِينَةُ نظرْتُ إليهَا وقلتُ: ما شاءَ الله.. ما هَذا الجمَال!.

كانَ همِّي في أوَّلِ الأمرِ أن أتلذَّذَ بالنَّظرِ إليها.. ثمَّ بدأتُ أتحسَّسها وأتكلَّمُ معَها.. لكنّني لاحظْتُ شيئاً غريباً!.

كانتِ البنتُ غيرَ طبيعيَّةٍ.. كانَتْ ساكتةً وكأنّها مغصوبةٌ أو مُكرَهَةٌ..

هذا كانَ غريباً، كمَا أنَّ شكلَها يُظهِرُ أنَّها من عائِلَةٍ كريمَةٍ فهي ليست مُحتاجَة..

المُهِمُّ قلتُ لَها: أنتِ بصراحةٍ غريبةٌ.. مَاذَا بكِ؟.

قالَت: ليس بي شيءٌ. ولكنِّي أريدُ أنْ أمشيَ بسرعَةٍ.

واللهِ في هذِهِ اللحظَةِ لم أدرِ ماذَا حلَّ بي.. فقدْ نسِيتُ فِي تلكَ اللحظةِ شيئاً اسمُهُ الجنس.. فكانَ تفكيري في تلكَ اللحظةِ مُنْصَبّاً علَىٰ معرفةِ قِصَّةِ هذهِ الفتاة..

ظلَّتِ البنتُ ساكتةً ولم تجاوبْ بكلمةٍ، وهَذا ما زادَني قهراً وأكَّدَ لي أنَّها مكْرَهةٌ.

قلتُ لَهَا: اسمَعي، أرىٰ أنَّكِ مكرهةٌ علَىٰ فعلِ هـذا الشيءِ وأرَىٰ أنَّكِ تخفينَ عنِّي قصَّتَكِ فأخبريني مَا هيَ قصَّتُكِ؟.

ظلَّتِ الفتاةُ صَامِتَةً ولكنَّني أحسستُ بأنَّها ارتَاحَت قَليلاً.. وأحسَسْتُ كذلِكَ أنَّ بودِّها الكلامَ ولكنْ بها خوفٌ من شيءٍ ما..

كلّمتُها وحلفتُ لهَا بأنَّها لو أخبرتْنِي عنْ قصتِها أو ما يكَدِّرُ خَاطِرَهـا أنْ يكونَ عهدُ اللهِ بينِي وبينَها ألا أفشي سرَّها.. وأنْ أعامِلَها ببياضِ الوجهِ.. وأنني علَىٰ استعدادٍ لمساعدتِها ومدِّ يدِ العونِ لهَا أيضاً.

لمْ أدرِ إلا وقدْ سَقَطتِ البنتُ في حجرِي.. وهِي تبكِي..

لقدْ بكيتُ لبكائِها وأخذتْنِي الشَّهامَةُ.. لم أتحمَّلِ الموقفَ، لكنَّني صبَّرتُ نفسِي وصرْتُ أهدِّئُ من روعِها.. إلىٰ أن هَدَأَتْ، فقلتُ لها: مَا هيَ قِصَّتُكِ وأنَا علَىٰ مَا وعدتُكِ بِهِ، ويشهدُ عليَّ ربِّي..

فبدأتِ البنتُ قصَّتَها.. فقالتْ: هل رأيْتَ الباكستانيَّ الذي أتَىٰ بِي؟.

ابنَ الكلبِ هذَا يعرفُ الكثيرَ مِمَّن هُم عَلَىٰ شاكلتي..

فقلْتُ لَها: بالتَّأكيدِ هوَ يعرِفُ، لأنَّني عندَما ركبتُ معَهُ أرَانـي صُوراً كثيرةً لمجموعةٍ منَ الفتياتِ، المهمُّ أكملِي.. ماذَا بِهِ؟.

قالَتْ: أنَا متزوِّجَةٌ ومضَىٰ علَىٰ زواجِي سنةٌ ونصفٌ تقريباً، المُهمُّ في يومٍ منَ الأيَّامِ كانَت علَىٰ زوجِي مناوبةٌ فاتَّصَلْتُ بِهِ، وقلْتُ لَهُ بأنَّني سوفَ أذهبُ إلىٰ المحلِّ الفُلانِيِّ في السُّوقِ الفلانيِّ فهلْ تسمحُ لي أم لا؟.

وافقَ زَوْجِي بسُرعَةٍ علَىٰ طلَبي، بمَا أنّنا ما زلنَا عروسينِ جديدينِ ولا يوجَدُ عندَنا أبناءٌ. نزلْتُ في الصّباحِ وركِبْتُ معَ هَذا الباكستانيِّ الخَائنِ، وقلْتُ لَهُ: أوصِلني إلىٰ المكانِ الفلانيِّ الّذِي ذكرتُهُ، ولَم أدرِ بنفسِي إلاَّ وأنَا في شِقَّةٍ وأنَا عريانة.. والباكستانيُّ فَعَلَ فعلَتَهُ الشَّنْعَاءَ بِي هوَ ورفيقُهُ فأخذْتُ أصرُخُ.. مَاذَا أعملُ لا أدري..

وتكملُ حديثَها، وتقولُ: لبسْتُ ملابسِي بسُرعةٍ وأنَا أصرُخُ.

جاءني الباكستانِيُّ وقالَ لي: أنتِ كثيرةُ الكَلامِ ولذلِكَ ستبقينَ هُنَا أو سآخذُكِ إلىٰ بيتِكِ.. وقَالَ بسُخريةٍ لا تركَبي ليموزين مرَّةً أخرىٰ..

وتكملُ: لقدْ كنتُ خائفةً ولا أدرِي ما أعملُ..

كنتُ أفكّرُ في زوجِي المسكينِ لو علِمَ بالأمرِ، أفكّرُ في زواجِي، مُستقبلِي، شَرفي، سُمْعَتي، أهْلِي، أمّي وأبِي وإخوَتي.. لكنَّ الباكستانيَّ قَطَعَ تفكيرِي بصُورٍ لي وأنَا عاريةٌ عَلَىٰ عدَّةِ أحوالٍ وأشكالٍ وأخذَ يهدِّدُني بِهَا..

عندَها وافقْتُ علىٰ مضضٍ أن يأخذَنِي إلىٰ البيتِ.. ولمَّا همَمْتُ بالنُّزولِ قالَ الباكستانيُّ: اسمَعي جيّداً بمجَرَّدِ دخولِكِ إلىٰ البيتِ اتَّصِلي بِي وإلا سَوفَ ألصِقُ صُوَرَكِ عَلَىٰ بابِ البيتِ.

فدَخَلْتُ إلَىٰ الشقّةِ وأنَا أبكي فاتَّصلْتُ بِهِ بعدَما أعطَاني رَقَمَ هاتفِهِ فردَّ عليَّ وقالَ : أنَا لا أريدُ منْكِ شيئاً إلاَّ عندَما أتّصلُ بكِ ردِّي عليَّ واخرُجي وإلاَّ فأنتِ تعرفينَ البَاقي.

تكمِلُ البنتُ كلامَهَا فتَقولُ: في أوّلِ الأمْرِ.. قلتُ: سوفَ أسكُتُ ولَنْ أردَّ عليهِ حتَّىٰ ولَو اتَّصلَ بي، فأنَا أريدُ السترَ..

وعندَما عادَ زوجِي سَألَني هلْ ذهبْتِ إلىٰ السُّوقِ؟.

قلتُ في نفسِي: هلْ أقولُ لهُ قصَّتي، لكنَّني كنتُ خائفةً مِن ردَّةِ فعلِهِ هلْ ستكونُ قاسيةً؟ وخائفةً علىٰ السُّمعةِ والمستقبَلِ.. المُهِمُّ أجبتُهُ وقلتُ: لا.. لَم أذهبْ.. هلْ آتيكَ بالعَشَاءِ؟.

فَرَدَّ زوجِي: لا.. أريدُ أنْ أنامَ لأنِّي متعبٌ.. ذهبَ زوجِي لينامَ وأنَا جلَسْتُ أشاهدُ التِّلفازَ، صحيحٌ أنهُ كانَ فيهِ مسلسلٌ، لكنْ في عقلِي كانَ مسلسلٌ ثاني، ومَا دَريتُ إلا والباكستانيُّ يتَّصلُ علَىٰ الهاتفِ فأغلقْتُ السَّمّاعةَ في وجههِ أوَّلَ مرَّةٍ، ثمَّ اتَّصلَ مرَّةً أخرىٰ فأغلقْتُ السَّماعَةَ في وجهِهِ.. ولكنْ عندَمَا اتَّصلَ في المرَّةِ الثَّالثَةِ سمعتُهُ يقولُ: انظُري إلىٰ صورَتكِ الجميلَةِ علَىٰ البابِ، عندَها أسرعْتُ إلىٰ البَابِ لأرَىٰ صورَتي وأنَا عريانةٌ في غرفَةِ النَّومِ معلَّقةٌ علىٰ البَابِ، فسحبْتُ الصُّورةَ ومزَّقْتُها وأخذْتُ أنتظرُ اتِّصالَهُ، فاتَّصلَ وقالَ: يجبُ أن تمشي كمَا أريدُ ولا تحاولي التهرُّبَ منِّي.

قلتُ لَهُ وأنَا خائِفَةٌ منْ أنْ يستيقظَ زوجِي ويسمعَني: يا ابنَ النَّاسِ.. يرحمُ اللهُ والديكَ.. أنَا متزوِّجَة فدَعْني وشأني وسَأعطِيكَ منَ المَالِ مَا تريدُ.. ولكنْ دعْني وشأنِي.. عندَها رَدَّ عليَّ وقَالَ: لو دفعْتِ مليونَ ريالٍ لنْ أوافقَ.. اسمَعي، سوفَ آتي غَداً في الليلِ لآخذَكِ فقُلتُ لَهُ: لا أستطيعُ فزَوجي يكونُ مَعي.. المهمُّ نَسَّقْ معِي علَىٰ أساسِ أنْ تأخذَني عندَما يكونُ زوجِي في عملِهِ أو مناوبتِهِ.. المهمُّ صَارَ لي شهرينِ علَىٰ هذهِ الحالِ المزريةِ، والأموالُ التي أخَذَهَا طوالَ الشَّهرينِ لم يُعطِني منهَا ريالاً واحِداً.

إلىٰ هُنَا انتهتِ البنتُ من سَرْدِ قِصَّتِها..

وهُنا بدأ الشّابُ الذي أتىٰ لَهُ الباكستانيُّ بالفتاةِ يُكمِلُ حديثَهُ..

تابَعَ حديثَهُ فقالَ: بـدأتُ أبكِـي وأحسَسْتُ أنَّ بِداخِلـي بركانـاً سـينفَجِرُ، ولـو انفجرَ لأحرَقَ منْ حولَهُ مِن شدَّةِ الغيرةِ والغضبِ..

المُهِمُّ اتفقْتُ أنَا وهيَ عَلَىٰ أن نَتْرُكَ الأمرَ عَلَىٰ مَا هوَ عليهِ وأنْ تترُكَ حَلَّ قصَّتِها بيدِي، بشَرطِ أنْ تعدَني أنْ تنفِّذَ مـا أطلُـبُ منهَا.. فوافَقَـتْ عَلـىٰ أنْ أسـتُرَ عليـها، وعَاهَدنا بَعضَنا، واتَّفَقْنا علَىٰ أن تأتيَني مرَّةً ثانيةً في السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ والنِّصفِ ليلاً..

بعدَها اتَّصلَتِ الفتاةُ علَىٰ الباكستانيِّ صاحبِ الليموزين فجـاءَ وأخذَهـا، وأنـا بدَوري أشعرَتُهُ أنَّني أثقُ بِهِ، لكي لا يلاحظَ، وقلْتُ لَهُ: واللهِ إنَّـكَ ملعـونٌ، يَـا ليتَـكَ كنْتَ صديقِي منذُ زمنٍ، كنتُ أفكِّرُ بالسَّفَرِ إلىٰ لبنـانَ، ولكـنِ الآنَ لا فـأنتَ موجـودٌ هُنَا..

هزَّ الباكستانيُّ رأسَهُ سعيداً وقالَ: أنتَ الآنَ تعرفُ رقَمَ هاتفِي وإذَا احتجْـتَ إلىٰ أيِّ شيءٍ منْ سهرٍ وخمرٍ وحشيشٍ وبناتٍ كثيرةٍ فاتَّصلْ بِي.

لَم أنسَ في يومِ تعارُفِي عَلَىٰ البَاكستانيِّ عندَما بَدَأ نقاشَهُ معيَ، كنـتُ أردُّ عليـهِ باستِغرابٍ: هلْ كُلُّ هَذَا موجودٌ هُنَا؟ هلْ تعرِفُونَ ماذَا قالَ لي؟.

قالَ: الشبابُ يريدُون البنات.. والبناتُ يُرِدْنَ الشَّبابَ.. فأنَا أحضِـرُ البنـاتَ إلىٰ الشَّبابِ وهُم يعملونَ بعدَها.. وأنَا آخُذُ الأموالَ الكثيرةَ وأسَافرُ منْ هذَا البَلَدِ.

المُهِمُّ بعدَ أنْ ذهبَتِ البنتُ -بصَراحَةٍ شَـديدةٍ- جـاءني الأرقُ فلَـم أنمْ أبـداً.. ماذا أعمَلُ يَا الله.

أغْلقْتُ التّلفازَ وجلسْتُ أبكِي، ومَا عَرَفْتُ البُكاءَ الحَقيقيَّ إلا ذلكَ اليومَ، فلقـدْ كنتُ أبكِي وأدعُو لهذِهِ المسكينَةِ بالسّترِ.. ولكنْ ما باليدِ حيلةٌ..

استغفرْتُ اللهَ ونـذرْتُ للهِ نـذْراً بالتَّوبَـةِ إذَا دلَّـني اللهُ علَىٰ طريقَـةٍ لحـلِّ هــذِهِ المشكلَةِ.. كنتُ أحسُّ أنَّ الأمرَ لو بلَغَ إلىٰ الهيئَةِ انفضَحَتِ البنتُ.. وكنتُ أعتقِدُ أنَّ الهيئَةَ هيَ أمُّ الفضَائحِ.. وطبعاً كنتُ شاباً أفكارُهُ ملوَّثَـةٌ بـالدّشِّ وبجُلسـاءِ السُّـوءِ.. ومثلِي لا يحبُّ الهيئةَ.. أو كانَ يحبُّها لكنْ إلىٰ حدٍّ معيَّنٍ.. لكنَّ اللهَ سبحانهُ يـهدِي منْ يشاءُ إلىٰ سَواءِ السَّبيلِ..

خرجْتُ منَ البيتِ، والبيتُ لا يوجَدُ فيه أحدٌ.. وصلْتُ إلىٰ الشّارعِ وأنَا أفكِّـرُ.. وحينَها خطَرَتْ ببالي فِكرَةٌ أتدرونَ ما هيَ؟ واللهِ ما أدرِي كيفَ وصلَتْني، لقَدْ كـانَتِ السَّاعةُ الثّالثةَ ليلاً.. قلتُ لنفسي: أنامُ وغدَاً يكونُ خيراً بإذْنِ اللهِ.. وطبعَاً لمْ أستطِعْ أنْ أنَامَ منْ كثرةِ التَّفكيرِ.

وأقولُ لكُم بصراحةٍ: صَلَّيْتُ الثّلثَ الأخيرَ مِنَ اللَّيلِ وَصَلَّيــتُ الفَجْـرَ في وقتِـهَا وهذِهِ أوَّلُ مرَّةٍ أصلِّيها في حياتِي، وأستغفرُ اللهَ وأسألُهُ أن يُثَبِّتَني..

جاءَ الغَدُ بعدَ طولِ انتظارٍ.. وكنْتُ قدْ عزمْتُ علىٰ تنفيذِ الفِكـرَةِ المَوجـودَةِ في بَالي.. لقَد ذهبْتُ إلىٰ أحَدِ رجالِ الهيئَةِ المعروفينَ بالنَّزاهَةِ، ولو تَدرونَ مَـنْ هـوَ لـنْ تصدّقوني.. إنّه ذلكَ الرَّجلُ الذِي قبضَ عليَّ أكثرَ مـن مـرَّةٍ وأنـا أغـازِلُ الفتيـاتِ.. سبحانَ اللهِ.. كنْتُ أكرهُهُ كثيراً وأتمنَّىٰ لَهُ الموتَ..

المُهمُّ سألْتُ عنْهُ في مركزِ الهيئَةِ فقَالُوا لي: بأنَّـهُ خـرَجَ في مَهمّـةٍ. فقلْـتُ لهُـم: متَىٰ سيَأتي، أريدُهُ في أمرٍ ضروريٍّ.

ردَّ عليَّ أحَدُ رجالِ الهيئَةِ: منْ أنتَ أيُّها الشَّابُّ؟ كأنَّني قدْ رأيتُكَ في مكَانٍ ما.. فشَكْلُكَ ليسَ غريباً عليَّ.

بصراحةٍ كـانَت سُمعَتي ليسَـتْ جيـدةً ومعـروفٌ في السَّـاحةِ الغَزليّـةِ.. المـهمُّ

ترجّيتُهُ أن يوصلَني إلىٰ هَذا الرَّجُلِ.. وقلتُ لهُ أنَّ الأمرَ فيهِ حياةٌ أو موتٌ.. لَم يُقصِّرِ الأخُ فاتَّصلَ بِهِ علَىٰ هاتفِهِ الجوّالِ وبعدَ ربعِ ساعَةٍ وصَلَ الرَّجُلُ إلىٰ المَركَزِ، وعندَ نزولِهِ بادَرني بالسَّلامِ فقالَ: السَّلامُ عليكُم.. من..؟ مَرحَباً بكَ.. ما هيَ قصَّتُكَ؟ ومَاذَا تفعلُ؟ أسْألُ اللهَ أنْ يهديَكَ.

لمْ أتركْهُ يُكملُ حَدِيثَهُ بالطَّبعِ.. فقلْتُ لَهُ: أريدُكَ في أمرٍ ضَروريٍّ، فيهِ مسألةُ حياةٍ أو موتٍ وحلُّها بينَ يديكَ..

ردَّ عليَّ قائلاً: خيراً إن شاءَ اللهُ..

قلتُ: لا واللهِ.. هوَ الشَّرُّ بعَينِهِ.

تَعَوَّذَ الرَّجُلُ مِنَ الشَّيطانِ وقالَ: ماذَا تريدُ؟.

قلتُ لهُ: أريدُكَ أن تأتيَ معيَ إلىٰ البيتِ..

شَكَّ الرَّجُلُ في الأمرِ فلاحظْتُ أنَّهُ قَد خافَ منِّي، وقالَ باستنكارٍ: آتِي مَعَكَ إلىٰ البيتِ؟.

قطعْتُ كلامَهُ.. وقلْتُ: أيّ مكانٍ آخرَ غيرَ المركَزِ.. اخترِ المكانَ، ولكن المهمّ أنْ نكونَ أنَا وأنتَ فقَط.. فوافَقَ بعدَ إلحاحٍ. ودعوتهُ إلَىٰ شربِ القَهوةِ.. طبعاً الرّجلُ كانَ يعتقدُ أنَّ الأمرَ لا يستَحِقُّ كلَّ هَذَا..

لمْ نذهَبْ لشُربِ القَهوَةِ إنَّمَا ركِبنَا سيَّارَتَهُ، لأنَّ سيَّارتي كانَتْ تعجُّ بِرائِحَةِ الدُّخانِ والأشرِطَةِ وقُلْتُ لهُ قصَّتي، ومَا جَرَىٰ بيني وبينَ الفتَاةِ.

لاحظْتُ أنَّ رجُلَ الهيئةِ يشُكُّ في كلامِي، وهَذا بسببِ سُلوكي المشينِ، ويبدُو كأنَّ الأمرَ لمْ يدخُلْ إلىٰ بَالِهِ.. ولكِن منْ شِدَّةِ قهري كنتُ أتمنَّىٰ أن يُصَدِّقَ.. وكنتُ لا أريدُ منْ وراءِ ذلكَ إلاَّ وجهَ اللهِ تَعَالىٰ..

فانفجَرْتُ بالبُكاءِ فبَدَأَ يُهدِّئُني ويُخفِّفُ عنّي، ويقُولُ: هَداكَ اللهُ.

لمْ يدخُلْ في أيِّ سؤالٍ حولَ الموضُوعِ، وأنَا أشهَدُ بأنَّ رجالَ الهيئةِ أذكياءٌ وسياسيونَ جداً، حيثُ إنَّهُ تَركني أوضِّحُ لَهُ كلَّ شيءٍ إلىٰ أن قلتُ لَهُ: مَا العَمَلُ الآنَ؟.

قبلَ أن يبدأَ في كلامِهِ قلتُ لهُ: سَوفَ أخبرُكم عنْ كُلِّ شيءٍ، وسوفَ أساعِدُكم وأفعلُ كُلَّ مَا تريدونَ.. ولكنْ لي شرطٌ واحدٌ فقَط، أرجُو أنْ توافِقُوا عليهِ..

ردَّ عليَّ قائلاً : ومَا هُوَ شرطُكَ؟.

قلتُ لهُ: البنــتُ..

قالَ لي: البنــتُ.. ماذَا بهَا هَداكَ اللهُ؟.

قلتُ لهُ: لا أُريدُ أن تدخُلَ البنتُ في الموضوعِ أبَداً.. حيثُ إنَّني أريدُ لَها السَّتْرَ فقَط، وإن طلبتُم أيَّ معلوماتٍ أو أيَّ شيءٍ آخرَ خذوهُ منِّي أنَا.. ولكنْ لا أريدُ أن تدخُلَ البنتُ في هَذا الموضوعِ بأيِّ شكلٍ منَ الأشكَالِ.. لا في تحقيقٍ ولا في سؤالٍ ولا غيرِ ذلكَ.. لأنَّهُ إذَا دخلَتِ البنتُ في أيِّ تحقيقٍ أو سؤالٍ أو .. سوفَ تُفْضَحُ ويَصِلُ الأمرُ إلىٰ زوجِها من بعيدٍ أو قريبٍ.

ردَّ عليَّ وقالَ: أبشِرْ.. طلبُكَ مجابٌ.. في أوّلِ الأمرِ لم أثقْ بهِ كثيراً، ولكنّي كنتُ واثقاً تمامَ الثِّقةِ باللهِ عزَّ وجَلَّ، بعدَها قُلتُ لهُ: كيفَ أقتنعُ بأنَّ البنتَ لنْ تدخُلَ في أيِّ مشكلَةٍ أو تحقِيقٍ؟.

وَعَدَني بعدَهَا الرَّجُلُ، وعاهدَني باللهِ.. فرددْتُ عليهِ وقلتُ: ونِعْمَ باللهِ..

بعدَها قلتُ لَهُ: وماذَا يضمنُ لي أن تلتزمُوا بهذَا العهدِ فأنتُم يا رَجَالَ الهيئَةِ سَمعتَكُم (مثلَ الزِّفتِ) وأقولُها لكَ الآنَ في وجهِكَ؟.

ابتسمَ الرَّجُلُ وقالَ لي حديثَ رسولِ اللهِ ﷺ: «ومنْ سترَ مؤمِناً سَتَرَهُ اللهُ في

الدُّنيا والآخِرَةِ» [رواه مسلم]. أو كَما قالَ رسولُنا الكريمُ عليهِ السَّلامُ..

وأخذَ الرَّجلُ يسترسِلُ في الآياتِ والأحاديثِ..

بعدَها اطمأنَنْتُ واستعنْتُ باللهِ وأرشدتُهُ إلىٰ بيتِي وأخبرتُهُ عن خطَّتِنا للقبضِ علَىٰ الباكستانيِّ ومنْ معَهُ، واتَّفقتُ معَهُ وأحكمْنَا الخُطَّةَ، ورجعْتُ إلىٰ البيتِ وأخذتُ أفكِّرُ وأفكِّرُ بينَما كانَ أصدِقائي يتَّصلونَ علَىٰ هاتِفي فلا أرُدُّ علىٰ أحدٍ منهُم، فأظُنُّ أنَّهم يقولونَ الآنَ: لقد سافرَ صديقُنا الأحمقُ فلانٌ فلا صوتَ لهُ في الدِّيارِ وهو لا يصبِرُ علىٰ بعْدِ أهلِهِ أبداً !!.

المهمّ.. كنتُ قد أخذْتُ رقمَ البنتِ واتَّصلْتُ بهَا، واتّفقتُ معهَا علَىٰ موعِدٍ معيّنٍ تأتِينِي فيهِ، فطلَبَتْ منِّي مُهلةً حتَّىٰ ترَىٰ إذَا كانَتْ قادِرَةً علىٰ المجيءِ في الموعِدِ المُحدَّدِ أم لا..

بعدَها جاءني الخبرُ منهَا بالمُوافَقَةِ، وكانَتْ تتوَسَّلُ إليَّ أن أستُرَ عليهَا.. وأنَا أقولُ لَهَا اعتبِريني أكثرَ من أخٍ.. كمَا أنَّني وعدْتُها أكثرَ من مرَّةٍ ولم تطمئِن حتَّىٰ قلتُ لَها : ألُو.. لحظةً قبلَ أن تغلقي الهاتِفَ..

فردَّتْ وقالَتْ: نَعَم، قلتُ لهَا : لا تنسي صلاةَ الثُّلثِ الأخيرِ منَ الليلِ لأنَّ اللهَ ينزِلُ إلىٰ السَّماءِ الدُّنيا فيقولُ: هل منْ داعٍ فأجيبَهُ؟ هل منْ سائِلٍ فأعطيَهُ؟.

تأثَّرتِ البنتُ بهذِهِ الكلمَاتِ.. وبكَتْ.. وقالَت: اذهَبْ، أنَا رهنُ إشارَتِكَ من بعدِ هَذِهِ الكلماتِ.. ولو طلَبْتَ منِّي أيَّ شيءٍ فأنَا حاضِرَةٌ لمَا تطلُبُ منِّي..

كنتُ في ساعتِهَا لا أقدرُ علَىٰ الكَلامِ فقدْ خنقَتْني العَبرَةُ، فقالَتْ هيَ: أسألُ اللهَ أنْ يوفِّقَكَ في الدُّنيَا والآخِرَةِ.. وبصراحَةٍ أحسَسْتُ بأنَّها دعوةٌ منَ القَلبِ فردَدْتُ علَيها قائلاً: أسألُ اللهَ أنْ يستُرَ عليكِ.

وجاءَ اليومُ المتَّفقُ عليهِ فاتّصلْتُ بالباكستانيِّ وقلْتُ لَهُ: ألو.. ألو مرحَباً..

فقَالَ: أهلاً يَا صديقِي.. كيفَ حالُكَ؟.

ردَدْتُ عليهِ: الحمدُ للهِ.. كيفَ حالُكَ أنتَ؟.

قالَ: الحمدُ للهِ.. بادرتُهُ قائِلاً: هل تذكُرُ البنتَ التي أتيتَ لِي بِهَا سابقاً؟.

ردَّ الباكستانيُّ: نعَم أذكرُها، وكيفَ لا أعرِفُها؟!.

قلتُ لهُ: أنَا أريدُها اليومَ في الليلِ في تمامِ السّاعةِ العاشرةِ في بيتِ الكفيلِ.

ردَّ الباكستانيُّ: عندِي بناتٌ كثيراتٌ أجملُ وأحلَىٰ منْها وأصغرُ منهَا.

قلتُ لهُ : لا لا.. أنَا أريدُ الفتاةَ التي أحضرْتَهَا أوّل مَرَّة..

قالَ: حسَناً.. مقابلَ ثلاثةِ آلافِ ريالٍ.

قلتُ لهُ: لقد أصبَحْتُ زبوناً عندَكَ.. يكفيكَ ألفَ ريالٍ فقَط.

قالَ: لقَد رخّصتُ لكَ في أوّلِ مرّةٍ ولكنِ الآنَ لا.

المهمُّ قرَّرتُ أنْ أطمْئِنَهُ، فقلتُ لهُ: النقودُ موجودةٌ، وحتَّىٰ أطمئِنَهُ أكثر قلتُ لهُ: أريدُها ولكِن بنفسِ السِّعرِ السَّابقِ أي بألفي ريالٍ فقَط.. وأريدُ حشيشاً.. وخمراً.. بعدَها وافقَ الباكستانيُّ بعدَ محاولاتٍ أن يأتيَ بالحشيشِ والخمرِ مقابلَ ثلاثةِ آلافٍ، والبِنْت مقابل ألفي ريالٍ..

وكانَ صديقِي في الهيئَةِ قد نَسَّقَ وضعَهُ مع الجهاتِ الأمنيَّةِ من دوريَّاتٍ ومباحثَ إلىٰ أن حانَتِ السَّاعةُ العاشِرَةُ وصاحبي الباكستانيُّ مواعيدُهُ مضبوطةٌ (غرينتش) فأتَىٰ في الموعِدِ تماماً، وما إن أوقفَ سيارتَهُ الليموزين أمامَ البيتِ إلا وحاصَرَتْهُ دورياتُ الهيئَةِ السِّريةِ والمباحثِ..

ويذهَبُ صاحِبِي رجلُ الهيئَةِ ويأخُذُ البنتَ علىٰ جنبٍ ويُركِبُها في السيارةِ هوَ

واثنينِ منَ الشُّرطةِ وعندَها انصدَمْتُ.. وقلتُ في نفسِي: أينَ الوعودُ التي قطعَها لِي هَذا الرجلُ وقلتُ: صدَقَ منْ قالَ إنَّ رجالَ الهيئَةِ كلُّهم فضائحُ.

بعدَهَا ذهبتُ أنَا والباكستانيُّ والشُّرطةُ معنَا طبعاً إلىٰ قسْمِ الشّرطةِ.. وأنَا ساكتٌ، فدَخَلَ الباكستانيُّ وطبعاً فتَّشُوا الليموزين ووجَدُوا فيهَا ألبوماً منَ الصُّورِ.. وأخذُوا هاتِفَهُ الجوّال ووجدُوا فيهِ الكثير منَ الأرقامِ والصُّورِ، وحدِّثْ ولا حرَجَ، بعدَهَا دَخَلَ الضابطُ علَىٰ أساسِ أنَّهُ يريدُ أنْ يَأخذَ أقوالِي..

فَأمسكْتُ بالرجلِ عضوِ الهيئةِ وأخذتُهُ علَىٰ جنبٍ وقلتُ لَهُ: أينَ وعودُكَ والآياتُ والأحاديثُ واتفاقُنَا.. و.. لقدْ كنتُ متسرعاً لكنْ لعلَّهُ يعذِرُني فقد كنتُ خائفاً علَىٰ مستقبلِ الفتاةِ المسكينَةِ..

ردَّ عليَّ قائلاً: ما الذي حَلَّ بكَ؟.

قلتُ لهُ: أينَ البنتُ؟ أينَ أخذتُموها؟ هلْ تريدُ أن تفضحَهَا؟.

رَدَّ قائلاً: اطمئِن البنتُ في بيتِها الآنَ.

قلتُ لهُ: لا تسخَرْ منِّي.. لا تكذبْ..

وبسرعةٍ قالَ لي: تستطيعُ أن تتأكَّدَ بنفسِكَ ـ ولَو أنَّهُ لا يعلَمُ أنَّ معيَ رقمَ هاتِفِهَا كانَ سيأخذُني معَهُ إلىٰ بيتِهَا ـ وبسرعةٍ أدرتُ أرقامَ الهاتِفِ فَردَّت عليَّ وهيَ خائفةٌ فقالَتْ: ألو..

فقلْتُ: السَّلامُ عليكُم.. لكنَّها كانَتْ خائفَةً بِشِدَّةٍ.. فقلتُ لهَا: أسألُ اللهَ أن يستُرَ عليكِ وعلَىٰ بناتِ المسلمينَ.. قضيَّتُكِ انتَهَتِ الآنَ، والوَجْهُ منَ الوجْهِ أبيضُ، انتَبِهي لنفسِكِ مرَّةً أخرَىٰ.

ظلّتْ تسمعُني وهيَ صامتةٌ.. وأذكرُ أنَّ آخِرَ مَا قلتُ لهَا وعضوُ الهيئَةِ والضَّابطُ

بجنبِي أن انتَبهي لنفسكِ وصُوني بيتَ زوجِكِ.. وأوصيكِ بصلاةِ الليلِ.. وكَم أتمنَّىٰ لو دعوتِ لِي في صلاتِكِ بالهدايَةِ والثَّباتِ، وأتمنَّىٰ أن تَخُصِّي بالدُّعاءِ كلَّ مَن ساعَدَكِ في بنَاءِ حياتِكِ من جديدٍ.

لم تستطعِ البنتُ أن تتمالَكَ نَفْسَها فبكَت.. وبدأتْ بالدُّعاءِ لي ولوالِدَيَّ ولكُلِّ من ساعَدَهَا.. وقبلَ أن تغلقَ الهاتِفَ قالتْ لي كلمةً لنْ أنساها أبداً.. ولا تصدِّقوني إذَا قلتُ لكُم أنَّني لم أسمعْهَا من إخوانِي وأخَواتِي في حَياتِي.. أتدْرونَ مَاذَا قالَتْ لي؟.

قالَتْ: اعتَبِرني مثلَ أختِكَ وأكْثَر، ولو جارَ الزّمنُ عليكَ.. وأردْتَ شَيئاً فأنَا جاهزةٌ لمساعَدَتِكَ.. وبعدَها كانَ الوداعُ، وبعدَما أغلقَتِ السمّاعَةَ أطرقْتُ برأسِي قليلاً ثمَّ نهضْتُ مِن الكرسيِّ والتفتُّ إلىٰ عضوِ الهيئَةِ من خَلفِي فوجدتُهُ يستغفِرُ..

فقمتُ واللهِ أفعلُها بكلِّ شرفٍ وافتخارٍ واعتزازٍ.. وأقولُها لكُم لقدْ قَبَّلْتُ يَدَهُ وقَبَّلْتُ رأسَهُ وكانَ يَدفَعُني لئَلا أقبِّل يَدَهُ ويقولُ: ثبَّتَكَ اللهُ وهداكَ إلىٰ الصِّراطِ المستقيمِ..

انتهَتْ قصَّتي معَ تلكَ الفتاةِ ولكنّني لم أنسَ الوعدَ الذي قطَعْتُهُ معَ اللهِ في تلكَ الليلةِ المظلمةِ فلقدْ نفَّذْتُ مَا كنتُ أريدُهُ، لِذَا قرَّرتُ العودةَ إلىٰ طريقِ الهدايَةِ وإعادَةِ ترتيبِ أوراقي المبعثرَةِ.. ومن يومِها وأنَا لا أضيِّعُ فرضاً منْ فروضِ الصَّلواتِ الخمسِ فضْلاً علَىٰ أنني بدأتُ أصلِّي وأحافِظُ علَىٰ صَلاةِ الليلِ..أحافظُ علَيها لا لسببٍ إلا لأنَّني لمّا احترتُ في أحدِ الليالي لم أجِدْ من معينٍ.. ولمْ أجِدْ من ساترٍ ولا مجيبٍ إلاَّ اللهَ الذي ينزلُ في آخرِ الليلِ سبحانَهُ جلَّتْ قدرتُهُ يقولُ: هلْ من داعٍ فأجيبهُ؟ هل من سائِلٍ فأعطيهُ؟ فلقدْ سألتُهُ وأعطَاني.. دعوتُهُ فأجَابَني ..فلَه الفضلُ كلُّهُ ولهُ الشُّكرُ والمنَّةُ..

أما صَاحِبُنا الباكستانيُّ فأقرَّ علىٰ جرائمَ لا تُحْصَىٰ ويشيبُ منهَا الـرأسُ.. وأنَّـهُ اعترفَ بأنَّ له أعواناً كُثُر.. وحينَما اكتَملَ التحقيقُ جاءني الخبرُ من صاحِبِنـا جـزاهُ اللهُ خيراً ووفَّقَهُ، أنَّهُ عن طريقِ هذا المجرمِ الخائِنِ تمَّ القبْضُ علـىٰ شبكةٍ متكاملـةٍ للدَّعارة والتَّغريرِ بنسَاءِ المسلمينَ.. وبيعِ الخمورِ.. وإنتاجِهَا علاوةً علـىٰ بيـعِ هـذا السّمِّ القاتلِ (الحشيشةِ)... قُبِـضَ علـىٰ هـذِهِ الشّبكةِ المتكَامِلَـةِ وعددُهـا خمسَـةٌ وثمانونَ ليموزيناً أكثرُهم وأغلبيَّتُهم منَ الجنسيَّةِ الباكستانيةِ.. لـذا أصـدَرَتِ الهيئـةُ بعدَها فتوىٰ شرعيّة بأن لا تركَبَ الفتاةُ إلاَّ ومعَها محرمٌ.. جزاهُمُ اللهُ خـيراً.. وسَترَ عَلَىٰ نساءِ المسلمينَ وبنَاتِ المسلمينَ.. آمين اللَّهمَّ آمين..

* * *

الدُّش (الستلايت)
الذي دمَّر حيَاتي

في بدايةِ حيَاتِي كنتُ أمَارسُ الأعمـالَ الحُـرَّة، وكـانَت - بِفَضْـلِ اللهِ - تِجَـارَتي رابحةٌ تَدرُّ عليَّ خيراً كثيراً، وكَانَت حيَاتِي تَسيرُ عَلىٰ النَّهج الإسلامِي الصَّحيح .

وما كُنْتُ يوماً أتخَلَّفُ عَن الصَّلواتِ الخَمْس وبخَاصَّةٍ صَلاةِ الفَجْرِ، وكانَ قَلْبِي يرقصُ فَرحَاً حيَن أسمَعُ أنَّ هناكَ محاضرةً دينيـةً، فكنـتُ أذهـبُ إليـهَا ولـو كـانَت بعيدةً عَن بلدَتِـي وأحـرصُ علـىٰ أن أكـونَ في الصَّـف الأول، وكُنـتُ محظوظـاً في حياتي إذْ رَزَقَني اللهُ زوجةً صالحةً مطيعةً، محافظةً علـىٰ الصَّلـواتِ الخَمْـس رَاعيـةً أمينَةً علىٰ بَيْتِي وَلله درُّ الشَّاعِر:

ألا إنَّ النِّســاءَ خُلِقْــنَ شَــتَّىٰ   فَمِنْــهُنَّ الغنيــةُ وَالغَــرَام
وَمِنْــهُنَّ الهِــلالُ إذا تَجلَّــي   لِصَاحِبِــهِ وَمِنْــهُنَّ الظَّــلامُ
فمــن ظفــر بصالحــهن يظفــر   ومــن يغــبن فليــس لــه انتظــام

ومنهَا رزقَني اللهُ البنينَ وَالبَنَات وَهُم: عَادل، وخَالِد، وسُعَاد، وَأمل.

إنَّمَــا أولادُنَــا بَيْنَنَــا   أكْبَادُنَــا تَمْشِــي عَلَــىٰ الأرضِ

وكانت أسرتي هي النِّبراسُ الَّذي يُنيرُ طريقِي، وَالسَّلْوىٰ الَّتي تُبهجُ قَلْبِي، وَمَرَّت الأيَّامُ والشُّهُور والسُّنُون وكَبُرَ أولادِي وَدَخَلوا الجَامِعَاتِ.. وكُنْتُ أنتظِـرُ اليـومَ الَّـذي أرَىٰ فيهِ أولادِي يَحْمِلُونَ الشَّهَادات العِلْمِيَّة وَلكن الأيَّام لا تَبْقَىٰ علىٰ وَتيرةٍ واحـدةٍ، وسبحانَ الَّذي يُغيِّرُ وَلا يَتَغَيَّر.

لكِـلِّ شَـيء إذا مَـا تَـمَّ نُقْصَـانُ فَـلا يُغَـرَّ بِطيـبِ العِيْـشِ إنْسَـان
هِـيَ الدُّنْيَـا كَمَـا شَـاهَدْتَهَا دُولٌ مَـن سَـرَّهُ زَمَـنٌ سَـاءتهُ أزْمَـان

فَبعْدَ أنْ عِشتُ معَ أسْرَتي حَيَاةً هادِئَةً هانئـةً، سـعيدَةً يَحْسُـدُنِي عَلَيْـهَا أقْرَانِـي وَأصْدِقَائي.. جَاءَ اليومُ الَّذي انْقَلَبَت فيهِ حَيَاتِي إلىٰ حَيَاةِ الدَّمَارِ، إلىٰ حياةِ البُـؤْسِ، إلىٰ حيـاةِ السُّجُونِ، إلىٰ حَيَـاةِ التَشَـرُّدِ في الطُّرُقَـاتِ، إلىٰ الشَّحَاتَةِ مِـنَ النَّـاسِ.. إذن مَا هيَ الحكَايَةُ الَّتي دَمَّرت حَيَاتِي وَشَرَّدَت أسْرَتي؟!.

في أحدِ الأيـام جـاءَ ابنِـي (عَـادل) وَهُـوَ أكبرُ أبنـائِي إلىٰ البَيْـتِ وَمَعَـهُ جـهازُ الستلايت فَأستغربتُ مِـن هَـذا الفِعْـل الدَّنـيء ونَظَـرتُ إليـهِ نَظْـرَةً ملؤُهـا الإزدرَاءُ والاحتِقَارُ، وقلتُ لَهُ: ماذَا تريدُ أنْ تفْعَلَ ؟

قالَ: أريدُ تَركيبَ (السَّتَلايت) لكي نُشَاهِد القَنواتِ الفَضَائِيَّةَ العَالَمِيَّةَ.. حتَّىٰ لا نعيشَ في قَوْقَعَةٍ مُنْعَزلينَ عَن العَالَم.

كي لا نَعيشَ مُتَخَلِّفينَ، رَجْعِيِّينَ هَمَجِيِّينَ، بَعيدينَ عَن هذا العَالَم المُتَحَضِّـر.. نريدُ يا أبي أنْ نعيشَ في عَصْر النُّـور والتكنولوجيَـا وَحيَـاةِ القَـرنِ العِشْـرين، حَيَـاةِ الأقمَار الفَضَائيَّة.. حَيَاةِ الانطلاقِ وَالتَّقَدُّم.

تَعَجَّبْتُ مِن هَذِهِ الأَقْوالِ الَّتي خَرجَـت مِـن فَـم ابْنِـي (عَـادل) الهـادِئِ الوَديـع الرَّزين.. فَأسْرَعْتُ إليهِ كالأَسَدِ قَائِلاً:

نحنُ لا نريدُ هذهِ القنواتِ الفَضَائِيَّـةَ فَإنَّـهَا بَـابٌ مِـن أبـوابِ الدَّعـوةِ إلىٰ الفَسَـادِ والرَّذيلَةِ وعَدَمٍ، والمرءُ مهما حاولَ أن يلـتَزمَ بـبرامجَ نافعـة منـها أغـراهُ الشيطانُ إلىٰ غيرها.. ولا أجدُ لهذا البلاءِ مثلاً إلاَّ كَمَا قَالَ القَائِلُ: قَد دُسَّ السُّمُ في العَسل.

فقالَ ابني وَهُوَ مُصِرٌّ عَلىٰ رأيِهِ: إذا لم يَركَب (السَّتلايت) سوفَ أخْرُجُ مِنَ البيتِ ولن أعودَ إليهِ أبَداً.

وهُنَا تَدَخَّلت وَالدتُهُ خَوْفاً علىٰ فَلِذَةِ كَبِدِهَا مِنَ الضَّياع، تَتَوَسَّلُ إليَّ وتبكِي بِحُرْقَةٍ، وكذَلِكَ أولادِي وَقَفُوا مَع أخِيهِم وَأمِّهِم يُلِحُّونَ وَيَتَوَسَّلُونَ أنْ أوَافِقَ عَلىٰ تَركيبِ (الستلايت). وصَدَقَ اللهُ تعالىٰ إذ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: من الآية ١٤].

وَبَعْدَ هَذا الضَّغط المتواصِلِ ذَهَبْتُ إلىٰ أصْحَابي أستَشِيرُهُم في هَذِهِ المسألةِ.. فَقَالَ بَعْضُهُم:

عليكَ أنْ تَرْفُضَ رَفْضاً قاطِعاً طَلَبَ أولادِكَ، لأنَّ تِلْكَ القنواتِ هي الشَّرُّ المُقَنَّع بِمسوح التَّقَدُّم والحَضَارَةِ، وإنَّ مَا تَعرِضُهُ مِن أفلامٍ مُخِلَّةٍ بِالشَّرَفِ وَالفَضِيلَةِ، هُو أداةُ تَحْطِيم وَتَدْمِيرٍ لأولادِنَا.

وقالَ آخرونَ: عليكَ أنْ تُوَافِقَ لأنَّ أولادَكَ في هَذِهِ الحال يكونونَ تَحْتَ بَصَرِكَ ويُمكِنُكَ أنْ تُراقِبَهُم، وكذلكَ تَستَطيع سَمَاع الأخبارِ العَرَبِيَّةِ والعَالَمِيَّةِ وَالبَرَامج الدِّينِيَّةِ وَالعِلْمِيَّةِ.

وقَد استَحْسَنْتُ تِلْكَ الفِكْرَة ووَافَقْتُ علىٰ دُخول الدش اللَّعين إلىٰ بَيْتِي..

وهكَذَا دَخَلَ هَذَا الضَّيفُ الثَّقيلُ بَيْتِي، ولكنِّي قَاطَعتُ النَّظَرَ إليهِ، ومرَّتِ الأيامُ والشُّهُورُ ولم أشَاهِدْهُ.

ولكنَّ أولادِي أدْمَنُوا النَّظَرَ إلىٰ القَنَواتِ الفَضَائِيَّةِ مِن أفلام وَمُسَلْسَلاتٍ وَعُرُوضِ الأزياءِ، وَعُرُوض مُسَابَقَاتِ مَلِكَاتِ الجَمَال، وَصُوَرِ العَاهِرَاتِ العَارِيَاتِ، تَحْتَ سِتَارِ

ما يُسَمَّىٰ (الثَّقافَة الجِنْسِيَّة) ولكنَّ الشيطانَ حَبَائِلُهُ طَوِيلَةٌ وصبرُهُ لا يَنْتَهِي، كَمَا أَنَّ حِرْصَهُ علىٰ إضلالِ بَنِي آدمَ غايةُ الغاياتِ عِنْدَهُ..

فبدأَ بِتَحْرِيضِي علىٰ الغِوَايَةِ بِالتَّدريج، حيثُ وَسْوَسَ لي باسْتِحْسَانِ فِكْرَةِ تركيبِ (الستلايت) أَوَّلاً ثُمَّ حَرَّضَنِي عَلىٰ سَمَاعِ النَّشَرَاتِ الأخبارِيَّة، وَالبَرَامجِ العِلْمِيَّة، ثمَّ بِالتَّدريجِ تَطَرَّقتُ إلىٰ مُشَاهَدَةِ هَذِهِ القَنَوَاتِ عَلىٰ اسْتِحْيَاءٍ، ثُمَّ تَعَلَّقَ قَلْبِي بِهَا كلَّ التَّعَلُّقِ.

وبعدَ أَنْ تَمَلَّكَت تِلْكَ القنواتُ مِن قَلْبِي، حَرَصْتُ عَلىٰ مُشَاهَدَةِ العَاهِرَاتِ اللاَّتِي يَقُمْنَ بِحَرَكَاتٍ جِنْسِيَّةٍ مِلْؤُهَا الإغْرَاءُ وَالفِتْنَة، وَالتَّحَدُّث بِأَصْواتٍ مِلْؤُهَا الدَّنَاءةُ والخِسَّةُ، وبَدَأتُ أنا وأولادِي نَجْلِسُ السَّاعَاتِ الطِّوال لِمُشَاهَدَةِ هَذِهِ القَنَوات التي تعرضُ وتُظْهِرُ الفَتَيَاتِ الحَسْنَاوات.. وبَدَأتُ أتهاوَنُ بِالصَّلاةِ، فَلا أصَلِّيهَا في وَقْتِهَا وَشَيْئاً فَشَيْئاً هَجَرْتُ المَسَاجِدَ بِالكُلِّيَّةِ..

وَنَسيتُ حديثَ الرَّسُولِ ﷺ الَّذي يَقُولُ فيهِ عنِ السَّبعةِ الَّذينَ يُظِلُّهُم اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ مِنْهُم: «رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ».

بَل وَصَلَ الأمرُ إلىٰ أَنْ أصلِّي وقَلْبِي مُتَعَلِّق بِمُشَاهَدَةِ الأَفْلام العَرَبِيَّةِ والأَجنَبِيَّةِ وَخَاصَّةً المَشَاهِد الغَرامِيَّة الجنسيَّة.

وانْغَمَسْتُ بمشاهَدَةِ هَذِهِ القَنَوَاتِ الفضائِيَّةِ.. وكَذَا أولادِي وزَوْجَتِي وأخَذْنَا نَقْضِي النَّهَارَ وَاللَّيلَ في النَّظَر إلىٰ ما حرَّمَ اللهُ دونَ خوفٍ أو وجلٍ منهُ تعالىٰ.

وكانَ مِن نَتِيجَةِ ذَلِكَ كلِّهِ أنْ ضَعُفَ الإيمانُ في قُلُوبِنَا وَحَلَّ مَحَلَّهُ التَّعَلُّق بمشاهدَةِ هذهِ الأَفْلام وَالمَسْرَحِيَّات سَوَاء كانَت عَرَبِيَّة أو أورُوبِّيَة، فَتَرانا نَضْحَكُ بِأعلىٰ أصْواتِنَا حينَ نَرَىٰ شيئاً يُضْحِكُنَا وَنَبكِي حِينَ نَرَىٰ شيئاً يبكِينَا.

فعاشَ قَلْبي مَع ملكـة الإغـراءِ والفَـنّ «مَـارلين مُونْـرُو» وَ «الـيزابيث تـايلور» و«مادونا» و.. و.. وغيرهنَّ مِنَ الفَاتِنَاتِ السَّاحراتِ.

وَقَويت غِوَايَةُ الشَّيطانِ بَعدَ هـذا التَّـدرُّج شيئاً فشيئاً.. إلىٰ أنْ جَاءت الضَّرْبَـةُ القَاضِيَةُ القاتلةُ القاسمةُ لظهري وظهر أسرتي..

❁ فَوَلَدي عَادل يَقْتُلُ زَوْجَتَهُ باستمرارٍ حتىٰ أصبحت حياتـهما جحيماً بمعنـىٰ الكلمة.. ولم يكُن يَخْطُرُ علىٰ بَالي أنَّ أوْلادِي سَوفَ يَنْحَرفُونَ وَيَـنْزَلقون إلىٰ طريـق الهَاوِيَةِ وَالسُّقُوط المميتِ.

وَلَدي (عادل) الكبيرُ أخَذَ يُرَاسِلُ إحدَىٰ الفتياتِ الأوروبيـاتِ بواسطة (رسيفر ديجتال) حتَّىٰ فَاجَأنَا في أحَدِ الأيام بأنَّهُ قَد تزَوَّجَهَا، وَلم يَقْتَصِر الأَمْـرُ عَلـىٰ هَـذا، بَل جَاءَ بِتِلْكَ الزَّوجَةِ اللَّعوبِ إلىٰ بَيْـتي، وكـانَ ابـني يُحِبُّـهَا حُبَّاً شـديداً، وَيُغْـدِقُ عليهَا مِنَ الأَمْوالِ وَالمُجَوْهَراتِ رَغْم اعْـتِرَاضِي عَلـىٰ هَـذا الـزَّواج غَـير المتكَـافِئ، وغير المناسِبِ لنَا نَحْنُ المسلمينَ، الَّذين نَتَمَسَّكُ بِالشَّـرَفِ وَالفَضِيْلَـةِ، أمَّـا هَـؤلاءِ فَهُم لا يَنْظُرُونَ إلىٰ الفَضِيْلَةِ وَالشَّرفِ كَمَا نَنْظُرُ نَحْنُ، وَمَا حَادِثَةُ (مونيكا لويسـكي - كلينتون) عنَّا ببعيدٍ وَمِن قَبْل ذَلك، فَضَائح القَصْرِ المَلَكِيِّ البريطـانيِّ، وكَمَـا يَقُـولُ المَثَلُ: «لا يُنْبِتُ الشَّوكُ إلاَّ الشَّوكَ، ولا يُنْبِتُ الصَّبَّارُ إلاَّ الصَّبَّارَ» فَلَم تَمْضِ شُـهُورٌ عِدَّةٌ حتّىٰ فَتحَت لنا تِلْكَ الفتاةُ المُنْحَلَّةُ مِنَ القِيَم وَالأَخْلاقِ بَيْتنا للفَاحِشَةِ وَالرَّذِيلَـةِ والدَّعارة، وكما تعلمونَ فَالطَّبْعُ يَغْلِبُ التَّطَبُّعَ.

وفي أحدِ الأَيَّام فُوجِئ ابني (عادل) فَوَجَد في فِرَاشه شَابَّاً مَع زَوْجَتِـهِ، فَمَـا كَـانَ منهُ إلاَّ أنْ أخَذَ المسدَّسَ وَقتَلَ زَوْجَتَهُ اللَّعـوبَ وَعَشِيْقَهَا، وكَـانَت النَّتيجَـةُ أنَّ ابنـي

دخلَ السِّجنَ وَهُو يَنْتَظِرُ فربُّما سوفَ يُسَاقُ إلىٰ سَاحَةِ الإعدام، وهكَذا خَسِرْتُ ابـني الأَكْبَر.. وأنا السَّببُ في ضَيَاعِهِ مِنّي، يَومَ سَمَحْتُ لَهُ بإدخالِ (رسـيفر ديجتـال) إلىٰ بيتي ومنزلي، وبين أبنائي وبنَاتِي.

يخونُ زَوْجَتَهُ وكانَت هي تَخُونُهُ أيضاً..

وَصَدَقَ مَن قَالَ: الزَّاني يُزنَىٰ بِهِ ولو بَعْدَ حِيْنٍ..

❁ أمَّا قِصَّة ولدي الثَّاني (خَالد)..

فَهُوَ أيضاً خَلْفَ القُضْبَان.. لقد كَانَ طالباً في المَرْحلـة الجامِعيَّـة وَرَسَـبَ عِـدَّةَ مرَّات بِسَبَبِ السَّهَر والإدمانِ عَلـىٰ مُشَـاهَدَةِ هَـذِهِ الفَضَائيَّـاتِ، وكَـانَتِ النَّتيجَـةُ أن انْغَمَسَ بالإدمانِ عَلىٰ المُخَدِّراتِ، وأَخَذَ يَسْرِقُ مِن وَالِدَيْهِ حَتَّىٰ أصبح لِصَّاً مُحْتَرفاً، وكـوَّنَ عِصَابَـةً مـن اللُّصُـوص تَسْطوا علـىٰ البيـوتِ والمحـلأتِ لسـرقَةِ الأمـوالِ والمجوهراتِ حَتَّىٰ يُلَبِّي حَاجَتَهُ مِنَ المخَدِّراتِ وخاصَّةً: «الأفيون والأبر المُخَدِّرة» وظلَّ عَلىٰ تلكَ الوَتيرةِ حَتَّىٰ وَقَع في أيدي رجالِ الأَمْنِ، وحُكِمَ عليه بالسجنِ اثنـتي عَشْرَةَ سَنَةً.

❁ أمَّا ابْنَتِي سُعَاد فَقَد فَشِلَت في الدِّرَاسَةِ مِن كَثْرَةِ الرُّسوبِ، وَأَخَذَ قَلْبُهَا يَتَعَلَّق بالحياةِ الأوروبِّيةِ مِن أزياءَ واستِمَاعٍ إلىٰ الأغـاني والموسيقىٰ الصَّاخِبَـةِ وَمُشَـاهَدَةِ القَنَواتِ الفَضَائِيَّةِ.

فَتَعَرَّفَت علىٰ شابٍّ مُسْتَهْتِرٍ بِالقِيَم والأخـلاقِ فَجَرَفَـهَا مَعَـهُ إلىٰ بُحُـور الرَّذيلَـةِ، وكانَ مِن نتيجةِ ذلكَ أنْ حَمَلَت مِنْهُ سِـفَاحاً، فَلَمَّـا تَبَيَّـن أمـرُ حَمْلِهَـا هَـرَبَ مِنْـها، وبالتَّالي هَرَبَت هي أيضاً مِنَ البيتِ وَهِيَ تَجرُّ أذيـالَ العَـار وَالفَضِيْحَـةِ وَلَـم أعْـرف

عَنْهَا أي خَبَر يُوصِلُني إليهَا.

❁ وأما ابنتي (أمل) وهِي الصَّغيرةُ فَأَحَبَّت شاباً لا يُعْطِي للدِّين أدْنَىٰ اهْتِمَام، بَل مِمَّن يَعْتَبِر أنَّ الدِّينَ أفيونُ الشُّعوبِ، وأنَّ الهدفَ مِنْهُ هو السَّيطرةُ علىٰ الشُّعُوبِ لِكَبْح جِمَاحِهَا. وكَان فوقَ ذلكَ مُدْمِناً للخُمُور عَلىٰ اختِلافِ أنْواعِهَا..

ولقد تَأثرت ابنَتِي (أمل) بحيَاةِ زَوْجِهَا فَانْغَمَسَت مَعَهُ في شُرْبِ الخُمُور والإدمانِ عليهَا..

وفي يومٍ مِن الأيَّام طَلَبَ زَوْجُهَا مِنهَا شيئاً فَلَم تُجِبْهُ لأنَّهَا كَانَت تَحْتَسِي الخُمُورَ، ولا تَدْرِي بِنَفْسِهَا، فَأَخَذَ زَوْجُهَا يَصْرُخُ وَيَصْرُخُ حتَّىٰ فَقَدَ شُعُورَهُ ثُمَّ ضَرَبَهَا بِزُجَاجَةِ الخَمْرِ عَلىٰ رَأسِهَا فَفَقَدَت عَقْلَهَا وَهِي اليومَ تَعِيْشُ في مُسْتَشْفَىٰ الطِّب النَّفْسِي في حَالَةِ جُنُونٍ وَصَرع شَدِيْدَين.

أمَّا زوجتي المِسْكِيْنَة فإنَّها لم تَتَحمَّل هَذِهِ المَصَائِبَ كلّها فَأُصيبَت بِأزْمَةٍ قَلْبِيَّةٍ، لأنَّهَا لَم تَتَحمَّل أنْ تَرىٰ أبْنَاءهَا يَسْقُطُونَ الواحِد بَعْدَ الآخَر، وكَانَ ذَلِكَ نَتِيْجَةً طبيعيةً نظراً لوقوفِهَا مَع أولادِهَا، وَالضَّغْط عليَّ حتَّىٰ أدخَلت (الدشَّ) إلىٰ بَيْتِي..

فَأنَا الآنَ أعِيْشُ حالةً هِستيرِيَّةً، ألُومُ نَفْسِي أم ألومُ الشَّيْطانَ.. أم ألومُ أبنائي وزَوجَتي.. فأنا الآنَ أصْبَحْتُ لا أعْرِفُ كَيْفَ أعيشُ حَيَاتِي مِنْ عَذَابِ الضَّمِيْرِ..

وأسألُ اللهَ تعالىٰ أن يفرِّجَ همِّي وأن يَغفرَ ذنبي..

* * *

الدِّشُّ المشُؤوم

دَخَلَ عليَّ يوماً ذلكَ الرَّجُلُ، رَجُلٌ ليسَت صورتُهُ غريبةً عنِّي، إني أعرفُهُ جيِّداً، وبِلَمْحِ البَصَرِ مَرَّ في ذَاكِرَتي.

دَخَلَ عَلَيَّ مَذْهُولاً، كأنَّما يحملُ همومَ الدُّنْيَا بأسرِهَا.. وَقَفَ بِالبَابِ وَعَرَّفَني بِشَخْصِهِ الكريم، زَميلٌ فَرَّقَت بينَنَا الأيامُ والسنونُ.. رَحَّبتُ بِهِ وكُنْتُ أظنُّ أنَّهُ وَصَلَ زائراً بَعْدَ هَذا الفِراقِ الطَّويل.. حَاوَلْتُ أنْ أكْرِمَهُ، لكِن كَأَنَّما كَانَ عَلَىٰ عَجَلٍ مِن أمرِهِ، جَلَسَ أمَامِي يَتَنَهَّدُ الآهات مِن صَدْرِه، وكأنَّهُ جبلٌ مِنَ الأَحْزَانَ.. ثمَّ استَسْمَحَنِي لِيَرْوِي قِصَّتَهُ الَّتي جاءَ يَحْمِلُهَا، فَقَال:

كنتُ دائماً يا صَديقِي أسمعُ حديثاً مِنَ العُلماءِ يُؤَنِّبُ العُصَاةَ في سُوءِ مَا ارتكَبُوه، ويحذِّرهم أيضاً مِن الاستمرارِ في ذلكَ ذاكرينَ عذابَ النَّار وبئسَ المصير.. ولكنَّني كُنْتُ أظنُّ أنَّهُ يَتَجَاوَزُ الحَقيقَةَ، وأنَّهُ فيه كثيرٌ منَ المبالغةِ..

ومن جملة هذهِ الدروسِ والمواعظِ حَديثٌ كان يُدار حَوْلَ القنواتِ الفَضَائِيَّةِ وآثارِها، كنتُ أَسْمَعُ ذلكَ في المَسْجِدِ فَأُنْصِتُ لَهُ كَارِهاً..

ولأكْثَر مِن مرَّة أعطاني أولئكَ الأشْخَاصُ بِضْعَ وَرَقَاتٍ أتصفَّحُهَا فَأَجِدُ فيها قِصَصاً وَقَعَت لِمُقْتَنِي القَنَوَاتِ الفضائيَّةِ شيءٌ يكادُ لا يُصَدَّق، فكنتُ أَقْرَأُ تِلْكَ الرَّسَائِل وَنَفْسِي تُحَدِّثُنِي أنَّ هَذا أشْبَه بِالقصصِ الخُرَافِيَّةِ لا غَيْر، وكُنْتُ مَع هَذِهِ الأَخْبَار أتَسَاءَل:

لماذا هَؤلاءِ الأَشْخَاص يُحَدِّثُونَنَا هَذا الحديث ؟.

لماذَا يَحْمِلُونَ هَمَّ بَيْتِي وَأسْرَتي ؟ أتساءلُ فَلا أجِدُ جواباً مقنعاً سوىٰ أنَّها مُجَرَّدُ غَيْرَةٍ مُصْطَنَعَة، لا تَمْلِكُ رَصيداً عَمَلِيّاً مِن الوَاقع، وَلذَلِكَ لَـم تَقِـف هَـذِهِ النَّصَـائحُ وَهَذِهِ القِصَصُ في طريقِ شِرَاءِ الدش الَّذي عَزَمْتُ عَلىٰ اقتنائه..

فَحَديثُ الصَّحبِ عَن المبارياتِ المُشَفَّرَةِ كانَ يَدْفَعُني خَطوات كبيرة إلىٰ اقتنائِهِ والجلوس أمامَهُ، وَقَنَاةُ الجزيرةِ في بَرْنَامَجِهَا «وَجْهاً لِوَجْهِ» يَدْفَعُني خَطَواتٍ أكـبَر، وتَشُدّ مِن أزري عَلىٰ الشِّراءِ، وكُلُّ ذلكَ كَانَ يُؤَجِّجُهُ حَديثُ الأصدقـاءِ والزُّمـلاءِ في العَمَل عَن أحْدَاثِ السَّاحَةِ، وأنباءِ السَّـاعةِ، كـلُّ هَـذِهِ كـانَت مُجْتَمِعَـةً تَشُـدُّني إلىٰ الإقدَام عَلىٰ شِرَاءِ هذا اللَّعينِ دونَ تَرَدُّدٍ مِن جِهَةٍ، وَمن جِهَـةٍ أخـرَىٰ كـانَ بقِيَّـةٌ مِـنَ الحياءِ تُؤَجِّل هَذا القَرَارَ في نَفْسِي، لكنَّ العَوامِلَ الَّتي ذكرتُ سَالفاً كانَت لَهَا الغَلَبَةُ في نهايةِ الأمرِ.

وَفِعْلاً قَدِمَ هذا الضَّيفُ المَشْؤُوم ولِسُوءِ شُؤْمِهِ أبَىٰ أنْ يطأَ الأرضَ فَاعْتَلَىٰ سَـطْحَ مَنْزِلي المُبَارَكِ، فَرآهُ المجتَمَعُ فَهَرْوَلُوا إليَّ وخَوَّفُونـي بـاللهِ تَعَـالىٰ، وذكَّرُونـي بِسُـوءِ العَاقِبَةِ لكِنَّني بَقِيْتُ صَامِداً صمودَ الأبطالِ والشَّـيطانُ يُوَسـوِسُ لي ويشُـدُّ مـن أزري عَلىٰ مَا عَزَمْتُ ـ ويا ليتني لم أفعل ـ وَعَادَ المُجْتَمَعُ والجيرانُ النـاصحونَ لي أفـراداً وجماعاتٍ دُونَ تَحقيق نَتِيْجَةٍ..

وبهَذا النَّصْر المَوْهُومِ الَّذِي حَقَّقْتُهُ عَلىٰ مُجْتَمَعِي هَنَّأنِي أبنَائِي وَزَوْجَتِي، وَرَأيتُ أنْ أقَدِّمَهُ هَدِيَّةً لَهُم عَلىٰ التَّهْنِئَة..

وَمَضَت الأيَّامُ وفي كلِّ يومٍ يمضي يزدادُ طَمَعِـي وشَـوْقي.. شَـوقي إلىٰ حَدِيْـثِ المبارَيَاتِ.. وتلكَ القَنَوات التي أصبحَ يراها وللأسف أغلبُ الناس، ولا يسلمُ منـها ذكرٌ ولا أنثىٰ إلاّ من رحمَ اللهُ تعالىٰ..

وكانَ يُعجبني أيضاً أنْ أردَّ على زملائي الحَديثَ فيما شاهدتُ ورأيت..

وأحسستُ مع مرورِ الوقتِ أنَّ هناكَ نَهَماً في نَفْسِي أحببتُ أن لا أحرمَ نفسي منه.. وفراغاً ينبغي أنْ أملأه، لكِنَّني أحْسَسْتُ مُنْذُ الأيَّام الأولىٰ ثِقَلاً في خَطَواتِي إلىٰ المَسْجِدِ وإلىٰ تلاوةِ القرآن، وكَسَلاً يَعْتَرِي جَسَدِي، ورَغْبَةً مُلِحَّةً إلىٰ البَقَاءِ عِنْدَ هَذِهِ القَنواتِ، ومرَّت الأيام فَفَقَدْتُ المَسْجِدَ وَأهْلَهُ الأَخْيَار، ودروسَ العلم ومُدَارَسَةَ القُرآن.. بَدأت تَتَلَقَّفُنِي الأَحْزَانُ وَتَتَابنِي الهمُومُ، لكِنَّني كَابَرْتُ وأصْرَرْتُ عَلىٰ البَقَاءِ.

عُدْتُ أرىٰ أنَّ هؤلاء الذينَ يحاولونَ منعي عن هذه القنوات هُم أعْداءٌ للحرِّيَّةِ لا غَيْرَ.. وَمَرَّت الأيَّام والشُّهورُ وأنَا وَأسْرَتي حَوْلَ هَذَا الجِهَازِ اللَّعينِ لا نكَادُ نُفَارِقُهُ إلاَّ في سَاعَاتِ الدَّوام في العملِ، وكُنْتُ في أحيان كثيرةٍ أنَامُ مُضْطراً قبلهُم وَيَبْقَىٰ أبْنَائي حَوْلَهُ إلىٰ وَقْتٍ مُتَأخِّرٍ منَ اللَّيل.

وَمَرَّ زَمَنٌ كبيرٌ علىٰ هَذا العشقِ لهذه القنواتِ أُقَدِّرُهُ بِسَنَوات، وَنَسِيْتُ كلَّ الأَحْدَاثِ الَّتي صَاحَبَت قُدُومَ هَذا الدش، وَشَرَعْتُ في ظُروفِ هَذِهِ الحيَاةِ، وَلَم يَبْقَ عِنْدِي مِنَ الزَّمَن، مَا أجْلِسُهُ أمَامَهُ.. وكُنْتُ أعودُ إلىٰ البيتِ في سَاعَاتٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنَ اللَّيل، وأحياناً قَبْلَ الفَجْرِ، واسْتَمْرَرْتُ زَمَناً طويلاً علىٰ ذلكَ، فَظُروفُ العَملِ هي الَّتي أجْبَرَتني عَلىٰ ذَلِكَ.

وفي لَيْلَةٍ سوداءَ مِن هَذِهِ اللَّيالي الَّتي وصلتُ فيها مُتَأخِّراً كعَادَتي، فتحتُ بابَ غُرْفَتِي وَاسْتَلْقَيتُ علىٰ سَرِيْري دُون أنْ يَعْلَمَ أو أن يَشعُرَ بِقُدُومِي أحدٌ..

وللوهلةِ الأولىٰ سَمِعْتُ شيئاً غريباً أشْبَهَ مَا يكُون بِالأصواتِ المُتَدَاخِلَةِ، فَأَخَذْتُ أتمعَّنُ هَذِهِ الأَصْوَات فَإِذَا بِهَا تَمْتَمَةٌ لا تكَادُ تبِينُ حُرُوفُهَا، ازدادت دَقَّاتُ قَلْبِي، ولمَّ بي هَمٌّ عَجِيْبٌ، وَدَاخَلَتْنِي الشُّكُوكُ لأوَّلِ وَهْلَةٍ في حَيَاتِي، فَانْطَلَقْتُ

باتِّجاهِ هذهِ الأصواتِ الخفيَّةِ المتداخلةِ.. فتوجَّهتُ إلىٰ غُرْفَةِ زَوْجَتِي فَفَتَحْتُ البابَ فَإِذَا هي نائمةٌ مِلءَ جفنِهَا، تَنَهَّدْتُ بعدَ أن تنفَّستُ الصُّعداءَ.. وزالَت عنِّي الشُّكوكُ والأوهامُ الشيطانيَّةُ الَّتي داخلتني واعْتَصَرَت قَلْبِي، وَحَمِدْتُ اللهَ تَعالىٰ وَعُدْتُ لِغُرْفَتِي وَلكِن كَأَنَّمَا الصَّوتُ دَاخِل بَيْتِي.. فإنَّني ما زلتُ أسمعهُ..

وقُمْتُ مرَّةً أخرىٰ وَقُلْتُ في نفسي: لَعَلَّ الأَبْنَاءَ نَسُوا التلفازَ مشغَّلاً وناموا دونَ إطفائهِ.. وكنتُ أَمْشِي بِرِفْقٍ وَتُؤَدَةٍ حَتَّىٰ أعرفَ مَا الخَبَرُ..

وَفعلاً وَصَلْتُ إلىٰ البَابِ فَاتَّضَحَ لي أنَّ الأصواتَ مِن دَاخِلِ هَذِهِ الغُرْفَةِ، تَحَسَّستُ يَدَ البَابِ فَإذا بِهَا مُحْكَمَةٌ (مقفلةٌ) حَاوَلْتُ أنْ أرىٰ الخبرَ عبرَ الثُّقُوبِ، لكن دُونَ فَائِدَةٍ، فَالبَابُ مُحْكَمٌ بِعِنَايَةٍ، شَكَكتُ في الأَمْرِ، وعادَ قلبي ينبضُ بسرعةٍ من جديدٍ.. فالوقتُ متأخرٌ جداً.. وَيُوشِكُ أنْ يَنْطَلِقَ صَوتُ مُؤذِّنِ الفَجْرِ وَأَبْنَائِي ما زَالوا يَسْمُرُونَ، عُدْتُ إلىٰ غُرْفَتي عَازِماً عَلىٰ المُسَاءلَةِ وَالتَّأنيب غَداً.

وقبلَ أنْ أَلِجَ الغُرْفَةَ تَذَكَّرتُ باباً للغُرْفَةِ مِنَ الجَانِبِ الآخَرِ فَاتَّجَهْتُ إليهِ، ولمَّا وَصَلْتُ إليهِ ووَضَعْتُ يدي عَلىٰ قَبْضَةِ البابِ، انْفَرَجَ بِسُهُولَةٍ..

نَظَرتُ ونظرتُ.. تَأَمَّلتُ جيداً في الذي رأيتُهُ أمامي.. ماذا أفعلُ يا الله.. أَضْرِبُ رأسِي عَلَّنِي في حُلُم عَابِرٍ.. لا، بَل في مصيبَةٍ كبيرةٍ وعارٍ فظيعٍ.. إنَّها المُصِيبَةُ فِعْلاً.. إنَّها المَأسَاةُ حقّاً.. إنَّها الجُرُوح الدَّاميَةُ.. والعَارُ والفضيحَةُ..

إنَّها النِّهَايَةُ المُرَّةُ.. لقد رأيتُ يا صاحبي الوَلَدَ يَقَعُ عَلىٰ أخْتِهِ.. وقد فَضَّ بكَارتَهَا وأهانَ كَرَامَتَهَا، لَم أتمَالَك نَفْسِي مِن هَوْلِ مَا رَأيت أَطْلَقْتُ صَوتاً مُذهِلاً، سَقَطتُ مَغْشِيّاً عليَّ.. فَقَامَت زَوْجَتِي فَزِعَةً، لتَقِفَ بِنَفْسِهَا عَلىٰ المَأْسَاةِ، لقد رَأت مَا لَم يكُن في الحُسْبَان.. الأخُ ينتهكُ حرمةَ أختهِ..

آهٍ وألفُ آهٍ من هَذا الطَّبق المَشْؤُوم.. هذا الطَّبقُ الذي هَتَكَ سِتْرَ البَيْتِ وَشَوَّهَ حَالَهُ، وقَضَىٰ فيه مع مرِّ الأيامِ عَلىٰ الفضيلةِ والعِفَّةِ وأبدلَهَا بِآثَارِ العَارِ المُخْزِيَةِ، بِنْتٌ في سِنِّ العِشْرِين تَنْتَظِرُ المَوْلُودَ القَادِمِ مِن فِعْلِ أخِيْهَا التَّائِهِ الفاجر..

سَعَادَةُ الأسرةِ المُنْتَظَرَةِ بِـأحْلام المُسْتَقْبَل القَرِيبِ ضَاعَت تَحْتَ كَنَفِ ذَلِكَ الطَّبقِ اللَّئيم.

عُدْتُ أتَذَكَّرُ ذَلِكَ المُجْتَمَعَ الَّذي طَرَقَ بَيْتِي وَحَاولَ دُونَ وُصُولِ ذَلِكَ الطَّبَق المشؤُوم إلىٰ أهلِي وبيتِي، ثمَّ أتَذَكَّرُ حَالَ الزُّمَلاءِ وَحَدِيْثَهُم حَولَ هذهِ القنواتِ التَّافهةِ التي يتهافتُ عليه كثيرٌ من المسلمينَ في آيَّامنَا هذهِ وفي كلِّ يومٍ تزدادُ سوءاً وبلاءً وفتنةً.. فأنا اليومَ عَاجِزٌ عَن البَوحِ بِمَا لَقِيْت لأدْنَىٰ قَرِيْبٍ، وَقَد وَقَعَت المَأْسَاةُ وَلا سَبِيْلَ إلىٰ النَّجاةِ.

وأخيراً أخْرَجْتُ ذَلِكَ الطَّبَقَ عَن سَطْحِ مَنْزِلنَا، لكِن بَعْدَ وُقُوعِ وَصْمَةِ العَارِ دَاخِلِ أرْجَاءِ المَنْزِل..

فَوَا أسفَاهُ عَلىٰ العِفَّةِ الَّتي ذَهَبَت.. وَا أسَفَاهُ عَلىٰ الغَيْرَةِ الَّتي نُسِيَت..

وَا أسَفَاهُ عَلىٰ النَّصِيحَةِ يَومَ بُذِلَت دُونَ أنْ أرعِيهَا أيَّ عِنَايَةٍ..

هَذِهِ قِصَّتي أسْرُدُهَا اليومَ وكَلِمَاتُها أثقَل مِنَ الحَدِيْدِ في فَمِي، إنَّ وَقْعَهَا أشَدُّ مِن ضَرْبِ السِّيَاطِ في جَسدِي، وَعَارُهَا ألْصَقُ شَيء بِعِفَّتِي وَعِفَّةِ أسْرَتي، لكنَّنِي أحْبَبْتُ أنْ أنقُلَهَا فَتَعِيهَا الآذانُ الصَّاغِيَةُ، وَتَستَفيدُ منهَا النُّفُوسُ الغَافِلَةُ وَإلاَّ فَعِنْدَ غَيري أكْثَر مِمَّا ذكَرْتُ.. لكنهم إمَّا لَـم يَعْثُروا عَلَيْـهَا حَتَّىٰ الآن، أو أنَّ نُفُوسَهُم ضَعُفَت عَن الحَدِيْثِ بِهَا، وهَا أنا ذا أبْرأ إلىٰ اللهِ وَأخْرُجُ مِن جَور المُسَاءلَةِ غَداً عِنْدَ اللهِ بِذِكْـر هَذِهِ الآثارِ وَلا حُجَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَخْلُوق، اللَّهم إنِّي قَد بَلَغْتُ، اللَّهُمَّ فَاشْهَد..

المكالمة الهاتفيّة التي غيّرت حياتي

رَنينُ الهَاتِفِ يعلُو شيْئاً فَشيْئاً .. والشَّيخُ محمد يغطُّ في سُباتٍ عميقٍ..

لمْ يقطعْهُ إلا ذَلِكَ الرَّنينَ المزعِجَ.. فتحَ محمَّدٌ عينَيهِ.. ونَظَرَ في السّاعةِ الموضُوعَةِ علَىٰ المنضَدَةِ بجوارِهِ.. فإذَا بِهَا تشيرُ إلَىٰ الثَّانيَةِ والرّبعِ بعدَ منتَصَفِ الليلِ!!.

لقَدْ كَانَ الشَّيخُ محمَّد ينتَظِرُ مكالمَةً مهمَّةً.. وحينَ رنَّ الهَاتِفُ في هَذا الوقْتِ المتأخّرِ.. ظنَّ أنَّهَا هِيَ المُكالَمَةُ المقصُودَةُ .. فنَهَضَ علَىٰ الفورِ منْ فراشِهِ.. ورَفَعَ سمَّاعَةَ الهَاتِفِ.. وبادَرَ قائِلاً: نَعَم!! السَّلامُ عليكُم ورحمَةُ اللهِ وبركاتُهُ.

فسَمِعَ علَىٰ الطَّرَفِ الآخَرِ .. صوتاً أنثوياً ناعِماً يقولُ:

لو سَمَحْتَ هلْ منَ الممْكِنِ أن نَسهَرَ الليلَةَ سَوِيّاً عَبرَ سمَّاعَةِ الهَاتِفِ؟!.

فردَّ علَيها باستِغرَابٍ ودهشَةٍ قائِلاً: مَاذا تقُولينَ؟!! مَن أنتِ ؟!! ..

فردَّتْ علَيهِ بصَوتٍ نَاعِمٍ متكَسِّرٍ: أنَا اسمِي (أشواق) وأرغَبُ في التَّعرُّفِ عليكَ.. وأنْ نكونَ أصدِقاءَ وزملاءَ.. فهَل عندَكَ مانِعٌ ؟!!.

أدرَكَ الشَّيخ محمَّد أنَّ هذِهِ فتاةٌ تائِهَةٌ حائِرَةٌ.. لمْ يأتِهَا النَّومُ بالليلِ.. لأنَّها تُعانِي منْ أزمَةٍ نفسِيَّةٍ أو عَاطفيَّةٍ.. فأرادَتْ أن تهرُبَ منهَا بالعَبَثِ بأرقَامِ الهَاتفِ!!.

فقالَ لَهَا: ولِمَاذَا لَم تَنَامِي حتَّىٰ الآنَ يا أختِي؟!!.

فأطلَقَتْ ضحكَةً مدويَّةً وَقَالَتْ: أنَامُ بالليلِ؟!! وهَلْ سَمِعْتَ بعاشِقٍ ينَامُ اللّيلَ؟!! إنَّ الليلَ هوَ نهارُ العَاشقينَ.

فـرَدَّ عليـهَا بِـبرودٍ: أرجُـوكِ إذَا أردْتِ أن نستَمِرَّ في الحَديـثِ.. فـابتَعِدِي عَـنِ الضّحكـاتِ المجلجلـةِ والأصْواتِ المتكَسّـرةِ.. فلَسْـتُ ممَّن يَتعلَّـقُ قلبُـهُ بـهذِهِ التَّفَاهَاتِ.

تلعثَمَتِ الفتَاةُ قَليلاً .. ثُمَّ قَالَتْ: أنَا آسفةٌ.. لمْ أكُنْ أقصِدُ.

فقالَ لَهَا محمّد سَاخِراً: ومَنْ سَعيدُ الحَظِّ الذِي وقعْتِ في عشْقِهِ وغَرامِهِ؟.

فردَّتْ عليهِ قائِلَةً: أنتَ بالطَّبعِ.

فقالَ مستَغرِباً: أنَا؟!! وكيفَ تعلَّقْتِ بِي وأنتِ لا تعرِفِينَني ولَم ترَيني بعدُ؟!!.

فقالَتْ لَهُ: لقَدْ سَمِعْتُ عنكَ الكَثيرَ منْ بعضِ زميلاتِي في الكُلِّيَّةِ.. وقـرأتُ لَـكَ بَعضَ المُؤلَّفاتِ.. فأعجَبَني أسلوبُها العَـاطِفِيُّ الرَّقيـقُ.. والأذُنُ تعشَـقُ قبـلَ العَـينِ أحياناً.

قالَ لهَا محمّد: إذَن أخبِرِيني بصَراحَةٍ..كيفَ تقضِينَ الليلَ؟.

فقالَتْ لَهُ: أنَا ليليّاً أكلِّمُ ثلاثةَ أو أربعةَ شـبابٍ!! .. أنتقـلُ مـنْ رقـمٍ إلىٰ رقَـمٍ.. ومِن شابٍّ إلىٰ شَابٍّ عبرَ الهَاتِفِ.. أعاكِسُ هذَا.. وأضحَكُ مَعَ هَذا.. وأمَنِّي هَـذا.. وأعِدُ هَذَا.. وأكذِبُ عَلَىٰ هَذَا.. وأسمَعُ قصَائِدَ الغَزَلِ مِن هَذا.. وأستَمِعُ إلىٰ أغنيَـةٍ مِن هَذا.. وهَكَذا دواليكَ إلىٰ أنْ يقربَ الفَجرُ!! وأردْتُ الليلـةَ أن أتصِـلَ بِـكَ لأرَىٰ هَل أنتَ مثلهُم، أم أنَّكَ تختَلِفُ عنهُم؟!!..

فقالَ لَهَا: وَمَع مَن كنتِ تتَكلَّمينَ قبلَ أنْ تهَاتِفِيني؟!!..

سكتَتْ قَليلاً.. ثُـمَّ قَـالَتْ: بِصَراحـةٍ كنْـتُ أتحـدَّثُ مـعَ (وليـد).. إنَّـه عشِـيقٌ جديدٌ.. وشابٌّ وسيمٌ أنيقٌ.. رمىٰ ليَ الرَّقَمَ اليومَ في السُّوقِ.. فاتَّصلْتُ بهِ وتكلَّمـتُ معَهُ قرابَةَ نصفِ السَّاعَةِ..

فقالَ لَها الشَّيخُ محمد عَلَىٰ الفَورِ: ثُمَّ مَاذا ؟! هلْ وجدْتِ لَديهِ مَا تَبحَثِينَ عنهُ؟.

فقَالَتْ بنبرَةٍ جادَّةٍ حَزينَةٍ: بِكُلِّ أسَفٍ لمْ أجدْ عندَهُ ولا عنـدَ الشَّبابِ الكثيرينَ الَّذينَ كلمتُهُم عبرَ الهَاتِفِ أو قابلتُهُم وجهاً لِوجْهٍ مَا أبحثُ عنْهُ.. لمْ أجدْ عندَهُم مـا يُشبِعُ جُوعِي النَّفسِيَّ ويَروِي ظمَأي الدَّاخِلِيَّ..

سكتَتْ قَليلاً.. ثُمَّ تَابعَتْ: إنَّهم جميعـاً شبابٌ مراهِقـونَ شـهوانِيُّونَ.. خَونَـةٌ.. كذبَةٌ.. مشاعِرُهُم مصطَنَعَـةٌ.. وأحاسِيسُـهُم الرقيقَـةُ ملفَّقـةٌ.. وعباراتُـهُم وكلماتُـهُم مُبالَغٌ فيهَا.. تخرُجُ منْ طرَفِ اللسانِ لا منَ القَلْبِ.. ألفاظُهُم أحلَـىٰ مـنَ العَسَـلِ.. وقلوبُهُم قلوبُ الذّئابِ المفترِسَةِ.. هدَفُ كلِّ واحِدٍ منـهُم أن يقضِـيَ شـهوتَهُ القَـذِرَةَ معِي.. ثُمَّ يرميني كمَا يُرمَىٰ الحِذَاءُ البَالي.. كلُّهُم تهمُّـهُم أنفُسُـهُم فَقَـط، ولم أجـدْ فيهِم إلىٰ الآن ـ علَىٰ كثرَةِ من هاتَفْتُ منَ الشّبابِ ـ منْ يَهتَمُّ بي لذَاتِي ولشَـخصِي.. كلُّهُم يحلفونَ لي بأنَّهُم يحبُّونَني ولا يعشَقونَ غَيرِي، ولا يريدونَ زوجةً لَهُم سـوايَ، وأنَا أعلَمُ أنَّهم في داخِلِهِم يلعنُونَـني ويشـتُمونَني، كلُّـهُم يُمطِرونَـني عـبرَ السَّمّاعَةِ بأرَقِّ الكلمَاتِ وأعذَبِ العِبارَاتِ.. ثمَّ بعدَ أنْ يُقفِلُوا السّماعَةَ، يسبّونَني ويصفُونَنـي بأقبَحِ الأوصَافِ والكَلمَاتِ.

إنَّ حيَاتِي معَهُم حياةُ خِداعٍ ووَهمٍ وتَزييفٍ، كلٌّ منَّـا يخـادِعُ الآخَـرَ.. ويوهِمُـهُ بأنَّهُ يحبُّهُ.

وهنَا قـالَ لَـها الشّيخُ محمـد: ولكـنْ أخـبِريني: مـا دُمـتِ لمْ تَجِـدي ضـالّتَكِ المنشُودَةَ عنـدَ أولئـكَ الشّبابِ التَّائـهينَ التّافـهينَ، فـهلْ مـنَ المعقـولِ أن تجديـهَا عندِي؟!! أنَا ليسَ عنـدِي كلمـاتُ غـرامٍ، ولا عبـارَاتُ هيـامٍ، ولا أشـعَارُ غـزَلٍ، ولا رَسائِلُ معطَّرَةٌ.

فقاطَعتْهُ قائلةً: بالعكسِ أشعُرُ ـ ومثْلِي كثيرٌ منَ الفتيَاتِ ـ أنَّ ما نبحَثُ عنهُ هوَ موجودٌ لدَىٰ الصَّالحينَ أمثالكَ، إنّنا نبحَثُ عنِ العطاءِ والوَفاءِ، نبحَثُ عنِ الأمانِ، نطلُبُ الدِّفءَ والحَنانَ، نبحَثُ عنِ الكلمَةِ الصَّادِقَةِ التي تخرُجُ منَ القَلبِ لتَصِلَ إلىٰ أعمَاقِ قلوبِنَا.. نبحَثُ عمَّنْ يهتَمُّ بنَا ويُراعِي مشاعرَنا، دونَ أنْ يقصِدَ من ورَاءِ ذَلِكَ هدفاً شَهوانيّاً خسيساً.. نبحَثُ عمَّن يكونُ لنَا أخاً رَحيماً، وأبَاً حنوناً، وزوجاً صالحاً.

إنّنا باختصَارٍ نبحَثُ عنِ السَّعادةِ الحقيقيَّةِ في هذِهِ الدُّنيا، نبحَثُ عنْ معنَىٰ الرَّاحَةِ النَّفسيَّةِ نبحَثُ عنِ الصّفاءِ، عنِ الوَفاءِ، عَنِ البَذلِ والعَطَاءِ.

فقالَ لَهَا محمَّد والدموعُ تحتبسُ في عينَيهِ حزنَاً علَىٰ هذِهِ الفتاةِ التّائهَةِ الحَائرَةِ: يبدُو أنَّكِ تعانينَ منْ أزمَةٍ نفسيَّةٍ، وفراغٍ روحيٍّ، وتشتكينَ همّاً وضيقاً داخليّاً مريراً، وحيرةً وتيهاً وتخبُّطاً، وتواجهينَ مأساةً عائليةً، وتفكّكاً أسريّاً.

فقالَتْ لهُ: أنتَ أولُ شخصٍ يفهَمُ نفسيَّتي ويدركُ ما أعانيهِ من داخِلِي.

فقالَ لهَا: إذن حدِّثِيني عَنْكِ وعَنْ أسرتِكِ قليلاً، لتتَّضحَ الصورةُ عندِي أكثرُ.

فقالَتِ الفتَاةُ: أنَا أبلُغُ منَ العمرِ عشرينَ عَاماً، وأسكُنُ معَ عائلَتي المكوَّنةِ منْ أبِي وأمِّي وثلاثةِ إخوةٍ وثلاثِ أخواتٍ، وإخوَتي وأخواتِي جميعُهم تزوَّجوا إلا أنَا وأخِي الذي يكبُرُني بعامينِ، وأنَا أدرُسُ في الجامعةِ.

فقالَ لَهَا: وماذَا عنْ أمِّكِ؟ ومَاذَا عنْ أبيكِ؟.

فقالَتْ: أبي رجُلٌ غَنيٌّ مقتدرٌ ماليّاً، أكثرُ وقتِهِ مشغُولٌ عنَّا بأعمَالِهِ التِّجاريَّةِ، وهُوَ يخرُجُ منَ الصَّباحِ ولا أرَاهُ إلا قليلاً في المسَاءِ.. وقلَّما يجلسُ معَنَا، والبيتُ عندَهُ مجرَّدُ أكلٍ وشربٍ ونومٍ فقَط.

ومنذُ أنْ بلغْتُ لم أذكرْ أنّي جلَسْتُ معَ أبِي لوَحدِنَا، أو أنَّهُ زارَنِي في غُرفَتِي،

معَ أنَّني في هذِهِ السِّنِّ الخَطيرَةِ في أشدِّ الحاجَةِ إلىٰ حنَانِهِ وعطفِهِ، آهٍ كمْ أتمنَّىٰ أنْ أجلِسَ في حضنِهِ وأرتمِيَ علَىٰ صدْرِهِ، ثمَّ أبكِي وأبكِي وأبكِي لتَستريحَ نفسِي ويهدأَ قَلبِي.

وهنَا أجهَشَتِ الفتَاةُ بالبُكَاءِ، ولم يملِكْ محمدٌ نفسَهُ فشَارَكَها بدموعِهِ الحزينَةِ.

بعدَ أنْ هدأَتِ الفتَاةُ واصلَتْ حديثَها قائِلَةً:

لقَدْ حاوَلْتُ أن أقتَرِبَ منْهُ كثيراً، ولكنَّهُ كانَ يبتعدُ عنِّي، بل إنَّني في ذاتِ مرَّةٍ جلسْتُ بجوارِهِ واقترَبْتُ منْهُ ليضُمَّني إلىٰ صدرِهِ، وقلتُ لهُ:

أبِي محتاجَةٌ إليكَ يا أبِي، فلا تترُكني أضيعُ.

فعاتَبَني قائلاً: لقَدْ وفَّرْتُ لَكِ كُلَّ ما تتمَنَّاهُ أيُّ فتاةٍ في الدُّنيا، فأنْتِ لديكِ أحسَنُ أكلٍ وشربٍ ولباسٍ، وأرقىٰ وسائلِ التَّرفيهِ الحديثَةِ فمَا الَّذي ينقُصُكِ؟!!.

سكتُّ قليلاً، وتخيَّلتُ حينَها أنَّني أصرُخُ بأعلَىٰ صوتِي قائلَةً: أبِي أنَا لا أريدُ منْكَ طَعَاماً ولا شَرَاباً ولا لِباساً، ولا تَرَفاً ولا تَرْفيهاً، إنَّني أريدُ منكَ حنَاناً، أريدُ منكَ أماناً، أريدُ صدراً حنوناً.. أريدُ قلباً رَحيماً، فَلا تُضيِّعنِي يَا أبِي.

ولما أفقْتُ منْ تخيُّلاتِي وجدْتُ أبِي قَدْ قَامَ عنِّي وذَهَبَ لتناوُلِ طَعَامِ الغَدَاءِ.

وهُنَا قالَ لهَا محمدٌ: هوِّني عليكِ فلَعَلَّ أباكِ نشَأ منذُ صِغَرِهِ محرُوماً منَ الحنَانِ والعَواطِفِ الرَّقيقَةِ، وتَعْلَمينَ أنَّ فاقِدَ الشَّيءِ لا يُعطِيهِ، ولكنْ مَاذَا عنْ أمِّكِ؟ أكيدٌ إنَّها حنونَةٌ رحيمَةٌ؟ فإنَّ الأنثَىٰ بطَبْعِهَا رقيقَةٌ مرهفةُ الحِسِّ.

قالَتِ الفَتاةُ: أمِّي أهوَنُ منْ أبِي قليلاً، وَلكنَّها بكُلِّ أسَفٍ تظُنُّ الحيَاةَ أكلاً وشُرباً ولبساً وزياراتٍ فَقَط، لا يعجِبُها شيءٌ من تصرّفاتِي، وليسَ لديهَا إلا إصدارُ الأوامِرِ بقسْوَةٍ، والويلُ كلُّ الويلِ لِي إنْ خالفْتُ شيئاً منْ أوامِرِهَا، وقاموسُ شتَائِمِها أصبَحَ

محفُوظاً عندِي، لقَدْ تخلَّتْ عنْ كُلِّ شيءٍ في البيتِ ووضَعَتْهُ علَىٰ كاهِلِي وَعَلَىٰ كاهِلِ الخَادمةِ، وليتَ الأمرُ وقفَ عندَ هَذَا، بل إنَّها لا يكادُ يرضِيهَا شيءٌ، ولا هَمَّ لَهَا إلا تصيُّدُ العيوبِ والأخطَاءِ، ودَائماً تعيِّرني بزميلاتِي وبَنَاتِ الجيرانِ النَّاجحَاتِ في دراستِهِنَّ، أو الماهِرَاتِ في الطَّبخِ وأعمَالِ البيتِ، وأغلَبُ وقتِهَا تقضيهِ في النَّومِ، أو زيارَةِ الجيرانِ وبعض الأقَارِبِ، أو مشاهدةِ التّلفازِ ولا أذكُرُ منذُ سنينَ أنَّها ضمَّتْنِي مرَّةً إلىٰ صدْرِهَا أو فتَحتْ لي قلبَهَا.

قالَ لَهَا محَمَّدٌ: وكيفَ هيَ العَلاقَةُ بينَ أبيكِ وأمِّكِ؟.

فقالَتِ الفتاةُ: أحسُّ وكَأنَّ كُلاً منهُمَا لا يبَالي بالآخَرِ، وكلاً منهُمَا يعيشُ في عالَمٍ مختلفٍ، وكأنَّ بيتَنا مجرَّدُ فندُقٍ نجتَمِعُ فيهِ للأكْلِ والشُّربِ والنّومِ فَقَط.

حاولَ محمَّدٌ أنْ يعتذِرَ لأمِّها قائلاً: علَىٰ كلِّ حالٍ هيَ أمُّكِ التي ربَّتْكِ، ولعلَّهَا هيَ الأخرَىٰ تُعانِي مِنْ مشكِلَةٍ معَ أبيكِ فانْعكَسَ ذَلكَ علَىٰ تعامُلِهَا معَكِ، فالتَمِسي لَهَا العُذرَ، ولكِنْ هلْ حاولْتِ أنْ تفتَحي لَهَا قلبَكِ وتَقِفِي إلىٰ جانِبِها؟ فهِيَ بالتَّأكيدِ مثلُكِ تمُرُّ بأزْمَةٍ داخليَّةٍ نفسيَّةٍ.

فقالَتِ الفَتاةُ مستَغْرِبَةً: أنَا أفْتحُ لَها صَدرِي، وهَل فتَحَتْ هيَ لي قَلبَهَا؟ إنَّها هيَ الأمُّ ولسْتُ أنَا، إنَّها وبِكُلِّ أسَفٍ قدْ جعلَتْ بينِي وبينَها ـ بمُعَامَلَتِها السَّيئَةِ لِي ـ جِدَاراً وحَاجِزاً لا يمكِنُ اختِرَاقُهُ.

فقالَ لَهَا محمدٌ: ولِمَاذَا تنتَظِرينَ أنْ تبادِرَ هِيَ إلىٰ تحطِيمِ ذلِكَ الجِدارِ؟ لِمَاذا لا تكونينَ أنتِ المُبادِرَةَ؟ لمَاذا لا تُحَاولينَ الاقترابَ منهَا أكثَر؟.

فقَالَت: لَقَد حَاوَلْتُ ذَلِكَ واقتَرَبْتُ مِنهَا ذاتَ مَرَّةٍ، وارتَميْتُ في حضنِهَا، وأخَذْتُ أبكِي وأبكِي، وهيَ تنظُرُ إليَّ باستِغرَابٍ! وقُلتُ لَهَا: أمَّاهُ: أنَا مُحطَّمةٌ مِنْ داخِلِي،

إنَّني أنزفُ من أعماقِي، قِفِي مَعِي ولا تتركِيني وَحدِي، إنَّني أحتاجُكِ أكثرَ منْ أيِّ وقتٍ مَضَىٰ.

فنظَرتْ إليَّ مندهِشةً، ووضعَتْ يدَها علَىٰ رأسِي تتحسَّسُ حرارَتي، ثُمَّ قالَتْ: مَا هَذا الكَلامُ الذي تقولينَهُ؟ إمَّا أنَّكِ مريضةٌ، وقد أثَّرَ المرَضُ علَىٰ تفكيركِ، وإمَّا أنَّكِ تتظاهَرينَ بالمَرَضِ لأعفيكِ منْ بعضِ أعمَالِ المنزِلِ، وهَذَا مستحيلٌ جداً، ثُمَّ قامَتْ عنِّي ورفَعَتْ سمَّاعةَ الهَاتِفِ تحادِثُ إحدَىٰ جاراتِهَا.. فتركتُها وعُدتُ إلَىٰ غُرفَتِي أبكِي دَماً فِي داخِلِي قبلَ أن أبكِيَ دُموعاً.

ثُمَّ انخرَطَتِ الفتَاةُ في بكاءٍ مَريرٍ.

حَاولَ محمَّدٌ أنْ يُغيِّرَ مجرَىٰ الحَديثِ فَسألَهَا: وَمَا دورُ أخواتِكِ وإخوَتِكِ الآخرينَ؟.

فقَالَتْ: إنَّهُ دورٌ سَلبيٌّ للغَايَةِ، فالإخوانُ والأخواتُ المتَزوِّجاتُ كُلٌّ منهُم مشغُولٌ بنفسِهِ، وإذَا تحدَّثتُ معهُم عن مأسَاتِي، سَمِعْتُ منهُمُ الجَوابَ المعهُودَ: ومَاذَا ينقُصُكِ؟ احمَدِي ربَّكِ علَىٰ الحيَاةِ المترَفَةِ التي تعيشِينَ فيهَا.

وأمَّا أخِي غيرُ المتزوِّجِ فهُوَ مثلِي حَائرٌ تائهٌ، أغلَبُ وقتِهِ يقضِيهِ خَارجَ المَنزِلِ مَعَ شِلَلِ السُّوءِ ورُفَقاءِ الفَسادِ، يَتَسكَّعُ في الأسواقِ وعَلَىٰ الأرصِفَةِ.

أرادَ الشَّيخُ محمَّدٌ أنْ يَستكْشِفَ شيئاً مِنْ خَبَايَا نفسيَّةِ تلكَ الفتَاةِ فسألَهَا: إنَّ مَن طَلَبَ شيئاً بحَثَ عنْهُ وسعَىٰ إلَىٰ تحصيلِهِ، ومَا دُمْتِ تطلُبِينَ السَّعادَةَ والأمَانَ الذي يسُدُّ جوعَكِ النَّفسِيَ، فهَلْ بحثْتِ عَن هَذِهِ السَّعادَةِ؟.

فقَالَتِ الفتَاةُ بنبرَةٍ جادَّةٍ: لَقَد بحثْتُ عنِ السَّعادَةِ فِي كلِّ شَيءٍ فَمَا وَجدْتُها.

لَقَد كنتُ ألبِسُ أفخَرَ المَلابِسِ وأفخَمِها منْ أرقَىٰ بيوتِ الأزيَاءِ العَالَميَّةِ، ظنّاً

مِنّي أنَّ السَّعادَةَ حينَ تشيرُ إلىٰ مَلابِسِي فلانَـةٌ، أو تمدَحُـها وتُثنِـي علَيـها فُلانَـةٌ، أو تُتَابعُني نظَراتُ الإعْجابِ من فلانَةٍ، ولكِنَّني سُرعانَ مَا اكتَشَفْتُ الحَقيقَةَ الأليمَـةَ في أنَّ ذلِكَ سعادَةٌ زَائِفَةٌ وهمِيَّةٌ، لا تدُومُ إلا سَاعةً بل أَقلَّ مِـنْ ذلِـكَ، ثُـمَّ تصبِـحُ تلـكَ الأزْياءُ الفَاخِرَةُ الَّتي كنْتُ أظُنُّ أنَّ السَّعادَةَ فيهَا مثلَ سَائِرِ مَلابِسِـي القديمَـةِ، ويعُـودُ الهَمُّ والضِّيقُ والمَرارَةُ إلىٰ نَفسِي، وأشْعُرُ بالفَرَاغِ والوَحدَةِ تُحاصِرُني منْ كلِّ جانِبٍ، وَلَو كَانَ حَولي مِئَاتُ الزَّميلاتِ وَالصَّديقَاتِ.

ظَنَنْتُ أنَّ السَّعادَةَ في الرِّحَلاتِ والسَّفَراتِ، والتَّنقُّلِ منْ بلَدٍ لآخـرَ ومِـنْ شَـاطِئٍ لآخَرَ ومِن فندُقٍ لفُندُقٍ، فكنْتُ أسَافِرُ معَ والدِي وعَائِلَتي لنَطُوفَ العَالَمَ في العُطَلِ.. ولَكنِّي كنتُ أعُودُ منْ كلِّ رِحْلَةٍ وقَدْ زَادَ همِّي وَضِيقِي، وازدَادَتِ الوحشَةُ التي أشـعُرُ بِهَا تجتَاحُ كَيَانِي.

وظَنَنْتُ أنَّ السَّعادَةَ في الغِنَاءِ والمُوسيقَىٰ، فكُنْتُ أشتَرِي أغْلَبَ أشرِطَةِ الأغـانِي العَرَبيَّةِ والغَرْبيَّةِ الَّتي تنزِلُ إلىٰ الأسْواقِ فـورَ نزُولِـهَا، وأقْضِـي السَّـاعَاتِ الطِّوالِ في غُرفَتِي فِي سَمَاعِهَا والرَّقصِ عَلَىٰ أنغَامِهَا طَمَعاً في تَذَوُّقِ مَعنَىٰ السَّـعادَةِ الحَقِيقِيَّـةِ، ورغْبَةً في إشبَاعِ الجُوعِ النَّفسِيِّ الَّذي أشعُرُ بِـهِ، وظَنَّـاً مِنِّـي أنَّ السَّعادَةَ فِـي الغِنَـاءِ والرَّقصِ والتَّمايُلِ مَعَ الانغَامِ، ولكنِّني اكتشَـفْتُ أنَّـها سَـعادَةٌ وهْمِيَّـةٌ، لا تَمكُـثُ إلا دقَائِقَ معدُودَةً أثنَاءَ الأغنِيَةِ، ثُمَّ بَعدَ الانتِهَاءِ منهَا يزْدَادُ همِّي، وتَشتَعِلُ نارٌ غريبَةٌ فِي دَاخِلِي، وتَنْقَبِضُ نفسِي أكْـثَر وَأكْثَر.. فعَمَـدْتُ إلىٰ كُـلِّ تلـكَ الأشْـرِطَةِ فأحْرَقتُـها بالنَّارِ، عَسَىٰ أنْ تنطَفِئَ النَّارُ الَّتي بِدَاخِلِي.

وظَنَنْتُ أنَّ السَّعادَةَ في مُشاهَدَةِ المُسلسَلاتِ والأفْلامِ والتَّنقُّلِ بَينَ الفَضائِيَّـاتِ.. فَعكَفْتُ عَلَىٰ أكثَرَ منْ ثَلاثِـينَ قَناةٍ، أتنَقَّـلُ بينَـها طُـوالَ يومِـي، وكنْـتُ أركِّـزُ عَلَـىٰ

المُسلسَلاتِ والأفْلامِ المُضحِكَةِ ظَنَّاً مِنِّي أنَّ السَّعادَةَ هِيَ في الضَّحِكِ والفَرفَشَةِ وَالمَرَحِ.

وبالفِعْلِ كنْتُ أضحَكُ كثيراً وأنَا أشاهِدُهَا وأتَنَقَّلُ منْ قنَاةٍ لأخْرَىٰ، لكِنَّنِي فِي الحَقيقَةِ كنتُ وأنَا أضحَكُ بِفَمِي أنزِفُ وأتألَّمُ منْ أعماقِ قَلبِي، وكُلَّمَا ازدَدْتُ ضَحِكاً وفَرفَشَةً ازدَادَ النَّزِيفُ الرُّوحِيُّ.

وتعمَّقَتِ الجِراحُ في دَاخِلِي، وحَاصَرَتنِي الهُمومُ والآلامُ النَّفسِيَّةُ، وَسَمِعْتُ منْ بعضِ الزَّميلاتِ أنَّ السَّعادَةَ في أنْ أرتَبِطَ معَ شابٍّ وسيمٍ أنِيقٍ يُبادِلُني كلمَاتِ الغَرَامِ .. ويَبُثُّنِي عبارَاتِ العِشْقِ والهيامِ، ويَتَغَزَّلُ بمحَاسِنِي كُلَّ ليلَةٍ عبرَ الهَاتِفِ، وسَلَكْتُ هَذا الطَّريقَ وأخَذْتُ أتَنَقَّلُ من شَابٍّ لآخرَ بَحْثاً عَنِ السَّعادَةِ والرَّاحَةِ النَّفسِيَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ لم أشعُرْ بِطَعْمِ السَّعادَةِ الحَقيقِيَّةِ، بل بالعَكْسِ مَعَ انتِهاءِ كُلِّ مقابَلَةٍ أو مُكالَمَةٍ هَاتِفِيَّةٍ، أشعُرُ بالقَلَقِ والاضطِرَابِ يُسيطِرُ عَلَىٰ رُوحِي، وأشْعُرُ بِنَارِ المَعصِيَةِ تشْتَعِلُ فِي دَاخِلِي، وأدخُلُ في دوَّامَةٍ منَ التَّفكِيرِ المُضْنِيِّ والشُّرُودِ الدَّائِمِ، وأشعُرُ بالخَوفِ مِنَ المُستَقبَلِ المَجهُولِ يَملأ عَلَيَّ كيانِي، فَأحِسُّ وكَأنَّنِي هَرَبْتُ من جَحيمٍ إلىٰ جَحيمٍ أبشعِ منْهُ.

سَكَتَتِ الفتَاةُ قَليلاً.. ثُمَّ تَابَعَتْ قَائِلَةً: ولِذلِكَ لابُدَّ أنْ تَفهَمُوا وتَعرِفُوا نفسِيَّةَ ودَوَافِعَ تِلْكَ الفتَياتِ اللاتِي ترونَهُنَّ في الأسْوَاقِ وَهُنَّ يستَعرِضْنَ بِمَلابِسِهِنَّ المُثيرَةِ، ويُغَازِلْنَ ويعاكِسْنَ ويَتَضَاحكْنَ بِصَوتٍ مرتَفِعٍ، ويَعرِضْنَ لُحُومَهُنَّ ومَحاسِنَهُنَّ ومَفَاتِنَهُنَّ للذِّئَابِ الجَائِعَةِ العَاوِيَةِ منَ الشَّبابِ التَّافِهِينَ، إنَّهُنَّ في الحَقيقَةِ ضَحَايَا وَلَسْنَ بِمُجرِمَاتٍ، إنَّهُنَّ في الحَقيقَةِ مقتُولاتٌ لا قَاتِلاتٌ، إنَّهُنَّ ضَحَايَا الظُّلمِ العَائِلِيِّ، إنَّهُنَّ حصَادُ القَسْوَةِ والإهمَالِ العَاطِفِيِّ منَ الوَالِدَينِ، إنَّهُنَّ نتَائِجُ التَّفَكُّكِ

الأسَرِيِّ والجفَافِ الإِيمَانِيِّ، إنَّ كُلَّ واحِدَةٍ منهُنَّ تَحمِلُ فِي داخِلِهَا مأسَاةً مُؤلِمَةً دَامِيَةً هيَ الَّتِي دفَعتْهَا إلَى مِثْلِ هَذِهِ التَّصرُّفاتِ الحَمقَاءِ، وهِيَ الَّتي قادَتْها إلى أنْ تَعرِضَ نفسَها علَى الذِّئابِ المُفتَرِسَةِ الَّتي تَملأُ الأسْواقَ والشَّوارِعَ، وإنَّ الغَرِيزَةَ الشَّهوانِيَّةَ الجنسيَّةَ لا يُمكِنُ أنْ تكُونَ لِوَحْدِهَا هِيَ الدَّافِعُ للفَتَاةِ المُسلِمَةِ لِكَي تعرِضَ لحمَهَا وجَسَدَهَا في الأسْوَاقِ، وتبْتَذِلَ وتُهِينَ نفسَها بالتِقاطِ رقَمِ فُلانٍ، وتبيعَ كَرَامَتَهَا بالرُّكوبِ في السَّيَّارَةِ معَ فُلانٍ، وتَهْدِرَ شرَفَهَا بالخُلودِ مَعَ فُلانٍ.

فبَادَرَهَا محمَّدٌ قائِلاً: ولَكِن يبرُزُ هُنَا سُؤالٌ مُهِمٌّ جِداً، وهُوَ: هَلْ مُرُورُ الفَتاةِ بأزْمَةٍ نفسِيَّةٍ ومأسَاةٍ عَائلِيَّةٍ يُبَرِّرُ لَهَا ويُسَوِّغُ لَهَا أن تعصِيَ ربَّها تَعالَى، وتَبِيعَ عفَافَهَا وتَتَخَلَّى عنْ شَرَفِها وطُهْرِها، وتعرِضَ نفسَهَا لشَياطِينِ الإنسِ؟ هَلْ هَذَا هُوَ الحَلُّ المُنَاسِبُ لمُشْكلَتِها ومأسَاتِهَا؟ هلْ هَذا سيُغَيِّرُ منْ واقِعِهَا المَريرِ المُؤلِمِ شيْئاً؟.

فأجَابَتِ الفَتاةُ: أنَا أعتَرِفُ بأنَّهُ لنْ يُغَيِّرَ شَيئاً مِنْ واقِعِهَا المَريرِ المُؤلِمِ، بل سَيَزِيدُ الأمْرَ سُوءاً ومَرارَةً، وليسَ مقْصُودِي الدِّفاعُ عنْ أولئِكَ الفتَيَاتِ، إنَّمَا مقْصُودِي أنَّكم إذَا رأيْتُمُوهُنَّ فارحَمُوهُنَّ وأشفِقُوا عَلَيهِنَّ، وادعُوا لَهُنَّ بالهِدَايَةِ وَوَجِّهُوهُنَّ، فإنَّهُنَّ تائِهاتٌ حائِراتٌ يَحْسَبْنَ أنَّ هَذَا هُوَ الطَّرِيقُ المُوصِلُ للسَّعادَةِ الَّتي يبحَثْنَ عَنْهَا..

سكتَتِ الفَتَاةُ قَليلاً، ثُمَّ تَابَعَتْ قائِلَةً: لَقَد أصْبَحْتُ أشُكُّ أنَّ هنَاكَ سَعادَةً حقيقِيَّةً فِي هَذِهِ الدُّنيا، وإذَا كَانَتْ موجودَةً بالفِعْلِ فأينَ هِيَ؟ ومَا هُوَ الطَّرِيقُ المُوصِلُ إلَيهَا؟ فقَدْ مَلَلْتُ منْ هذهِ الحيَاةِ الرَّتيبَةِ الكَئِيبَةِ.

فقالَ لَهَا الشَّيخُ محمَّدٌ: أختَاهُ لقَدْ أخطَأتِ طَرِيقَ السَّعادَةِ، ولقَدْ سَلَكْتِ سَبيلاً غيرَ سَبيلِهَا فاسْمَعِي مِنِّي لِتَعْرِفي طَرِيقَ السَّعادَةِ الحقَّةِ.

إنَّ السَّعادَةَ الحقيقيَّةَ أنْ تلتَجِئي إلَىٰ اللهِ تعالَىٰ وتَتَضرَّعِي لَهُ وتَنْكَسِري بينَ يَدَيْهِ، وتَقُومِي لمُنَاجَاتِهِ في ظَلامِ الليلِ ليطرُدَ عنكِ الهُمُومَ والغُمُومَ، ويُداوي جراحَكِ، ويُفيضُ عَلَىٰ قلبِكِ السَّكينةَ والانشِرَاحَ.

أختاهُ إذَا أردْتِ السَّعادَةَ فاقرَعِي أبوابَ السَّماءِ باللَّيلِ والنَّهارِ، بَدَلاً من قَرْعِ أرقَامِ الهَاتِفِ عَلَىٰ أولئِكَ الشَّبابِ التَّافِهِينَ الغَافِلِينَ الضَّائِعِين.

صدِّقِيني يَا أختَاهُ أنَّ النَّاسَ كلَّهُم لَنْ يَفهموكِ ولَن يُقدِّرُوا ظُروفَكِ ولَن يفهَمُوا أحاسِيسَكِ، وحينَ تلجَئِينَ إليهِم فمِنْهُمْ من سيشْمَتُ بِكِ أو سَيَسْخَرُ مِنْ أفكَارِكِ، ومنْهُمْ مَنْ سَيُحاوِلُ استِغلالَكِ لأغْرَاضِهِ ومَآرِبِهِ الشَّخصيَّةِ الخَسِيسَةِ، ومنهُمْ من سيرغَبُ في مُسَاعَدَتِكِ ولكنَّهُ لا يملِكُ لَكِ نَفعاً ولا ضَرّاً.

أختاهُ إنَّكِ لن تجدِي دواءً لمَرَضِكِ النَّفسِيِّ ولعَطَشِكِ وجوعِكِ الدَّاخِلِيِّ إلا البُكاءَ بينَ يدَي اللهِ تعالَىٰ، ولنْ تشعُرِي بالسَّكينَةِ والطُّمأنِينَةِ والرَّاحَةِ إلا وأنْتِ واقِفَةٌ بينَ يَدَيْهِ، لتُنَاجِيهِ ولتَسكُبِي عبراتِكِ السَّاخِنَةَ، وتطْلِقِي زفراتِكِ المحتَرِقَةَ عَلَىٰ أيَّامِ الغَفلَةِ المَاضِيَةِ.

قَالَتِ الفَتاةُ والعَبْرَةُ تخنقُهَا: لَقَد فَكَّرْتُ في ذَلِكَ كَثيراً، ولكنَّ الخَجَلَ مِنَ اللهِ والحياءَ من ذنُوبِي وتقصِيري يمنَعُنِي منْ ذَلِكَ، إذْ كيفَ ألجَأُ إلَىٰ اللهِ وأطلُبُ منهُ المعونَةَ والتَّيسيرَ وأنَا مُقصِّرَةٌ في طَاعَتِهِ، مبارِزَةٌ لَهُ بالذُّنوبِ والمَعاصِي.

فقالَ لَهَا محمَّدٌ: سبحَانَ اللهِ، يا أختَاهُ إنَّ النَّاسَ إذَا أغضبَهُم شَخصٌ وخَالَفَ أمرَهُم غَضِبُوا عَلَيهِ ولَم يُسَامِحُوهُ، وأعْرَضُوا عنهُ ولم يَقِفُوا مَعَهُ في الشَّدائِدِ والنَّكبَاتِ، ولَكِنَّ اللهَ لا يُغلِقُ أبوابَهُ في وجْهِ أحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ، ولَو كَانَ مِنْ أكبَرِ العُصَاةِ وأعتَاهُمْ، بلْ مَتَىٰ تَابَ المَرءُ وأنَابَ فتَحَ اللهُ لَهُ أبوابَ رَحمتِهِ، وتَلَقَّاهُ

بالمَغفِرَةِ والعفْوِ، بـل حتَّىٰ إذَا لَم يتُبْ إليـهِ، فإنَّـهُ جَلَّ وَعَلا يمهلُـهُ ولا يعاجِلُـهُ بالعُقوبَةِ، بل ينادِيهِ ويُرغِّبُهُ في التَّوبَةِ والإنابَـةِ، أمَا عَلِمْتِ أنَّ اللهَ تعَالىٰ يقُولُ فِـي الحَديثِ القُدسِيِّ: «إنّي والجِنُّ والإنسُ في نَبأ عَظيمٍ، أتحَبَّـبُ إليـهم بِنعمَتِـي وأنَـا الغَنِيُّ عنهُم، ويَتبَغَّضونَ إليَّ بالمَعاصِي وهُمُ الفُقَراءُ إليَّ، مَن أقبَلَ منـهُم إليَّ تلقَّيتُـهُ من بعيدٍ، ومَن أعرَضَ عنِّي منهُم نادَيتُهُ منْ قريـبٍ، أهْلُ مَعصِيَتي لا أُقنِّطُهُم مِن رَحمَتِي، إنْ تابُوا إليَّ فأنَا حَبيبُهُم، فإنِّي أحِـبُّ التَّوَّابِـينَ والمُتَطَـهِّرينَ، وإنْ تَبَاعَدُوا عَنِّي فأنَا طَبيبُهُم، أبتَليهم بالمَصَـائِبِ لأطَـهِّرَهُم مـنَ الذُّنـوبِ والمَعـايِبِ، رَحمَتي سَبَقَتْ غضَبي، وحِلْمِي سَبَقَ مُؤاخَذَتِي، وعَفوِي سَبَقَ عُقوبَتِي، وأنَـا أرحَـمُ بعِبَادِي منَ الوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا».

ومَا كَادَ محمَّدٌ ينتَهي من ذَلِكَ الحَديثِ القُدسِيِّ حتَّىٰ انفجَرَتِ الفتَـاةُ بالبُكـاءِ، وهِيَ تُرَدِّدُ: مَا أحلَمَ اللهَ بِنَا .. مَا أرحَمَ اللهَ بِنَا.

بعدَ أنْ هدأتِ الفتاةُ واصَلَ الشَيخ محمَّد حَديثَهُ قَائِلاً: أختاهُ إنَّني مثلُكِ أبحَـثُ عنِ السَّعادَةِ الحَقيقيَّةِ فِي هَذِهِ الدُّنيَا، ولَقَد وَجَدْتُهَا أخيراً، وَجَدْتُـهَا فِـي طَاعَـةِ اللهِ، في الحَيـاةِ مَـعَ اللهِ وفي ظِـلِّ مَرضَاتِـهِ، وجدْتُـهَا في التَّوبَــةِ والأوبَــةِ، وجدْتُــهَا في الاستِغفَارِ منَ الحَوبَةِ، وجدْتُهَا في دمُوعِ الأسْحَارِ، وَجَدْتُهَا فِي مُصَاحَبَةِ الصَّـالِحِينَ الأبْرَارِ، وجَدْتُهَا فِي بُكَاءِ التَّائِبينَ، وجدْتُهَا في أنينِ المُذْنِبِينَ، وَجَدْتُـهَا في اسْتِغفَارِ العَاصِينَ، وَجَدْتُهَا في تَسبِيحِ المُستَغفِرِينَ، وجدْتُهَا في الخُشوعِ والرُّكـوعِ، وجَدْتُـهَا في الانكِسَارِ للهِ والخُضوعِ، وجَدْتُهَا في البُكاءِ من خَشيَةِ اللهِ والدُّمـوعِ، وجَدْتُـها في الصِّيامِ والقِيامِ، وجَدْتُها في امتِثَالِ شَرعِ المَلِكِ العَـلامِ، وجَدْتُـهَا في تِـلاوَةِ القُـرآنِ، وجَدْتُها في هجْرِ المُسلسَلاتِ والألحانِ.

أختاهُ لقَدْ بَحثْتُ عَنِ الحُـبِّ الحَقيقِـيِّ الصَّـادِقِ فَوَجَـدْتُ أنَّ النَّـاسَ إذَا أحبُّـوا أخذُوا، وإذَا مَنَحُوا طَلَبُوا، وإذَا أعطَوا سَلَبُوا، ولكنَّ اللهَ تَعالىٰ إذَا أحَبَّ عبْـدَهُ أعطَـاهُ بِغَيرِ حِسَابٍ، وإذَا أُطِيعَ جَازَىٰ وَأَثَابَ.

أيَّتُها الغَالِيَةُ: إنَّ النَّاسَ لا يُمكِنُ أن يمنَحُونَا مَا نَبحَثُ عنْـهُ مِـنْ صِـدْقٍ وأمَـانٍ، وَمَا نطلُبُهُ مِن رِقَّةٍ وَحنَانٍ وَما نَتَعطَّشُ إليهِ منْ دِفءٍ وسلوانٍ، لأنَّ كُـلاً منـهُم مَشغُولٌ بنفسِهِ، مُهْتَمٌّ بِذَاتِهِ، ثُمَّ إنَّ أكـثرَهُم مَحـرومٌ مـن هَـذِهِ المَشاعِرِ السَّـامِيَةِ وَالعواطِـفِ النَّبيلَةِ، ولا يَعرِفُ معنَاها فَضْلاً عن أن يتذَوَّقَ طَعمَها، ومَن كَانَت هَـذِهِ حَالُـهُ، فَـهُوَ عَاجِزٌ عَن منحِهَا للآخَرينَ، لأنَّ فَاقِدَ الشَّيءِ لا يُعطِيهِ كَمَا هُوَ مَعرُوفٌ.

أختَاهُ لَن تَجِدي أحَداً يمنَحُكِ مَا تَبحَثينَ عنْـهُ إلا ربَّـكِ ومَـولاكِ، فـإنَّ النَّـاسَ يُغلِقُونَ أبوابَهُم وبَابهُ سُبحانَهُ مفتُوحٌ للسَّائِلينَ، وهُوَ بَاسِطٌ يدَهُ بالليلِ والنَّهارِ، يُنَادي عِبَادَهُ: تعَالَوا إليَّ هَلُمُّوا إلىٰ طَاعَتِي لأقضِـيَ حَـاجَتَكُم، وأمنَحَكُـم الأمَـانَ والرَّاحَـةَ وَالحنَانَ، كَمَا قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وإذَا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فإنِّي قَرِيبٌ أجِيبُ دَعـوَةَ الـدَّاعِ إذَا دَعَانِ فَليَستَجِيبُوا لِي وليُؤمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرشُدُونَ﴾.

أختَاهُ إنَّ السَّعادَةَ الحَقيقيَّةَ لا تَكونُ إلا بالحَيَاةِ مَعَ اللهِ والعيشِ في كَنَفِهِ سُبحانَهُ وَتعـالىٰ.. لأنَّ في النَّفـسِ البَشَـرِيَّةِ عَامَّـةً ظَمَـأً وَعَطَشـاً دَاخِليَّـاً، لا يَروِيـهِ عَطْـفُ الوَالِدَيـنِ، وَلا يَسُـدُّهُ حَنَـانُ الإخـوَةِ والأقَـارِبِ، ولا يُشبِعُهُ حُبُّ الأزوَاجِ وغَرامُـهُم وعَواطِفُهُم الرَّقيقَةُ، وَلا تَملؤُهُ مَـودَّةُ الزَّميـلاتِ والصَّديقَـاتِ، فَكُـلُّ مَـا تَقَـدَّمَ يَـروِي بعضَ الظَّمَأ، ويَسقِي بعضَ العَطَشِ، لأنَّ كُلَّ إنسَانٍ مَشغُولٌ بِظَمَأ نفسِهِ، فَـهُوَ بالتَّـالِي أعجزُ عن أنْ يُحقِّقَ الرِّيَّ الكَامِلَ لِغَيرِهِ، ولكِنَّ الرِّيَّ الكَامِلَ والشِّبَعَ التَّامَّ لا يَكـونُ إلا باللُّجوءِ إلىٰ اللهِ تَعَالىٰ، والعَيشِ فِي ظِلِّ طَاعَتِـهِ، والحيَـاةِ تَحـتَ أوامِـرِهِ، والسَّـيرِ فِـي

طَريقِ هِدَايَتِـهِ ونُـورِهِ، فحِينـهَا تَشْـعُرينَ بالسَّـعادَةِ التَّامَّـةِ، وتَتَذَوَّقـينَ مَعنَـىٰ الحُـبِّ الحَقيقِيِّ، وتحسِّينَ بمَذَاقِ اللَّذَّةِ الصَّافِيَةِ الخَالِيَةِ من المُنَغِّصَاتِ.

فَهَلا جَرَّبْتِ هَذَا الطَّرِيقَ وَلَو مَـرَّةً واحِـدَةً، وحِينـهَا سَتَشْـعُرينَ بِـالفَرْقِ العَظِيـمِ، وستَرَينَ النَّتيجَةَ بِنَفسِكِ.

فأجَابَتِ الفتاةُ ودُموعُ التَّوبَةِ تَنهَمِرُ من عَينَيْها: نَعَم.. هَذَا واللهِ هُوَ الطَّرِيقُ، وَهَذَا هُوَ مَا كُنتُ أبحَثُ عَنهُ، وكَـم تَمَنَّيـتُ أنَّـني سَـمِعْتُ هَـذَا الكَـلامَ منـذُ سـنين بَعيـدَةٍ ليُوقِظَنِي مِنْ غَفْلَتِي ويَنتَشِلَنِي مِنْ تِيهِي وَحَيرَتِي، ويلهِمَنِي طَرِيقَ الصَّوابِ والرُّشْدِ.

فبَادرَهَا محمَّدٌ قَائلاً: إذَن فَلنَبدَأ الطَّرِيقَ مِن هَذِهِ اللَّحظَةِ، فَهَا هُوَ ذَا الفَجْرُ ظَـهَرَ وبَزَغَ وَهَاهِيَ ذِي خُيوطُ الفَجرِ المُتَألِّقَةِ تَتَسَرَّبُ إلَىٰ الكَونِ قَليلاً قَليلاً، وَهَا هِـيَ ذِي أصْوَاتُ المُؤَذِّنِينَ تَتَعَالَىٰ فِي كُلِّ مَكَانٍ، تَهتِفُ بالقُلُوبِ الحَائِرَةِ والنُّفُوسِ التَّائِهَـةِ أنْ تَعودَ إلَىٰ رَبِّها ومَولاَهَا، وَهَا هِيَ ذِي نَسَمَاتُ الفَجْرِ الدَّافِئَةِ الرَّقِيقَةِ تُنَادِيكِ أنْ عُودِي إلىٰ رَبِّكِ عُودِي إلىٰ مَولاكِ، فأسْرِعِي وابدئي صَفحَةً جَديدَةً منْ عُمُرِكِ، وليكُنْ هَـذَا الفَجْرُ هُوَ يَومُ مِيلادِكِ الجَديد، وليَكُنْ أوَّلُ مَا تَبْدَئِينَ بِـهِ حَيـاتَكِ الجَديـدَةِ ركعتَـينِ تَقِفِينَ بِهِمَا بَينَ يَدَي اللهِ تَعالَىٰ، وتَسكُبِينَ فِيهِمَا العَبَرَاتِ، وتُطْلِقِـينَ فِيـهِمَا الزَّفَـرَاتِ والآهَاتِ عَلَىٰ المَعَاصِي وَالذُّنوبِ السَّالِفَاتِ.

وأرْجُو أنْ تُهَاتِفِينِي بَعـدَ أسـبُوعَينِ مِـنَ الآنَ لِنَـرَىٰ هَـلْ وَجَـدْتِ طَعْـمَ السَّـعادَةِ الحَقِيقِيَّةِ أم لا؟.

ثُمَّ أغلَقَ محمَّد السَّمَّاعَةَ وأنهَىٰ المُكَالَمَةَ.

وبَعدَ أسبُوعَينِ وَفِي الموعِـدِ المُحَـدَّدِ اتَّصَلَـتِ الفَتَـاةُ بمُحَمَّـدٍ ونَـبرَاتُ صَوتِـهَا تَطفَحُ بالبِشْرِ والسُّرورِ وحُروفُ كَلِمَاتِهَا تَكادُ تَقفِزُ فَرَحاً وَحبوراً، ثُـمَّ بَـادرَتْ قَائِلَـةً:

وأخيراً وجدتُ طعْمَ السَّعادةِ الحقيقيَّـةِ، وأخيراً وَصَلْـتُ إلىٰ شَـاطِئ الأمَـانِ الَّـذِي أبحَرْتُ بَحثاً عنْهُ، وأخِيراً شَعرْتُ بمَعنىٰ الرَّاحَةِ والهُدُوءِ النَّفسِيّ، وَأخيراً شَربتُ منْ مَاءِ السَّكينَةِ والطُّمأنِينَةِ القَلبِيَّةِ الَّذي كُنتُ أتعطَّشُ إليهِ، وأخِيراً غَسلْتُ رُوحِي بِمَـاءِ الدُّموعِ العَذبِ الزُّلالِ فَغَدَتْ نفسِي مُحلِّقَةً في المَلكُـوتِ الأعلَـىٰ، وأخِيراً دَاويْـتُ قَلبي الجَريحِ بِبَلسَمِ التَّوبَةِ الصَّادِقَةِ فكَانَ الشِّفاءُ علَىٰ الفورِ، لَقَد أيقَنْتُ فِعـلاً أنَّـه لا سَعَادَةَ إلا في طَاعَةِ اللهِ وامتِثَالِ أوَامِرِه، وَمَا عدَا ذَلِكَ فهُوَ سَرابٌ خادِعٌ ووَهْـمٌ زَائِـفٌ سُرعَانَ مَا يَنكَشِفُ وَيَزولُ.

وإنِّي أطلُبُ منكَ يَا شيخُ طَلَباً بَسيطاً، وهُوَ أن تنشُرَ قِصَّتي هَـذِهِ كَامِلَـةً، فَكَثيرٌ مِنَ الفَتياتِ تَائِهَاتٌ حَائِراتٌ مِثلِي، ولَعَلَّ اللهَ أنْ يَهدِيَهُنَّ بِهَا طَريقَ الرَّشَادِ.

فَقَالَ لَهَا الشَّيخُ مُحمَّدٌ: عَسَىٰ أن تَرَي ذَلِكَ قَريباً.

*　　　　*　　　　*

ماذا يَحدُثُ في الصَّالونات

القِصَّةُ الأُولىٰ

قالَ أحَدُ التَّائبينَ يحكِي قِصَّةَ الضَّياعِ الَّتي كَانَ يُمَثِّلُ دَوْرَ البُطُولَةِ فيهَا فَيقُولُ وهُو الشَّاهِدُ عَلىٰ نَفْسِهِ:

كنتُ أجريتُ اتفاقاً مَع صَاحِبَةِ صَالونٍ مَشْهُور علىٰ أنْ تَقُومَ بتَصويرِ زبُونَاتِ المَحَلِّ عَن طريقِ كَاميراتٍ مَخفِيَّةٍ مُقَابِلَ مَبالغَ مَالِيَّة..

وكَانَت تَضَعُ الكاميراتِ في غُرْفَةِ تَجْهيزِ العَرَائِسِ كَمَا يُسَمُّونَهَا، حيثُ يَقُمْنَ بِنَزْعِ ثِيَابِهِنَّ، وكَانَت صَاحِبَةُ الصَّالُون تُوَجِّهُنَّ إلىٰ الكَاميراتِ بِحُجَّةِ الإضَاءةِ وَعَدَمِ الرُّؤيَةِ.. وكنَّا نَأْخُذُ هذهِ الأشْرطَةَ وَنُشَاهِدُهَا بِجلَسَاتِنَا الخَاصَّةِ وَنَتَبَادَلُها فيمَا بَيْنَنَا، وكَانَ بَعْضُنَا يَتعَرَّفُ علىٰ بَعْضِ الفَتَيَاتِ وَبَعْضُهُنَّ شَخْصِيَّاتٌ معروفةٌ..

وكُنْتُ مِن شِدَّةِ وَفَظاعَةِ مَا أرىٰ أَمْنَعُ أخَوَاتي وَزَوْجَتِي مِن الذَّهَابِ لأيِّ صَالونٍ لأنَّني لا أثِقُ بِمَن يُديرُونَهَا ولا في سُلُوكيَّاتِهِم وَأخلاقِهِم.

وفي إحْدَىٰ المَرَّاتِ أحضَرَت لي صَاحِبَةُ الصَّالُون آخِرَ شَريطٍ تَمَّ تَسْجيلُهُ لي حَسْبَ الاتِّفَاقِ المُبْرَمِ بَيْنَنَا.. فَشَاهَدْتُ اللَّقَطاتِ الأُولىٰ مِنْهُ فَقَط.. لأنَّني كنتُ علىٰ عجلٍ من أمري.. ومِن فَرْطِ إعْجَابي بِهِ قُمْتُ بِنَسْخِهِ عَلىٰ عَجَلٍ أيضاً.. وَوَزَّعتُهُ عَلىٰ أصْدِقَائي الَّذين قَامُوا أيضاً بِنَسْخِهِ وتَوزيعِهِ..

وفي المساءِ اجْتَمَعْنَا وَجَلَسْنَا لِنُشَاهِدَ الشَّريطَ الَّذي أَسَالَ لُعَابَنَا جَمِيعَاً، ولَم

تَخْلُ الجلْسَةُ مِنَ التَّعْليقاتِ، حتَّىٰ بدأتِ اللَّقطَةُ الحاسِمَةُ حيْثُ حضَرتْ سيِّدةٌ لم أتبَيَّنْ مَلامِحَهَا في البِدايَةِ ولكن مَا إن جلَسَت وقَامَت صَاحِبَةُ الصَّالُون بِتَوجِيهِهَا في الجُلُوس.. ثمَّ نَصَحَتْهَا بأنْ تُقَلِّلَ أكْثَرَ فأكثرَ مِن ثِيَابِهَا حتَّىٰ تَسْتَطِيعَ العَمَلَ وَإلاَّ تَوَسَّخَت ثِيَابُهَا.. هنَا وَقفْتُ مَذْهُولاً وَسَطَ صَفِيرِ أصدِقَائي لِجَمَالِ قوَامِهَا، لَقد كَانَت هَذِهِ المَرْأةُ ذات القَوام المَمْشُوق الَّذِي أعْجَبَ الجَمِيعَ.. زَوْجَتِي.. زَوْجَتِي.. الَّتي قُمْتُ بِعَرْضِ جَسَدِهَا علىٰ كثيرٍ مِنَ الشَّبابِ مِن خِلالِ الشَّريطِ المَلْعُون الَّذي وَقَعَ في أيْدِي الكَثِيرينَ مِن الرِّجَال، واللهُ وَحْدَهُ يَعْلَمُ إلىٰ أينَ وَصَلَ الآنَ؟.

قُمْتُ لأُخرِجَ الشَّرِيطَ مِن الفِيْدِيُو وَأكْسِرَهُ، وأكْسِرَ كُلَّ الأشرطَةِ الَّتي بِحَوْزَتي والَّتي كنتُ أفتَخِرُ دوماً بِهَا، وبحُصُولي علىٰ أحْلَىٰ أشرِطَةٍ وَأندرِهَا لِبَنَاتِ عَوَائِل مَعْرُوفَة وكثيرٌ منها مَسْتُورَة..

وحِينَ سُئِل هذا البَطل: ألم تَقُل أنَّك مَنَعْتَ زَوْجَتَكَ وَأهْلَكَ مِنَ الذَّهَابِ إلىٰ أي صَالُون؟ قَالَ: نَعَمْ. ولكِنَّ زوجَتي ذَهَبَت مِن دُونِ عِلْمِي مَع إحْدَىٰ أخَوَاتِهَا وَهَذا ما عَرَفْتُهُ لاحِقاً.

وَمَاذا فَعَلْتَ بِالأشْرِطَةِ الَّتي وَزَّعْتَهَا هَل جَمَعْتَهَا؟ قَالَ: علىٰ العكْسِ بَل ازْدَادَت تَوْزيعاً بَعْدَ مَا عَلِمُوا أنَّ مَن بِالشَّرِيطِ هي زَوْجَتِي، وكَانَ أعَزَّ أصْدِقَائي وَأقْرَبهُم إليَّ أكْثَرهُم تَوزيعاً للشَّريطِ.

وفي النهايةِ أعلمُ أنَّ هَذا عِقَابٌ مِن اللهِ تعالىٰ لي لاسْتِبَاحَتِي أعْرَاضَ النَّاسِ، ولقد استفدتُ مِن هَذِهِ المِحْنَةِ كَثيراً، حَيثُ عَرَفْتُ أنَّ اللهَ تعالىٰ حَقٌّ، وَعُدْتُ لِصَوَابِي، وَعَرَفْتُ الصَّالحَ وَالفَاسِدَ مِن أصْدِقَائي، وَتَعَلَّمْتُ أنَّ صديقَ السُّوء لا يَأتِي إلاَّ بِالسُّوءِ.. وأنَّ هذهِ الحياةُ وفاءٌ ودينٌ.. وكما تدينُ تُدانُ..

وَصَدَقَ رسولُ الله ﷺ حيثُ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَن أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَم يَدْخُلِ الإِيْمَانُ فِي قَلْبِهِ، لا تُؤْذُوا المُسْلِمِيْنَ، وَلا تُعَيِّرُوهُم، ولا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِم، فَإِنَّهُ مَن تَتَبَّعَ عَـوْرَةَ أَخِيْهِ المُسْلِمِ، يَتَتَبَّعُ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَن تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحهُ وَلَو فِي جَوْفِ رَحْلِهِ».

[رواه الترمذي، وهو حديث صحيح].

القِصَّةُ الثانيةُ

أَحدُ الشَّبابِ حَدَّثَنِي بِحَادِثَةٍ وَقَعَـت لـه في الصَّالونَـاتِ، فَقَـالَ: ذَات مَـرَّةٍ كَـانَ عِنْدَنَا مُنَاسَبَةُ زَواجٍ فَذَهَبْتُ بِزَوْجَتِي إِلىٰ أَحدِ الصَّالونَاتِ وَأَنْزَلْتُهَا أَمَام الصَّالُون هِـيَ وابْنَتِي الصَّغيرَةِ عَلىٰ أَنْ أعودَ لآخُذَهَا بَعْدَ سَاعَةٍ..

وفعلاً .. بَعْدَ الوَقْتِ المُقَرَّر رَجَعْتُ لأَخذِهَا فَوَجَدْتُهَا وَاقِفَةً بَعِيْداً عَـن الصَّـالونِ فَأَرْكَبْتُهَا في السَّيارَةِ وَسَأَلتُهَا مُتَعجِّباً: مَا بِكِ وَاقِفَةٌ في هَذا المكان؟!.

فَقَالت: حِيْـنَ دَخَلْـتُ إلىٰ الصَّـالُون.. سَـقَتْنِي صَاحِبَـةُ الصَّـالُون كـوبَ عَصِيْرٍ فَشَعَرْتُ بِدوار وكَادَ يُغمَىٰ عليَّ، فَأَحْسَسْتُ بِـالخَوفِ خُصُوصـاً وأنَّـهَا كَـانَت تكَلِّـم رجُلاً في الهَاتِف وهِيَ تَقُولُ لَهُ: (أَلن تأتيَ لتَأخُذَ ابْنَكَ) فَـازْدَادَ خَـوْفِي وَشَـعَرْتُ أَنَّ في الأَمْرِ مكِيدَةً، فَلَم أَمْلِك إلاَّ أَنْ هَرَبْتُ مِنَ الصَّالُون رَاكِضَةً وَخَلَّفْتُ ابْنَتِي وَرَائِـي، ويَظْهَر أَنَّهُم خَافُوا فَجَاؤوا بِالبِنْتِ وَرَائِي ..!

يقولُ المتحدِّثُ: وَبَعْدَ فَتْرَةٍ سألتُ عَن هَذا الصَّالُون، وَقَد كانَ مُغْلَقـاً فَقِيْـلَ لي: أُغْلِقَ لأنَّه اكْتُشِف أنّه كانَ وِكْراً للدَّعَارَةِ والعِيَاذُ بِاللهِ تَعَالىٰ !!

القصّة الثالثة

إحْدَىٰ السَّيدَاتِ كَانَت مِن مُرْتَادي الصَّالُونَاتِ بينَ الحينِ والآخَرِ وَوَصَلَـت إلىٰ قَناعَةٍ كَبيرةٍ أنَّ هَذِهِ الصَّالُونَات مَـا هِـي إلاَّ ستَارٌ تُـدَارُ مِـن خَلْفِـهِ أعمَـالٌ مشـبوهَةٌ كثيرةٌ.. تَقُولُ هذهِ السَّيِّدةُ:

أنَا كأيِّ امْرَأةٍ تذهَبُ إلىٰ صَالونِ التَّجميل للأغْـرَاضِ الخَاصَّـةِ بِالنِّسَـاءِ، وكُنْتُ أتَرَدَّدُ علـىٰ أحَـدِ الصَّالونَـاتِ ذَات السُّمْعَةِ وَالشُّهْرَةِ حَتَّـىٰ أصْبَحْـتُ زبُونَـةً دَائِمَـةً عِنْدَهُم، واسْتَمرَّ الحالُ هكَذَا فَترَةً طَويلَةً حتَّىٰ لاحظْتُ في مَرَّةٍ مِـنَ المَـرَّاتِ دُخُـولَ أحَدِ الشَّبابِ إلىٰ الصَّالونِ، ولأوَّل وَهْلَةٍ تَصوَّرتُ أنَّهُ أحَدُ الَّذينَ جَـاؤُوا لاصْطِحَـابِ زَوْجَتِهِ أو أختِهِ مثـلاً، لكِـن رَأيـتُ هَـذا الشَّـاب تَسْتَقْبِلُهُ مُدِيْـرَةُ الصَّـالُون بِحفَـاوَةٍ، وَأدْخَلَتْهُ إلىٰ غرفةٍ جانِبِيَّةٍ، وَبَعْـدَ فَـتْرَةٍ لَيْسَـت بِـالقَصِيْرَةِ خَـرَجَ الشَّـابُ مِـنَ الغُرْفَـةِ مُنْصَرفاً..!

في بَادئ الأمْرِ لَم أعر الأمْرَ اهتِمَاماً ولَم يُخَيَّلْ إليَّ أنَّهُ كانَ بِالغُرْفَةِ لأمْـرٍ مَشْبُوهٍ فَالصَّالُونُ يَتَمَتَّعُ بِسُمْعَةٍ جَيِّدَةٍ!.

ومَا كَانَ لِيَخطُرَ بِبَالي أنَّ الصَّالُونَ يُسْتَخْدَمُ لأغْرَاضٍ غَيرِ الَّتي خُصِّصَ لَهَا، لكِن في المَرَّةِ الثَّانِيَةِ تكَرَّرَ نَفْسُ الموقف، وَدَخَلَ أحَدُ الشَّبَابِ وَاسْتَقْبَلَتْهُ مُدِيْرَةُ الصَّـالُون وَأدْخَلَتْهُ نَفْس الغُرْفَة، وبعدَ فترةٍ خَرَجَ مِنْهَا إلاَّ أنَّهُ في هَذِهِ المَرَّةِ وَبَعْدَ خُرُوج الشَّابِّ بِدَقَائِقَ خَرَجَت إحدَىٰ الفَتَيَات من الغُرفةِ نفسِهَا كـانت تعمـلُ في الصَّـالُونِ، فَأثَـارَ هذا الأمْرُ انْتِبَاهِي وَشكُوكي، ومَع مرورِ الوَقْتِ تَبَيَّن لي بَعْدَ ذَلِـكَ أنَّ هَـذَا الصَّـالُونَ كَانَ وكْراً للدَّعَارَةِ والعياذُ باللهِ تَعَالىٰ!!

القِصَّةُ الرَّابِعَةُ

إحْدَىٰ خَبيراتِ التَّجميْل تَرْوِي قِصَّتَهَا مَع العَمَلِ دَاخِلَ الصَّالُونَاتِ، فَتَقُول:

عِنْدَمَا وَصَلْتُ مِن بَلَدِي أَخَذْتُ أَبحَثُ عَن عَمَلٍ يُنَاسِبُنِي وَيُنَاسِبُ خبراتِي، فَوَقَعَت عَيْنِي ذَات مَرَّةٍ علىٰ إعْلانٍ في إحْدَىٰ الصُّحُفِ عَن حَاجَةِ إحدىٰ الصَّالُونَاتِ لِعَامِلاتٍ، فَانْطَلَقْتُ بِسُرْعَةٍ لِتَقْدِيم طَلَبِي بُغْيَةَ الحصولِ علىٰ هذِهِ الفُرْصَةِ، وَبَعْدَ أَنْ رَأَتْنِي صَاحِبَةُ الصَّالُون وَافَقَت فَوْراً علىٰ عَمَلِي بِالصَّالُون!!.

وَانْتَظَمْتُ في العَمَل وبَذَلْتُ كلَّ جُهْدِي في عَمَلِي الَّذي كُنْتُ سعيدَةً جِداً بِهِ، لكِنَّ فَرْحَتِي لَم تَدُم طويلاً، فَقَد شَعَرْتُ أَنَّ هُنَاكَ أَمُوراً غَيْرَ طَبِيْعِيَّةٍ يُخْفُونَهَا عَنِّي، فلقد شَعرتُ أَنَّ الطَّلَبَاتِ الخَارجِيَّة تكثرُ أثناءَ العملِ في هذا الصَّالون، يَرِنُّ الهاتِفُ فَتَرُدّ صَاحِبَةُ الصَّالونِ وَتَتَحدَّث بطريقَةٍ مُرِيبَةٍ، ثمَّ تُنَادي علىٰ إحْدَاهنَّ فَتَقُولُ لَهَا:

إنَّ لكِ طَلَباً خَارجِيّاً فَأَنْتِ مطْلُوبَةٌ الآنَ.. وَتَتَعَالىٰ الضَّحِكَاتُ، وتَذْهَبُ إلىٰ المكَانِ المُحَدَّدِ مَع أَخْذِ كِيْسٍ في يَدِهَا ـ أظُنُّ أَنَّهُ يَحْتَوي علىٰ أَدَوَاتِ العَمَلِ ـ وكَانَ هنَاكَ سَائِقٌ خَاصٌّ يَقُومُ بِتَوْصيلِهَا وَإِعَادَتِهَا بَعْدَ الانْتِهَاءِ مِن مِشْوَارِهَا، وعِنْدَما تعودُ الفتاةُ منَ الطَّلَبِ الخَارجي تُعْطِي صَاحِبَةَ الصَّالُون النُّقُودَ الَّتي حَصَلَت عَلَيْهَا لِتُعْطِيَهَا نَصِيْبَهَا وَتَأْخُذَ البَاقِي..

والَّذي جعلني في شَكٍّ مِن أَمْرِهِم جَمِيْعَاً أنَّني كُلَّمَا طَلَبْتُ مِنْهُنَّ أَنْ أَذْهَبَ مَعَهُنَّ ضَحِكْنَ وَقُلْنَ لي: لَيْسَ الآنَ، وهكذا بَقِيتُ في حَيْرَةٍ مِن أَمْرِهِنَّ حَتَّىٰ اكْتَشَفْتُ ذَات يَوم وَبِالصُّدْفَةِ أَنَّ هَذِهِ الطَّلبات لا يَسْتَطيعُ القِيَامَ بِهَا إلاَّ مَن لَدَيْهِ اسْتِعْدَادٌ للتَّخَلِّي عَن الشَّرفِ وَالنَّزَاهَةِ مِن أَجْلِ بَعْضِ النُّقُودِ الزَّائِلَةِ التافهةِ!!

من ضحايا الإنترنت

قِصَّةٌ مأساوِيَّةٌ ترويها إحداهُنَّ لِصَديقتِها

صَديقَتِي العَزيزَة..

بَعدَ التَّحيَّةِ وَالسَّلام..

لَنْ تُصَدِّقِي مَا حَدَثَ لِي وَمَا فَعلتُهُ بِملْءِ إرادَتِي.. أنْتِ الوَحِيدَةُ فِي هَذَا العَالَمِ الَّتِي أَبُوحُ لَها بِمَا فَعلْتُ.. فَأنَا لَمْ أعُدْ أنَا.. كُلُّ مَا أريدُهُ مِنْ هَذِهِ الدُّنيَا فَقَط المَغفِرَةُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وأنْ يَأخُذَنِي المَوتُ قَبلَ أنْ أقتُلَ نَفسِي.. إنَّ قِصَّتِي الَّتِي مَا مِن يَومٍ يَمُرُّ عَلَيَّ إلا وَأبكِي حَتَّىٰ أنِّي لا أقدِرُ عَلَىٰ الرُّؤيَةِ بَعدَهَا.. كُلُّ يَومٍ يَمُرُّ أفكِّرُ فِيهِ بالانتِحَارِ عَشَرَاتِ المَرَّاتِ.. لَم تَعُدْ حَيَاتِي تُهِمُّنِي أبداً.. أتمنَّىٰ المَوتَ كُلَّ سَاعَةٍ.. وَهَا هِيَ ذِي قِصَّتِي وَإنَّنِي أضَعُهَا بَينَ يَدَيكِ لِكَي تَنشُرِيها حَتَّىٰ تَكُونَ عَلامَةً وَوِقَايَةً لِكُلِّ بِنتٍ تَستَخدِمُ الإنتَرنت وَلِكَي تَعتَبِروا يَا أولِي الأبصَارِ... إلَيكِ قِصَّتِي:

بِدَايَتِي كَانَتْ مَعَ وَاحِدَةٍ مِن صَدِيقَاتِي القَلِيلاتِ.. دَعَتْنِي ذَاتَ يَومٍ إلَىٰ بَيتِهَا وَكَانَتْ مِنَ الذينَ يَستَخدِمُونَ الإنتَرنت كَثِيراً وَقَد أثَارَت فِيَّ الرَّغبَةَ لِمَعرِفَةِ هَذَا العَالَمِ. لَقَد عَلَّمَتْنِي كَيفَ يُستَخدَمُ وَكُلَّ شَيءٍ تَقرِيباً عَلَىٰ مَدَارِ شَهرَينِ حَيثُ بَدَأتُ أزُورُهَا كَثِيراً. تَعَلَّمتُ مِنهَا الشَّات بِكُلِّ أشكَالِهِ.. تَعلَّمْتُ مِنهَا كَيفِيَّةَ التَّصَفُّحِ وَبَحثِ المَوَاقِعِ الجَيِّدَةِ وَالرَّدِيئَةِ خِلالَ هَذَينِ الشَّهرَينِ، كُنتُ فِي عِرَاكٍ مَعَ زَوجِي كَي يُدخِلَ الإنتَرنت إلىٰ البَيتِ.. وكَانَ ضِدَّ المَسألَةِ حَتَّىٰ أقنَعتُهُ بِأنَّنِي أشعُرُ بِالمَلَلِ الشَّدِيدِ، وأنِّي بَعِيدَةٌ عَن أهلِي وَصَدِيقَاتِي، وَتَحَجَّجْتُ بِأنَّ كُلَّ صَدِيقَاتِي يَستَخدِمنَ

الإنتَرنت، فَلِمَ لا أستَخدِمُ أنَا هَذِهِ الخِدمَةِ وَأحادِثُ صَديقَاتِي عَبرَهُ فَهُوَ أرخَصُ مِن فَاتُورَةِ الهَاتِفِ عَلَىٰ أقَلِّ تَقدِيرٍ.. فَوافَقَ زَوجِي رَحمَةً بِي.

وَفعلاً أصبَحْتُ بِشكْلٍ يَومِيٍّ أحَادِثُ صَديقَاتِي كَمَا تعرفِينَ. بَعدَهَا أصبَحَ زَوجِي لا يَسمَعُ منِّي أيَّ شَكوَىٰ أو مطالِبَ.. أعتَرِفُ بِأنَّهُ ارتَاحَ كَثِيراً مِن إزعَاجِي وَشكوَايَ لَهُ. كَانَ كُلَّمَا خَرَجَ مِنَ البَيتِ أقْبلتُ كالمَجنُونَةِ عَلَىٰ الإنتَرنت وَبِشَغَفٍ شَدِيدٍ أجلِسُ وَأقضِي السَّاعَاتِ الطّوالَ.

خِلالَ تِلكَ الأيَّامِ بَنَيتُ عَلاقَاتٍ مَعَ أسماءٍ مُستَعَارَةٍ، لا أعرِفُ إنْ كَانَتْ لِرَجُلٍ أم لأنثَىٰ. كُنتُ أحَاوِرُ كُلَّ مَن يُحَاوِرُنِي عَبرَ الشَّات.. حتَّىٰ وَأنَا أعرِفُ أنَّ الَّذي يُحَاوِرُنِي رَجُلٌ. كُنتُ أطلُبُ المُسَاعَدَةَ مِن بَعضِ الَّذِينَ يدَّعُونَ المَعرِفَةَ فِي الكُمبيوتَر والإنتَرنت.. تَعَلَّمْتُ مِنهُمُ الكَثِيرَ.. إلا أنَّ شَخصاً وَاحِداً هُوَ الَّذي أقبَلْتُ عَلَيهِ بِشَكْلٍ كَبيرٍ لِمَا لَهُ مِن خِبرَةٍ وَاسِعَةٍ فِي مَجَالِ الإنتَرنت. كُنتُ أخَاطِبُهُ دَائِماً وَألجَأُ إلَيهِ بِبَراءةٍ كَبيرَةٍ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأمُورِ حتَّىٰ أصبَحْتُ أكَلِّمُهُ بِشكْلٍ يَومِيٍّ.. أحبَبْتُ حَدِيثَهُ وَنُكتَهُ وكَانَ مُسَلِّياً.. وَبَدأتِ العَلاقَةُ بِهِ تَقوَىٰ مَعَ الأيَّام. تَكَوَّنَتْ هَذِهِ العَلاقَةُ اليَومِيَّةُ فِي خِلالِ ثَلاثَةِ أشهُرٍ تَقرِيباً.. وكَانَ بينِي وبينَهُ الشَّيءُ الكَثِيرُ وَالَّذِي أغرَانِي بِكَلامِهِ المَعسُولِ وكَلِمَاتِ الحُبِّ وَالشَّوقِ.. رُبَّما لَم تَكُن كَلِمَاتُهُ جَمِيلَةً لِهَذِهِ الدَّرَجَةِ ولكِنَّ الشَّيطَانَ جَمَّلها بِعَينَيَّ كَثيراً.

فِي يَومٍ مِنَ الأيَّامِ طَلَبَ سَمَاعَ صَوتِي وَأصَرَّ عَلَىٰ طَلَبِهِ حَتَّىٰ أنَّهُ هَدَّدَنِي بِتَركِي وَأنْ يَتَجَاهَلَنِي فِي الشَّات.. حَاوَلْتُ كَثيراً مُقَاوَمَةَ هَذَا الطَّلَبِ وَلَم أستَطِع.. لا أدرِي لِمَاذَا؟.. حَتَّىٰ قَبِلْتُ مَعَ بَعضِ الشُّروطِ.. أنْ تَكُونَ مُكَالَمَةً وَاحِدَةً فَقَط.. فَقَبِلَ ذَلِكَ. استَخدَمْنَا بَرنَامَجاً للمُحَادَثَةِ الصَّوتِيَّةِ.. رغْمَ أنَّ البَرنَامجَ لَيسَ بِالجَيِّدِ وَلَكِن

كَانَ صَوتُهُ جَمِيلاً جِداً وكَلامُهُ عَذباً جِداً.. كُنتُ أرتَعِشُ مِن سَمَاعِ صَوتِهِ، طَلَبَ مِنِّي رَقَمِي وَأعطَانِي رَقَمَ هَاتِفِهِ.. إلا أنَّني كُنتُ مُتَرَدِّدَةً فِي هَـذَا الشَّـيءِ ولَم أجْـرُؤْ عَلَـىٰ مُكَالَمَتِهِ لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ.. إنَّني أعلَمُ أنَّ الشَّيطَانَ الرَّجِيـمَ كَـانَ يُلازِمُـني ويُحَسِّنُها فِـي نَفسِي ويُصارِعُ بَقَايا العِفَّةِ وَالدِّينِ وَمَا أملِكُ مِـن أخـلاقٍ.. حتَّىٰ أتَىٰ اليـومُ الَّـذِي كَلَّمتُهُ فِيهِ عَبرَ الهَاتِفِ.

وَمِن هُنَا بَدَأتْ حَيَاتِي بالانحِرَافِ.. لَقَد انجَرَفـتُ كَثـيراً.. كُنَّـا كَالعَمَالِقَـةِ فِـي عَالَمِ الشَّاتِ.. الكُلُّ كَانَ يُحَاوِلُ التَّقَرُّبَ مِنَّا وَالوَيلُ لِمَن يُحَارِبُنا أو يشتُمُنا. أصبَحنَا كَالجَسَدِ الوَاحِدِ.. نَستَخدِمُ الشَّاتَ وَنَحنُ نَتَكَلَّمُ عبرَ الهاتِفِ.. لنْ أطيلَ الكَـلامَ.. كلُّ مَن يقرَأ كلِماتِي يشعُرُ بِأنَّ زوجِي مُهمِلٌ فِي حَقِّي أو كثيرُ الغِيابِ عـنِ البَيـتِ.. وَلَكِن هُوَ بِالعَكسِ مِن ذَلِكَ.. كَانَ يَخرُجُ منْ عملِهِ ولا يذهَـبُ إلىٰ أصدقائِـهِ كثيراً مِن أجلِي. وَمَعَ مرورِ الأيَّامِ وبعدَ اندِمـاجي بـالإنترنت والـتي كنْـتُ أقضِـي بِـهَا مَـا يُقارِبُ ٨ إلىٰ ١٢ساعةً يوميّاً.. أصبَحتُ أكرَهُ كثرَةَ تواجدِهِ في البيتِ.

بدأتْ عَلاقتُنا بالتَّطوُّرِ.. أصبحَ يطلُبُ رؤيَتِي بعدَ أنْ سمعَ صوتِـي والـذِي ربَّمـا ملَّهُ.. لَم أكنْ أبالِي كَثيراً أو أحاولُ قَطعَ اتِّصالِي بِـهِ.. بـل كنتُ فَقَـط أعاتِبُـهُ علَـىٰ طلبِهِ وربَّما كُنتُ أكثرَ منهُ شَوقاً إلىٰ رؤيتِهِ.. ولكِنِّي كنْتُ أترفَّـعُ عـنْ ذلِـكَ لا لشـيءٍ سوىٰ أنَّني خائِفَةٌ منَ الفضيحَةِ وليسَ مِنَ اللهِ. أصبحَ إلحاحُهُ يـزدادُ يومـاً بعـدَ يـومٍ ويريدُ فقَط رؤيَتي لا أكثَر.. فقبِلْتُ طلبَهُ بشَرطِ أنْ يكونَ أوَّلَ وآخرَ طلَبٍ كهذَا يَـأتِي منهُ، وأنْ يَرانِي فَقَط دونَ أيِّ كَلامٍ. أعتقِدُ أنَّهُ لم يصدِّقْ بأنَّني تَجاوبْتُ مَعَـهُ بعـدَ أنْ كَانَ شِبهَ يَائِسٍ منْ تَجاوُبي.. فأوضَحَ لِي بِأنَّ السَّعادَةَ تغمُرُهُ وهوَ إنسَـانٌ يَخشَـىٰ أنْ يُصيبَنِي أيُّ مكرُوهٍ وسَوفَ يكونُ كالحِصنِ المنيعِ ولنْ أجِدَ منْهُ مَا أكرَهُ ووافَـقَ علَـىٰ

شرُوطِي، وأقسَمَ بأنْ تكونَ نظرةً فقَط لا أكثرُ. نعَم تجاوبْتُ مَعَهُ.. تَواعَدْنَا والشَّيطَانُ ثَالِثُنَا فِي أحَدِ الأسواقِ الكَبيرَةِ في أحَدِ المَحلاتِ بالسَّاعَةِ والدَّقيقَةِ. لقَد رآنِي ورأيتُهُ وَليتَني لَم أرَهُ ولَم يرَني.. كَانَ وسِيماً جِداً حتَّىٰ فِي جسمِهِ وطولِهِ وكلِّ شيءٍ فيهِ أعجبَني نعَم أعجبَني فِي لحظَةٍ قصيرةٍ لا تتعدَّىٰ دقيقَةً واحدَةً.. ومنْ جهتِهِ لم يُصدِّقْ أنَّه كانَ يتَحادَثُ مَعَ مِن هِيَ فِي شَكلِي. أوضَحَ لِي بأنَّني أسَرتُهُ بِجَمالِي وأحبَّنِي بِجُنونٍ.. كَانَ يقُولُ لي إنَّهُ سوفَ يقتُلُ نفسَهُ إنْ فقدَنِي بعدَهَا.. كانَ يَقولُ ليتَهُ لم يرنِي أبداً. زادَنِي أنوثَةً وأصبحْتُ أرَىٰ نفسِي أجملَ بكثيرٍ مِن قبلُ حتَّىٰ قبلَ زَواجِي.

هَذِهِ بِدايَةُ النِّهايَةِ يَا أخَواتِي. لمْ يكنْ يعرِفُ أنِّي متزوِّجَةٌ وقدْ رَزَقَني اللهُ منْ زَوجِي بعَدَدٍ منَ الأبنَاءِ.. عمُوماً أصبحَ حديثُنَا بعدَ هَذا اللِّقاءِ مختَلِفٌ تماماً. كَانَ رومَانسيّاً وَعَرَفَ كيفَ يستغِلُّ ضَعفي كأنثَىٰ وكانَ الشَّيطانُ يساعِدُهُ بل ربَّما يقودُهُ. أرادَ رؤيَتِي وكنْتُ أتحجَّجُ كثيراً وأذكِّرُهُ بالعهدِ الَّذي قطعَهُ.. مَعَ أنَّ نفسِي كانَتْ تشتَاقُ إليهِ كَثيراً. لم يكُنْ بوُسعِي رؤيَتَهُ وزَوجي موجُودٌ في المدينَةِ. أصبَحَ الذي بينَنَا أكثرَ جديَّةٍ فأخبرتُهُ أنَّني متزوِّجَةٌ وَلِيَ أبنَاءٌ، ولا أقدِرُ عَلَىٰ رؤيتِهِ ويجبُ أن تبقَىٰ عَلاقتَنَا فِي الشَّاتِ فَقَط. لمْ يصدِّقْ ذَلِكَ وقالَ لِي لا يمكِنُ أن أكونَ متزوِّجَةً ولِي أبنَاءٌ. قَالَ لِي أنتِ كالحُوريَّةِ التي يجِبُ أن تصَانَ، أنتِ كالمَلاكِ الَّذي لا يجبُ أنْ يُوطأ وَهكَذا...

أصبَحْتُ مدمِنَةً عَلَىٰ سماعِ صوتِهِ وإطرائِهِ تخيَّلتُ نفسِي بينَ يديهِ وذِراعَيهِ كيفَ سيكُونُ حالِي.. جعلَنِي أكرَهُ زوجِي الَّذي لَم يرِ الرَّاحَةَ أبداً فِي سبيلِ تلبيَةِ مطالِبِي وإسعادِي أنا وأبنائي... بدأتُ أحسُّ بالجُنونِ إذَا غَابَ عنِّي لِيومٍ أو يَومينِ أو إذَا لَم أرَهُ في الشاتِ.. أُصَابُ بالغَيرَةِ إذَا تَخَاطَبَ مع غيري أو خَاطَبَهُ أحدُهم ..

أُصَابُ بالصُّداعِ إِذَا غَابَ في الشَّات... لا أعلَمُ مَا الذي أصَابَني.. إلا أنَّني أصبحْتُ أريدُهُ أكثرَ فأكثرَ.

لقَدْ أدركَ ذَلِكَ تَماماً وعرَفَ كيفَ يستغلُّني حتَّىٰ يتَمكَّنَ من رؤيَتِي مجدَّداً.. كَانَ كُلَّ يوم يمرُّ يَطلُبُ فيهِ رؤيَتِي.. وأنَا أتحجَّجُ بأنَّني متزَوِّجَةٌ.. وهُوَ يقُولُ مَا الَّذي يمكِنُ أن نفعَلَهُ.. أنبقَىٰ هكَذا حتَّىٰ نموتَ منَ الحزنِ.. أيُعقَلُ أن نُحِبَّ بعضَنَا البعضَ ولا نستَطيعُ الاقترابَ.. لابدَّ منْ حلٍّ، يَجِبُ أنْ نجتَمِعَ.. يجبُ أن نكونَ تحتَ سقفٍ واحِدٍ. لم يترُكْ طريقَةً إلا وطرَقَها.. وأنَا أرفُضُ وأرفُضُ. حتَّىٰ جَاءَ اليومُ الَّذي عَرَضَ فيهِ عَلَيَّ الزَّواجَ، ويجبُ أن يطلِّقَني زوجِي حتَّىٰ يتزوَّجَني هُوَ.. وإذَا لَم أقبَلْ فإمَّا أنْ يموتَ أو أن يُصابَ بالجُنونِ أو يقتُلَ زوجِي. الحقيقَةُ رغمَ خوفِي الشَّديدِ إلا أنِّي وجدْتُ في نفسِي شَيئاً يُدنِي إليهِ.. وكأنَّ الفكرَةَ أعجبَتْني. كانَ كلَّمَا خاطَبني ترتَعِشُ أطرَافي وتَصطَكُّ أسنَانِي كَأنَّ البردَ كلَّهُ داخِلِي.

احتَرتُ فِي أمرِي كَثيراً.. أصبحْتُ أرَىٰ نفسِي أسيرةَ زوجِي وأنَّ حبِّي لَهُ لَم يكُنْ حُبّاً.. بَدَأتُ أكرَهُ منظَرَهُ وشكلَهُ.. لَقَد نسيْتُ نفسِي وأبنائِي.. كَرهْتُ زَواجِي وَعيشَتِي وكأنِّي فَقَط أنَا الوحيدَةُ في هَذَا الكَونِ الَّتي عاشَتْ وَعرفَت مَعنىٰ الحُبِّ.

عندَمَا عَلِمَ وتَأكَّدَ بِمقدَارِ حُبِّي لَهُ وتمكُّنِهِ منِّي ومِن مشَاعِرِي عرَضَ عليَّ بأنْ أختَلِقَ مشكِلَةً مَعَ زَوجِي وأجعلَهَا تكبُرُ حتَّىٰ يطلِّقَني.. لَم يخطُرْ ببَالِي هَذَا الشَّيءُ وكأنَّها بَدَت لِي هِيَ المخرَجُ الوحيدُ لأزمَتِي الوهمِيَّةِ.. وعَدَني بأنَّهُ سوفَ يتزوَّجُني بعدَ طَلَاقِي مِن زَوجِي وأنَّهُ سوفَ يكُونُ كُلَّ شيءٍ في حَياتِي وَسوفَ يجعلُني سَعيدَةً طوالَ عُمْرِي مَعَهُ. لَم يكنْ وقعُهَا عليَّ سَهلاً، ولكِن راقَتْ هَذِهِ الفِكرَةُ لِي كَثيراً وَبدَأتُ فِعلاً أصطَنِعُ المَشاكِلَ معَ زَوجِي كُلَّ يَومٍ حتَّىٰ أجعلَهُ يكرَهُني وَيطَلِّقُني..

بقِينَا عَلَىٰ هذهِ الحالَةِ عدَّةَ أسابِيعَ.. وأنَا منهَمِكَةٌ في اختِلاقِ المَشَاكِلِ حتَّىٰ إنَّني كنتُ أخطِّطُ لَهَا مُسبَقاً..

بَدَأ يَمَلُّ منْ طولِ المُدَّةِ ويصِرُّ عَلَىٰ رُؤيَتِي لأنَّ زوجِي ربَّما لنْ يطلِّقَني بِهَذِهِ السُّرعةِ حتَّىٰ طلَبَ منِّي أنْ يرَانِي وإلا؟. لَقَد قبِلْتُ دونَ تردُّدٍ كأنَّ إبليسَ اللَّعينَ هوَ مَن يحكِي عنِّي ويتَّخِذُ القَرَارَاتِ بَدَلاً مِنِّي.. وطَلَبْتُ منْهُ مُهلَةً أتدَبَّرُ فيهَا أمرِي.

وفي يومٍ منَ الأيَّامِ قَالَ زوجِي إنَّه ذَاهِبٌ في رحلَةِ عَمَلٍ لمدَّةِ خَمسَةِ أيَّامٍ.. أحسَسْتُ أنَّ هَذَا هُوَ الوَقتُ المُناسِبُ. أرَادَ زَوجي أنْ يرسِلَني إلىٰ أهلِي كَي أرتَاحَ نفسيّاً وربَّمَا أخفِّفُ عنهُ هذِهِ المشاكلَ المصطَنَعةِ.. فَرفَضْتُ وتحجَّجْتُ بِكلِّ حجَّةٍ حتَّىٰ أبقَىٰ في البَيتِ.. فوافَقَ مُضطَرّاً وَذهبَ مُسافِراً.. كُنتُ أصحُو مِنَ النَّومِ فأذهَبُ إلىٰ الشَّاتِ اللَّعينِ وفي المساءِ أغلِقَهُ فَأذهَبُ إلَىٰ النَّومِ. وبَعدَ أيَّامٍ كَانَ المَوعِدُ.. حَيثُ قَبِلتُ مَطَالِبَ صَديقِ الشَّاتِ وَقلتُ لَهُ بأنَّني مستعِدَّةٌ للخُروجِ مَعَهُ. كنتُ عَلَىٰ علمٍ بِمَا أقومُ بِهِ مِن مخاطَرَةٍ ولكنْ تَجاوزَ الأمرُ بِي حتَّىٰ لمْ أعُدْ أشعُرُ بالرَّهبَةِ والخوفِ كمَا كنْتُ في أوَّلِ مرَّةٍ رأيتُهُ فيهَا. وَخرَجْتُ مَعَهُ.. نَعم لَقَد بِعتُ نَفسِي وخَرَجْتُ مَعَهُ.. اجتَاحَتْنِي رغبَةٌ في التَّعرُّفِ علَيهِ أكثَر وَعَن قُرْبٍ. اتَّفَقْنَا عَلَىٰ مَكَانٍ فِي أحَدِ الأسْواقِ.. وَجَاءَ في نفسِ الموعِدِ وركِبْتُ سيَّارَتَهُ ثُمَّ انطلَقَ يجُوبُ الشَّوارِعَ. لَم أشعُر بشَيءٍ رغمَ قلقِي فهِيَ أوَّلُ مرَّةٍ في حَيَاتِي أخرُجُ مَعَ رجلٍ لا يَمُتُّ لِي بأيِّ صِلَةٍ سِوىٰ مَعرِفَةِ سبعَةِ أشهُرٍ تَقريباً عَن طَريقِ الشَّاتِ ولقَاءٍ واحِدٍ فقط لِمُدَّةِ دقيقَةٍ وَاحِدَةٍ. كَانَ يبدُو علَيهِ القَلَقُ أكثَرَ منِّي..

وبَدَأتُ الحَديثَ قَائِلَةً لَهُ: لا أريدُ أنْ يطولَ وقتُ خُروجِي مِنَ البَيتِ.. أخشَىٰ أنْ يتَّصِلَ زَوجي أو يحدُثُ شَيءٌ.

قالَ لِي: ـ بتَردُّدٍ ـ وإذَا عَرفَ، ربَّما يطلِّقُكِ وترتَاحِينَ منهُ.

لَم يعجِبْني حديثُهُ وَنبرَةُ صَوتِهِ.. بَدَأَ القَلَقُ يَزدَادُ عِندِي ثُمَّ قُلتُ لهُ: يجبُ ألا تبتَعِدَ كَثيراً.. لا أريدُ أنْ أتأخَّرَ عَنِ البيَتِ..

قالَ لِي: سوفَ تتَأخَّرينَ بعضَ الوقتِ.. لأنَهُ لنْ أتنازَلَ عنكِ بهذِهِ السُّهولَةِ.. فَقَط أريدُ أنِ تبقي مَعِيَ بعضَ الوَقتِ.. أريدُ أنْ أملأَ عَينَيَّ منكِ لأنَّهُ ربَّمَا لنْ يكونَ هُنَاكَ مجالٌ عندَكِ لرُؤيَتِي بعدَهَا.

هكَذا بَدَأ الحَديثَ.. رُغمَ قلقِي الَّذي بَدأ يَزدادُ إلاَّ أنّي كنْتُ أريدُ البَقاءَ معَهُ أيضاً.

بدَأ الحَديثُ يأخُذُ اتّجاهاً رُومانسيّاً.. لا أعلَمُ كَم مِنَ الوقتِ بقينَا علَىٰ هَذهِ الحَالِ، حتَّىٰ إنّي لَم أشعُر بِالطّريقِ أوِ المَسارِ الَّذي كَانَ يسلُكُهُ..

وَفجأةً وإذَا أنَا في مَكَانٍ لا أعرِفُهُ.. مُظلِمٍ وَهوَ أشْبَهُ بالاستِراحَةِ أو المزرَعَةِ.. بَدأتُ أصرُخُ علَيهِ مَا هَذَا المَكانُ إلىٰ أينَ تأخُذُني.

وَمَا هِيَ إلاَّ ثَوانٍ مَعدودَةٌ والسَّيارَةُ تقِفُ ورجُلٌ آخرُ يفتَحُ عَلَيَّ البَابَ ويُخرِجُني بِالقُوَّةِ.. كأنَّ كُلَّ شَيءٍ ينزلُ علَيَّ كالصَّاعِقَةِ.. صَرَخْتُ وبَكيتُ واستَجْديتُ بِهِم..

أصبَحْتُ لا أفهَمُ مَا يَقُولُونَ ولا أعِي مَاذَا يَدورُ حَولي.

شعَرتُ بِضَربَةِ كفٍّ عَلَىٰ وَجهِي وَصوتٍ يَصْرُخُ عليَّ وَقد زَلزَلني زِلزَالاً فَقَدْتُ الوَعيَ بعدَهُ منْ شِدَّةِ الخَوفِ..

إنَّي لا أعلَمُ مَاذَا فَعَلُوا بِي أو مَنْ هُمْ أو كَمْ عدَدُهُم.. رأيْتُ اثنَينِ فَقَط.. كُلُّ شَيءٍ كَانَ كالبَرقِ مِن سُرعَتِهِ. لَم أشعُرْ بِنَفسي إلاَّ وَأنَا مُستَلقِيَةٌ فِي غُرفَةٍ خَالِيَةٍ شِبهِ عَارِيَةٍ.

ثِيَابِي تمزَّقَت.. بَدَأت أصرُخُ وأبكِي وكَانَ كُلُّ جِسمِي مُتَّسِخٌ.. وَأعتَقِدُ أنّني بلْتُ عَلَىٰ نَفسي.. لَم تمرَّ سِوىٰ ثوانٍ إلاَّ ويَدخُلُ عَلَيَّ وهُوَ يضحَكُ.. قلتُ لَهُ: باللهِ

عليكُم خلُّوا سَبيلِي.. خَلُّوا سَبِيلِي.. أريدُ أنْ أذهَبَ إلَىٰ البيتِ.

قَالَ: سَوفَ تَذهَبينَ إلىٰ البَيتِ ولَكِن يَجِبُ أن تتَعهَّدِي بأنْ لا تُخبِرِي أحَداً وإلا سَوفَ تَكونينَ فضيحَةَ أهلِكِ وإذَا أخبَرتِ عَنِّي أو قدَّمْتِ شكوىٰ سَيكُونُ الانتِقَامُ مِن أبنَائِكِ. قُلتُ لَهُ: فَقَط أُريدُ أنْ أذهَبَ ولَن أخبِرَ أحداً.

تَملَّكَني رعبٌ شديدٌ كنْتُ أرىٰ جِسمِي يَرتَعِشُ ولم أتوقَّفْ عَنِ البُكَاءِ.. هَذَا الَّذي أذكُرُ من الحادِثَةِ.. ولا أعلَمُ أيَّ شيءٍ آخرَ سِوىٰ أنَّهُ استَغرَقَ خُروجِي إلىٰ حينِ عَودَتِي مَا يُقارِبُ الأربعَ ساعَاتٍ. رَبَطَ عينَيَّ وحَمَلُوني إلَىٰ السَّيارَةِ ورَمونِي فِي مكانٍ قَريبٍ منَ البَيتِ.

لمْ يَرَني أحَدٌ وأنَا فِي تِلكَ الحالَةِ.. دَخَلْتُ البيتَ مُسرِعَةً.. وبَقيتُ أبكِي وأبكِي حتَّىٰ جفَّتْ دُموعِي. تبيَّنَ لِي بعدَها بأنَّهُم اغتَصبُوني وكنْتُ أنزفُ دَماً.. لَم أصدِّق مَا حَدَثَ لِي أصبَحْتُ حبيسَةَ غُرفَتِي لَم أرَىٰ أبنَائِي ولَم أُدخِلْ في فَمِي أيَّ لُقمَةٍ.

يَا وَيلِي مِن نفسِي لقدْ ذهبْتُ إلىٰ الجَحيمِ برجلَيَّ.. كيفَ سيكونُ حَالِي بعدَ هذِهِ الحَادِثَةِ.. كَرِهْتُ نفسِي وَحاولتُ الانتِحَارَ.. خَشِيتُ مِنَ الفَضيحَةِ ومِنْ ردَّةِ فعلِ زوجِي.

لا تسألِيني عَنْ أبنَائِي فبعدَ هَذِهِ الحَادِثَةِ لم أعُدْ أعرفُهُم أو أشعُرُ بِوجودِهِم ولَا بِكُلِّ مَن حَولي.. حتَّىٰ بعدَ أنْ رجعَ زوجِي مِنَ السَّفرِ شعرَ بالتَّغيُّرِ الكَبيرِ والَّذي لم يعهَدْهُ مِن قَبلُ وكانَتْ حَالَتي سيِّئةٌ لِدرجَةِ أنَّهُ أخَذَني إلىٰ المُستَشفَىٰ بِقُوَّةٍ.. والحمْدُ للهِ أنَّهم لَم يكشِفُوا عَلَيَّ كشفاً كَاملاً بَل وجدُونِي فِي حَالَةٍ مِنَ الجَفَافِ وسوءِ التَّغذيَةِ وتوَقَّفُوا عندَ ذَلِكَ. لَن أطيلَ.. طَلَبتُ مِن زَوجِي أن يَأخُذَنِي إلَىٰ أهلِي بأسْرَعِ وَقتٍ.

كنْتُ أبكِي كثيراً وأهلِي لا يَعلمُونَ شيئاً وَيعتَقِدُونَ أنَّ هناكَ مشكِلَةً بينِي وبينَ زوجِي.. أعتقِدُ أنَّ أبِي تخاطَبَ مَعَهُ ولَم يصلْ إلىٰ نتيجَةٍ حيثُ إنَّ زوجِي هُوَ نفسُهُ لا يعلَمُ شَيئاً... لا أحَدٌ يعلَمُ مَا الَّذي حَلَّ بي حتَّىٰ إنَّ أهلِي عَرَضُونِي عَلَىٰ بعضِ القرَّاءِ اعتِقَاداً مِنهُم بأنَّني مَريضَةٌ..

أنَا لا أستَحِقُّ زوجِي أبداً وَقد طَلَبْتُ منهُ هَذهِ المرَّةَ الطَّلاقَ وَقد كنتُ في السَّابقِ أطلُبُ الطَّلاقَ لنَفسي وَهَذهِ المَرَّةُ أطلُبُهُ إكراماً لِزوجِي وأبُو أبنَائي..

أنا لا أستَحِقُّ أن أعيشَ بينَ الأشْرافِ مُطلَقاً.. وكُلُّ مَا جَرَىٰ لي هُوَ بِسَببي أنَا وبسَبَبِ الشاتِ اللَّعينِ.. أنَا الَّتي حفرْتُ قَبري بِيدِي.. وصدِيقُ الشاتِ لَم يكُن سِوىٰ صَائِداً لفَرِيسَةٍ مِنَ البَنَاتِ اللَّواتِي يَستَخدِمنَ الشَّات. وكُلُّ مَن سَوفَ يعرِفُ قِصَّتِي.. سَوفَ ينعتُنِي بالغَبِيَّةِ والسَّاذجَةِ.. بَل أستَحِقُّ الرَّجمَ أيضاً.. وَفي المُقابِلِ أتمنَّىٰ بأن لا يحدُثَ لأحَدٍ مَا حَدَثَ لِي.

أتَمنَّىٰ أنْ يُسامِحَني زَوجِي فَهُوَ لا يستَحِقُّ كُلَّ هَذا العَارِ.. أرجُو مِنْ أبنَائِي أنْ يُسامِحُونِي.. أنا السَّبَبُ أنا السَّبَبُ، وَالله أسألُ أنْ يغفِرَ لِي ذَنبِي وَيعفُوَ عَنِّي خَطِيئَتي.

❁ الآنَ وبعدَ أن قرَأتُم قِصَّةَ صَديقَتِي.. أمَا آنَ للبَنَاتِ ومَنْ يَستَخدِمُ الشَّاتَ، وَالشَّبابِ الَّذِي يَلهَثُ وَرَاءَ الشَّهَواتِ أنْ يَخَافُوا الله فِي أنفُسِهم وأهلِيهم. هِيَ لَيسَتْ غلطَةُ الإنتَرنِت.. بَل نَحنُ الَّذِينَ لم نُحسِنِ استِخدَامَهُ.. نَحنُ الذِينَ نَترُكُ الخيرَ والفَائِدَةَ العَظِيمَةَ ونبحَثُ عَنِ الشَّرِّ ومَا هُوَ منافٍ لأخلاقِ المُسلِمِ. أنَا ألُومُ صديقَتِي لأنَّها كانَتْ مِن أكثرِنَا رجَاحَةً في العَقْلِ وكُنَّا نحسُدُها عَلىٰ ذَلِكَ. لَم تكُن عيشَتُها سيِّئةً أو أنَّ انتِقَالَهَا معَ زوجِهَا جَريمةٌ.. بَل كَانَت تَعيشُ عيشةَ الكِرامِ ومسألَةُ الفَراغِ عِندَ مَن لا يحسِنُ استِغلالَهُ الاستِغلالَ الأمثَلَ هِيَ المُشكلَةُ. الإنترنِت في الغَالِبِ

بَابٌ واسعٌ مِنَ المَعرفَةِ وهُوَ أيضاً بَابٌ للشَّرِّ والرَّذِيلَةِ. ربَّما يَجِبُ أن نعيدَ النَّظرَ فِي الشَّاتِ وهِيَ لَيسَت بالمَسألَةِ الهيِّنَةِ.. ومَاذَا عَنِ الفَرَاغِ الَّذي يمـلأ ديارنَـا.. وَهـؤلاءِ الشَّبابُ مِمَّن لَيسَ لَديهم عَمَلٌ أو أهْلٌ يراقِبونَهُم. كُلُّ شَـيءٍ يَسيرُ إلَىٰ الأسوَأ فِي نَظَرِي.. المَشَاكِلُ كثُرَت.. والطَّلاقُ.. والسَّرِقاتُ.

أينَ دورُ الأبِ وربِّ الأسرَةِ؟ ربَّمَا زَوجُها لَم يحسِنْ معامَلَتَها وَتوجيهَـها التَّوجِيـهَ الصَّحيحَ بل ربَّما رَضَخَ لِمَا تطلبُ ولم يبالِ في معرفَةِ مَاذا يَدُورُ. وأنتُم يَا مَن يَدَّعِـي الإسلامَ.. مَاذَا فَعلتُمْ تِجاهَ أنفُسِكُم وَمَن بَين أيديكُم؟ إنَّ الفَـراغَ الَّـذي يَمـلأ دِيَارَنـا هُوَ شَرٌّ وأيُّ شَرٍّ. نَحنُ إنْ بَقينَا عَلَىٰ حَالِنَا ولَم نَتَحَرَّكْ أصبَحنَا كالنَّعامِ نَـدُسُّ رأسَـنا فِي التُّرابِ. أينَ الدَّعوَةُ والإرشَـادُ وَهيئَـةُ الأمـرِ بِـالمَعرُوفِ؟ لمَـاذَا نَحـنُ آخـرُ مَـن يستَخدِمُ التِّقَنيَّاتِ الجَديدَةِ؟ لمَاذَا لا نَكونُ الرُّوادَ بَدَلاً مِن لحاقِنَا بِالغَربِ وبدلاً مِن أن نَسيرَ مَعَ مَا يُريدُهُ الغَربُ مِنَّا. أينَ شَـبابُنَا مِـنَ العِلـمِ والنَّخـرِ فِيـهِ؟ أيـنَ شَبابُ المُسلمينَ مِن وَقتِهِم وكَيفَ يُوجَدُ بَينَهُم مَن يُريدُ الفَسادَ في الأرضِ؟.

لا أقُولُ إلا حَسبُنَا اللهُ ونعمَ الوكيلُ.. اللَّـهُمَّ سـلِّم اللهمَّ سـلِّم.. اللَّـهُمَّ لُطفَـكَ بِعبَادِكَ.. اللَّهُمَّ أبْرِم لِهَذِهِ الأمَّةِ أمراً رشَـداً يُعـزُّ فيـهِ أهـلُ طَـاعَتِكِ وَيُـذَلُّ فيـهِ أهـلُ معصِيَتِكَ وُيؤمَرُ فِيهِ بِالمَعرُوفِ ويُنهَىٰ بِهِ عنِ المُنكَرِ.

* بَقِيَ أن أقولَ.. لَقَد تُوفِّيتْ صَديقَتِي بعدَ فَترَةٍ.. مَاتَتْ ومَـاتَ سِـرُّها مَعَـها.. زَوجُها لم يطلِّقْها وَقَد عَلِمْتُ أنَّهُ حزنَ عَلَيهَا حُزناً شَدِيداً.. وَعَلِمْتُ أنَّهُ تركَ عَمَلَهُ.. وَرجعَ لِكَي يَبقَىٰ بِجَانِبِ أبنَائِهِ. شَعَرْتُ بعدَهَا أنَّ هَذِهِ الحَيـاةَ لَيسَـتْ ذَات أهميَّـةٍ، لَيسَ لَهَا طَعْمٌ أبَداً إلاَّ لمَن يستَثْمِرهَا فِي طَاعَةِ اللهِ ورَسُولِهِ ﷺ..

مُغامَراتُ مُراهِقةٍ

تَبدَأ فُصُولُ هَذِهِ المَأسَاةِ باعْتِرَافِ مُدْمِنِ خَمْرٍ فِي مُقْتَبَلِ الشَّبَابِ أمَامَ ضَابِطِ المَباحِثِ، بِأنَّهُ تَعرَّفَ عَلَىٰ « شيرين » قَبلَ ثَلاثِ سَنَواتٍ عَنْ طَرِيقِ صَدِيقَتِها « مَهَا » الَّتِي كَانَتْ فِي زِيَارَةٍ للشَّقَّةِ الَّتِي كَانَ يَستَأجِرُها لِكَي يَتَعاطَىٰ فِيهَا المُخدِّرَاتِ..

وبَدَأ التَّعارُفُ بَينَ الشَّابِّ وَشِيرين مُنذُ هَذِهِ اللَّحظَةِ، ثُمَّ تَطوَّرَتِ العَلاقَةُ بِسُرعَةٍ بَينَ الشَّابِّ وَشيرين، فَكَانَ دَائِماً يَدعُوهَا للسَّهَراتِ وتَعَاطِي المُخَدِّرَاتِ فِي الشَّقَّةِ.

يَقُولُ: إنِّي كُنتُ أقتَرِبُ مِنهَا كُلَّ يَومٍ أكثر، فَقَدْ كُنتُ أعَاشِرُهَا مُعَاشَرَةَ الأزوَاجِ، وَلَم تَكُنْ لَدَيهَا أيُّ مُشكِلَةٍ، وكُنَّا فِي حَالَةٍ مِنَ الإدمَانِ الدَّائِمِ، وَلَم أعْرِف أبَداً طَعْمَ الحَلالِ مِنَ الحَرَامِ، وَلَم تَكُنْ هُنَاكَ أبَداً فِي حَيَاتِنَا أيُّ ضَوَابِطٍ، وكَانَتْ لا تَهتَمُّ أبَداً بِأنْ تَعُودَ لأهلِهَا مُبَكِّرَةً بَعدَ السَّهَرِ مَعِي، وكُنتُ دَائِماً أسألُهَا:

أهْلُكِ لا يَخافُونَ عَلَيكِ، وَيَسألُون عَنكِ.. أينَ كُنْتِ؟ ولِمَاذَا تَأخَّرْتِ؟.

وكَانَتْ كُلَّمَا عَادَتْ إلَىٰ أهْلِهَا بعدَ السَّهَرِ معي تُسَبِّبُ مُشكِلَةً لأهلِهَا لِدَرَجَةِ أنَّهُم تَعوَّدُوا عَلَىٰ ذَلِكَ.

وفُوجِئتُ فِي يَومٍ مِنَ الأيَّامِ بِأنَّها تَطرُقُ بَابَ أهْلِي ومَعَهَا حَقِيبَةُ مَلابِسِهَا، وَأبلَغَتْنِي أنَّ أهلَهَا طَرَدُوهَا، فَاضطَرَّتْ إلَىٰ المَجِيءِ عِندِي، وَعَاشَتْ مَعِي فِي شَقَّةِ أهْلِي حَيثُ كَانَتْ أمِّي تَعِيشُ مَعِي، وكَانَتْ وَالِدَتِي كُلَّما سَألَتْ عَنهَا كُنتُ أقُولُ لَهَا:

لَيسَتْ هُنَاكَ أيُّ مُشكِلَةٍ، فَهِيَ رَفِيقَتِي، وَعِندَهَا مُشكِلَةٌ مَعَ أهلِهَا، وَالزَّمَنُ سَيَحِلُّ هَذِهِ المُشكِلَةَ.

وَلَقَد عَاشَتْ شِيرِينُ مَعَنَا أنا وَأمِّي فِي الشَّقَّةِ أكثرَ مِنْ عَامٍ، ثُمَّ تَمَّ القَبضُ عَلَيَّ فِي قَضِيَّةِ مُخَدِّراتٍ.. فَقَدْ كنْتُ مِنْ أصحابِ السَّوَابِقِ بِسَبَبِ إدمَانِ المُخَدِّرَاتِ. وَبَعدَ خُرُوجِي مِنَ السِّجنِ، وَجَدْتُ شِيرِينَ تَعِيشُ مَعَ وَالِدَتِي، وَعُدنَا إلَىٰ الإدمَانِ مَرَّةً أخرَىٰ..

وَيُتَابِعُ الشَّابُّ المُدمِنُ اعترَافَاتِهِ للضَّابِطِ، بَعدَ أنْ سَألَهُ: مَنِ الَّذِي قَتَلَ رَفِيقَتَكَ شِيرِين؟ وَهَل هِيَ رَفِيقَتُكَ أمْ زَوجَتُكَ؟.

تَابَعَ الشَّابُّ اعترَافَاتِهِ بِأنَّهُ عِندَمَا كَانَ فِي السِّجنِ، كَانَتْ شِيرِينُ تَزُورُهُ فِي السِّجنِ باستِمرَارٍ، وَلَمَّا خَرَجْتُ استَأجَرْنَا شقَّةً، وَفَرشْنَاهَا، حَيثُ قُمنَا بِبَيعِ كَمِّيَّةٍ مِنَ الهِيرُوِين، وَبَينَمَا أنَا وَهِيَ فِي غَايَةِ الانسِجَامِ فِي الشَّقَّةِ، عَرَضْتُ عَلَيهَا الزَّوَاجَ فَوَافَقَتْ، وَلَكِنَّهُ كَانَ زَوَاجَ مَسَاطِيلٍ حَيثُ كُنَّا وَقتها نتَعَاطَىٰ المُخَدِّرَات..

وَفَجأةً سَألَهُ الضَّابِطُ أينَ جُثَّةُ شِيرِينَ؟.

وَبِكُلِّ بَسَاطَةٍ يُجِيبُ الشَّابُّ بِأنَّهَا فِي شقَّتِي..

هُنَا استَدعَىٰ الضَّابِطُ قُوَّةً مِنَ الشُّرطَةِ، وَقَامَ بِإبلاغِ الأدِلَّةِ الجِنَائِيَّةِ، وَوَصَلَتِ القُوَّةُ إلَىٰ الشَّقَّةِ وَمَعَهُم الشَّابُّ مُكَبَّلاً فِي قُيودِهِ، قَامَ بِفَتحِ الشَّقَّةِ، وَدَخَلَتِ القُوَّةُ إلَىٰ الغُرفَةِ فَوَجَدُوا رَائِحَةً كَرِيهَةً تَنبَعِثُ مِنهَا وَليسَ بِهَا سِوَىٰ بَعضِ الأثَاثِ، وَوَجَدُوا جُثَّةَ شِيرِينَ، وَقَد أُسنِدَ ظَهرُهَا إلَىٰ الحَائِطِ وَكَانَتْ تَرتَدِي مَلابِسَ النَّومِ، وَبَدَا عَلَيهَا أنَّهَا فَارَقَتِ الحَيَاةَ مُنذُ فَترةٍ طَوِيلةٍ حَيثُ كانتْ جُثَّةُ شِيرِينَ زرقاءَ اللَّونِ، وبِجانِبِهَا حُقنَةٌ بِهَا آثَارُ دِمَاءٍ.

قَامَ رِجالُ الأدِلَّةِ الجِنائيَّةِ بِرَفْعِ البَصَماتِ المَوْجُودةِ بِالغُرْفَةِ، وكَانَ ضِمنَ مَا وَجَدُوه مَحَارِمُ كثيرةٌ عَلَيْها آثَارُ دِمَاءٍ، وحُقَنُ هيروين كانَتْ مُعَدَّةً لِلْحَقْنِ، ومِنْفَضَةُ

سَجَائِرَ كانَتْ مَلِيْئَةً بِأعْقَابِ السَّجَائِرِ، ثُمَّ رُفِعَتْ جُثَّةُ شِيرينَ، وقُبِضَ عَلَىٰ الشَّابِّ، وتَمَّ احْتِجَازُهُ في انْتِظَارِ تَقْرِيرِ الطَّبِيبِ الشَّرْعيِّ، وجَاءَ تَقْرِيرُ الطَّبِيبِ الشَّرْعِيِّ لِيُؤَكِّدَ أنَّ سَبَبَ الوَفَاةِ حُقْنَةُ هيرويِنَ زائِدَةٌ، أحْدَثَتْ صَدْمَةً في القَلْبِ الَّذي لم يَسْتَطِعْ تَحَمُّلَ هذهِ الجُرعَةِ الزَّائِدَةِ.

وَفي التَّحْقِيقِ اعْتَرَفَ الشَّابُّ بِأنَّهُ وشِيرينَ كانَا يَتَعاطَانِ المُخَدِّراتِ، وقَبْلَ أنْ يَنْتَهِيَ مِنْ ذَلِكَ قَامَ بِمُعَاشَرَتِهَا، وبَعْدَ أنْ نامَ قَامَتْ هِيَ بِحَقْنِ نَفْسِها بِجُرْعَةٍ زَائِدَةٍ منَ الهيرويِنَ وَلَكِنْ لَمْ تَتَحَمَّلْها فَمَاتَتْ، ولَمْ يَشْعُرْ بِذَلِكَ إلاَّ عِنْدَما اسْتَيقَظَ مِنَ النَّوْمِ، فوَجَدَها قَدْ تُوفِّيَتْ وجُثَّتُها مُلْقَاةٌ عَلَىٰ الأرْضِ، فَقامَ بإسْنَادِهَا إلىٰ الحَائِطِ ثُمَّ تعَاطَىٰ جُرعَةً مِن مُخدِّرِ الهيرويِن، ولَكِنَّ تَقْرِيرَ الطَّبِيبِ الشَّرْعِيِّ أكَّدَ أنَّ البَصَمَاتِ الَّتي كَانَتْ عَلَىٰ ذِرَاعِ الفَتَاةِ تَمَاماً هِيَ بَصَمَاتُ الشَّابِّ، وَتَمَّ تَقديمُ الشَّابِّ إلىٰ المُحَاكَمَةِ بِتُهْمَةِ قَتْلِ الفَتَاةِ بِجُرعَةٍ زَائِدَةٍ مِن مُخَدِّرِ الهيرويِن، وأصْدَرَتِ المَحْكَمَةُ حُكْمَهَا بِحبسِ الشَّابِّ خَمسَ سَنَواتٍ، وإحَالَتِهِ إلىٰ مُستَشفىٰ الطِّبِّ النَّفسِيِّ للعِلاجِ، عَلَىٰ أن يَعُودَ بَعدَهَا لاَستِكمَالِ فَترَةِ السِّجنِ..

وَبَعْدَ هذا كلِّهِ مَاذَا نَقُولُ؟ وَلِمَن نَقُولُ؟ أينَ الأسرَةُ؟ مَا هِيَ وَظيفَتُها تجاهَ الأبنَاءِ؟ لِمَ لَمْ يَتِمَّ تَعلِيمُ هَذَا الشَّابِّ قِيمَ الحَلالِ وَالحَرَامِ؟.

ولِمَ لَمْ يَتِمَّ تَعلِيمُهُ الصَّلاةَ؟ أو تَعلِيمُهُ آيَةً وَاحِدَةً مِنَ القُرآنِ العَظيمِ؟.

لِمَاذا لَم يُرَبَّىٰ هؤلاءِ عَلَىٰ تَقوِيَةِ الوَازِعِ الدِّينِيِّ فِي أنفسِهِم؟.

إنَّهَا مَسؤولِيَّةٌ كَبيرَةٌ ضَخمَةٌ لا يَتَحَمَّلُهَا الشَّابُّ وَحدَهُ، إنَّهُ ضَحيَّةُ أسرَةٍ، ضَحيَّةُ أبٍ وأمٍّ لَم يَقُومَا بِوظَائِفِهِمَا الأساسِيَّةِ فِي تَربِيَةِ الابنِ. وَلَكِنَّها المُخَدِّراتُ.. وَهؤلاءِ هم ضَحَايَاهَا. نسألُ اللهَ تَعالَىٰ لنَا ولأبنَائِنَا العفْوَ والعَافيَةَ في الدُّنيا والآخرةِ..

مَوْعِدٌ في الشَّالِيه

هَذِهِ قِصَّةٌ وَاقِعِيَّةٌ، وَالهَدَفُ مِنهَا هِيَ أَخْذُ العِظَةِ وَالعِبرَةِ، فَحَقِيقَةً مِثْلُ هَذِهِ القَصَصِ لا تُنسَىٰ بِسُهولَةٍ وَلا تُمحَىٰ مِن ذَاكِرَةِ قَارِئِهَا، وَهِيَ قِصَّةٌ فِيهَا عِبرَةٌ وَعِظَةٌ لِكُلِّ مَن يَنتَهِكُ حُرمَاتِ اللهِ وَيُرِيدُ أَنْ يَتَلاعَبَ بِبنَاتِ النَّاسِ.

فَهَذِهِ قِصَّةُ رَجُلٍ كَانَ لا هَمَّ لَهُ إلاَّ خِداعُ الفَتيَاتِ وَالتَّغرِيرِ بِهِنَّ فَكَانَ يَخدَعُهُنَّ بِكَلامِهِ المَعْسُولِ وَوُعُودِهِ الكَاذِبَةِ، فَإِذَا نَالَ مُرَادَهُ أَخَذَ يَبحَثُ عَنْ فَتَاةٍ أُخرَىٰ، وَهَكَذَا كَانَ هَذَا الشَّابُّ لا يَردَعُهُ دِينٌ وَلا حَيَاءٌ، فَكَانَ مِثلَ الوَحشِ الضَّارِي يَهِيمُ فِي الصَّحرَاءِ بَحثاً عَنْ فَرِيسَةٍ يُسكِتُ بِهَا جُوعَهُ.

وَفِي إِحدَىٰ جَولاتِهِ سَقَطَتْ فِي شِبَاكِهِ إِحدَىٰ المَخدُوعَاتِ بِأَمثَالِهِ، فَأَلقَىٰ إِلَيهَا بِرَقَمِ هَاتِفِهِ فَاتَّصَلَت بِهِ، وَأَخَذَ يُسمِعُهَا مِن كَلامِهِ المَعسولِ مِمَّا جَعَلَها تَسبَحُ فِي عَالَمِ الحُبِّ وَالعَاطِفَةِ، وَاستَطَاعَ بِمَكرِهِ أَنْ يُشغِلَ قَلبَهَا فَصَارَت مُولَعَةً بِهِ، فَأَرَادَ الخَبِيثُ بَعدَ أَنْ شَعَرَ أَنَّها استَوتْ وَحَانَ قِطَافُهَا أَنْ يَبتَلِعَهَا مِثلَ مَا فَعَلَ مَعَ غَيرِهَا إلاَّ أَنَّهَا صَدَّتْهُ وَقَالَتْ: إِنَّ الَّذِي بَينِي وَبينَكَ حُبٌّ طَاهِرٌ عَفِيفٌ لا يُتَوَّجُ إلا بِالزَّوَاجِ الشَّرعِيِّ، وَحَاوَلَ أَنْ يُرَاوِغَهَا وَيَخدَعَها إلا أَنَّهَا صَدَّتْهُ. وَأَحَسَّ أَنَّهُ فَشَلَ هَذِهِ المَرَّةَ، فَأَرَادَ أَنْ يَنتَقِمَ لِكِبرِيَائِهِ وَيُلَقِّنَهَا دَرساً لا تَنسَاهُ أَبَداً، فَاتَّصَلَ بِهَا وَأَخَذَ يَبُثُّ لَهَا أَشْوَاقَهُ وَيُعَبِّرُ لَهَا عَن حُبِّهِ وَهِيامِهِ وَأَنَّهُ قَرَّرَ وَعَزَمَ عَلَىٰ خِطبَتِهَا لأَنَّهُ لا يَستَطِيعُ أَنْ يُفَارِقَها فَهِيَ بِالنِّسبَةِ لَهُ كَالهَوَاءِ، إِذَا انقَطَعَ عَنْهُ مَاتَ..

وَلأَنَّهَا سَاذِجَةٌ وَمَخدُوعَةٌ بِحُبِّهِ صَدَّقَتْهُ وَأَخَذَتْ تُبَادِلُهُ الأَشْوَاقَ وَصَارَ هَذَا

الفَاسِقُ يُداوِمُ عَلَىٰ الاتِّصَالِ بِهَا حَتَّىٰ أَلْهَبَهَا شَوقاً، فَوَعدَهَا بأنَّهُ سَوفَ يَتقَدَّمُ لِخطبَتِها، إلا أنَّ هُنَاكَ أمُوراً يَجِبُ أنْ يُحدِّثَهَا بِهَا لأنَّها أمُورٌ لا تُقَالُ عَبرَ الهَاتِفِ فَهِيَ تَخُصُّ حياتَهُمُ الزَّوجِيَّةَ القَادِمَةَ، فَيَجِبُ أن يَلتَقِيَ بِهَا، وَبَعدَ رَفضٍ مِنهَا وَتَمَنُّعٍ استَطَاعَ الخَبِيثُ أنْ يُقنِعَها بِأنْ يَلتَقِيَا، فَقَبِلَت فَاستَبشَرَ الفَاسِقُ وَحَدَّدَ لَهَا المَكَانَ والزَّمانَ، أمَّا المَكانُ فَهُوَ شَاليه يَقَعُ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحرِ، وَأمَّا الزَّمَانُ فَفِي الصَّبَاحِ، وَاتَّفَقَا عَلَىٰ المَوعِدِ.

فَرِحَ الخَبِيثُ المَاكِرُ وَأسرَعَ إلَىٰ أصْدِقَاءِ السُّوءِ أمثَالِهِ وَقَالَ لَهُم: غَداً سَتَأتِي فَتَاةٌ إلَىٰ الشَّالِيهِ وَتَسألُ عَنِّي وَأرِيدُ مِنكُم أنْ تَكُونُوا مُتَواجِدِينَ هُنَاكَ فَإذَا جَاءتْ فَافعَلُوا بِهَا مَا يَحلُو لَكُمْ.

وَفِي الغَدِ جَلَسُوا دَاخِلَ الشَّالِيهِ يَنتَظِرُونَ الفَرِيسَةَ، وَهُم يَلهَثُونَ مِثلَ الكِلابِ المَسعُورَةِ، فَأقْبَلَتِ الفَرِيسَةُ تَبحَثُ عَن صَيَّادِهَا وَدَخَلَتِ الفَتَاةُ إلَىٰ الشَّاليه تُنَادِي عَلَيه، وَفَجأةً هَجَمُوا عَلَيهَا هُجُومَ الوُحوشِ الضَّارِيَةِ وَأخَذُوا يَتَنَاوَبُونَ عَلَيها حَتَّىٰ أشبَعُوا رَغبَتَهُم، وأطْفَؤُوا نَارَ شَهوَتِهِم المَحمُومَةِ، ثُمَّ تَركُوهَا فِي حَالَةٍ يُرثَىٰ لَهَا، وَخَرَجُوا قَاصِدِينَ سَيَّارَتَهُم وَإذَا بِالمَاكِرِ الخَبيثِ مُقبِلٌ نَحوَهُمْ، فَلَمَّا رَأوْهُ تَبَسَّمُوا وَقَالُوا: لَقَدِ انتَهَتِ المهمَّةُ كَمَا أردتَ.

فَرِحَ هَذَا الشَّابُّ واصطَحَبَهُم إلىٰ دَاخِلِ الشَّاليه لِيُمَتِّعَ نَاظِرَيهِ بِمَنظَرِ هَذِهِ المِسكِينَةِ وَيَشفِي غَليلَهُ فَهِيَ الَّتِي صَدَّتْهُ وَاستَعْصَتْ عَلَيهِ..

فَلَمَّا وَقَعَتْ عَينَهُ عَلَيها كَادَتْ رُوحُهُ أنْ تُزهَقَ وَأخَذَ يَصرُخُ بِأعلَىٰ صَوتِهِ عَلَىٰ أصْدِقَائِهِ: يَا أشْقِياء مَاذَا فَعَلْتُم.. تَبَّاً لَكُم مِن سَفَلَة.. إنَّها أختِي الوَيلُ لِي وَلَكُم..

إنَّها أختِي.. أختِي.. يَا ويلِي.

ولَكِن مَا الَّذي حدَثَ؟ لقَد شَاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ أنْ ينتَقِمَ مِن هَذَا الفَاسِقِ بِأقربِ النَّاسِ إلَيهِ وبِنفسِ الطَّرِيقَةِ الَّتي خَطَّطَ لَهَا، إذْ إنَّ الفتَاةَ الَّتي واعدَهَا هَذَا الخَبيثُ حدَثَ لَهَا مَانِعٌ جعَلَها تَمتَنِعُ عَنِ الحُضُورِ فلَم تَحضُر، وكَانَتْ أخْتُ هَذَا الفَاسِقِ تَبحَثُ عَن أخِيها لأمْرٍ مَا، وهِيَ تَعلَمُ أنَّهُ يَقضِي أغْلَبَ وَقتِهِ فِي الشَّالِيه، فذَهَبَتْ إلَيهِ فِي نَفسِ المَوعِدِ الَّذي حَدَّدَهُ مَعَ الفتَاةِ، وهَكَذا وقَعَ هَذَا الفَاسِقُ فِي الحُفرَةِ الَّتي حفَرَهَا للفتَاةِ، واصطَادَهُ نَفسُ الفَخِّ الَّذِي نَصَبَهُ لَهَا، فَلا بُدَّ لِكُلِّ مُجرِمٍ مِن نِهَايَةٍ مَهمَا طَالَ الزَّمَنُ فلا بُدَّ أنْ يَقَعَ وَأنْ يَشرَبَ مِن نَفسِ الكَأسِ الَّتي أشرَبَ مِنهَا النَّاسَ وكَمَا تَدينُ تُدَانُ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿أفَأمِنُوا مكرَ اللهِ فَلا يَأمَنُ مكرَ اللهِ إلا القَومُ الخَاسِرُونَ﴾.

*　　　　*　　　　*

المعلّمةُ والتّلميذةُ

تقولُ إحدَىٰ المُعَلِّماتِ:

تبدَأ القِصَّةُ بدخولِ إحدَىٰ الطالباتِ إلىٰ غُرْفَتي وهيَ تَسْتَنِدُ إلىٰ إحدَىٰ مُعَلِّماتِ المدرَسَةِ وَهي مُنْهارَةٌ وفي حَالٍ يُرثَىٰ لَها .. حَاوَلْتُ مَع المُعَلِّمَةِ تَهْدِئَةَ الطَّالِبَةِ.. لكن دُونَ جَدْوىٰ..

فطَلَبتُ منها الجلوسَ.. وناولتُها مُصْحَفاً فَتَحْتُهُ علىٰ سُورةِ ﴿يس﴾ وطَلَبْتُ منهَا أنْ تذكرَ اللهَ سبْحَانَهُ وتَعَالىٰ حتَّىٰ تَهْدأ..

تَنَاوَلَت الطَّالِبَةُ المُصْحَفَ.. بِهُدُوءٍ وأخذَت تَتْلُو آياتِ اللهِ تَعالىٰ.. بَيْنَما لجأت إلىٰ عَمَلِي.. وأنَا عَلىٰ اعتِقَادٍ بِأنَّ المُشكِلَةَ لَن تَخْرُجَ عَن حَالَةِ اكتِئَابٍ وَضَغْطٍ نَفْسِيٍّ أو حَالَةِ وَفَاةِ قَرِيبٍ عزيزٍ علىٰ قلبِهَا.. أوْ مَا شَابَهَ ذلكَ مِن الحَالاتِ اليَومِيَّةِ الَّتي تَطْرَأ عَلىٰ العَمَلِ..

ولَمْ يَخطُر في بَالي أبداً أنَّ هَذِهِ الزَّهْرَةَ الجميلةَ تَحْمِلُ همَّاً يُثقِلُ كَاهِلَ أسْرَةٍ..

هَدَأتِ الطَّالبةُ وتقدَّمت مِنِّي بخُطُواتٍ حَزِينَةٍ.. جَلَسَت أمَامي..

وشَعَرْتُ بأنَّها تَمَالكَت نَفْسَهَا وَتَسْتَعِدّ للحدِيْثِ.. ثمَّ بَدَأت قَائِلَةً:

إنَّ بِدَايَةَ حكَايَتي كانَت مَع بَدْءِ إجازَةِ الصَّيفِ للعَام الدّراسي السَّابِق..

سَافَرَت أمِّي مَع أبِي وجدَّتي للعِلاج خَارجَ الدَّوْلَةِ.. وَتَركَتْني مَع إخْوَتي الصِّغَار بِرِعَايَةِ عَمَّتِي.. وهِي نِصفُ أمِّيَة.. أقْصِدُ بِأنَّهَا تَعَلَّمَت القِرَاءةَ وَالكِتَابةَ ولكنَّها لا تَعي أمورَ الحَياةِ وفَلْسَفَتَها..

كنتُ أشعرُ بِالمَلَلِ وَالكآبَةِ.. فهي المرَّةُ الأولىٰ الَّتي أفارقُ فيها أمّي.. بَدأتُ أتسَلَّىٰ علىٰ (الإنترنت) وأتجوّلُ في عِدّةِ مَواقع.. وأطِيلُ الحوارَ في غُرَفِ الدَّرْدَشَةِ (الشّات) ولأنّني تربَّيتُ تربيةً فاضلةً فلَم أخْشَ علىٰ نفْسِي..

حتّىٰ تعَرَّفْتُ يوماً علىٰ شابٍّ مِن نفْسِ بَلَدِي يَسكُن بِإمَارَةٍ أخرَىٰ..

بَدأتُ أطِيلُ الحديثَ معَهُ بِحُجَّةِ التّسليةِ.. وَالقَضاءِ علىٰ ساعَاتِ الفَرَاغِ..

ثمَّ تَحوَّلَ إلىٰ لِقَاءٍ يَومِيٍّ.. وَطَلَبَ منّي أنْ يُحدِّثنِي علىٰ المَاسِنْجر فَوافقْتُ وكَانَ يَدُور بَيْنَنَا حِوارٌ يَومِيٌّ ولِساعَاتٍ طَوِيلَةٍ حتّىٰ الفَجْر..

خِلال حَدِيثِي مَعَهُ تعَرَّفْتُ علىٰ حيَاتِهِ، وتَعَرَّفَ هُو علىٰ حيَاتِي..

عَرَفْتُ مِنْهُ بأنّه شابٌّ لَعُوبٌ يُحِبُّ السَّفرَ وقَد جرَّبَ أنواعَ الحرَامِ كُلَّها..

كنَّا نَتَنَاقَشُ في عِدَّةِ أمورٍ مفيدةٍ في الحيَاةِ.. وبلَبَاقَتِي استَطَعْتُ أنْ أغيِّرَ مَجْرَىٰ حياتِهِ.. فَبَدأَ بالصَّلاةِ وَالالتِزام.. ؟؟!!.

وَبَعْدَ فَتْرَةٍ وجيزَةٍ صارحَنِي بِحبِّهِ لي.. وَخَاصَّةً بأنَّهُ قَد تغَيَّر.. وتَحسَّنَ سُلُوكُهُ وبقَنَاعَةٍ تامَّةٍ مِنهُ.. وأنَّ حيَاتَهُ السَّابِقَةَ كانَت طيشاً وانْتَهَت..

تردَّدت في البِدَايَةِ.. ولكِنَّني وَبَعْدَ تفكِيرٍ لأيامٍ اكتَشَفْتُ بأنّني مُتعَلِّقَة بِهِ..

وشعرتُ أيضاً أنَّ أسْعَدَ أوقَاتي هي عِنْدَما يَقْتَرِبُ مَوعِدُ اللِّقاء علىٰ المَاسِنْجر..

وقويتِ العلاقَةُ بيننا فَطَلَبَ مِنّي اللِّقاءَ.. وَافَقْتُ علىٰ أنْ يكونَ مكاناً عامّاً.. ولدَقَائِقَ مَعْدُودَة فَقَط لِيرَىٰ صُورَتِي..

وفي يومِ اللِّقاء استَطَعْتُ أنْ أفْلِتَ مِن عَمَّتِي بِحُجَّةِ أنّنِي أزُورُ صَدِيقَةً لي دعتني لزِيارتِهَا.. حتّىٰ حانَ موعِدُ اللِّقَاءِ..

وبَدأ قَلْبِي يَرْتَجِفُ.. يَدُقُّ دقَّاتٍ غير اعْتِيَادِيَّةٍ حتّىٰ رَأيتُهُ وَجهاً لِوَجْهِ..

لم أكُن أتصوَّر أن يكونَ بِهَذِهِ الصُّورَةِ.. إنَّه كمَا يُقَالُ في قَصَصِ الخيَالِ فَارس الأَحْلام.. وتَحَاوَرنَا لِدَقَائق.. وقَد أبْدَىٰ إعجَابَهُ الشَّديدَ بِصُورتِي.. وقَالَ لي: إنَّنِي أجمَل مِمَّا تخيَّلَ..

ثمَّ بعدَها تَركْتُهُ وَعُدْتُ إلىٰ مَنْزلِي تغمُرُني السَّعَادَةُ.. أكَادُ أطيرُ مِنَ الفَرَح..

لا تَسعُني الدُّنيَا بِمَا فِيهَا.. لِدَرجَةِ أنَّ مُعَامَلَتِي لأخوَتِي قد تَغيَّرَت.. فكُنْتُ شُعْلَةً مِنَ الحنَانِ لِجَمِيع أفْرَادِ الأسْرَةِ.. هَذَا مَا عَلَّمنِي الحبُّ حقيقَةً..

وَبَدَأنَا بِأسلُوبٍ آخرَ في الحِوَار.. وكانَ من ثمراتِ هذا كلِّهِ أنْ وَعَدَنِي بِأنَّهُ سَيَتَقَدَّمُ لِخطبَتِي فَوْرَ رُجُوع أسْرَتِي مِنَ السَّفَر.. ولكِنَّنِي رَفَضْتُ وَطَلَبْتُ مِنْهُ أنْ يَتمَهَّلَ حتَّىٰ أنْتَهِي مِنَ الدِّرَاسَةِ..

وتكَرَّرَ اللِّقَاءُ بَيْنَنَا خِلالَ الإجازَةِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ.. وكُنْتُ في كلِّ مَرَّةٍ أعودُ مُحَمَّلَةً بِسَعَادَةٍ تَسعُ الدُّنيا بِمَن فيهَا..

في هَذِهِ الفَتْرَةِ كانَت أسرَتي قَد عَادَت من رحلَةِ المَرَضِ.. والاكتئابُ يَسُودُ علىٰ جوِّ أسْرَتِي.. لِفَشَل العِلاج..

ومَع بِدَايَةِ السَّنَةِ الدِّرَاسِيَّةِ طَلَب مِنِّي لقَاءً فَرَفَضْتُ لأنَّني لا أجْرُؤ علىٰ هذا الفِعْل بوجُود أمِّي.. ولكِن تَحْتَ إصْرَارِهِ بِأنَّه يَحْمِلُ مفاجأةً سعيدَةً لي وَافَقْتُ..

وفي الموعدِ المُحَدَّدِ تَقَابَلْنَا وإذا بِهِ يُفَاجِئُني بخاتم الخطوبَةِ.. فَسعِدْتُ كثيراً وقَد أصرَّ أنْ يَزُورَ أهْلِي.. وكُنْتُ أنا الَّتي أرْفُضُ بِحُجَّةِ الدِّرَاسَةِ!!.

في نَفْسِ اليوم وفي لحظَاتِ الضَّعْفِ.. استَسْلَمْنَا للشَّيطان.. لَحظاتٌ كئيبةٌ.. لا أعرفُ كيفَ أذكرُهَا ولا أرْغَبُ في أنْ أتَذَكَّرهَا.. وَجَدْتُ نَفْسِي بِحُلَّةٍ ثَانِيَةٍ.. لَسْتُ أنا الَّتي تَربَّت علىٰ الفَضَائِلِ والأَخْلاقِ..

لَقَد فَقَدْتُ عذريَّتي، وَفَقَدْتُ مَعَهَا حَيَائِي وَحَيَاتِي وكرامتي وكلَّ شيءٍ..

بعدَ ذَلِكَ أخَذَ يُواسيني ويُصِرّ عَلىٰ أنْ يَتَقَدَّم للخُطُوبَةِ وبِأسْرَع وَقْتٍ مُمكنٍ..

بعدهَا انتهىٰ هذا اللِّقَاءُ مَعَهُ بوعدٍ منِّي أنْ أفكِّرَ في الموضُوع، ثُمَّ أحدِّد مَوْعِدَ لِقَائِهِ بِأسْرَتي.. ورَجَعْتُ إلىٰ مَنْزلي مكْسُورَةً.. حزينَةً.. عشت أياماً لا أطِيقُ فيها رُؤْيَةَ أحدٍ من أهلي.. وَتَأثَّرَ مُسْتَواي الدِّرَاسِي كثيراً.. وَقَد كَانَ يكَلِّمُني كلَّ يَوم لِيَطْمَئِنَّ عَلىٰ صِحَّتي..

بَعْدَ حَوَالي أسبُوعَين تَأكَّدتُ بِأنَّ الله لَن يَفْضَح فعْلَتِي.. وَالحَمْدُ للهِ فَبَدَأتُ أسْتَعِيْدَ صِحَّتِي.. وَأهْدَأ تَدْرِيجِياً.. وَاتَّفَقْتُ مَعَهُ علىٰ أن يَزُورَ أهْلِي مَع نِهَايَةِ الشَّهْرِ لِيَطْلُبَنِي للزَّوَاج..

بَعْدَ فَتْرَةٍ وجيزةٍ.. تَغَيَّبَ عَنِّي وَلِمُدَّةِ أسبوعٍ.. وَقَد كَانَت فَتْرَةً طويلَةً بِالنِّسْبَةِ لِعَلاقَتِنَا أنْ يَغِيبَ وَبِدُون عُذْرٍ.. حَاوَلْتُ أنْ أحَدِّثَهُ فَلَم أجِدْهُ..

وَبَعْدَ طُول انْتِظارٍ.. وَجَدْتُ في بَرِيدِي رِسَالَةً منهُ.. مُخْتَصَرَةً وَغَرِيبَةً.. لَم أفْهَم مُحْتَوَاهَا.. فَطَلَبْتُهُ بِوَاسِطَةِ الهَاتِفِ لأسْتَوْضِحَ الأمْرَ..

وفعلاً التَقَيْتُ بِهِ بَعْدَ سَاعَةٍ مِنَ الاتِّصَال.. ولمَّا رأيتُهُ وَجَدْتُ الحزْنَ العَمِيقَ في عَيْنَيْهِ.. حَاوَلْتُ أنْ أفْهَمَ السَّبَبَ.. لكن دونَ جَدْوىٰ وفَجْأةً انهَارَ بِالبكَاءِ.. ولم أكن أتصَوَّرُ أنْ أجِدَ رجلاً بهذَا المَنْظَرِ الفظيع الحزين!!.

فَقَد كَانَت أطرَافُهُ تَرْتَعِشُ مِن شدَّةِ البكاءِ.. فَاعْتَقَدتُ أنَّ سوءاً حَلَّ بِأحَدِ أفْرَادِ أسْرَتِهِ.. حَاوَلْتُ أن أعرفَ سَبَب حُزنِهِ.. لكنَّهُ لم يُجبْ وَطَلَبَ منِّي العَوْدَةَ إلىٰ منزلي فوراً..

استغرَبْتُ وَقُلْتُ لَهُ: إنَّ الموعِدَ لَم يَأتِ بَعْدُ..

ثمَّ بعدها طَلَبَ مِنِّي أنْ أنْسَاهُ.. لَم أفْهَم ماذا يعني أن أنساهُ.. فَبكَيْتُ وَاتَّهَمْتهُ بِأنَّهُ يريدُ الخَلاصَ منِّي.. ولكِن فُوجِئْتُ بِأقْوالِهِ !!.

لَن أنْسَىٰ مهمَا حَييت وَجْهَهُ الحزينَ وهُوَ يَقُولُ بِأنَّهُ اكتَشَفَ مَرَضَهُ بَعْدَ فواتِ الأوَانُ!!.

أي مَرَضٍ تَقْصِد؟؟ وأي أوانٍ؟؟ ومَا مَعْنَىٰ هَذِهِ الكَلمَاتِ التي تقولُها لي؟؟.

لَقَد كَانَ صاحبي مُصَاباً بِمَرَض الإيدْز .. وَقَد عَلِم بِذَلكَ مُؤَخَّراً وبالمُصَادَفَةِ..

هذهِ حكايتي باختصارٍ شديدٍ.. ومَا زلتُ في حَيْرَةٍ وَحُزنٍ.. وَأمَام مَصِيْرٍ مَجْهُولٍ فلَقَد انْتَقَلَ إليَّ هذا المَرَضُ.. وأنا الآن لا أدري ماذا أفعل..

هَل أسْتَطيعُ أنْ أوَاجِهَ أهلي بِهَذِهِ المُصِيبَةِ؟ أم ماذا أفْعَل.. انتهىٰ كلامُها.

بعدَ أنْ قرَأت هذه القِصَّةَ المُحْزِنَة المُبْكِيَة.. حُقَّ لنَا أنْ نَتَسَاءلَ مَن المَسْؤُول عَن هَذِهِ الضَّحِيَّة؟ لَقَد نَشَأت في أسْرَةٍ مُسْتَقِرَّة..

ولكِن يَبْقَىٰ أنْ نَقُولَ لكلِّ فتَاةٍ..احْذَري وَصُوني نَفْسَكِ.. وَلا تُصَغِّري الكَبَائِرَ فَكُلُّ خطيئةٍ تَبْدَأ صَغِيْرَةً وَلكِنَّها مَع مرِّ الأيَّام ستَكْبُرُ..

احْسبي يَوْماً تكُونينَ فيهِ أنتِ الضَّحيَّة مِثْلها تَنْتَظِرينَ المَصِيْرَ المَجْهُولَ إن سرتِ في طريقِها.. وتَهَاوَنْتِ في الحِشْمَةِ وتَجَاوَزتِ أوَامِر اللهِ تَعَالىٰ!!.

* * *

الأملُ المفقودُ

أمُّ محمَّدٍ امرأةٌ ناضجةٌ تجاوزَتِ الأربعينَ تحكِي حكايتَهَا:

عشْتُ معَ زوجي حياةً مستُورةً وإنْ لَم يكنْ هنـاكَ ذاكَ التَّقـاربُ والانسجَامُ، لم يَكنْ زوجِي تلكَ الشَّخصيَّةَ القويَّةَ الَّتي تُرضي غُروري كامرأةٍ، إلا أنَّ طيبَتَهُ جعلتْنِي أتغاضَىٰ عَن كوني أتحمَّلُ الشِّقَّ الأكبرَ منْ مسؤوليَّةِ القَرارَاتِ الَّتي تخُصُّ عـائلَتِي. كانَ زوجِي كثيَراً ما يردِّدُ اسمَ صاحبِهِ وشريكِهِ فِي العملِ عَلَىٰ مسـمَعِي، وكثـيراً مـا اجتمعَ بِهِ فِي مكتَبِهِ الخـاصِّ بـالعمَلِ الَّـذي هـوَ بـالأصْلِ جُـزْءٌ مـن شـقَّتِنا، وذلـكَ لسَنواتٍ عدَّةٍ.

إلىٰ أن شاءتِ الظُّـروفُ وزارَنَـا هـذَا الشَّـخصُ هُـوَ وعائلتُـهُ. وبـدأتِ الزِّيـاراتُ العائليَّةُ تتكرَّرُ وبحكْمِ صداقتِهِ الشديدَةِ لزوجِي لم نلاحِظْ كَـم ازدادَ عـدَدُ الزِّيـاراتِ ولا عددُ ساعاتِ الزِّيارَةِ الواحِدَةِ. حتَّىٰ إنَّهُ كثيراً ما كانَ يأتِي منفـرداً ليجلِـسَ مَعَنـا أنَا وزوجِي السَّاعاتِ الطِّوالِ. كانَتْ ثقَةُ زوجِي بِهِ بلا حُدودٍ، ومَعَ الأيَّامِ عرفْتُ هـذا الشَّخصَ عَن كَثَبٍ، فَكم هُوَ رائِعٌ ومحترَمٌ وأخذْتُ أشعُرُ بمَيلٍ شَـديدٍ نحـوَهُ.. وفِـي نفسِ الوقتِ شعرْتُ أنَّهُ يبادِلُني الشُّعورَ ذاتَهُ.

وأخذَتِ الأمُـورُ تسـيرُ بعدَهَـا بِطريقَـةٍ عَجيبَـةٍ، حيـثُ إنِّـي اكتَشَـفْتُ أنَّ ذلـكَ الشَّخصَ هوَ الَّذي أريدُ وهُوَ الذي حَلُمْتُ بهِ يَوماً مَـا.. لمَـاذا يـأتِي الآنَ وبعـدَ كُـلِّ هذِهِ السِّنينَ؟.

كَانَ في كُلِّ مرَّةٍ يرتفعُ هَذَا الشَّخصُ فِي عينَيَّ درجَة، ويـنزِلُ زوجِـي مـنَ العـينِ

الأخرىٰ درجَــاتٍ. وكــأنّي كنْـتُ محتَاجـةً أنْ أرَىٰ جمـالَ شـخصيَّتِهِ لأكتَشِـفَ قبـحَ شخصيَّةِ زَوجِي.

لم يتَّعدَّ الأمرُ بينِـي وبـينَ ذَلـكَ الشَّخصِ المُحـترمِ عَـن هـذِهِ الهَواجِسِ الـتي شغلتْني في اللَّيلِ والنَّهارِ. فَلا أنَا وَلا هُوَ صَرَّحَ بِمَا في قَلبِهِ تِجاهَ الآخَـرِ، ومَـعَ ذلـكَ فإنَّ حياتِي انتَهتْ فزَوجِي لَم يعُدْ يمثِّلُ لِي سِوىٰ ذلــكَ الإنسَـانَ الضَّعيـفَ المَـهزوزَ السَّلبِيَّ فكَرهتُهُ، وَلا أدرِي كَيفَ طفحَ كُلُّ ذلِكَ البُغضُ لَهُ، وتَساءلْتُ كيـفَ تحمَّلتُهُ كُلَّ هَذِهِ السِّنينَ ثِقلاً عَلَىٰ ظَهري،فأنا وَحدِي فقَط أجَابهُ معتَرَكَـاتِ الحيـاةِ، سـاءتِ الأمُورُ لِدرجَةِ أنِّي طلبْتُ الطَّلاقَ، نَعَـم طلَّقَـني بنـاءً عَلَـىٰ رغبَتِـي، وأصبَـحَ بعدَهَـا حُطامَ رجُلٍ.

والأمْرُ منْ هَذَا كلِّهِ أنَّهُ بعدَ خرابِ بيتِي وَتحطُّمِ أولادِي وزَوجِي بِطلاقِي، ساءتْ أوضَاعُ ذَلِكَ الرَّجلِ العائِليَّةِ لأنَّهُ بفِطرَةِ الأنثَىٰ التَقطَتْ زوجتُـهُ مَـا يـدُورُ فِـي خَفَايـا قلبِهِ، وحوَّلَتْ حياتَهُ إلَىٰ جحيمٍ. فلَقَد استَبدَّتْ بِهَا الغـيرةُ لدرجَـةِ أنَّـها فِـي إحـدَىٰ اللَّيالِي تركَتْ بيتَهَا فِي الثَّانيةِ صَباحاً بعدَ منتصَفِ اللَّيلِ لتَتَهجَّمَ عَلَىٰ بيتِي، تصرُخُ وتبكِي وتَكِيلُ لِيَ الاتِّهامَاتِ.. لَقَد كانَ بيتَهُ أيضاً فِي طريقِهِ للانهيارِ.

أعتَرِفُ أنَّ الجَلَساتِ الجميلَةِ الَّتي كنَّا نعيشُهَا مَعاً أتاحَتْ لنَـا الفُرصَـةَ لنعـرِفَ بعضَنَا في وَقْتٍ غيرِ مناسِبٍ مِن هَذَا العمرِ.

عائلتُهُ تهدَّمَتْ وكذَلِكَ عائِلَتِي، خسرْتُ كُـلَّ شـيءٍ وأنَـا أعلَـمُ الآنَ أنَّ ظروفِـي وظروفَهُ لا تسمَحُ باتِّخاذِ أيِّ خطوَةٍ إيجابِيَّةٍ للارتباطِ ببعضِنَـا، أنَـا الآن تعيسَـةٌ أكـثَرَ من أيِّ وقتٍ مَضَىٰ وأبحَثُ عن سعادَةٍ وهمِيَّةٍ وأمَلٍ مفقُودٍ.

واحِدَةٌ بِواحِدَةٍ

أمُّ أحمدَ تحدِّثُنا فتقُولُ:

كانَ لزَوجِي مجموعةٌ منَ الأصدِقَاءِ المتزوِّجين، تعوَّدْنــا بِحكْـمِ علاقَتِنَـا القويَّـةِ بِهِم أنْ نجتَمِعَ معَهُم أسبُوعِياً في أحَدِ بيوتِنَا، للسَّهرِ والمَرَحِ.

كنْتُ بينِي وبينَ نفسِي غيرَ مرتَاحَةٍ منْ ذلِكَ الجوِّ، حيثُ كانَ يُصـاحِبُ العَشـاءَ والحلويات والمُكسَّراتِ والعصَائِرِ موجَاتٌ صاخِبَـةٌ مـنَ الضَّحِـكِ، بسبَبِ النُّكـتِ والطَّرائِفِ الَّتي تجاوَزَت حدُودَ الأدَبِ في كَثيرٍ مِنَ الأحيَانِ.

بإسْمِ الصَّداقةِ رُفِعَتِ الكلفَةُ لتسمَعَ بينَ آونَةٍ وأخرَىٰ قهقَهاتٍ مكتُومَةٍ سِرِّيَّةٍ بـينَ فلانَةٍ وزَوجِ فلانَةٍ، كَانَ المزاحُ الثَّقيلُ يتطَرَّقُ ـ ودونَ أيِّ خجَـلٍ ـ لمَواضِيـعَ حسَّاسَـةٍ كالجِنسِ وأشياءَ خاصَّةٍ بالنِّساءِ وكانَ هَذَا الأمرُ شيئاً عادِيَّـاً بـل مُستَسـاغاً وَجذَّابـاً.

بالرَّغمِ منِ انخِراطِي معَهُم في مِثلِ هذِهِ الأمُورِ إلا أنَّ ضَميري كانَ يُؤنِّبُـني، إلَـىٰ أنْ جاءَ ذَلكَ اليَومُ الَّذي أفصَحَ عَن قُبحِ وَحقارَةِ تلكَ الأجواءِ.

رنَّ الهَاتِفُ، وإذَا بِي أسمَعُ صوتَ أحَدِ أصدِقاءِ الشِّلَّةِ، رحبْتُ بِـهِ واعتـذَرْتُ لأنَّ زوجِي غيرَ موجُودٍ، إلا أنَّهُ أجَابَ بأنَّهُ يعلَمُ ذلِكَ وأنَّهُ لَم يتَّصِلْ إلاَّ مِنْ أجلِي أنَا!.

ثارَتْ ثائِرَتي بَعْـدَ أنْ عَـرضَ علـيَّ أنْ يقيـمَ علاقَـةً مَعِـي، فـأغلَظْتُ عَلَيْـهِ بـالقَولِ وقبَّحتُهُ، فَمَا كانَ منْهُ إلا أن ضَحِكَ قائلاً: بدلاً منْ هَذِهِ الشَّهامَةِ مَعِي، كونِي شـهمَةً مَـعَ زوجِكِ ورَاقِبِي مَاذَا يَفعَلُ.. حطَّمَني هَذَا الكَلامُ، لكنَّني تماسَـكْتُ وقُلـتُ في نَفسِـي إنَّ هَذَا الشَّخصَ يريدُ تدميرَ بَيتِي.. لكِنَّهُ نجحَ في زرْعِ الشُّكوكِ فيَّ تِجاهَ زَوجي.

وخِلالَ مُدَّةٍ قصيرةٍ كانَتِ الطَّامَّةُ الكُبرَىٰ، اكتَشَفْتُ أنَّ زوجِي يخونُني مَـعَ امـرأةٍ أخرَىٰ. كانَتْ قضيَّةَ حياةٍ أو مَوتٍ بالنِّسبَةِ لِي، كاشَفْتُ زوجِي وواجَهتُهُ قائِلَةً:

ليسَ وحدَكَ الَّذي تستطِيعُ إقامَةَ علاقَـاتٍ، فأنَـا عُـرِضَ عَلَـيَّ مشـرُوعٌ مُمـاثِلٌ، وقَصَصْتُ عَلَيهِ قِصَّةَ صَاحِبِهِ، فذُهِلَ لِدَرجَةِ الصَّدمَةِ.

وقُلتُ لهُ: إنْ كنتَ تريدُني أنْ أتقبَّلَ علاقَتَكَ مَعَ تِلكَ المَرأةِ، فَهَذِهِ بِتلكَ.

لقَدْ كَانَ كلامِي صفعَةً لَهُ زلزَلَ كيانَهُ وقتَها، هُوَ يعلَـمُ أنّـي لم أكُـنْ أعنِـي ذَلِـكَ فِعلاً لكنَّهُ شعرَ بالمُصيبَةِ الَّتي حلَّتْ بحَياتِنَا وبالجوِّ الفاسِدِ الَّذي نَعيشُ فيهِ. عانَيْتُ كَثيراً حتَّىٰ ترَكَ زوجِي تِلكَ السَّاقِطَةِ الَّتي كانَ مُتعلِّقاً بِهَا كَما اعترَفَ لي.

نَعَم لقَد ترَكَها وعادَ إلىٰ بيتِهِ وأولادِهِ ولكنْ مَن يُرجِعُ لي زَوجِي في نفسِـي كَمَـا كَانَ؟ مَن يُعيدُ هَيبتَهُ واحترامَهُ وتَقديرَهُ في أعمَاقِي؟ وَبَقِـيَ هـذَا الجـرحُ الكبِـيرُ في قلبِي الَّذي ينِزُّ نَدَماً وحُرقَةً مِن تلكَ الأجواءِ النَّتنَةِ، بقِـيَ شـاهِداً عَلَـىٰ مـا يُسـمُّونَهُ السَّهراتِ البَرِيئَةِ وَهِيَ في مضمونِهَا غَيرُ بريئَةٍ، بقيَ يطلُبُ الرَّحمةَ منْ ربِّ العِزَّةِ.

* * *

فرخُ البطِّ عوَّامٌ

فتَاةٌ في التَّاسِعَةِ عشْرَةَ مِن عمرِها تَروِي لَنَا: كُنتُ وقتَها طفلَةً صَغيرَةً، أراقِبُ بعينَيَّ البريئتَينِ تلكَ السَّهراتِ التي كانَتْ تجمَعُ أصدقاءَ العَائِلَةِ فِي البيتِ. الَّذي أذْكُرُهُ أنّي مَا كنْتُ أرىٰ سِوىٰ رَجُلاً واحِداً هُوَ أبِي، لقَدْ كنْتُ أراقِبُهُ بكُلِّ حَركاتِهِ وتنَقُّلاتِهِ ونَظرَاتِهِ التي كانَتْ تلتَهِمُ النِّساءَ المَوجُوداتِ التِهَاماً، سِيقَانَهُنَّ، صدُورَهُنَّ، يتغَزَّلُ بعيونِ هَذِهِ، وشعرِ تلكَ، وَخصْرِ تِلْكَ..

أمِّي المسكينَةُ كانَتْ مُجبرَةً عَلَىٰ إقامَةِ هذِهِ الدَّعواتِ فهِيَ سيِّدَةٌ بسيطَةٌ للغَايَةِ. وكَانَتْ مِن بَينِ الحاضِراتِ سيِّدَةٌ تتعَمَّدُ لفْتَ انتِباهِ أبِي، بقُربِهَا منْهُ حيناً، وَحركَاتِهَا المَائِعَةِ حِيناً آخرَ، أمَّا أنَا فكُنْتُ أراقِبُ ذلِكَ باهتِمامٍ وأمِّي مشغُولَةٌ فِي المَطبَخِ من أجلِ ضُيُوفِهَا.

انقَطَعَتْ هذِهِ التَّجمُّعاتُ فجأةً، حاولْتُ بسِنِّي الصَّغيرَةِ فهْمَ مَا حدَثَ وتحليلَ مَا جرَىٰ لكِنِّني لَم أفلحْ.

الَّذي أتذَكَّرُهُ أنَّ أمِّي فِي ذلِكَ الوقْتِ انهارَتْ تمَاماً وَلَم تعُد تُطيقُ سَماعَ ذِكْرِ أبِي في البَيتِ. كنتُ أسمَعُ كلاماً غَامِضاً يهمِسُ بِهِ الكبارُ مِن حَولي مِثل: (خيانَة، غُرفَةُ نَومٍ، رأتْهُم بعينِهَا، السَّافِلَة، في وضعِيَّةٍ مُخزيَةٍ..) إلَىٰ آخرِ هذِهِ الكَلماتِ المفتَاحِيَّةِ الَّتي يفهَمُها الكِبارُ وحدَهُم.

وكَبرْتُ وفهمْتُ وحقدْتُ عَلَىٰ كُلِّ الرِّجالِ، كلُّهم خائنونَ، أمِّي إنسانَةٌ مُحطَّمَةٌ، تتَّهِمُ كُلَّ مَن تأتِينا أنَّها خَاطِفَةُ رِجالٍ، وأنَّها ستُوقِعُ بأبِي، وأبِي هُوَ هُوَ، مَا زالَ

يمارسُ هوايَتَهُ المُفضَّلَةَ وَهِيَ مطاردَةُ النّساءِ ولكِن خارجَ المنزِل.

إنَّ عمرِي الآن تسعَةَ عشَرَ عاماً إلا أنّي أعرفُ الكثيرَ مِنَ الشُّبّانِ، أشعُرُ بلذَّةٍ عارِمَةٍ وأنَا أنتَقِمُ منهُمْ فهُمْ صورَةٌ طبقُ الأصْلِ مِن أبِي، أغرّرُ بِهِم وأغريهِم دونَ أن يمسُّوا شَعرةً منّي، يلاحِقُونَني في المُجَمَّعاتِ والأسْواقِ بسَببِ حَركاتِي وإيماءاتِي المَقصودَةِ، هاتِفِي لا يصمُتُ أبَداً في بعضِ الأحيَانِ أشعُرُ بالفخْرِ لِمَا أفعلُهُ انتِقَاماً لِجنسِ حوَّاءَ وأمّي، وفِي أوقاتٍ كَثيرَةٍ أشعُرُ بالتّعاسَةِ والخَيبَةِ لِدرجَةِ الاختِنَاقِ، فَحَياتِي تُظلِّلُها غيمَةٌ سَوداءُ كبيرَةٌ اسمُهَا أبِي.

*　　*　　*

قبلَ أنْ يَقعَ الفَأسُ بالرَّأسِ

فتاةٌ تَحكِي تجربتَهَا فتقول:

لمْ أكنْ أتصوَّرُ في يومٍ منَ الأيَّامِ أنْ تضطرَّني ظروفُ عَملي إلىٰ الاحتِكاكِ بالجنسِ الآخرِ (الرِّجالِ) ولكِنْ هـذَا مَا حدثَ فِعلاً، وَقد كُنتُ في بِدايةِ الأمْرِ أحتَجِبُ عَنِ الرِّجالِ باستِخدامِ النِّقابِ، ولَكِن أشارَت عَلَيَّ بعضُ الأخواتِ بأنَّ هذَا اللِّباسَ يجذِبُ الانتِباهَ إلىٰ وجُودي أكثَر، فمِنَ الأفضَلِ أن أتركَ النِّقابَ وخُصُوصاً أنَّ عَينيَّ مُميَّزتانِ قلِيلاً. وبالفعْلِ قمْتُ بنزْعِ الغِطاءِ عَن وجهِي ظنّاً أنَّ ذلِكَ أفضَلُ..

ولكِنْ معَ إدمانِ الاختِلاطِ معَ الزُّملاءِ وجدْتُ أنَّني شاذَّةٌ مِن بينِ الجميعِ مِن حيثُ جُمودِي والتِزامي بعدَمِ المُشاركَةِ في الحَديثِ وتبادُلِ الظَّرافَةِ، وَقد كانَ الجَميعُ يحذَرُ هذِهِ المَرأةَ المُتوحِّشَةَ ـ في نظَرِهِم طَبعاً ـ وهَذا ما بيَّنَهُ أحدُ الأشخاصِ الذي أكّدَ علَىٰ أنّهُ لا يرغَبُ في التَّعامُلِ معَ شخصيَّةٍ مُتعالِيَةٍ ومغرُورَةٍ، عِلماً بأنَّني عكسَ هَذَا الكَلامِ في الحَقيقَةِ ، فقرَّرتُ أن لا أظلِمَ نفسِي ولا أضعَها في إطارٍ مكروهٍ معَ الزُّملاءِ فأصبَحْتُ أشارِكُهُم الحَديثَ، واكتشَفَ الجميعُ بأنَّني أمتلِكُ قدرةً كلاميَّةً عاليةً وقادِرةً علَىٰ الإقناعِ والتَّأثيرِ، كما أنَّني أتكلَّمُ بطريقَةٍ حازمَةٍ ولكن جذَّابَةٍ في نفسِ الوقتِ لبعضِ الزُّملاءِ، ولَم يلبثِ الوقتُ يسِيراً حتَّىٰ وجدْتُ بعضَ التأثُّرِ عَلَىٰ وجهِ الشَّخصِ المسؤولِ المباشرِ، وبعضَ الارتباكِ والاصفِرارِ والتمتُّعِ بطريقَةِ حديثِي وحركاتي، وقَد كانَ يتعمَّدُ إثارَةَ المَوضوعاتِ لأدخُلَ في مناقشَتِها لأرىٰ في عينَيْهِ نظَراتٍ بغيضَةٍ صفراءَ، ولا أنكِرُ أنَّني قد دخَلَ نفسِي بعضُ التَّفكيرِ بِهذا الرجلِ، وإنْ كانَ يعلو تفكِيري الدَّهشةُ والاستِغرابُ مِنْ

سهولَةِ وقوعِ الرَّجُلِ في حبائِلِ المرأةِ الملتَزِمةِ، فَما بالهُ إذا كانَتِ المرأةُ متبرجةً وتدعُوهُ للفجورِ؟.

حقًّا لم أكن أفكِّرُ فيهِ بطريقةٍ غيرِ مشروعَةٍ، ولكنَّهُ أولاً وآخيراً قدْ شغلَ مساحةً من تفكيرِي ولوقْتٍ غيرِ قصيرٍ، ولَكِن ما لبثَ اعتزازِي بنَفسي ورفضِي أن أكونَ مُتعةً لهذا الرَّجُلِ الغَريبِ، حتَّىٰ لمجرَّدِ الاستمتاعِ المعنويِّ، فقَدْ قمْتُ بقطعِ الطَّريقِ علىٰ أيِّ عملٍ يضطرُّني للجلوسِ معَهُ في خَلوةٍ، وفي نِهايةِ المطافِ خرجْتُ بحصيلَةٍ منَ الفَوائدِ وهِيَ:

١- أنَّ الانجذابَ بينَ الجنسَينِ واردٌ في أي وضْعٍ من أوضَاعِ الاختلاطِ ومهمَا حاولَ الرجلُ والمرأةُ إنكارَ ذلكَ، والانجذابُ قد يبدأ مشروعاً وينتَهِي بشَيء غيرِ مشرُوعٍ.

٢- حتَّىٰ وإنْ حصَّنَ الإنسانُ نفسَهُ، فإنَّهُ لا يأمَنُ حبائِلَ الشيطانِ.

٣- إذا ضَمنَ الإنسانُ نفسَهُ وتعاملَ معَ الجنسِ الآخرِ بالحُدودِ المرسُومةِ والمعقُولةِ فإنَّه لا يضمنُ مشاعرَ وأحاسيسَ الطَّرفِ الآخرِ.

٤- وَآخيراً ، إنَّ الاختلاطَ لا خيرَ فيهِ أبَداً وهوَ لا يأتِي بالثَّمراتِ التي يزعمُونها بل إنَّهُ يُعطِّلُ التَّفكيرَ السَّليمَ.

❁ التَّعْلِيق عَلىٰ قصَصِ الاختِلاطِ: نقولُ لكلِّ مَن قَرأ مَاذا بَعْدُ؟.

نتسَاءلُ مَاذا بعدَ طرْحِ كلِّ هذِهِ الأمورِ المتعلِّقَةِ بقضيَّةِ الاختِلاطِ؟.

آنَ لنَا أن نعترِفَ أنَّه مهمَا جمَّلنا الاختِلاطَ واستهنَّا بهِ فإنَّ مساوِئَهُ تلاحِقُنا، وأضرارُهُ تفتكُ بعائلاتِنا وأنَّ الفطرَةَ السَّليمةَ لتأنفُ التَّسليمَ بأنَّ الاختلاطَ هوَ جوٌّ صحِّيٌّ في العلاقاتِ الاجتماعيَّةِ، تلكَ الفطرةُ التي دفعَتْ معظَمَ من شملَهم هَذَا

التَّحقيقُ أنْ يفصِّلُوا العملَ في مجالٍ غيرِ مختلطٍ. وقَالُوا إنَّ الاختلاطَ لايجوزُ شَرعاً. أمَّا الملفتُ للنَّظرِ هوَ تلكَ النِّسبةُ القليلةُ التي أقرَّت بجوازِ الاختِلاطِ. هذِهِ المجموعة منَ الأشخاصِ قالُوا ودونَ استثناءٍ أنَّ الاختِلاطَ يجوزُ ولكن بضوابطِ الدِّينِ، والعرفِ والعاداتِ، والأخلاقِ والضَّميرِ، والحِشمَةِ، والسّترِ .. إلىٰ آخر هذِهِ السِّلسلةِ منَ القيمِ الجميلَةِ والَّتي برأيِهم تحفَظُ للاختلاطِ حدودَهُ .

ونسألُهُم هلِ الاختِلاطُ الذي نراهُ اليومَ في جامعاتِنا وأسواقِنا ومواقعِ العملِ وتجمُّعاتِنا الأسريَّةِ والاجتماعيَّةِ، تنطبقُ عليهِ هذِهِ المزَايا السَّالفةِ الذِّكرِ؟ أم أنَّ هذِهِ الأماكِنَ تعجُّ بالتَّجاوزاتِ في الملبسِ والحديثِ والتَّصرُّفاتِ، فنَرىٰ التَّبرُّجَ والسُّفورَ والفِتنَ والعلاقاتِ المشبوهَةِ، لا أخلاقَ ولا ضميرَ ولا سترَ، وكأنَّ لسانَ الحالِ يقولُ: إنَّ الاختلاطَ بصورتِهِ الحاليَّةِ لا يرضَىٰ عنهُ حتَّىٰ من يؤيِّدونَ الاختِلاطَ في أجواءٍ نظيفَةٍ.

آنَ لنا أن نعترفَ بأنَّ الاختلاطَ هوَ ذاكَ الشيءُ الدَّافئُ، اللزجُ الرطبُ، الذي يمثِّلُ أرضاً خصبةً للفطريَّاتِ الاجتماعيَّةِ السَّامةِ أن تنمُو في زواياهُ وجدرانِهِ وسقفِهِ، تنمُو وتتكاثَر وتتشابَك دونَ أن يشعرَ أحدٌ أنَّ الاختلاطَ هوَ السببُ، ليكونَ الاختلاطُ بحقٍّ هوَ رأسُ الفتنَةِ الصَّامتِ، وفي ظلِّهِ تزلُّ القلوبُ والشَّهواتُ وتُفجَّر الخياناتُ وتُحطَّمُ البيوتُ والأفئدَةُ.

نسألُ اللهَ السَّلامةَ والعافيَةَ وصلاحَ الحالِ وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ.

* * *

هاربةٌ إلى المجهول

بدأتِ الفَتاةُ بالحوارِ وكأنّها وجدَتِ المُتنفَّسَ للبَوحِ عَن مكنُونَاتِ صدرِهَا قائلَـةً: تَزوَّجَ والِدِي مِن أمّي و أنجبَا طِفلَينِ، أنَا وَأخِي.. لَم تستَمِرَّ علاقَتُهما طَويـلاً، انفصَـلا عَن بعضِهما بعدَ مُشاحنَاتٍ ومُشاجَرَاتٍ دامَـتْ سنَواتٍ كنْـتُ وقتـهَا طفلَـةً، لا أعِـي الحيَاةَ، ولَكنْ ظِلُّ تعاستِهما يُراوِدُني.. وَصوتُ مشاجَرَاتِهما مَا زالَ يتردَّدُ علَىٰ أذُنِي.

بعدَ الانفِصالِ مباشَرَةً تزوَّجَ أبي مِن فتَاةٍ أخرَىٰ، وبَعدَ فترَةٍ قصيرَةٍ تزوَّجَت أمِّـي أيضاً وأنجبَتْ أطفَالاً مِن زوجِهَا الثَّـانِي فكـانَ مِـنَ الطَّبيعـيِّ أنْ تعـودَ حضانَتُـا أنَـا وأخِي لِوالِدِي بعدَ زواجِ أمِّي.

دخلْتُ بيتَ وَالِدِي غَريبَةً مَرفوضَةً مِن قِبَلِ زوجَةِ أبي.. ولَم أشعُرْ بكيانِي.. فقَط كنْتُ بينَهُم منذُ أوَّلِ يَـومٍ كالخَادِمَـةِ.. أطبُـخُ وأغسِـلُ، أرعَـىٰ الأطفَـالَ برغـمِ صِغَـرِ سنِّي.. طَعامِي بعيدٌ عنهُم.. وإنْ أخطأتُ في إعدَادِ أيِّ وجبَـةٍ أعـاقَبُ وَبِكُـلِّ قسـوَةٍ فَقَد كانَ والِدِي ينهَالُ عليَّ ضَرباً مُبرِحاً لأتفَهِ الأسبَابِ.. فنشأتُ ربَّةَ بيتٍ ممتَـازَةٍ.. حريصَةٍ علَىٰ تنظِيمِ المَائِدَةِ ومجبَرَةٍ علَىٰ إتقانِ فُنونِ الطَّبخِ..

لم يُحالِفْنِي الحظُّ فِي التَّعلِيمِ.. فَقَط كُنتُ أعمَلُ خادِمَـةً.. والتَّعلِيـمُ سَيُبعِدُنِي عَن مِهنَتِي الأسَاسِيَّةِ كَخادِمَةٍ..

تمسَحُ دموعَهَا وَتُكمِلُ الحِوارَ: لَو كنْتُ في حضَانَـةِ أمِّـي لاستَطَعتُ أن أتغلَّـبَ علَىٰ بعضِ مشكِلاتِي.. ولدَخلْـتُ المَدرسَةَ وتعلَّمْـتُ كبقِيَّـةِ الفَتيَـاتِ.. لَكِـن مَـعَ ظُروفِ زَوجَةِ والِدِي وقسْوَتِها كَانَ التَّعلِيمُ مُحَالاً..

فَهِيَ تَحتَقِرُني وتُعـايِرُني بِلـونِ بَشَـرتي الأسمَـرِ.. بينَمـا هِـيَ وأطفالهَـا كـانَتْ بشَرَتُهُم بيضَاءَ.. والِدِي أيضاً كانَ يعايِرُني بِلون بَشرَتي..

ولكِنَّ الأمرَ لم يَكُنْ يعنِي لِيَ الكَثيرَ فَهُمومِي أكبَرُ مِن ذَلِكَ..

في إحدَىٰ اللَّيالِي راوَدَتْنِي فِكرَةُ الهُروبِ مِنَ المنزِلِ.. بَعدَ أنْ يئسَتْ مُحـاوَلاتِي في أنْ أكونَ جزءاً مِن أسرَةِ أبِي..

فقَدْ تكُونُ حياتِي أفضَلُ مِمَّا هِيَ عليهِ الآنَ.. فَكَّـرتُ في إحـدَىٰ جاراتِنـا وَهِـيَ سيِّدَةٌ مطلَّقَةٌ لَم تتجاوَزِ الثَّامنَةَ عشَرَ ولَهَا مـن طليقِـهَا طِفـلٌ صَغـيِّر.. خطَّطْـتُ وتَـمَّ التنفيذُ..

لجأتُ إلَيها أطلُبُ العَونَ.. ووجَدْتُها تفتَحُ لِي ذراعَيْهَا وتستقبِلُنِي بِكُلِّ حفاوَةٍ..

فأنَا بالنِّسبَةِ لَهَا التَّسلِيَةُ لِوحدَتِها بعدَ طلاقِهَا، وقَـد أسـاعِدُها في تربِيَـةِ الطِّفـلِ وخاصَّةً أنَّها ما زَالَتْ تستَكمِلُ التَّعليمَ المَسائِيَّ..

خَادِمَةٌ أيضاً لَكِن بِرَغبَتِي..

عوَّدَتني جارَتي وَصَديقَتِي علَىٰ أنْ نخرُجَ كُلَّ يومٍ إلىٰ البقَّالةِ المُجاورَةِ.. قبلَ أن تَذهَبَ هِيَ إلىٰ المَدرَسَةِ وكنْتُ أرافِقُها في المشوارِ أحمِلُ لَهَا طفلَهَا الوَحيدَ.

وعندَ البقَّالةِ يجتَمعُ عددٌ مِنَ الشَّبابِ، وهِيَ تستَمتِعُ بالمُرورِ هُنَاكَ..

تُلقِي بعينِها علَىٰ مَن تُحِبُ منهُم، وكانَتْ تشجِّعُني عَلَىٰ أنْ أفعَلَ كَما تفعَلُ..

ولكنِّي كنْتُ أرفُضُ..

وذاتَ يومٍ بَكَىٰ طِفلُ صَديقَتِي.. بينَما كانَتْ أمُّهُ في المدرَسَةِ المسائِيَّة، فأخذتُـهُ للبقالَةِ، وهُنَاكَ اعتَرضَنِي أحَدُ الشَّبابِ، وحاولَ إيقافِي وسُؤالي عَـن بعـضِ الأسئِلَةِ الخاصَّةِ وعَن سَبَبِ حُزنِي وعبوسِ وجهِي..

لْم أردُّ عَلَيهِ وَمضيتُ فِي طَرِيقِي.

حاولَ الشّابُ تكرَارَ الحِوارِ في كلّ مرّةٍ أكونُ فيهَا مَعَ صَديقَتِي.. وهيَ تشجّعُني عَلَىٰ مبادَلتِهِ الحِوارَ، حتّىٰ فاجأنِي ذَاتَ مرّةٍ ببعضِ الكَلماتِ السّريعَةِ، وأنّه يستَلطِفُني بِشِدّةٍ.. ويرغَبُ في التّعرُّفِ عَلَيَّ لِغَرضٍ شَرِيفٍ.

بدأتُ ألتَفِتُ إليهِ وأستَمِعُ لِمَا يريدُ أنْ يقولَ.. لَمَسْتُ فيهِ الحَنانَ الضّائِعَ والعَطفَ المَفقُودَ..

اشتَكَىٰ لي عَن حرمَانِهِ مِن حنَانِ الأبِ وفقدِهِ لِوالِدِهِ وهُوَ ما زالَ طِفلاً رَضيعاً شعرْتُ بأنّنا مُناسِبَين لبعضِنا البَعضَ.. وأنَّهُ يُعانِي نَفسَ مُعانَاتِي..

فبَدأَتْ علاقَتُنا تَكبرُ وابتسامَتِي تتّسعُ وبدأتُ أرَىٰ الحَياةَ بِنَظرَةٍ جَميلَةٍ، استمرَّتْ عَلاقَتِي مَعَهُ، وخروجُنَا مَعاً صَارَ شِبهَ يَوميٌّ، وَفي أحَدِ الأيّامِ زارَنا طَليقُ صَديقَتِي يُريدُ أنْ يأخُذَ الطّفلَ مِنها، اشتَدَّ النّقاشُ بينَهما فأرَادَ الرَّجُلُ أنْ يطعَنَها بالسّكّينِ، دخلْتُ بينَهُما لأفُكَّ النّزَاعَ وإذَا بالسّكينِ يقطَعُ فخِذِي، وَيسبّبُ لي جُرحاً عَميقاً، تمّ عِلاجُ الجُرحِ، وفي اليَومِ التّالي عَزمْتُ أنْ أخرُجَ مِن بَيتِ صَديقَتِي المُطلّقَةِ، ولَم يكُنْ بيدِي سِوىٰ مَنزِلُ حَبيبِي، وَقَد كانَ يسكُنُ وَحيداً!..

لَم أمهِّدْ لَهُ حُضورِي، فاجأتُهُ وطلبْتُ منْهُ أنْ أبقَىٰ مَعَهُ، تفاجَأ بالأمْرِ، وَطَلَبَ منِّي العَودَةَ عَلَىٰ أنْ يحاوِلَ الزّواجَ منِّي.. فَيكونُ حُضورِي مَعَهُ شَرعِيّاً..

ولكِنِّي كنْتُ مصرّةً عَلَىٰ أن أبقَىٰ مَعَهُ..

وتحتَ إصرَارِي.. وَافقَ عَلَىٰ طلَبِي.. وبقيتُ معَهُ خمسَةَ شُهورٍ، كَانَت عَلاقَتِي مَعَهُ كعلاقَةِ الزّوجَةِ بِزَوجِهَا، وبَعدَ أن تأكّدْنا مِن عواطِفِنَا، ورَغبَتِنا في بنَاءِ حياتِنَا مَعاً طَلَبَ منّي الشّابُ أنْ أرجعَ لأسرَتي عَلَىٰ أنْ يأتِيَ لِيطلُبَني للزّواجِ مِن أهلِي

تردَّدْتُ في العَودَةِ لأنَّني تركْتُ المَنزِلَ هاربَةً مِن عذَابِ زَوجَةِ أبي، وعودَتي مِن جديدٍ قدْ تسبِّبُ لِي ألواناً مِنَ الضَّربِ والعِقابِ.. ولا أستبعِدُ أن يقتُلَني أبي مِن شِدَّةِ الغَيظِ..

ولكنِّي عُدتُ واستَجَبْتُ لِطَلَبِهِ متَحَمِّلَةً كُلَّ مَا سيأتيني مِن والِدِي مُقَابلَ حياةٍ هانِئَةٍ مَعَ حَبيبي، وبالفعلِ حَدَثَ ما تَوَقَّعْتُ، الاستقبَالَ السيِّءَ مِن أسرَتِي و ألوانَ اللَّومِ والعِتابِ.

بعدَ أيَّامٍ هَدَأ والدِي فأخبَرتُهُ بِأنَّ شَابَّاً قَد يأتِي لِخِطبَتي.

رفضَ وَالِدي دونَ أن يقدِّرَ مَدَىٰ رَغبتي في الاقتِرَانِ بالشَّابِّ، حاولْتُ معَهُ كثيراً وَلكِن لَم يَكن هُناكَ مجالٌ للنِّقاشِ فالأمْرُ محسُومٌ، فقلبُهُ أصبَحَ كالحَجَرِ الصَّلبِ الذي لا يلينُ..

والسُّلْطَةُ في البيتِ لِزَوجتِهِ المصُونِ.. والكَلِمَةُ الأولىٰ والأخيرَةُ لَهَا..

قرَّرتُ الهُروبَ مِن جَديدٍ، وهـذِهِ المرَّةَ بِلا عَودَةٍ، جمعْتُ لَوازِمي الأساسِيَّةَ واتَّجهْتُ إلىٰ منزِلِ حَبيبي، فطلَبَ منِّي أنْ أبحَثَ عمَّن يتعاوَنُ مَعِي مِن أسرَتي لاستِكمَالِ مَراسِيمِ الزَّواجِ.

اتَّجهْتُ لكلِّ من بيدِهِ تقديمُ يدِ المُساعدَةِ، وَلَم أجِد صَدراً حَانِياً يقفُ مَعِي فطَلَبَ منِّي أن نتزَوَّجَ الزَّواجَ العُرفيَّ، لَم أكُن أعلَمُ مَا هُوَ، ولكنَّني اقتَنَعْتُ بما قالَ، ففِي كِلتَا الحَالَتينِ نَحنُ نُمارسُ الحرامَ!.

وتمَّ الزَّواجُ..

ومَا هِيَ إلا أيَّامٌ حتىٰ تمَّ القَبْض عَليَّ وببلاغٍ مِن وَالدِي عَن هُروبي مِنَ المنزلِ، وَمَع التَّحقيقِ ثَبَتَتْ عَليَّ تهمَةُ الزِّنا، فكانَت قَضِيَّتي هُرُوبٌ وَزِنَا.. وَدَخَلْتُ السِّجْنَ

لأوّلِ مَرَّةٍ. في هَذِهِ الفَتْرَةِ حَاولت أنْ يَتِمَّ الزَّواج عَن طريقِ السِّجن ولكنَّ صِغَـرَ سِنِّي حَالَ دُونَ ذَلِكَ.

حيثُ كنتُ حينَهَا في السَّادِسَةِ عَشر مِنَ العُمُرِ..

قَضَيْتُ مُدَّةَ الحكمِ بالسجنِ وَخَرجتُ بعدَها.

لم يَأتِ والدِي لاستِلامِي مِـنَ السِّجنِ، وعندَمَا خَرَجْتُ عـدتُ إلىٰ صَدِيْقَتِـي المُطَلَّقَة وكَمَا يَبْدُو بِأنَّني كنتُ مُرَاقَبَةً.

هَاتَفَنِي حَبِيْبِي لأَعُودَ إليهِ عَلىٰ أنْ يُحَاولَ الزَّواجَ منّي بِأيِّ وَسِيْلَةٍ، تَمَسُّكُهُ بِـي كَانَ مِن أجمَلِ مَا يُخَفِّف هَمِّي وَيُسَاعِدُنِي عَلىٰ البَقَاءِ في هذهِ الحيَاةِ، ولكِنِّي كُنْـتُ قَد عَزَمْتُ عَلىٰ أنْ أبْتَعِدَ عَنْهُ لأنَّ زَوَاجَنَا مُحَالٌ.

أمَّا صَدِيْقَتِي فَقَد اسْـتَغَلَّت دُخُـولِي السِّجْنَ، وكَونِـي أصبَحْـتُ حَدَثـاً وَبِملَـفٍّ رَسْمِيٍّ في الأحداثِ.. فَأخَذَت تَسْتَغِلّنِي أكْثَرَ، ولأنَّنِي ضَعِيْفَة لا أجِدُ مَأوىٰ مُنَاسِـباً لي كُنْتُ أسَاعِدُهَا في كلِّ ما تَطْلُبُ مني..

وَذات يوم دَعَت صَدِيْقَتِي مجموعةً مِـنَ الشّـبابِ وَالفتيَـاتِ عَلـىٰ حَفْـل بَسِـيْطٍ، وكَانَت قَد أعدَّت عدةَ الحَفْلِ كمَا تَعـوَّدت «وهـي لَـوَازم السُّكْر وَالفوَاحِـش» وَقَـدْ هيَّأت للفتيَاتِ والشَّبَاب طريقَ الشَّرِّ، فَشَرِبْنَا وَسَكِرْنَا وارتكبنا الفاحشةَ و.. و..!!

وَفَجْأة صَحَوْنَا عَلىٰ صَوتِ الشُّرطةِ تَسْحَبنَا إلىٰ السِّجْنِ..

عُدتُ إلىٰ السِّجْنِ مِن جَدِيْدٍ بَعْد خَمْسَةَ عَشَرَ يوماً فَقَط.

ومازلتُ في سِجْنِ الأحْدَاثِ أنْتَظِرُ الحكْمَ الجدِيْدَ وَالَّذي أتَوَقَّعُ أنَّهُ سَـيَطُولُ لأنَّ تُهْمَتِي الجديدَة أكبَرُ مِنَ الأولىٰ.

وفي لحظاتِ النَّدم الَّتي تنتَابُني أفكّر!

لو كنتُ صَبَرْتُ علىٰ عذَابِ زَوْجَةِ أبي لكُنْتُ أفْضَلَ حالٍ بكثيرٍ ممَّا أنا عليهِ اليَومَ!!.

التَّهَوُّرُ هُوَ سبَبُ ضَيَاعي..

هُرُوبي مِنَ المنْزِل وأنَا قَاصِرٌ لا تَعِي الحياةَ.. لُجُوئي إلىٰ امْرَأةٍ مُطَلَّقَةٍ لأَعِيشَ مَعَهَا..

عَلاقَتي غير الشرعيَّةِ مَعَ الشَّابِّ.. كُلُّهَا أخطاءٌ فَادِحَةٌ في حَيَاتِي..

لَم أجِدِ المُرْشِدَ النَّاصِحَ.. والقَلْبَ الحَاني ليرْشِدَني للطَّرِيقِ الصَّحيح..

إنَّني نَادِمَةٌ.. بِكلِّ مَا تَحْمِلُ الكلِمةُ مِن مَعنًى!..

نَصِيْحَتِي لكلِّ فتَاةٍ.. ألا تَتَهوَّرَ في اتِّخَاذِ القَرَارِ، وأنْ تَلْجَأ إلىٰ ذَوي الخِبْرَةِ وَالنُّصْحِ والصَّلاحِ لتقديمِ العَوْنِ.. فإلَّم يكُن مِنَ الأسرةِ، فَقَد تَجِد المُرْشِدَ والنَّاصحَ في المَدْرَسَةِ أو المسجدِ..

ولكِن لِتَبْتَعِد كُلٌّ منكنَّ عَن الطَّريق الَّذي سَلكْتُ أنا فِيْهِ.. وَدُمْتُم لأُسَرِكُم.

*　　　*　　　*

أَيْنَ الغَيْرَةُ

بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

إخوَاني وَأَخَوَاتِي الأحِبَّة..

حَدَثَ لِي مَوقِفٌ عِندَمَا كُنتُ فِي السُوقِ لِقضَاءِ بَعضِ الحَاجَاتِ ... دَخَلْتُ إحدَىٰ مَحَلاتِ أدوَاتِ التَّجمِيلِ وَالإكسِسوارَاتِ، وكَانَ مَعِي أخِي الَّذِي عُمُرُهُ إحدَىٰ عَشرَةَ سَنَة، فَشَاهَدْتُ مَنظَرَاً عَجِيباً، كَانَ فِي المَحَلِّ رَجُلٌ وَزَوجَتُهُ وَصَاحِبُ المحَلِّ، وكَانَتِ المَرأَةُ تَبحَثُ عَن مُستَحضَرِ تَجمِيلٍ يُناسِبُ لَونَ بَشرَتِها وَعِندَمَا شَاهَدَ صَاحِبُ المَحَلِّ حيرَتَهَا قَالَ لَهَا: مَا هُوَ لَونُ بَشرَةِ وَجهِكِ؟ فَقَالَتْ لَونُ بَشرَتِي كَذَا.. فَقَالَ لَها صَاحِبُ المَحَلِّ حَدِّدِي لَونَ بَشرَتكِ حَتَّىٰ أشِيرَ عَلَيكِ بِمَا يُناسِبُهَا وَالزَّوجُ كَالدَّجاجَةِ وَاقِفٌ يُتَابِعُ الحَدِيثَ وَيَا لَيتَهُ تَوَقَّفَ عِندَ هَذَا الحَدِّ.. بَعدَهَا قَالَ الزَّوجُ لِزَوجَتِهِ: لا توجدُ مُشكِلَةٌ (عِندَ الضَّرُورَاتِ تُبَاحُ المحظُورَاتِ) اكشِفِي وَجهَكِ حَتَّىٰ يَرَىٰ مَا يُنَاسِبُكِ مِن ألوان!! فَالوقْتُ ضَاعَ مِنَّا وَنَحنُ نَبحَثُ عمَّا تُرِيدِين، وَعِندَمَا هَمَّتِ المَرأَةُ بِكَشفِ غِطَائِهَا.

عندَهَا لمْ أتَمَالَكْ نَفسِي، وقُلتُ لَهُ اتَّقِ اللهَ تَقُولُ لِزَوجَتِكَ اكشِفِي وَجهَكِ مِن أجْلِ عُلبَةِ مَسحُوقِ تَجمِيلٍ؟ أينَ الغَيرَةُ؟.

وأخَذَتُ المَرأَةَ جَانِبَاً وَقُلتُ لَهَا بِإمكانِكِ أنْ تَأخُذِي قَائِمَةً بِالألوَانِ مِن صَاحِبِ المَحَلِّ مَعَكِ إلَىٰ البَيتِ وتَسألِي مَن لَدَيهَا خِبرَةٌ مِنَ النِّسَاءِ عَن هَذِهِ

الأمُورِ، فَشكَرَتنِي عَلَىٰ النَّصيحَةِ وَذَهَبَتْ وَأخذَتْ قَائِمَةً بِالألوَانِ، وَقَبلَ أنْ تخرُجَ هِيَ وَزَوجهَا مِنَ المَحَلِّ قَالَ لِي زَوجُها: جَزَاكِ اللهُ خَيراً يَا بِنتَ الأصُولِ... وَعندَمَا عُدتُ إلىٰ البَيتِ لَم أستَطِعِ النَّومَ، فالمَوقفُ لا يَزَالُ يَتكَرَّرُ أمَامَ عَينَيَّ، لا تُوجَدُ مُشكِلَةٌ (عِندَ الضَّرُوراتِ تُبَاحُ المَحذُورَاتِ) اكشِفِي وَجهَكِ حَتَّىٰ يَرَىٰ مَا يُناسِبُكِ مِنْ ألوَانٍ!! فَالوَقْتُ ضَاعَ مِنَّا وَنَحنُ نَبحَثُ عمَّا تُرِيدِين.

وَافَضِيحَتَاه.. وامُعتَصِماه.. وَاإسْلامَاه، أهَذَا هُوَ حَالُ رِجَالِنَا؟ أينَ الغَيرَةُ؟. أينَ أنتُمْ مِنَ القِصَّةِ التَّالِيَةِ؟.

فِي زَمَنِ الخَلِيفَةِ العَبَّاسِيِّ المُعتَضد تقَدَّمَتِ امرَأةٌ إلَىٰ أحَدِ القُضَاةِ فادَّعَت عَلَىٰ زَوجِهَا بِصَدَاقِهَا (٥٠٠ دينار) فَأنكَرَ الزَّوجُ التُّهمَةَ فَجَاءتْ بِبَيِّنَةٍ لِتَشهَدَ لَهَا، فَقَالُوا نُريدُ أنْ تكشِفَ لَنَا عَن وَجهِهَا حَتَّىٰ نَعلَمَ أنَّها الزَّوجَةُ أمْ لا، فَلَمَّا صَمَّمُوا عَلَىٰ ذَلِكَ، قَالَ الزَّوجُ: لا تفعَلُوا لا تَكشِفُوا وَجهَها هِيَ صَادِقَةٌ فِيمَا تَدَّعِي، فَأقَرَّ بِمَا ادَّعَت لا لِشَيءٍ إلا لِيَصُونَ زوجَتَهُ مِنَ الرِّجَالِ أن يَنظُرُوا إلَىٰ وَجهِهَا، فَقَالَتِ المَرأةُ ـ لمَّا عَرَفْتُ أنَّه مَا أقَرَّ إلا لِيَصُونَ وجهَهَا مِنَ الرِّجَالِ ـ هُوَ فِي حِلٍّ مِن صَدَاقِي عَلَيهِ فِي الدُّنيا والآخِرَةِ. أينَ أنتُم مِنهُ؟. أينَ الرِّجَالُ؟. أينَ أهْلُ الغَيرَةِ؟.

أصُونُ عِرضِي بِمَالِي لا أدَنِّسُهُ ... لا بَارَكَ اللهُ بَعدَ العِرْضِ بِالمَالِ

هَذَا وَهُوَ فِي ضَرورَةٍ وَعِندَ القَاضِي، أقَرَّ التُّهمَةَ عَلَىٰ نَفسِهِ لِيحمِيَ عِرضَهُ، فمَا بَالكُم بِمَن يَتَجَوَّلُ في كُلِّ مَكَانٍ وَنسَاؤُهُ كَاشِفَاتٌ وَسَافِرَاتٌ؟. أهَذِهِ هِيَ شِيَمُ الرِّجَالِ؟. لا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللهِ..

الوِقايةُ خَيرٌ مِنَ العِلاج

كنْتُ أرَىٰ تِلكَ المَرأةَ منذُ فترةٍ وعَلامَاتُ الحَيرةِ علَىٰ وَجهِهَا، لَقَد كَانَتْ قَريبتِي، فأحْبَبْتُ أنْ أسألَهَا، ثُمَّ إنَّني أجَّلْتُ ذَلِكَ لِحِينٍ آخَرَ، حتَّىٰ جاءتْني ذَاتَ يومٍ قَلِقَةً خائفَةً، فـهَدَّأتُ مِن رَوعِهَا وسَألتُها عَن أحوالِهَا، فَقَالَت لِي إنَّها تُريدُ أنْ تُشاوِرَنِي فِي مَوضُوعٍ مَا، وإنَّها تَظُنُّ فِيَّ الأمَانَةَ، وإنَّها علَىٰ ثِقَةٍ بأنَّني سَأُبْقِي موضوعَهَا سِراً، فَطَمأنْتُهَا بأنَّني سَأحفظُ سِرَّهَا، فَمَا منْ أسْرَةٍ إلا ولَهَا أسْرَارُها، لقَدْ بَدَتْ بَادِئَ ذِي بَدْءٍ فِي حيرةٍ، قلْتُ لَهَا ألا تَخجَلَ مِن شَيءٍ، وأنْ تتحَدَّثَ بِكُلِّ طَلاقَةٍ وكأنَّها تُحدِّثُ نفسَهَا، فإنَّ حديثَهَا إليَّ لا يُقَلِّلُ من شأنِهَا عندِي، ولا يُفْسِدُ عَلاقَتِي بِهَا. فقَالَت لِي: إنَّها رَأتِ ابنَتَها البَالِغَةَ مِنَ العُمُرِ أربعَةَ عَشَرَ سنَةً مَعَ ابنَةِ خَالَتِهَا فِي منظَرٍ غَيرِ لائِقٍ.

ودونَ أنْ تُكمِلَ حَديثَها عَرَفْتُ القِصَّةَ بِأكمَلِهَا، واغرَورَقَتْ عينَايَ بالدُّموعِ، فَهِيَ لَيسَتِ الحَالَةُ الوَحِيدَةُ، فهَذِهِ الآفَةُ انتَشَرَتْ في المُجتَمَعِ كانتِشَارِ السَّرطَانِ في الجَسَدِ، ولَمْ أعُدْ أرَىٰ وجهَهَا مِنَ الخجَلِ، وأنَا لا أريدُ أنْ أسمَعَ شيئاً أكثرَ مِنْ هَذَا، فَغيابُ العِفَّةِ أمرٌ خَطيرٌ وَضياعُ الجِيلِ جُرْحٌ لا ينْدَمِلُ.

أخذَتْ تَلُومُ بَناتِ هَذَا الزَّمَنِ وأولاد هَذَا الزَّمَنِ، فَلَقَدْ كَثُرَتْ مَشَاكِلُهُم، فَإنَّ جَارَتَها أخبرَتْها بأنَّ ابنَ قريبَتِها لَهُ عَلاقَةٌ غرامِيَّةٌ مَعَ أحَدِ أصْدِقَائِهِ، وأنَّ أختَها قَالَتْ لَها: إنَّ ابنَةَ صديقَتِهَا قَد اغتَصَبَها السَّائِقُ، وإنَّ ابنَةَ أحَدِ معارِفِهَا قَدِ اعتَدَىٰ عَلَيهَا أخوهَا البَالِغُ مِنَ العُمُرِ سبعَ عشْرَةَ سنةً، ثُمَّ أخذَتْ تلومُ الصُّحبَةَ السَّيئَةَ، وأخَذَتْ تَلومُ المُراهَقَةَ.

قلتُ لَهَا: ولكِنَّني لا ألُومُ الزَّمنَ ولا المُراهَقَةَ ولا الصَّداقَةَ وَلا البَناتِ والأولادَ. لا ألُومُ إلا أنفسَنا وَمَا كَسبَتْهُ أيدِينا، فَقَد قَالَ اللهُ تعَالَىٰ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

قالَتْ لِي: ومَاذَا قَصَّرنَا في حقِّهِم إنَّهم يأكُلونَ ويَشربُونَ ويخرُجونَ إلَىٰ المُنتزَهَاتِ.

قلْتُ لَهَا: هُنَا يَكْمُنُ الخطأ، نحن نَعتَقِدُ أنَّ أبناءنا يَحتَاجُونَ فَقَط إلَىٰ الأكلِ فِي المطَاعِمِ والنُّزهَةِ في المَلاهِي، وَقَدْ غَفلْنَا عنْ أهَمِّ أمرٍ ألا وَهُوَ التَّربِيَةُ، فإنَّ التلفَازَ والدِّشَّ هُوَ الَّذي استَلَمَ مَهمَّةَ تربيَةِ أبنَائِنَا، أضِيفِي إلَىٰ ذَلِكَ غيابَ رقَابَةِ الأهْلِ.

فيجِبُ عَلَينَا غَرْسُ المبادِئِ والقِيَمِ الأخلاقِيَّةِ في نفُوسِ أبنائِنَا، وبِنَاء الفِكرِ والوَعيِ لَدَيهِم.

قلتُ لَهَا: هَل تَذكُرِينَ ذَلِكَ اليومَ الذِي كُنتُ أناقِشُكِ فِيهِ عَنِ اللِّباسِ، وكَانَتِ ابنتُكِ تبلُغُ مِنَ العُمُرِ ثلاثَ سِنينَ، رأيتُهَا تلبَسُ مِنَ الثِّيابِ الَّتي قَدْ نَعتَبِرُهَا عَادِيَّةً لأنَّ البِنْتَ كَانَتْ صغيرةً، فسَاقَيهَا بَارِزَتَان، والأكْمَامُ قَدِ اختَفَتْ منَ الثِّيابِ، إذَا تَحرَّكَتْ يَدُهَا ظَهرَ بَطْنُهَا، وإذَا رَفَعَتْهَا ظَهرَ إبطُهَا، وإذَا جَلَسَتْ أو لَعِبَتْ تكَشَّفَتْ فَخِذُهَا، وعندَمَا بَلَغَتْ ابنَتُكِ تِسْعَ سِنِينَ ارتَدَتِ اللِّبَاسَ الضَّيِّقَ الذي يَصِفُ جِسْمَهَا كَامِلاً، فعندَمَا قُلتُ لَكِ أنَّ هَذَا لا يَجُوزُ ضَحِكْتِ منْ كَلامِي ولَمْ تُعيرِيهِ اهتِمَامَاً.

قالَتْ لِي: وَما دَخْلُ هَذَا بِذَاكَ؟.

قُلتُ لَهَا: إنَّ المُراهَقَةَ مَرحَلَةٌ مِنْ مَرَاحِلِ العُمُرِ وهِيَ حَصَادُ سِنينَ التَّربِيَةِ فِي الطُّفُولَةِ، هَلْ عَرَفْتِ مَا هِيَ العَلاقَةُ الآنَ؟..

فالفَتَاةُ المُراهِقَةُ أوِ الفَتَىٰ المُراهِقُ لَيسُوا وليدَ أنفُسِهِم، إنَّمَا نَحنُ الذينَ نُؤَثِّرُ

بِهِم وَنَرسُمُ لَهُم طَرِيقَهُمْ. أمَا قَرأتِ عَنْ مُرَاهَقَةِ الصَّحابَةِ والتَّابِعينَ والسَّلفِ الصَّالِحِ..

فهذَا سَعدُ بنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه الَّذي اهتَزَّ لَهُ عَرشُ الرَّحمَنِ لَمَّا تُوفِّي شَيَّعَهُ جَمْعٌ مِنَ المَلائِكَةِ، كَانَ عُمُرُهُ إذْ ذَاكَ سَبْعاً وَثَلاثِينَ سَنَةً، وَهَذَا مُعاذُ بنُ جَبَلٍ رضي الله عنه الَّذي كانَ مِنَ القُرَّاءِ وإمَامِ مَسجِدٍ بالمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ كانَ عُمُرُهُ لَمَّا هَاجَرَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ سبعَ عشْرَةَ سَنَةً، وهَذَا أسَامَةُ بنُ زَيدٍ رَضِيَ اللهُ عنْهُ كانَ عمُرُهُ لمَّا قَادَ الجَيْشَ الإسلامِيَّ سَبعَ عشْرَةَ سَنَةً.

لَو كَانَتِ المُراهَقَةُ مُشكِلَةً بِحَدِّ ذَاتِها لمَا كَانَ التَّكلِيفُ في هَذِهِ السِّنِّ، إنَّ المُرَاهَقَةَ هِيَ البُلوغُ، والبُلُوغُ هُوَ بِدَايَةُ عَمَلٍ للإنسَانِ، والإعدَادُ لِذَلِكَ العمَلِ يكُونُ مِنَ الآبَاءِ والأمَّهاتِ، أمَا سَمِعْتِ عنْ سَهْلٍ التَّستريِّ الَّذي كَانَ يَقُومُ الليلَ وَعُمُرُهُ ثَلاثَةُ أعوامٍ، لقَدْ كَانَ يَرَىٰ خَالَهُ يَقُومُ اللَّيلَ فيَقُومُ مَعَهُ، ثُمَّ حَفِظَ القُرآنَ وعُمُرُهُ ستُّ أو سَبْعُ سِنِينَ..

والإمَامُ الشَّافِعِيُّ حَفِظَ القُرآنَ وعُمُرُهُ سَبْعُ سِنينَ، وَحَفِظَ المُوطَّأ وَعُمُرُهُ عَشْرُ سِنينَ، ولَكِنْ مَنِ الَّذِي فَتَحَ لَهُ الطَّرِيقَ إلىٰ بَابِ العِلْمِ والتَّعلُّمِ؟ إنَّها أمُّهُ المؤمِنةُ.

وَلَنَا أمثِلَةٌ كَثِيرَةٌ فِي زَمَنِنَا هَذَا أيضَاً.. إذِ الطَّرِيقُ الَّذي تَرسُمِينَ لأبْنَائِكِ فِي الطُّفُولَةِ تَرينَ ثِمَارَهَا بإذْنِ اللهِ في الفُتُوَّةِ، وأنْتِ لَسْتِ مُخَيَّرةً بينَ التَّربِيَةِ الحَسَنَةِ أو عَدَمِهَا، بلِ الوَالِدَانِ مسؤُولانِ فِي الدَّرجَةِ الأولَىٰ عَنْ تربِيَتِهِم لأولادِهِمْ، أمَا تَأمَّلْتِ قولَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُم ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم منْ عَمَلِهِم مِن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

حَاسِبِي نَفسَكِ مَاذَا غَرَسْتِ أنْتِ وزَوجُكِ فِي أبنائِكُمَا؟.

هَل غَرسْتُمَا الحِشْمَةَ وَالعِفَّةَ؟.

هَلْ غَرَسْتُمَا التَّقْوَىٰ وَالوَرَعَ؟.

هَلْ غَرَسْتُمَا الهِمَّةَ وَالجِدِّيَّةَ؟.

هَلْ غَرَسْتُمَا حُبَّ القِرَاءةِ وَالعِلمِ وَالعِبَادَةِ؟.

فإنَّ هَذهِ القِيَمَ وغيرهَا مُهِمَّةٌ فِي تَقوِيمِ سُلُوكِ الإنسَانِ في أيِّ مَرحَلَةٍ مِن مَرَاحِلِ حيَاتِهِ، ولَكِنَّ غَرسَهَا يَجِبُ أنْ يَكُونَ عندَمَا يَكُونُ الطِّفلُ في نُعُومَةِ أظفَارِه. فإنَّ سَترَ البَدَنِ كَامِلاً في الصِّغَرِ مِنْ أهَمِّ دَوَاعِي الحيَاءِ وَالحِشمَةِ في الكِبَرِ، وَالحيَاءُ خَيرٌ كُلُّهُ. فَالحيَاءُ هُوَ الطَّرِيقُ إلَىٰ العِفَّةِ.

ذَلِكَ الخُلُقُ الإيمَانِيُّ الرَّفِيعُ الَّذي تَسْمُو بِهِ النَّفسُ، وهيَ حُصُولُ حَالَةٍ للنَّفسِ تُمنَعُ بِهَا مِنْ غَلَبَةِ الشَّهوَةِ عَلَيهَا.

إنَّ الفتَىٰ الَّذي ينظُرُ إلىٰ أختِهِ النِّصف عَارِيَة، كَيفَ سَتَغرِسِينَ فيهِ غَضَّ البَصَرِ عَنِ المُحَرَّمَاتِ، أمَا تَعتَقِدينَ أنَّ ذَلِكَ مُنزلقٌ خَطِيرٌ للبَحْثِ عَنِ الفَوَاحِشِ، أوِ الوُقُوعِ فِيهَا، أوِ التَّفكِيرِ فِيهَا.. والفَتَاةُ الَّتي تعوَّدَتْ عَلَىٰ اللِّبَاسِ العَارِي كَيفَ تَغرِسِينَ فِيهَا الحَياءَ الَّذي يمنَعُهَا مِنْ إبرازِ مَفَاتِنِهَا للرِّجَالِ، أوِ النِّسَاءِ، أوِ التَّفكِيرِ فِي الرَّذِيلَةِ، أو البَحْثِ عَنهَا.

ثُمَّ إنَّنَا لا نَرَىٰ بَأساً عندَمَا نَجلِسُ في جلسَةٍ عائِلِيَّةٍ، وشَرِيكُنَا التِّلفَازُ وَنَرىٰ مِنَ المَنَاظِرِ مَا تَقْشَعِرُ مِنْهُ الجُلُودُ وبَينَنَا الأبنَاءُ وَالبَنَاتُ فِي جَمِيعِ مَرَاحِلِ العُمُرِ.. مَاذَا ننتَظِرُ إذن مِنْ أبنَائِنَا؟.

هلْ نَظُنُّ أنَّهُم سَيكُونُونَ أتقِيَاءَ أنقِيَاءَ وَرِعِينَ وَنَحنُ لَم نُرِهِم الطَّرِيقَ المُستَقِيمَ؟.

والتَّقوَىٰ والوَرَعُ مِن أهَمِّ دَواعِي محَاسَبَةِ النَّفسِ ومُرَاقَبَةِ اللهِ.

والجِدِّيَّةُ والحَزْمُ مِنْ أهَمِّ دَوَاعِي التَّفكُّرِ في مَعَالِي الأمُورِ، وعَدَمِ التَّفكُّرِ فِي سَفاسفِ الأمُورِ.

إنَّ اللِّباسَ العَارِي والضَّيِّقَ والشَّفَّافَ يُثيرُ الغَرائِزَ الجِنسيَّةَ فِي غَيرِ وقتِهَا، وإنْ كَانَ ذَلِكَ اللِّباسُ بينَ المحَارِمِ أو كَانَ بَينَ النِّساءِ فَقَط، أو كَانَ بَينَ الأطفَالِ الذينَ لمْ يَبلُغُوا الحُلُمَ فَإنَّهُم سَيبلُغُونَ الحُلُمَ، ويُعيدُونَ المنَاظِرَ الَّتي ارتَسَمَتْ فِي أذْهَانِهِم فِي الطُّفُولَةِ، ثُمَّ إنَّ الإعلامَ المرئيَّ والمَسمُوعَ يَزيدُ الأمْرَ سُوءاً، ويُشعِلُ النَّارَ فِي الحَطَبِ، وَالوِقَايَةُ مِنْ دَوَاعِي الشَّرِّ والفَسَادِ أيسَرُ وأكثَرُ خيراً منَ العِلاجِ، فالعِلاجُ قَد ينفَعُ وَقَد لا يَنفَعُ، وَلَكِنَّ الوِقَايَةَ حَصَانَةٌ، وَمَن يَحفَظِ اللهَ يَحفَظْهُ.. سأسَاعِدُكِ فِي مُشكِلَتِكِ وأقدِّمُ لَكِ العِلاجَ..

أوَّلُ العِلاجِ الإشعَارُ بِفَدَاحَةِ الخَطَأ، فبِدُونِ الإشعَارِ لا يُمكِنُ العِلاجُ، ثُمَّ لا بُدَّ مِنَ الحِميَةِ..والحِميَةُ تَأتِي بـ:

- التَّخلُّصِ مِنَ المُثيرَاتِ مِنَ المَرئِيِّ وَالمَسمُوعِ.
- الابتِعَادِ عَنِ اللِّبَاسِ الضَّيِّقِ وَالشَّفَّافِ وَالعَارِي.
- الحَثِّ عَلَىٰ غَضِّ البَصَرِ، فإطْلاقُ العنانِ للنَّظَرِ لَهُ عَواقِبُ وَخِيمَةٌ.
- الحَثِّ عَلَىٰ حِفْظِ الجَوارِحِ من إطلاقِهَا فِي المُحَرَّمَاتِ.
- الإقلالِ مِنَ الأكْلِ وَالنَّومِ، فالأكْلُ والنَّومُ مِن مُثِيرَاتِ الجِنسِ.
- اختِيَارِ الصُّحبَةِ الصَّالِحَةِ.

❁ ثمَّ العِلاجُ يأتي بـ :

- التَّحبيبِ فِي العِفَّةِ، والتَّكريهِ فِي الرَّذِيلَةِ.
- الإكثَارِ مِنَ التَّوبَةِ والاستِغفَارِ واللَّجوءِ إلَىٰ اللهِ تعالَىٰ.

- رَسْمِ هَدَفٍ فِي الحَيَاةِ وتَحقِيقِ مَعَالِي الأمُورِ.

- بيانِ أهميَّةِ فَترَةِ الشَّبابِ في حيَاةِ الإنسَانِ، وأنَّ منَ السَّبعَةِ الذيـنَ يُظِلُّـهُم اللهُ في ظِلِّهِ يومَ القِيَامَةِ: شَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ.

- التَّرغيبِ فِـي الجنَّـةِ وَالـتَّرهِيبِ مِـنَ النَّـارِ، والـتَّرغِيبِ فِـي رِضَـا اللهِ وَمَحَبَّتِـهِ وَالعَمَلِ عَلَىٰ إرضَائِهِ.

- الحَثِّ عَلَىٰ الإكثَارِ مِن تِلاوَةِ القُرآنِ الكَرِيمِ، والإكثَارِ مِن قِرَاءةِ الكُتُبِ.

- الحَثِّ عَلَىٰ ارتِيادِ مَجَالِسِ الذِّكرِ، وَطَلَبِ العِلْمِ.

- الحَثِّ عَلَىٰ الإكثَارِ مِنَ العِبَادَاتِ البَدَنِيَّـةِ وَالمَالِيَّـةِ، وَالمُدَاوَمَـةِ عَلَـىٰ الأورَادِ وَالأذكَارِ.

- العَمَلِ عَلَىٰ إشغَالِ الفِكْرِ فِي مَعَالِي الأمُورِ.

وَلَكِنَّنِي أقُولُ لَكِ مَرَّةً أخرَىٰ: الوِقَايَةُ خَيرٌ مِنَ العِلاجِ.

*　　*　　*

احذري الهاتف

أينَ بَنَاتُ الإسْلام اليومَ.. هَل هُنَّ يَجتَمِعْنَ لِيَتَدَارَسْنَ القُرْآنَ الكريمَ.. كثيراتٌ منهنَّ يَجْتَمِعْنَ علىٰ اللَّهْوِ وَالبَاطِلِ وَعلىٰ السَّهَرِ وَالإنْتَرْنِت، وَعَلىٰ أشْرِطَةِ الفِيْدِيُو، وَسَمَاعِ الأغَاني الماجِنَةِ.. يَجْتَمِعْنَ أحياناً علىٰ جِهَازِ الهاتِفِ يَتحَدَّثْنَ مَعَ الرِّجُلِ قَد أخَلُّوا بِالدِّينِ وَالأدبِ في قصَصِ الحبِّ والغَرَام.. تَركْنَ الصَّلاةَ وَنَسِيْنَ النِّداءَ، وَألقَيْنَ بالقُرآنِ وَتَمسَّكْنَ بِحُطَامِ الدُّنيا الفَاني، يُمْسِكْنَ الهاتِفَ لا لِسُؤالٍ عَن حَالِ الأهلِ والأقَارِبِ وَلا للاطمِئْنَان عَلىٰ الآخرينَ ولكِن لإزْعَاجِ الآخرينَ وَللبَحْثِ عَن زَوْجِ المستَقْبَلِ الَّذي لَن يكونَ لهَا أبداً !.

أحكِي لكُم قِصَّةً سَمِعْتُهَا قَبلَ أيَّام عَن فَتَاةٍ ضَيَّعَت حَيَاتَها بِسَبَبِ سُوءِ اسْتِعْمَالِهَا للهَاتِف، وهي قصَّةٌ من آلافِ القصَصِ الوَاقِعِيَّةِ، لا الخَيَاليَّة، حَدَثَت وَتَحْدُثُ كلَّ يومٍ.. تَقولُ المِسْكِيْنَةُ:

تَعرَّفتُ علىٰ شابٍّ مِن خِلال الهاتِفِ اتَّصلَ يَسْأل عَن مَنْزِل فُلان؟؟ فَقُلْتُ لَهُ: الرَّقم خطأ، وَألَنْتُ لَهُ صَوْتي وَأظْهَرْتُ لَهُ الكلامَ الحَسَنَ.. انْتَبِهُوا جيِّداً حَتَّىٰ تَتَعرَّفُوا كيفَ أنَّ مُخاطَبَةَ الرِّجَالِ بِالقَوْلِ اللَّينِ مَاذَا تَفْعَل في قُلُوبِهِم.

❁ تقولُ المسكينةُ:

وَمَا كانَ منهُ إلاَّ أن اتَّصَلَ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً ورابِعَةً.. وَبَدَأت عَلاقَتِي تكْبُرُ مَعَهُ وكَأنَّني أعرفهُ من عَشَرَاتِ السِّنينَ، وما ذَلِكُم إلاَّ مِن وَسْوَسَةِ الشَّيطانِ اللَّعين لي.. ثمَّ بعدها ادَّعَىٰ أنَّهُ أحبَّني منذُ اللَّحظةِ الأولىٰ وأنَّ حُبَّهُ لي شَريفٌ، وكلُّ ذلكَ قَبلَ أنْ يَرانِي..

[يَالَهَا مِن فَتَاةٍ مسكِيْنَة وَبَائِسَة.. خُدِعَت بِمَعْسُولِ الكَلام، وَزَيَّنَ لَهَا الشَّيْطانُ

حقّاً سوءَ الفِعَالِ]. وصَدَقَ اللهُ تَعالىٰ حَيْثُ قَالَ: ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾ [الأحزاب: من الآية ٣٢].

وقالَ تَعالىٰ عَنِ الشَّيطانِ وغِوايتِهِ للنَّاسِ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩ ـ ٤٠].

وتُتَابعُ المسكينةُ حَدِيثَهَا وتَقُولُ:

تَوَاعَدْنا وتَقَابَلنا أَكْثَرَ مِن مَرَّةٍ، وذلكَ مِن خِلالِ الرَّسَائِلِ والمكَالَمَاتِ الهَاتِفِيَّة.. وكانَت هَذِهِ المُقَابَلات سِرِّيَّةً، لا يعلمُ بها أهلِي.. فكنتُ أكذبُ عليهم وأدَّعي أنَّني ذاهبةٌ إلىٰ صَديقَتِي وهي ملتزمة وطيِّبة وأحبُّها كثيراً.. ثمَّ أذهبُ لمقابَلَتِهِ.. وَإذَا رأيتُهُ ورآني أظْهَرَ لي الحُبَّ والودَّ والعفَافَ وَأنَّهُ لايَسْتَطيعُ البُعْدَ عنِّي ولو لِلَحْظَةٍ واحدةٍ ، وأنَّ حياتَهُ جحيمٌ بِدُوني.. وأخَذَ بَعْدَهَا مِنِّي بعضَ صُوري وتَصَوَّر مَعِي..

وبَعْدَ مُرُور أربع سَنَواتٍ مِن عُمُرِي قَضَيتُهَا مَعَهُ طلبَ منِّي الفاحشةَ (الزِّنا) وقالَ لي: يا فلانةُ لا يَهُمُّ إنْ كَانَ ذَلِكَ الشَّيء حصَلَ الآنَ أوْ بَعْدَ حِيْنٍ لأنَّنا سوفَ نَتَزَوَّج..

هنا وَقَعَت هَذِهِ الكَلِمَات في نَفْسِي مَوْقع التَّأمُّلِ والتَّفكُّر.. وشَعَرْتُ بالخَوْفِ يَنْتَابُنِي بِقُوَّةٍ.. مَاذا أفْعَلُ.. تَحَرَّكَت بَوَاعِثُ الإيمَانِ في قلبي والَّتي كُنْتُ تجاهَلْتُها سِنِيْنَ عَدِيْدَة.. وتَحَرَّكَ ضَمِيْري النَّائمُ مدَّةً طويلةً.. اسْتَيْقَظَ ولكن بَعْدَ فَوَاتِ الأوانِ.. اسْتَيْقَظَ ولكن بَعْدَ طُولِ غَفْلَةٍ..

وبدأتُ أسألُ نَفْسِي في لحظتِهَا: أينَ الزَّوَاجُ.. وأينَ الدِّينُ.. والأَهْلُ.. والعِرْضُ.. والنَّارُ والنَّاسُ.. والشَّرَفُ.. والبكَارَةُ.. إنَّهُ العَارُ الَّذي لا مفرَّ منهُ.

فقلتُ لهُ: لَن يَحْصُلَ ذَلِكَ قَبْلَ الزَّواجِ الَّذي وَعَدْتَنِي بِهِ..

فَقَالَ لي: يا مِسكِيْنَة إنْ لَم تُمَكِّنِيْنِي مِن نَفْسِك اليومَ.. سأفْضَحُكِ بينَ النَّاسِ

وعندَ أهْلِك.. فَمَعِي أدِلَّةٌ ضِدَّكِ.. هذهِ صُورُكِ.. وهذهِ مكَالَمَاتُكِ.. كُلُّهَا مُسَجَّلَةٌ عِنْدِي.. فعندي أسْرَارُكِ وَأسْرَارُ أهْلِكِ..

عَاشَت المِسْكِيْنَةُ لحظتهَا في جَحِيْم لا يُوصَفُ، فهيَ الَّتي جلَبَتْهُ لِنَفْسِهَا، مَاذا انْتَفَعَت من هذه المُكَالَمَةِ.. ومِن هَذِهِ العَلاقَة غَيْر الشَّرعِيَّة..

وبمَاذَا رَجعَت.. لَقَد أجْبَرَهَا ذلكَ النَّذلُ اللَّئيمُ.. واستطاع أن يَتَمَكَّنَ مِنْهَا عَن طريقِ فخٍّ نَصبَهُ لَهَا وَصبَرَ عَلَيْهِ سَنَوات طَويلَة.. فَعَادَت الفَتَاةُ تَجُرُّ وراءهَا أذْيَالَ الخَيْبَةِ.. لا زَوَاج.. لا لَيْلَة زفَافٍ.. لا عُرس.. لا شَبْكَة.. لا مَهْر.. إنَّما هُو الذُّلُّ والمَهَانَةُ والاحتقار.. إنَّما هو حزنُ الأبدِ..

ماذا تقولُ لأهْلِهَا.. مَاذا تَقولُ لإخوانِهَا الذينَ يثقونَ بها ويعتزونَ بها.. كَيْفَ تَعِيْش مَعَهُم بقيَّةَ عُمُرِهَا.. تقولُ: كُلُّ ذلكَ العَار يَا إلهِي مِن أجلِ كَلِمَةٍ أنا جلبتُها لِنَفْسِي.

❁ أُخَيَّتِي بعدَ أن قرأتِ هذهِ القِصَّةَ المبكيةَ المُحزنة.. احْذَري أنْ يكُونَ مَصِيرُكِ مِثْلَ مَصِيْرهَا فتَهْلكِي وتُهلِكِي مَن حَوْلَكِ.. وتَخْسَرينَ أغْلَى شَيء في حياتِك.. تَخْسَرينَ العَفَافَ الَّذي بِهِ تَشْرُفينَ وَبِهِ تَفْتَخِرينَ ولأجْلِهِ تَعِيْشِيْنَ..

كلمةٌ لا بُدَّ مِنْهَا:

أوَّلاً: هَذِهِ القِصَّةُ واحِدَة مِن آلافِ القِصَص الواقعيَّة في حياةِ المسلمينَ.. وَهَذِهِ ضَحِيَّةٌ مِن آلافِ الضَّحَايَا الكَثِيْرَاتِ مِنَ المُسْلِمَات وللأسَفِ الشَّدِيْدِ..

ولو كنتُ مكَانَهَا.. وزلَّت بي القدمُ إلىٰ مرحلةٍ يمكنُ فيها التَّراجُع مَع أضْرَارٍ مُحتَمَلَةٍ لَفَعَلْتُ ذَلِك.. أي أنَّهُ حِيْنَ عَرفَت المسكينةُ نَوايَاهُ الخَبِيْثَة وذلكَ عِنْدَمَا سَألَهَا الفَاحِشَةَ.. كَانَ يَنْبَغِي عَلَيْهَا أنْ لا تُمكِّنَهُ مِن نَفْسِهَا، وتدافع عن شرفها حتىٰ الموت.. وَأن تَتَحَمَّلَ عَاقِبَةَ فِعْلِهَا الَّتِي لا شَكَّ أنها أقَلُّ ضَرراً ممَّا وَصلَت إليهِ بَعْدَمَا

مَكَّنتهُ مِن نَفْسِهَا.. لِذَا أقولُ لِمَن سُئِلَت مِنَ الذَّلِيلِ اللَّئِيم الفَاحِشَة.. أنْ تَصْبِرَ وَتَخْتَار عِقَابَ الأَهْلِ وضَرْبَهم وحَبْسَهم لَهَا.. فَهُم أهلُها وأرْحَمُ بِهَا مِن هَذا الذَّنْب الشِّرير الَّذي يُرِيدُ التِهَامَهَا وافتِرَاسَهَا.. والقَضَاءَ علىٰ حيَاتِهَا وشَرَفِهَا وشَرَف أهْلِهَا..

بَل يَنْبَغِي عليهَا أن تُصَارِحَهُم وتَبْدَأ أوَّل مَا تَبْدأ بِمَن تَثِقُ بِهِ كَأُمِّها مَثَلاً.. لكِن بَعْدَ أنْ تَتُوبَ إلىٰ اللهِ تَعَالىٰ وَتَنْدَمَ وتَبكِي بَيْنَ يَدَيْهِ وتَسْتَعِينَ بِهِ تَعَالىٰ علىٰ سَتْرِهَا وَصَرْفِ الشَّرِّ عَنْهَا.. فَواللهِ الَّذي لا إلهَ غَيْرُهُ إنَّهُ سَيقِفُ مَعَهَا.. وَسَيُخَفِّفُ عَنْهَا مَا سَتُلاقيهِ مِن عِقَابٍ مِن أهْلِهَا..

وخصوصاً إنْ عَلِمُوا أنَّ الأمرَ لم يَصِلْ إلىٰ فِعْلِ الفَاحِشَةِ.. وأنَّها لَم تُمَكِّنهُ مِن نَفْسِهَا.. وأنَّها ما زَالَت عَذْرَاءَ.. وإنَّما قَبِلَت أنْ تكلِّمَهُ لأَجْلِ أنَّهُ سيكونُ زوجاً لها.. أمَّا عِنْدَمَا اكْتَشَفَت أنَّهُ يريدُها صَاحِبَةً لَهُ يَقْضِي شَهْوَتَهُ منهَا فَقَط.. هَرَبَت وقَد تَعَلَّمت مِن خطَئِهَا.. وهِي الآنَ تَائِبَةٌ نَادِمَةٌ..

❁ ثانياً: يَنْبَغِي علىٰ الفَتَاةِ إذا سَمِعت جَرَسَ الهَاتِف أنْ لا تُسَارِع إلىٰ الإجَابَةِ إنْ لَم تَعْرِف مَن هُوَ المُتَّصِل.. وإن اضْطرتهَا الظُّرُوفُ يَوْماً.. أنْ تَتَكَلَّم فلتَتَكَلَّم بِأدَبٍ وحِشْمَةٍ وبِحُدُودِ المَعْقُولِ وعلىٰ قَدر سُؤال السَّائِل.. وأن لا تَفْتَحَ لَهُ المَجَالَ كي يَتَنَاولَ مَعَهَا أطْرَافَ الحَدِيْثِ أوْ أن يُظْهِرَ إعْجَابَهُ بِهَا فَهُوَ كَاذبٌ مُخَادع..

صَدِّقيني يا ابْنَتِي لَو كَانَ مُعجَباً بِكِ.. لَتَقَدَّمَ إلىٰ أهْلِكِ خاطِباً لكِ لأنَّ المُحِبَّ حقيقةً يَتقدَّمُ إلىٰ محبوبَتِهِ خشيةَ أن يتقدَّم قبلَهُ شابٌّ آخر فَيَسْبقهُ إليكِ.. أمَّا أنْ يَسْألكِ بَعِيْداً عَنْهُم فَهُو يُرِيْدُ أنْ يَصِلَ إلىٰ شَهْوَتِهِ وحَاجَتِهِ مِنْكِ فَقَط دونَ الزَّوَاج.. فَافْهَمِي..

❁ وأذكرُ في هذهِ المناسبَةِ قِصَّةً لفتاةٍ ذكيَّةٍ كانَت جَارةً لنَا.. منذُ عِشْرِينَ سَنةً.. وكَانَت تَعْمَلُ آنِسَةً ومدَرِّسَةً في مَدْرَسَةٍ للبَنَاتِ وهي في ريعانِ الشَّبابِ ـ ويعلمُ اللهَ

أنّني كلَّما تذكَّرتُ هذهِ القصَّةَ شعرتُ بالعزَّةِ والعُنْفُوَان يَنْتَابُنِي عِنْدَمَا أرىٰ وأسْمَعُ مواقفَ مُشَرِّفَة عَن فَتيَاتِ الإسلام المُؤمِنَاتِ العَفِيفَاتِ اليقظاتِ الطَّاهِرَاتِ ـ المهمُّ من القصَّةِ باختصار: أنَّهُ تعرَّضَ لها شابٌّ أيضاً يَعْرِفُها لأنَّهُ يسكُنُ في المنطقةِ نَفْسِها.. وبدأ يَتَغَزَّلُ بِهَا وأنَّها جَمِيْلَةٌ وهُو معجَبٌ بِهَا.. ويُحِبُّهَا.. إلخ..

فماذا تَتَوَقَّعِيْنَ أن يكونَ ردُّ فِعْلِهَا أخيَّتي؟ هَل شَتَمَتْهُ كَبَعْضِ الجَاهِلاتِ ؟.

أمْ هِي سكتَت لِتُفكِّرَ في كَلامِهِ وتَتحرَّز هَل هُو صَادِقٌ أم كَاذِبٌ ؟.

بل التَفَت إليهِ أمَامَ النَّاسِ ولَم تكتَرِث بِهِم ولَم تَرىٰ أحداً لأنَّها تَثِقُ بِاللهِ تَعَالىٰ وبِأهْلِهَا.. وهُم يَثِقُونَ بِهَا.. لأنَّها لا تُخْفِي عَنْهُم شَيئاً..

وقَفَت في وَضَح النَّهار.. في وَقْتٍ كَانَ النَّاسُ يَسْتَحْيُونَ فيه مِنَ النَّاسِ..

وقَالَت لَهُ: يَا هَذا قُلْتَ: أنَّك تُحِبُّني وَإنِّي قَد أعْجَبْتُكَ مُنْذُ اللَّحظَةِ الأُولىٰ.. وَأنْتَ مُعْجَبٌ بِي.. أقُولُ لكَ: وَأنا أيْضاً مُوافقةٌ عليكَ كَزوجٍ لي.. ومَا عَلَيْكَ إلاَّ أن تَأتي مَع أهْلِكَ لِخِطْبَتِي اليَوْمَ أو غَداً أو بَعْدَ غَدٍ وَسَأُقْنِعُ أهْلِي أنّي أرْغَبُ بكَ زوجاً لِي.

هنا.. عَرَفَ هَذا الشَّابُّ المتَورِّطُ أنَّهُ قَد كُشِفَ كَذِبُهُ وَتَحَايُلُـهُ وسقطَ في يدِهِ.. فما كَانَ منهُ إلاَّ أن لاذَ بالفِرَارِ.. ولم يلتَفِت بَلْ لَم يتكلَّم ببنتِ شفَه..

ومرَّت السُّنُونُ وتزوَّجَ هذا الشَّابُّ غَيْرَهَا.. وهي تَزَوَّجَت غَيْرَهُ.. هكَذا كُوني يا أبْنَتِي قويَّةً ذكيَّةً فَطِنَةً مِثْلَهَا.. فَمَن أرادَكِ بِسُوءٍ فَادْفَعِيْهِ عَنْكِ لِيَعُودَ ذَلِيْلاً صَاغِراً حَقِيْراً.. وإيَّاكِ أنْ تَسْتَسْلِمِي لَهُ ولأكَاذِيبِهِ وَوعُوده.. فَواللهِ الَّذِي لا إلهَ غَيْرُه مَن أرادَ الزواجَ من هؤلاءِ الشَّباب بِقَصْدِ العِفَّةِ فَإنَّ اللهَ تَعَالىٰ لا يُؤخِّرهُ عَنهُم.. بَل وَعَدَ اللهُ تعالىٰ أنْ يُغْنِيَهُم مِن فَضْلِهِ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٢].

قِسْمُ الرَّسَائل

رسالةٌ في ليلةِ زفافٍ

جاءَ رسولُ البريدِ بكتابٍ وصُوَرٍ إلىٰ زَوْجٍ في ليلَةِ زفافِهِ علىٰ زَوْجَتِهِ المسكينةِ والتي كانت علىٰ علاقةٍ قَبْلَ ذَلِكَ معَ عَشِيْقٍ قضَت معَهُ فترةً مِنَ الزَّمَن.. فأرادَت بهذَا الزَّواجِ أنْ تَنْسَىٰ تَاريخاً أسوداً ملطَّخاً بالعَارِ والأَسَىٰ.. ولكنَّهُ ـ أي العَشِيق ـ أبَىٰ أن يَنْسَىٰ ولم يكْتَفِ بأنْ أهدرَ شرَفَهَا بل أرادَ أن يُدمِّرَ حيَاتَهَا فأرْسَلَ رسالتَهُ إلىٰ زَوْجِهَا قبلَ أن تكتَمِلَ الفرْحة.

وإذا في الرِّسالة الكلماتُ التَّالية: «عَلِمْتُ أنَّك خطَبتَ ـ فلانَةً ـ إلىٰ أبيهَا وأنَّك عمَّا قَريب ستكُون زَوْجها، ولَعَمْري لَقَد كَذَبَكَ نظَرُك، وَخدَعَكَ مَن قَالَ لَكَ: إنَّكَ ستكُونُ سعيداً بها، فإنَّها لَن تكُونَ لكَ بَعْد أن صَارَت لِغَيْرِكَ، ولا يَخْلُصُ حُبُّكَ إلىٰ قَلْبِهَا بَعْد أن امْتَلأ بِحُبِّ عَاشِقِهَا، فَاْعدل عَن رأيكَ فِيهَا، وانْفُض يَدَكَ مِنْهَا، وإن أردتَ أن تَعْرفَ مَن هُوَ ذَلِكَ العَاشِق وتَتَحقَّق صِدْق خَبَري وإخْلاصِي إليكَ في نَصِيْحَتِي، فَانْظُر إلىٰ الصُّورة المُرْسَلَةِ مَع هَذا الكِتَاب.. والسَّلام

التوقيع: فاعلُ شرٍّ..

أختاهُ إنَّ قِصَصُ الذِّئابِ أكثرُ مِن أن يُحْصِيهَا العدُّ، ولكنَّ اللَّبيبَ بِالإشَارَةِ يَفْهَمُ، وَقَلَّمَا تَتَزَوَّجُ فتاةٌ ذات صِلاتٍ فاسدةٍ مَع رَجُلٍ إلاَّ وَرَدَت عليهَا ليلَة البِنَاءِ بِهَا أو صَبيحَتها كُتُبُ الوِشَايَةِ بِهَا والسِّعَاية مِن الأشْخَاص الَّذينَ أحبَّتْهُم وأخْلَصَت إليهِم، فيَنْتَهي أمرُها في حَيَاتِهَا الجَدِيْدَة إلىٰ الشَّقاءِ والعَارِ..

وليس هناك فتاةٌ بَدَأت حَيَاتها بحبٍّ وَغَرام، اسْتَطَاعَت أن تَتَمَتَّعَ بالحبِّ في زواج سَعيدٍ شَريف جَزاءً وفاقاً ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أحداً.

والآن آن لك ـ يا ابنتي ـ أن تُفَرِّقي بِقُوَّةٍ بينَ مَن يُريدُك مُسْتَتِرَةً فَتُعَزَّى، ومُمْتَنِعَةً فَتُطْلَبِي، وبينَ مَن يُريدُكِ مَعْرُوضَةً فَتَهُوني، وكلُّ معروضٍ مُهَانٌ، قَد آن لكِ أن تَتَشَبَّثي بِحجَابِك وسِتْرِك وعَفَافِك وطُهْرِك امتثالاً لقولِ ربِّك عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [الأحزاب : ٥٩].

* * *

حياةُ الاستهتار واللَّهو

تَقُولُ فَتَاةٌ من دولةٍ عربيةٍ مسلمةٍ وهي طَالِبَةٌ عُمْرُها (٢٥ عاماً) تَدْرسُ في إحدىٰ الجامعاتِ العربيةِ ومُصَابَةٌ بِمَرضِ الإيدز منذ «٤» سنواتٍ تقُولُ:

كلُّ ذلكَ بسببِ حياةِ الاستهتَارِ واللَّهو الَّتي عِشْتُهَا ولَـم يكُـن لي ذَنْـبٌ فيـهَا بَـل ذَنْبُ أبي الَّذي دائماً لا يَلْتَفِتُ إليَّ خاصَّةً بعْدَ وفَاةِ أمِّي وزَوَاجِهِ مِن أُخرىٰ.

لَم يَسْألني يَوماً أينَ تَذْهَبِينَ؟ ومَن هُم صَديقَاتُكِ؟ وكَيفَ تَقْضِينَ يومَكِ؟.

كَم تَضرَّعتُ إليهِ أن يَهْتَمَّ بي.. تُصَدِّقُوني إنْ قلتُ لكُـم: إنَّـه الآنَ لا يَعْـرِفُ في أيِّ عَامٍ دِرَاسيٍّ أنَا، حتَّىٰ بتُّ أعْتَقِدُ أنَّه لا يَتَذكَّرُ أنَّ لَه فَتَاةً..

تَعرَّفتُ علىٰ شَابٍّ بَل أكْثَر مِن شَابٍّ، أخرجُ وأتَـنزَّهُ مَعَـهُم.. وَجَـدْتُ الاهتِمَـامَ مِنْهُم حتَّىٰ وإنْ كَانَ مُصْطَنَعاً.. وَفَعلْتُ كلَّ شَيءٍ مُحَرَّم وتَنَاولتُ المُخدِّراتِ وذَهَبْتُ، وسَافَرتُ مَعَهُم في كلِّ أنحاء البلدِ التي نعيشُ فيها، حتَّىٰ انتقَلَ ليَ مَرَضُ الإيدز ولَم أكُن أعْرِفُ ذَلِكَ إلاَّ عَن طريقِ فَحصِ الدَّم في المَشْفَىٰ عندَمَا شَـعَرْتُ بِتَعَـبٍ ووَهْـنٍ وضعفٍ اعتَرَىٰ جَسَدِي، وحتَّىٰ الآن لا يَعْرِفُ أبِي عَن مَرضِي شَيئاً.. فَقَط يَزُورنِي أنَا وإخْوتي الصِّغَار كُلَّ شَهْر مَرَّة مِن أجْل إعطائِنَا مَصَاريفنَا.

كَـم أتمَنَّـىٰ أنْ أمُوتَ وَتَنْتَـهِي حَيَـاتِي لكِنِّـي أخْشَـىٰ عَلـىٰ أخَوَاتِـي أنْ يكُـونَ مَصِيْرُهُنَّ كَمَصِيري!

وإلىٰ اللهِ أشكو همِّي وأبُثُّ حُزْنِي..

أختكُم الضَّائِعَةُ..

التَّائِهَةُ

أنَا فتَاةٌ لا أحِبُّ الأوَامِرَ والقيودَ، وأتَضَايَقُ مِن أسلُوبِ أهْلِـي في التَّعَـامُل مَعَـي وَمُرَاقَبَتِهِم لي، عِشْـتُ حيـاةً مليئـةً بالمُغَـامرَاتِ وَالمُفَاجَـآتِ وَالمَآسِـي وَالأحْـزَانِ، وَأحياناً كنتُ أفكِّرُ في الانْتِحَارِ وَالتَّخَلُّصِ مِن هُمُوم هَذِهِ الدُّنْيَا وَعَنَائِهَا.

كنتُ في أوائِل المَرْحَلَةِ الجَامِعِيَّةِ حِينَمَا بَدَأتُ اخْـتِرَاقَ الحَـاجِزِ الأَمْنِـيّ الَّـذِي وَضَعَهُ أهْلِي عَلَيَّ منذُ بُلُوغِي أو قَبْلَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ، كانَت الخطُواتُ الأولىٰ عَن طَرِيْقِ بَعْضِ الزَّمِيـلاتِ فِي الجَامِعَـةِ (أرقَـام هَوَاتِـف، جـوَّلات..) وكـانَـت مَرْحَلَـة تَسْـلِيَةٍ وَاسْتِمْتَاع أكْثَر مِن أيِّ شَيءٍ آخَرَ.

لكِنَّنِي بِمُرُور الوَقْتِ وَتَعَوُّدِي عَلىٰ التَّلاعُبِ بِمَشَاعِرِ الشَّبَابِ وكَسْرِ حَاجِزِ مُرَاقَبَةِ الأَهْل رَغِبْتُ في التَّقَدُّم إلىٰ أبْعَد مِن ذلِكَ، وَلَم يكُن ذَلِكَ صَعْباً، فَبَدَأتُ أولاً بِسُؤَال بَعْضِ الصَّدِيقاتِ الخَاصَّاتِ جِداً.. وَفعلاً دَلَّتْنِي إحْدَاهُنَّ عَلـىٰ عِـدَّةِ طُـرُقٍ مُنَاسِبَةٍ وَمَأمُونَةٍ.. وَأوَّلُهَا كَانَ عَن طريقِ مَشْغَلٍ نِسَائِيٍّ تُشْرِفُ عَلَيْهِ امْـرَأةٌ مَـاهِرَةٌ في تَنْسِيقِ اللِّقَاءاتِ بكَافَّةِ أنْوَاعِهَا (لقاءاتٍ فَردِيَّةٍ.. حَفَلاتٍ جمَاعِيَّةٍ..)

كَانَت تَجْرِبَةً مثيرةً نَاسَبَت رُوحَ المُغَـامَرَةِ عِنْـدِي ولكنَّـهَا لَـم تكُـن خَالِيَـةً مِـن الخوفِ والشَّقَاءِ نظراً لأنِّي فَقَدْتُ شَيئاً كبيراً في حَيَاتِي كَأُنثَىٰ.. لقد فقدتُ عذرِيَّـتِي للأسف.. وَمَعَ ذَلِكَ لَم أبْتَعِد كَثِيْراً عَن ذَلِكَ الجوِّ الجديـدِ الَّـذي دَخَلْتُـهُ خاصَّـةً وَأنِّـي أحِسُّ بالانتِصَار عَلىٰ قيـودِ أهْلِـي المُشَـدّدَةِ دُونَ أنْ يكُـونَ لَـهُم عَلَـيَّ مَدْخَـلٌ أو دليـلٌ وَاضِحٌ. وربَّما كانوا يشُكُّونَ في بَعْضِ الأحيَانِ لكِن ذَلِكَ لَم يكُن يَهُمُّنِي كَثِيْراً.

ولقَد تَعَرَّضْتُ بعدَ ذلكَ لِمَآسٍ وآلام مَع تِلْكَ الشُّلَّةِ الخَفَّاشِيَّة الَّتي تَنْشَطُ ليلاً بكلِّ أنواع اللَّهوِ وَالاستِمتَاع..

كُنْتُ أظنُّ أنَّني مَحْبُوبَةٌ بَيْنَهُم ومَعْشُوقَةٌ حَقِيْقِيَّةٌ فإذا بِي أصْبِحُ مع مرِّ الأيَّامِ كَالحِذَاءِ.. وَسَاءت حالَتِي حَتَّىٰ اسْوَدَّتِ الدُّنيَا في عَيْنِي وَلاحَظَ أهلِي ذَلِكَ..

وأخَذَتْنِي أمِّي لأَحَدِ المَشَايخ فَقَرَأ عَلَيَّ وَبكَيْتُ وَتَأثَّرتُ بِالقُرآنِ وَصِرْتُ أصَلِّي بِانْتِظَامٍ، ولكنْ لَم يَسْتَمِرَّ الأمرُ طويلاً وذَلِكَ حِينَمَا كَتَبْتُ رسالةً إلىٰ إحدَىٰ المجَلاتِ أشكُو حَالَتِي وَظُرُوفي التَّعِيْسَة..

ووقعت هذِهِ الرِّسالةُ بيدِ المحَرِّرِ.. وحاولَ التَّعَرُّفَ عليَّ.. وفعلاً تَعَرَّفْتُ عَلىٰ المُحَرِّرِ وكانَ الأمرُ معهُ أفظَعَ من ذي قبل.. وَدَخَلْتُ معهُ في مَتَاهَاتٍ أخْرَىٰ إلىٰ الآن لَم أخْرُج مِنْهَا..

قَالَت لي إحْدَىٰ قَريبَاتِي (وهي فتَاةٌ ملتزمَةٌ) إنَّ مَجَلَّةَ الأسرَةِ تهتَمُّ بِالمُشْكِلاتِ النَّفْسِيَّةِ فكَتَبْتُ إليكُم قِصَّتِي وَأنا الآنَ في أتْعَسِ أيَّامِ حَيَاتِي.

التائهة

* * *

إنِّني نادِمَةٌ

أنا فتاةٌ في الثالثة والعشرين من عُمري.. أمُرُّ بحالةٍ نَفْسِيَّةٍ سيِّئة للغايةِ سَبَبُهَا تَصَرُّفاتي الطائشَة غَير المَحْسُوبَة.. إنَّني أعْتَرفُ بِخطأ تَمادَيْتُ فيه حتَّىٰ غَرِقْتُ في بحَار النَّدَم.. تُوفِّي والدِي فَتَرَكَ بموتِهِ فَرَاغاً نَفْسيّاً وعاطفياً كبيراً فلَجَأتُ للإنترنت.. أشْغلُ نَفْسِي في مُحَاولَةٍ للهربِ منَ الحُزْنِ والاكتئاب الَّذي خَلَّفَهُ رحيلُ وَالِدِي..

تَعَرَّفْتُ علىٰ شبَّان وشابَّات عن طريق الإنترنت فكُنْتُ أتحدَّثُ إليهم لسَاعَاتٍ طويلةٍ.. ومَا لبثت أن تَعَرَّفتُ علىٰ شَابٍّ يقيمُ في مَدِيْنَةٍ قريبةٍ من مَدينَتِي..

تَشعَّبَ نِقَاشُنَا وَحِوَارُنَا، ثمَّ طَلَبَ رَقَم هَاتِفِي فَرَفَضْتُ وَبَعْدَ إلحَاح مِنْهُ أعْطَيْتُهُ رَقَمَ جَوالي وَأصْبَحَ يَتَّصلُ عليَّ كَثِيْراً..

بعد ذلكَ طلبَ لِقَائِي فَرَفَضْتُ أيضاً وبعد إلحاحٍ قَابلته في أماكنَ عامَّة وَتَعَدَّدَت لِقَاءاتُنَا..

وفي تلكَ الأثناءِ تعرَّفت علىٰ شابٍّ آخر.. كانَ لطيفاً وملِمّاً بِالمواقع وخبَايا الإنترنت.. فكنتُ أتعلَّم منه ما أجهلُهُ.. تَعَدَّدَت مكَالَمَاتُنَا ونقَاشَاتُنا وَطَلَبَ رَقَم هَاتفِي.

وَبَعْدَ تَرَدُّد أعطيتُهُ إيَّاه ثمَّ طلبَ لِقَائِي فَخَرَجت للقَائِهِ.. وجرىٰ بيني وبينهُ الَّذي يجري بينَ كلِّ شابٍّ وفتاةٍ إذا اجتمعا..

وهكذا فأنا أتخبَّطُ ما أدْرِي مَا الَّذي أفْعَلُهُ بِنَفْسِي؟! لا أدْري صَدِّقوني..

ثمَّ تَعَرَّفتُ علىٰ شَابٍّ ثَالثٍ كَانَ ألطفهم، وَشَعَرتُ مَعَهُ بالحبِّ في حين أنَّ

الاثنين السَّابقين كنتُ أشْعُرُ بهِمَا كَإخوتي.. أسْمَعُ أخبارَهُمـا.. أشَـاركُهُما في حَـلِّ مشَاكِلِهِمَا.. وهكَذا استَمَرَّت عَلاقتي بهَؤلاءِ الثَّلاثة إلىٰ أن اكتَشَـفَت أختِـي الأَمْـرَ.. فَنَصَحَتْنِي أنْ أتركَهُم فوعدتُهَا بِذَلِكَ لأُسْكِتَهَا..

ومع مرور الأيَّامِ تَقَدَّم لخطبتي شابٌّ ممتَازٌ.. فَرِحتُ لأنِّي وَجَدْتُ فيهِ طَوْقَ نَجَاةٍ لأُنْهِي عَلاقَاتِي عَلىٰ الإنترنِت.. وفعلاً تَمَّت الخُطُوبة وطلبت من أصدقـائي الثَّلاثـة أن يَدَعُوني وَشَأنِي وأنهيتُ عَلاقتي بِهِم..

اثنان منهُم وافقَا أمَّا الثَّالثُ ـ وهُو الأوَّل ـ فَلَم تُعْجِبْهُ فكْرَةُ تَركي لَـه فَقَـامَ كعـادَةِ المُتَمَرِّسينَ بِـالكُومبيوتَر، بِمُرَاقَبَـةِ بَريـدِي الإلكـتروني، وَرَأىٰ رَسَـائِلي للشَّـخْصَينِ وَرَسَائِلهِمَا لي فَطَبَعَهَا، وَأرْسَلَها علىٰ عنْوان مَنْزِلي، وَعِنْدَمَـا رأيتُـهَا صُعِقْـتُ وكِـدْتُ أموتُ، وسَارَعْتُ بإحرَاقِهَا خَشْيَةَ أنْ تَقَع في يَدِ خَطِيْبِي الَّذي يُحِبُّنِي وأحبُّـه ولكنِّـي شَعَرتُ بِالخَوف وَالقَلَق مِن أنْ يُفْتَضَحَ أمْرِي فَيَـتْرُكَنِي خَطِيـبِي الَّـذي أحبُّـهُ وَأشْعُرُ بِذَنْبٍ كَبِيرٍ نَحْوَهُ..

أعيشُ في رُعْبٍ حَقِيْقِيٍّ كلَّما رَنَّ جَرَسُ المَنْزلِ أو الجـوَّالِ أو الرَّسَـائِل الخَاصَّـة بِي.. أو بمجَرَّد مُفَاتَحَةِ أسْرَتي لي بِأيِّ مَوضُوع.. أظُـنُّ أنَّـهم رُبَّمـا عَرَفُـوا بِعَلاقَتِـي الطَّائِشَةِ.. إنَّنِي مُتْعَبَـةٌ.. أتمنَّـىٰ المـوتَ.. وَأشعُرُ بـأنِّي غـير جَدِيـرة بِعَمَلِـي وأنـا مُعَلِّمة.. أشْعُرُ أنِّي لَسْتُ أهلاً لِهَذِهِ المِهْنَةِ الشَّرِيفَةِ..

ولستُ أهْلاً لِثقَةِ أهْلِي.. إنَّني نَادِمَةٌ.. نَادِمَةٌ.. نَادِمَةٌ..

أرجوكَ.. انشُر رِسَالتي لتكُونَ عِبْرَةً لكلِّ الفتياتِ اللَّواتي يَعْبَثْنَ وَرَاءَ الكُومبيوتَـر بحثاً عَن التَّسلية فَيَقَعْنَ في كمينِ الأنْذَال..

أنقذوني يا رجالَ الدِّين

تَقُولُ الفتَاةُ: أنَا شَابَّةٌ عُمرِي عِشرُونَ سَنَة، أدرُسُ فِي الجَامِعَةِ، لِي صَدِيقَةٌ أعتَبِرُهَا أعزَّ صَدِيقَاتِي، وَلَكِن فِيهَا عَيبٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ التَّعرُّفُ عَلَىٰ الشَّبَابِ، وَتَأخُذُ رَاحَتَهَا مَعَهُم، وَهِيَ صَدِيقَةٌ وَفِيَّةٌ جِداً، وَتَقِفُ مَعِي وَقتَ الضِّيق..

المُهِمُّ أنَّها كَانَتْ تُحَاوِلُ أنْ تُعَرِّفَنِي عَلَىٰ شَابٍّ، وَأنَا أرفُضُ لأنَّني لا أحِبُّ هَذَا الطَّرِيقَ، وَأقُولُ لَهَا دَائِماً إنَّهُ طَرِيقٌ سَتَندَمِينَ عَلَيهِ يَوماً مِنَ الأيَّام..

وَلَكِن لا أخفِيكم أنَّ نفسِي كَانَت تُغوِينِي أنْ أجَرِّبَ، وَلَو مَرَّةً وَاحِدَةً!..

وَمَا زَالَتْ تُحَاوِلُ مَعِي، حَتَّىٰ دَبَّرَتْ لِي وَلَهُ لقاءً مِن غَيرِ عِلمِي، فَسَلَّمَ عَلَيَّ وكَلَّمَني، فَكَلَّمْتُهُ بِاحتِرَام.

وَلَكِنَّهَا بَعدَ هَذَا اللِّقَاءِ السَّرِيعِ أعطَتنِي رَقمَ هَاتِفِه، وَكَانَتْ قَد أعطَتْهُ رَقمَ هَاتِفِي أيضاً، فَاتَّصَلَ بِي فِي اليَومِ الثَّانِي، وَتَرَدَّدْتُ أوَّلاً فِي فَتحِ الخَطِّ مَعَهُ، لأنَّنِي عَرَفْتُ أنَّهُ رَقمُهُ، ثُمَّ فَتحْتُ الخطَّ، وَلَكِنَّه كَلَّمَنِي بِاحتِرَامٍ، وَسَألَنِي عَن شَيءٍ فِي الدِّرَاسَةِ، وَأغلَقَ الخطَّ قَائِلاً نَلتَقِي فِي الكُلِّيَّةِ..

ثُمَّ مَعَ الأيَّامِ قَوِيَتِ العَلاقَةُ، وَشَعَرتُ أنَّها عَلاقَةٌ أحبَبتُهَا، وَشَيءٌ جَدِيدٌ فِي الحَيَاةِ، يَقطَعُ عَنِّي المَللَ وَالرُّوتِينَ!..

وَكَانَ الشَّابُّ يَتَمَتَّعُ بوسَامَةٍ وَلِسانٍ جَمِيلٍ جِداً، فَتَعَلَّقْتُ بِهِ مَعَ الأيَّامِ.

وَصِرنَا نَتَحَدَّثُ كَثيراً في سَاعَاتٍ مُتَأخِّرَةٍ مِنَ اللَّيلِ.

المُهِمُّ.. لا أرِيدُ أنْ أطِيلَ عَلَيكُم، طَلَبَ مِنِّي أنْ أزُورَهُ فِي شقَّتِهِ، وَاستَعَانَ بِصَدِيقَتِي، لِتَدُلَّنِي عَلَىٰ الشَّقَّةِ..

وفعلاً ذهبْتُ هُنَاكَ، ثُمَّ تركَتْنَا الصَّدِيقَةُ وَحدَنَا..

فَمَا كَانَ مِنْ هَذَا الشَّابِّ إلا أَنَّهُ بَدَأَ يَتَوَدَّدُ إليَّ، وَشَعرْتُ أنَّهُ يُرِيدُ مِنِّي إشبَاعَ شَهوتِهِ فَقَط، ثُمَّ في ساعةِ ضعفٍ قضى حاجتهُ منِّي، وقضى عليَّ وعلى حياتي بعدَها.. وأنَا الآن حَامِلٌ مِنهُ..

تَركَنِي وَرَاءَ ظَهرِهِ، وَالدِّرَاسَةُ تَبدَأ بَعدَ شَهرٍ فِي الجَامِعَةِ، فَمَاذَا أصنَعُ، عِلماً بِأنَّ أهْلِي لا يَعلَمُونَ، ولا يَعلَمُ أحدٌ إلا صَدِيقَتِي الَّتِي حَلَفَتْ أنَّها لَم تَكُنْ تعلَمُ بِمَا يُرِيدُهُ الشَّابُّ، وَظَنَّتْ أنَّهُ يُرِيدُ فَقَط اللِّقَاءَ والتَّعَارُفَ أكثر...

وَاقتَرَحَتْ عَلَيَّ عَمَلَ عَمَلِيَّةِ إجهَاضٍ، وأنَّهُ يُوجَدُ طَبِيبٌ يَعمَلُ عَمَلِيَّاتِ الإجهَاضِ فِي شقَّةٍ بِالسِّرِّ!..

أرشِدُونِي، وأنقِذونِي مِن هَذِهِ المُشكِلَةِ، لأنَّ نَفسِي تُراودُنِي بِالانتِحَارِ، أو قَتلِ وَلَدي بِالإجهَاضِ...

فَهَل لَدَيكُم حَلٌّ لِهَذِهِ المُشكِلَةِ، مَعَ أنَّني سَمِعتُ عَن بَنَاتٍ كَثيرَاتٍ عَمِلُوا عَمَلِيَّاتِ الإجهَاضِ..

أنقِذُونِي يَا رِجَالَ الدِّينِ، فَقَدْ يَئِسْتُ مِن حَيَاتِي وَسِرّ فَضِيحَتِي الَّذي يَقتُلُنِي كُلَّ يَومٍ.

❁ الجوابُ:

إنَّا للهِ وَإنَّا إلَيهِ رَاجِعُونَ، وَحَسبُنَا اللهُ وَنعمَ الوَكِيلُ، وَنَسألُ اللهَ أنْ يُجَازِيَ الَّذِينَ سَمَحُوا بِالاختِلاطِ فِي بِلادِ المُسلِمينَ بِمَا يَستَحِقُّونَ.

أوَدُّ أنْ أوَجِّهَ نَصائحَ لِكُلِّ النِّسَاءِ، لا سِيَّمَا فِي عُمرِ الشَّبابِ وَالطَّالباتِ فِي عُمرِ المُرَاهَقَةِ، وهي:

۞ أَوّلاً: أنَّ شَرفَ المرأةِ لَيس مَجَالاً لأنْ تَقولَ فيه أتعَرَّفُ عَلَىٰ شَابٍّ مِن بَابِ التَّجربَةِ، وتَغيِيرِ رُوتِينِ الحيَاةِ وَالمَلَلِ، وَهَل يَصِحُّ أنْ تَهُونَ عَلَىٰ المَرأةِ كَرامَتُها إلَىٰ هَذَا الحدِّ، فَتَلهُو بِسُمعَتِها كَأنَّهَا لُعبَةٌ عَابِرَةٌ.

۞ وَثَانِياً: أنَّ فِي هَذِهِ القِصَّةِ عِبرَةً، تُبيِّنُ السَّبَبَ الَّذِي مِن أجلِهِ حَرَّمَتِ الشَّرِيعَةُ الاختِلاطَ بَينَ الجِنسَينِ بِالصُّورَةِ الَّتي تُوجَدُ اليومَ فِي بِلادِ المُسلِمِينَ، لأنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أرَادَ مِن المَرأةِ أنْ تَصُونَ نَفسَهَا، وَتحفَظَ كَرامَتَها، وَتَترَفَّعَ بِشَرفِها عَن أنْ تُدَنِّسَهُ الذِّئَابُ البَشَرِيَّةُ الَّذِينَ لا يُرِيدُونَ إلا افتِرَاسَ شَرَفِ المَرأةِ، ثُمَّ يَترُكونَهَا وَرَاءَ ظُهُورِهِم، فَهُمْ أذَلُّ وَأحقَرُ مِن أنْ تَبذُلَ المَرأةُ لَهُم نفسَها رخيصَةً يَسمَعُونَ صَوتَهَا كُلَّمَا اشتَهَوا، وَيَنظُرُونَ إلىٰ صُورَتِها مَتَىٰ أرادُوا، وَيَتَمتَّعُونَ بِجَمالِهَا، وَفِي النِّهايَةِ تَقَعُ الفَاحِشَةُ وَالفجُورُ، حَتَّىٰ إذَا انتَهىٰ وَطرُهُم، رَمَوهَا بَعدَ أنْ لَوَّثُوا سُمعَتَهَا وَشَرَفَها.

۞ وَثالِثَاً: أنَّ البِنتَ السَّاذِجَةَ وَحدَهَا هِيَ الَّتي تَثِقُ بِشَابٍّ هَانَتْ عَلَيهِ، وَرَخصَتْ فِي عينيهِ، فَكَلَّمَهَا فِي الهَاتِفِ، إنَّ الشَّابَّ إذَا كَانَ يَحتَرِمُ المَرأةَ وَيُرِيدُهَا زَوجَةً لَهُ، لا يَتَحدَّثُ إلَيهَا، وإنَّمَا يَتَوجَّهُ إلَىٰ أهْلِهَا خَاطِباً لَهَا، فَالوَاجِبُ عَلَىٰ البِنتِ الَّتي تَنظُرُ إلَىٰ نَفسِهَا نَظرَةَ احتِرَامٍ واستِعلاءٍ، أنْ تَقطَعَ الطَّرِيقَ عَلَىٰ الشَّبابِ البَاحِثِينَ عَنِ اللَّذةِ مِن أوَّلِ الطَّرِيقِ، فَتُعِفَّ نَفسَهَا، فَلا تَتَّصِلُ وَلا تَقبَلُ اتِّصَالاً مِن أحَدٍ.

۞ رَابِعاً: أقُولُ لِكُلِّ امرَأةٍ: اعلَمِي أنَّهُم ـ أعنِي الرِّجالَ ـ يَحتَرِمُونَ المَرأةَ الَّتِي لا تُكَلِّمُ أحَداً وَلا تبذلُ نَفسَهَا لأيِّ مَخلوقٍ إلا لِمَن يَأتِي لأهلِهَا خَاطِباً، فَيَتَزوَّجهَا، وأنَّهُم يَحتَقِرُونَ المَرأةَ الَّتِي تَقبَلُ أنْ تُكَلِّمَ أحَداً فِي الهَاتِفِ، إنَّهم يُرِيدُونَها فَقَط لِقَضَاءِ شَهَواتِهِم، كَمَا حَصَل مَعَ السَّائِلَةِ، وَهُم يَتَحدَّثُونَ بَينَهُم فِي المَجالِسِ في هَذَا الأمرِ، وَيَقُولُ أحَدُهُم: لا يُمكِنُ أنْ أتزَوَّجَ مِنِ امرأةٍ كانَتْ تُكَلِّمُ الشَّبابَ فِي الهَاتِفِ،

إنَّها لا يُوثَقُ بِهَا زَوجَةً وَلا أمّاً، فَهَل تَرضَينَ أنْ تَكونِي رَخِيصَةً لِهَذِهِ الدَّرَجَةِ؟.

خَامِساً: كَثيراً مَا تَكونُ المَرأةُ هِيَ الَّتي تُفسِدُ المَرأةَ، فَالصَّديقَةُ فِي هَـذِهِ الحَـالِ هِيَ امرأةٌ خَبيثَةٌ فَاسِدَةٌ تُرِيدُ إفسَادَ غَيرِهـا حَتَّىٰ لا يَتَمَـيَّزنَ عَلَيـهَا بِشَـرَفِهِنَّ، وَلِـهَذا سَعَتْ صَديقَتُكِ فِي إفسَادِكِ، وَهِيَ التي رتَّبت كُلَّ شَيءٍ، وَاتَّفَقَتْ مَعَ الشَّابِّ الفَـاجِرِ عَلَىٰ إفسَادِكِ، بَعدَمَا أفسَدَهَا هِيَ مِن قَبلُ، هَذَا الَّذي يَبدُو لِي جَلِيّاً، وَلا أظُنُّ أحَـداً قَرَأ قِصَّتَكِ يُخالِفُنِي فِي هَذَا الأمرِ، وَلِهَذا فَيجبُ أنْ تحرِصَ المَرأةُ العَفيفَـةُ الشَّـرِيفَةُ علىٰ أنْ تَتَجَنَّبَ الصَّديقَةَ الفَاسِدَةَ، فَلا تُصَاحِبهَا، وَلا تُفضِي إلَيها بِأمُورِهَا الخَاصَّةِ، وَالعَجَبُ كَيفَ تَقُولُ السَّائِلَةُ عَن صَدِيقَتِهَا إنَّها وَفِيَّةٌ وَإنَّـها تُسـاعِدُهَا وَقـتَ الضِّيـقِ، وَهَل أوقَعَها فِي الضِّيقِ وَالشِّدَّةِ حَتَّىٰ فَكَّرَت فِي الانتِحَارِ إلاَّ هَـذِهِ الصَّديقَـةُ الفَـاجِرَةُ الخَبيثَةُ عليها مِنَ اللهِ ما تَستَحِقّ.

سَادِساً: لا يَجُوزُ للمَرأةِ أنْ تُخَالِطَ الرِّجَالَ، وَهَذِهِ القِصَّةُ المَأسَاوِيَّةُ لَيسَتْ سِـوىٰ حَادِثَةٍ مِن حَوَادِثَ كَثيرَةٍ.

وَالَّذِينَ يَسمَحُونَ بالاختِلاطِ هُمُ السَّبَبُ الأوَّلُ فِيمَا يَحدُثُ من المَآسِي وَخَـرَابِ البُيوتِ وَفسادِ الشَّـبابِ مِـنَ الجِنسَـينِ وَقَـد قَـالَ النَّـبيُّ ﷺ: « كُلُّكُـم رَاعٍ، وكُلُّكُـم مَسؤولٌ عَن رَعِيَّتِه ».

وأقُولُ لأولِيَاءِ الأمُورِ: أبعِـدِ ابنتَـكَ عَـنِ الأمَـاكِنِ المُختلطـةِ، إنْ كُنـتَ تُريـدُ أنْ تُحافِظَ عَلَىٰ شَرَفِهَا، وَلا تُصَدِّقْهَا إنْ قَالَتْ لَكَ: إنَّها لا تَلتَفِتُ إلىٰ أحَـدٍ، لا تُصَدِّقـهَا إنْ كنتَ تريدُ مَصلَحتَها وَشَرَفَك وشرَفَها، فإنْ أرَدْتَ الخَرَابَ والدَّمَارَ، فَصَدِّقْها.

* * *

فتاةُ المسنجر

أنَا فتاةٌ في ريعانِ الشَّبابِ أستَعْمِلُ الإنتَرْنت كبَاقِي الفتَيَاتِ، ومـرَّةً مـنَ المـرَّاتِ أضفتُ شَخصاً عِندِي فِي «المسنجر» وَمعَ الوَقتِ أحبَبْتُهُ كثيراً، وكُنـتُ أتضَـايَقُ إذَا مَرَّ يومٌ ولَم أتحدَّثْ معَهُ، لا تتَصوَّرُونَ كَـمْ كُنتُ أحِبُّـهُ، كَـانَ دومـاً يَطلُـبُ مِنِّـي أنْ أحَادِثَهُ بِالهَاتِفِ ولَكِنَّنِي أرفُضُ بِشِدَّةٍ، حَـاوَلَ كَثِيراً بِحُكـمِ أنَّنِـي إنسَـانَةٌ يَثِـقُ فِيـهَا الجَمِيعُ، رَفَضْتُ ولَم أتوَقَّعْ نَفسِي يَوماً مِنَ الأيَّامِ أنْ يَكُونَ لِي عَلاقَةٌ مَعَ شَابٍّ حَتَّـىٰ بالمَسنْجر.

استَمرَّتْ عَلاقَتُنَا شَهراً تَقرِيباً وَكُنتُ قَد أضَفْتُـهُ لَـدَىٰ أختِي بِالمَسِنْجر وَهُوَ لا يَعلَمُ أنَّها أختِي، وَفي يومٍ مِنَ الأيَّامِ انقَطَعَ عنِّي ولَم يُحَدِّثْنِي لأكثَرَ مِن أسبُوعٍ..

غَضِبْتُ وقتَهَا كَثِيراً ولَكِن لَمَّا عَادَ لَـم أتوَقَّـعْ ذَلِـكَ لأنَّـنِي شَـكَكْتُ بأنَّـهُ سَـوفَ يَترُكُنِي، وكُنتُ فِي تِلكَ الفَترَةِ عَزَمْتُ عَلَىٰ تَركِهِ، ولَكِنَّهُ قَـالَ لِـي كَلامـاً أنْسَـانِي مَـا كَانَ مِنْهُ، بَل زَادَ تَعلُّقِي بِهِ، وَفِي نِهَايَةِ حَدِيثِنَا فِي ذَلِكَ اليَومِ طَلَـبَ مِنِّـي أنْ أحَادِثَـهُ بِالهَاتِفِ وَلَكِنِّي رَفَضتُ، وَبَعدَ يَومٍ فَتَحْـتُ المَسِـنْجر وكَـانَ مَوجُـوداً ولَـم يُكَلِّمنِـي، واضْطُرِرْتُ لأنْ أفتَحَ المَسِنْجر الخَاصَّ بِأختِي فِي الوَقتِ نَفسِهِ، وَإذَا بِهِ يَبدَأ الحَدِيثَ وَيطلُبُ أنْ يَتَعرَّفَ..

لَحظَتَها أحسَسْتُ بِالخِيَانَةِ وَأكمَلْتُ الحَدِيثَ وَهُوَ لا يَعلَمُ مَنْ أنَـا، ثُـمَّ حَادَثْتُـهُ مِنَ المَسِنْجر الخَاصِّ بِي، ثُمَّ خَرَجْتُ وَهُوَ لا يَعلَمُ أنَّني هِـيَ نَفسُـهَا الَّتي تُحَادِثُـهُ.

أرْشِدُونِي إلَىٰ الصَّوابِ جَزَاكُمُ اللهُ كُلَّ خَيرٍ.

❁ الجوابُ:

السُّؤَالُ الذي يَثِبُ إلىٰ ذِهنِي مُبَاشَرَةً عِندَ قِرَاءةِ مِثلِ مُشكِلَتِكِ: لِمَاذَا أَضَفْتِ هَذَا الشَّخصَ إلىٰ المَسنجر؟!.

تَقُولِينَ عَن نَفسِكِ: «إِنَّنِي إِنسَانَةٌ يَثِقُ بِهَا الجَمِيعُ». وإِصْرَارُكِ عَلَىٰ رَفْضِ مُحَادَثَةِ ذَلِكَ الشَّخصِ بِالهَاتِفِ يَدُلُّ عَلَىٰ ذَكَائِكِ وَحِرصِكِ عَلَىٰ التَّمَسُّكِ بِتِلْكَ الثِّقَةِ الَّتِي مُنِحَتْ لَكِ، ويُنظَرُ بِهَا إِلَيكِ.

ولَكِنِّي أَرجِعُ إِلَىٰ سُؤَالِي الَّذِي طَرَحتُهُ مِنْ قَبلُ: لِمَ أَضَفْتِ ذَلِكَ الشَّخصَ إِلَىٰ المَسنجر؟! قَدْ تَقولِينَ: أَضَفْتُهُ عَبَثاً، لَكِنِّي لَنْ أُصَدِّقَ، وَقَد أَرُدُّ عَلَيكِ بِأَنَّكِ كَفَتَاةٍ تَتَطَلَّعِينَ إِلَىٰ الارتِبَاطِ بِفَتىً كَزَوجٍ، وَتَرَينَ أَنَّ هُنَاكَ دَوَافِعَ دَاخِلِيَّةً تَجذِبُكِ إِلَىٰ حَدِيثِ الفَتَىٰ مَا لا تُحِسِّينَ بِهِ تِجَاهَ حَدِيثِ الفَتَاةِ..

وَهُوَ أَمرٌ طَبِيعِيٌّ جِداً.. فَالحَيَاةُ تَكتَمِلُ بِرَجُلٍ وَامرَأَةٍ مَعاً، وَتَحلُو كَذَلِكَ. وَلَكِنَّ ذَلِكَ حِينَ يَكُونُ خارِجَ إطارِ الزَّوجيةِ يشبعُ إِشباعاً كاذباً.. ثُمَّ يَترُكُ نُدوباً قَد تَمُوتُ الفتاةُ ولَم تُمحَ عنها..

بَل تَفقِدُ الفتاةُ كَثِيراً مِن النكهَةِ المُنتَظَرَةِ عندَمَا سَتَتَزَوَّجُ!.

أُختِي الكَرِيمَةُ: أَنْ تُفكِّرَ الفَتَاةُ بِالفَتَىٰ.. أَنْ تَحلُمَ بِهِ.. بَل أَنْ يَمُرَّ في ذِهنِهَا حتَّىٰ ولو كانَت شَخصِيَّةَ فَتىً مُعَيَّنٍ.. هَذا كُلُّهُ قَد يكُونُ طَبيعِياً..

وَتِلْكَ الأحلامُ قَد تَمُرُّ بِسُرعَةٍ.. وَقَد تَبقَىٰ مُدَّةً، ولكِن أَحدَاثُ الحيَاةِ اليَومِيَّةِ تُنسِيهَا أو تُغَطِّيهَا.. ولكِنَّ الأمرَ يكونُ غَيرَ طبيعيٍّ حينَ تعمَدُ الفتَاةُ إلىٰ تَحوِيلِ تِلْكَ الأحلامِ إلىٰ واقِعٍ.. فَتَتَّصِلَ بِشَابٍّ عبْرَ إِحدَىٰ وَسَائِطِ الاتِّصَالِ (الهَاتِف أو الإنترنت..) وَيكُونُ الامرُ أكثرَ سُوءاً حينَ تُقبِلُ عَلَىٰ مَا يَرمِي لهَا مِن طُعمٍ فَتَقَعَ في الفخِّ!.

أختِي الكَريمَةُ:

هل أستطيعُ القولَ إنّكِ (أكَلْتِ الطُّعْم) ولَكنَّ ذكَاءكِ جعَلَكِ تُحَاذِرينَ الوُقُوعَ في الفخِّ الَّذي يُنْصَبُ لَكِ.. لاحِظِي أنَّكِ أنتِ الَّتي أضفْتِ الشَّخْصَ المذكُورَ.. وهِيَ مُحَاوَلَةٌ لِنَقْل خيَالاتكِ وأحْلامكِ في (فَارسِ الأحْلام) إلىٰ الواقِع..

ولا تَنْسي أنَّك لا تَعْرفينَ هـذَا الشَّخْصَ.. ولِذَا أطْلَقْتِ عَلَيْهِ شَخْصاً ولَيْسَ (شاباً)!! وبِالتَّالي لا تَعْرفينَ ـ ربَّمَا ـ أيَّ شيءٍ عَنْهُ.. وقَد يكونُ كلُّ مَا لَفَت نَظَرَكِ فيهِ وأعْجَبَكِ مِنْهُ حروفٌ يُحْسِنُ تَصْفيفَهَا في أحَدِ المُنْتَدَيَاتِ..

ولاحِظِي مَرَّةً أخرَىٰ: أنَّكِ تَقُولينَ عَنْهُ: (ومَع الوَقْتِ أحْبَبْتُهُ كَثِيْراً) بَل تَقُولينَ بعدَهَا: (كنتُ أتضَايَقُ إذا مَرَّ يومٌ ولَم أتحَدَّث مَعَهُ.. لا تَتَصوَّرونَ كَم أحبُّهُ!!).

أختِي الكَريمَةُ:

أسْألُكِ ـ أيَّتُهَا الذَّكِيَّةُ ـ مَا الدَّوافِعُ وَرَاءَ هـذا الحُبِّ (الجُنُوني)؟ هَل مُجَرَّدُ مُحادَثَةٍ علىٰ المَسِنْجر تَخْلُقُ عِندَكِ هَذِهِ المَشَاعِر؟ مِنَ المُؤكَّدِ أنَّ ذَلِكَ الشَّخْص (ربَّمَا بِحكْمِ الخِبْرَةِ!) يَعْرفُ جيِّداً كيفَ يَزْرَعُ عِنْدَكِ تِلْكَ المَشَاعِرِ؟..

ولكِن للأسَفِ الشَّدِيْدِ أنَّ ذَلِكَ الحبَّ (الَّذي لا تَتَصَوَّرهُ كَمَا تَقُولينَ) كَانَت بذُورُهُ (كَلاماً!) مَهْمَا بَلَغَ مُسْتَوَاهُ في البَلاغَةِ..

هَل صَحيحٌ ـ أختِي الكَريمَة ـ أنَّ الفتاةَ مَهْمَا بَلَغَ ذكاؤُهَا لا تَلْبَث أنْ تَسْقُطَ في الشَّرَكِ عِنْدَمَا يَمْنَحُهَا شَابٌّ مُحْتَرِفٌ بِضْعَ كَلِمَاتٍ يَظَلُّ يُرَدِّدُهَا..

إنَّ الفتيانَ يَتَحدَّثُونَ أنَّ أفْضَلَ طَريقَةٍ لاصطِيَادِ الفتَاةِ هي المُبَالَغَةُ في مَدْحِهَا!!.

وَإظهَار عُمْقِ مَحَبَّتِهَا في النَّفْس.. وأنَّ هَذَين الأمرينِ يَجْعَلانِ الفَتَاةَ تَمْشِي بِلا عَقْل بَعْدَ أنْ تُغْمِضَ عَيْنَيْهَا للأسفِ دُونَ وَعْي أو تفكِيْرٍ أو إدْرَاكٍ!.

قُولي لِي ـ أختِي الكَرِيمَةُ ـ:

هَل رَأيتِ علىٰ شَاشَةِ الجِهَازِ غَير هَذا اللَّون مِنَ الكَلام؟! ثُمَّ انْظُري كَم هِيَ المَسَافَةُ بينَ فَتَاةٍ (هي أنتِ) تَقُولُ عَن نَفْسِهَا: (لَم أتوَقَّع يَوْماً مِنَ الأيَّام أنْ يكُونَ لي عَلاقَة مَع شابٍّ حَتَّىٰ بالمَسنجر)!!.

وَبَيْنَ فَتَاةٍ (هِيَ أنتِ أيضاً) تقُولُ عَن نَفْسِهَا: (كُنْتُ أتضَايَقُ إذا مَرَّ يَومٌ وَلَم أتحدَّثْ مَعَهُ، لا تَتَصَوَّرونَ كَم كُنْتُ أحبُّهُ)! وَالَّذِي جعَلَكِ لا تتوقَّعينَ أنْ تَقُومَ بَيْنَكِ وَبَيْنَ أيِّ شابٍّ أيَّة عَلاقَةٍ بأيِّ صُورَةٍ هُوَ مَعْرِفَتُكِ بِأهْدَافِ تِلْكَ العَلاقَاتِ، وَرُبَّمَا سَمَاعُكِ عَن ضَحَايَا كُثُر لِمِثْلِ هَذِهِ العَلاقَاتِ الَّتي تَبْدُو بَرِيئَةً في بدايةِ الأمرِ!!.

وَالَّذِي جعَلَكِ تُحِبِّينَهُ كَثِيراً حَاجَتُكِ للحُبِّ، وَقُدْرَتُهُ علىٰ تَصْوِيرِ نَفْسِهِ بِالمُحِبِّ الوَلِهِ المُتَفَانِي.. تِلْكَ القُدْرَةُ الَّتي وَضَعَت نِقَاباً وحجَاباً علىٰ عَقْلِكِ!! فَهَا هُوَ ذَا عَقْلُكِ لَم يُحْجَب تَمَاماً.. وَهَا أنتِ ذِي تَرْفُضِينَ الاتِّصَالَ بِهِ علىٰ الهَاتِفِ لإدراكِكِ العَمِيق بعواقبه.

أختِي الكَرِيمَة:

أشْعُرُ بِغَير قَلِيلٍ مِنَ الاستِغْرابِ مِن هَذَا التَّنَاقُضِ الَّذي تُمَارِسِينَهُ وَرُبَّمَا تحسِّينَ بِه.. طَرْقٌ مِن قِبَلِ المُحِبِّ الغَامِضِ بِالكَلام علىٰ بَابِ قَلْبِكِ لِمُدَّةِ شَهْر فَيَفْتَحُ لَهُ بِمِصْرَاعَيْهِ.. فَيَشْعُرُ الطَّارقُ الغَامِضُ بِفَرَحٍ غَامِرٍ إذْ بَدَت مَلامحُ الخِطَّةِ تَنْجح..

فَيطْلب المُحَادَثَةَ بالهَاتِفِ.. لأنَّ الفَخَّ المَعْنَويَّ قَد عَمِلَ عَمَلَهُ، إذْ شَعَرْتِ تِجَاه ذَلِكَ الشَّخْصِ بِالحُبِّ، وبَادلتِه المَشَاعِرَ بِالكَلام المكْتُوبِ.. فَلْيَنْصب الفَخّ الحِسِّيّ الَّذِي يستطيعُ جَرَّكِ مَعَهُ بِقَدَمَيْكِ!!.

وَتَظَلُّ مُنَاوَرَاتُ الحَبِيبِ الَّذِي يَقُودُ مَعْرَكَةَ الحبِّ بَيْنَ كَرٍّ وَفَرٍّ، يُقْبِلُ وَيُدْبِرُ،

وَيَصِلُ وَيَهْجُرُ، لِيَفُوزَ في الأَخِيرِ وَيُحَقِّق مُخَطَّطَهُ.. وَلِذَا فَقَد أَعْلَنْتِ انْسِحَابَكِ حِينَ تَركَكِ أسبُوعاً وَعَزَمْتِ عَلىٰ تَركِهِ..

وهُو لا يريدُ هَذا فَإذا هُوَ يَعُودُ وَلكِن لِيَضَع طُعْماً آخرَ عَبَّرتِ عَنْهُ بِقَولكِ: (قَالَ لِي كَلاماً أنْسَانِي مَا كَانَ منهُ.. بَل زَادَ تَعلُّقِي بِهِ). وَهَا أَنَا ذَا أُذكِّرُكِ مَرَّةً أخرىٰ أنَّهُ لا يَزَالُ الأَمْرُ كُلُّهُ (كَلامٌ) في (كَلام).. إنَّهُ بِالنِّسْبَةِ لَكِ كَالسَّاحِرِ الَّذِي يُحَاوِلُ إيهَامَ الوَاقِفِ أمَامَهُ بِأمُورٍ خَيَالِيَّةٍ عَن طريقِ خُدَعٍ سِحْرِيَّةٍ.. وَلِذَا فَهُوَ حِينَ رَأىٰ أنَّكِ بَلَعْتِ الطُّعْمَ يَرْجِعُ إِلىٰ طَلَبِهِ الأَوَّل وَهُوَ الحَدِيْثُ بِالهَاتِف..

أختِي الكَرِيمَة: لو قَال لكِ أحَدٌ إنَّ هَذا الشَّخْصَ الَّذي خُضْتِ مَعَهُ التَّجْرِبَةَ يُظْهِرُ الحبَّ لِغَيْرِكِ لَقُلْتِ ـ تَحْتَ وَطأةِ كَلِمَاتِهِ السَّاحِرَةِ ـ إنَّ هَذا غَيْرُ صَحِيْح وَغَيْرُ مُمْكِن! وَلكِن هَا أنْتِ ذِي تَكْتَشِفِينَ هَذَا بِنَفْسِك وَفي بَيْتِكُم عِنْدَمَا حَادَثَكِ مِن جِهَاز أخْتِك عَلىٰ أنَّكِ صَيْدٌ آخَرُ..

أختي الكريمَة: هَل حَقّاً مَا زلْتِ تَعتَقِدينَ أنَّهُ يُحبُّكِ؟ أمَّا أنَا ـ مَع أنَّ سُؤالَكِ بَيْنَ يَدَي ـ فَلا أزَالُ غَيْرَ مُصَدِّق أنَّكِ مَازلْتِ تَعتَقِدينَ ذَلِكَ!!.

أختي الكَرِيمَة: احمدِي رَبَّكِ أنَّكِ ـ بِتَوفيقِ اللهِ ـ رَفَضْتِ مُحَادَثَتَهُ بِالهَاتِف وَثِقِي أنَّهُ يُمَارسُ مَعَ عَشَراتِ الفَتيَاتِ مَا مَارَسَهُ مَعَكِ.. وَأنَّ كَلِمَاتِهِ الَّتِي جَعَلَهَا طُعْماً لَكِ هِيَ كَلِمَاتٌ يكْتُبُهَا بِآلِيةٍ تَامَّةٍ مِن كَثْرَةِ مَا رَدَّدَهَا.. وَرُبَّمَا أخْرَجَ لِسَانَهُ مِن وَرَاءِ الجِهَازِ وَهُو يُشْعِرُ مُحَادِثَتَهُ بِالمَسِنْجر أنَّهُ أُعْجِبَ بِهَا وَأحَسَّ بِحُبٍّ عَمِيقٍ لَهَا مَلَكَ عليهِ نفسَهُ!!..

أخيراً وَقَد طَلَبْتِ مَشُورَتي فَسَارِعِي إلىٰ إزَالَتِهِ مِنَ المَسِنْجر.. وَقَبْلَ ذَلِكَ إزَالَتِهِ مِن قَلْبِك.. رَاجِياً أنْ يكُونَ هَذا الحَدَثُ تَطْعِيْماً لَكِ مِن هَذِهِ الفِخَاخِ وَأصْحَابِهَا.. وَفَّقَكِ اللهُ إلىٰ كُلِّ خَيْرٍ وَجَنَّبَكِ كُلَّ شَرٍّ، وَبَصَّرَكِ بِالَّذِي هُو خَيْر.

فِتنةُ الإعجابِ

يقولُ عبدُ الفتَّاح: إنَّني أعْمَلُ كَرئيسِ قِسْم في إحْدَىٰ الشَّـركَاتِ الكبيرَةِ منْـذُ فَتْرَةٍ طويلةٍ، أعْجِبْتُ بإحدَىٰ الزَّميلاتِ.. لَيْسَ لِجَمَالِهَا، وإنَّمَا لِجِدِّيتِـهَا في العَمَـلِ وذكَائِـهَا وتَفَوُّقِهَا، إضَافَةً إلىٰ أنَّهَا إنسَانَةٌ مُحتَرَمَةٌ جِداً، ومُحتَشِمَةٌ جداً، لا تَلْتَفِتُ إلاَّ للعَمَلِ.

تحوَّلَ الإعجَابُ إلىٰ تَعَلُّـقٍ، وَأنَـا الرَّجُـلُ المُـتَزَوِّجُ الَّـذِي يَخَـافُ اللهَ وَلا يَقْطَـعُ فَرْضاً. صَارَحْتُهَا بِعاطِفَتي فَلَم ألقَ منها غَيْرَ الصَّدِّ، فَهِي مُتَزَوِّجَةٌ وَلَدَيْهَا أبنَاءٌ أيضـاً، وهِي لا تَرَىٰ أيَّ مُبَرِّرٍ لإقَامَـةِ أيِّ عَلاقَـةٍ مَعَـهَا وَتَحـتَ أيِّ مُسَـمَّىٰ، صَدَاقَـة، زَمَالَـة، إعْجَاب.. إلخ.

ويُراودُني قرارٌ خَبِيْثٌ أحْيَاناً، فَفِي قَرَارَةِ نَفْسِي أتمَنَّىٰ أنْ يُطَلِّقَهَا زَوْجُهَا، لأحْظَىٰ بِهَا.. صِرْتُ أضْغَطُ عَلَيْهَا في العَمَلِ وَأشَوِّهُ مُسْتَوَاهَا أمَامَ مُدَرَائِـي وكَـانَ ذلِـكَ رُبَّمَـا نَوْعاً مِنَ الانْتِقَام مِنْهَا، كَانَت تُقَابِل ذَلِـكَ بِرَحَابَـةِ صَـدْرٍ دُونَ أيِّ تَذَمُّـرٍ أو تَعْلِيـقٍ أو اسْتِنكَارٍ، كَانَت تَعْمَلُ وَتَعْمَلُ.. عَمَلُهَا فَقَط يَتَحَـدَّثُ عَـن مُسْتَوَاهَا الرَّفِيـعِ.. وهـي تَعْلَمُ ذَلِكَ جَيِّداً.

وكَانَ معَ ذلكَ يَزْدَادُ تَعَلُّقِي بِهَا في الوَقْتِ الَّذِي يَتَنَامَىٰ صَدُّهَا لِي بِنَفْسِ الدَّرَجَةِ.

فَأنَا الَّذي كنتُ أظُنُّ نفسي أنَّها لا تُفْتَنُ بِالنِّسَـاءِ بِسُهُولَةٍ، لأنِّـي أخَـافُ اللهَ فَـلا أتجَاوَزُ حُدُودي مَعَهُنَّ خارجَ مَا يَتَطَلَّبُهُ العَمَلُ، لكِن هَذِهِ فَتنَتِي.. مَا الحَلُّ.. لَسْتُ أدْري أرشِدُوني..

❁ الجواب: أيُّها السَّيدُ الفاضلُ أختَصِرُ لكَ الجوابَ بكلماتٍ يسيرةٍ.. وأقولُ لكَ

إنَّ لكَ زوجةً تحبُّها وتحبُّك.. فَهَل تَرْضَاهُ لزَوْجَتِكَ.. هَل تَرْضَـاهُ لابْنَتِـكَ. وأجيـبُ أنا عنكَ: لا. إذن اتَّقِي اللهَ ولا تعكِّر صفوَ حياتِهَا وأنْصَحُـكَ أن تبْحَـثَ عَـن مكَـانِ عملٍ آخرَ بَعِيْداً عَنْهَا وَلا حَلَّ عندي لمثلِ هذهِ المسائِلِ وأمثَالِـهَا أمْثَـلُ وَأنجـعَ مِـنَ الابتعادِ عنْهَا فَهُوَ الدواءُ النَّاجعُ بإذنِ اللهِ تَعالىٰ، وذلكَ بَعْدَ التَّوْبَـةِ والاسْتِعَانَةِ بـاللهِ تَعَالىٰ عَلَىٰ الفَضِيْلَةِ والصَّبرِ علىٰ معصيةِ اللهِ تَعالىٰ..

وما ذلكُم إلاَّ لأنَّ الوُصُولَ إلىٰ هَدَفِكَ في غَايَةِ الاسْتِحَالَةِ..

فَاحفَظ لِنَفْسِكَ كَرامَتهَا وَإيَّاكَ وَهوَاكَ ووَسْوَسَةَ الشَّيطانِ فإنَّه لَكَ عَدُوٌّ مُبينٌ..

وفي الحديثِ الذي رواه الإمامُ أحمد في مُسْنَدِهِ عَن أبي أمَامَةَ قَالَ:

إنَّ فَتَىٰ شَابّاً أتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ائذن لِي بِالزِّنَا! فَأقْبَلَ القَـوْمُ عَلَيْـهِ فَزَجَرُوهُ. وَقَالُوا: مَهْ مَهْ. فَقَالَ ﷺ: «أدْنُهْ» فَدَنَا مِنْهُ قَرِيباً قَالَ: فَجَلَسَ. فَقَالَ له النبيُّ ﷺ: «أتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟» قَالَ: لا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِـدَاءكَ. قَـالَ: «وَلا النَّـاسُ يُحِبُّونَـهُ لأُمَّهَاتِهم». قَالَ: «أفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟» قَالَ: لا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِـي اللهُ فِـدَاءكَ. «وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِم». قَالَ: «أفَتُحِبُّـهُ لأُخْتِـكَ؟» قَـالَ: لا وَاللهِ، جَعَلَنِـي اللهُ فِدَاءكَ. قَالَ: «وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِم». قَالَ: «أفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءكَ. قَالَ: «وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِم». قَالَ: «أفَتُحِبُّهُ لِخَـالَتِكَ؟». قَالَ: لا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءكَ. قَالَ: «ولا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِم». قَالَ: فَوَضَـعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِر ذَنْبَهُ وَطَهِّر قَلْبَهُ، وَحَصِّن فَرْجَهُ». فَلَم يكُـن بَعْـدَ ذَلِـكَ الفَتَىٰ يَلْتَفِتُ إلىٰ شَيءٍ.

والسَّلام..

رِسَالةٌ مِن متزوِّجةٍ

أنَا امرَأةٌ مُتَزوِّجَةٌ مِن رَجُلٍ مُتَدَيِّنٍ وَالحَمْدُ للهِ.. مُشْكِلَتِي أنّني عَرَفْتُ الإنْتَرنت وَدَخَلْتُ إلىٰ مَوَاقعِ الشَّاتِ (المحادثةِ) وَهُنَاكَ تَعَرَّفْتُ علىٰ وَاحِدٍ من الشّبابِ أحْبَبْتُهُ كثيراً مَع العِلْم أنَّ زَوْجِي لا يَعْلَمُ.. وأنا الآنَ أريدُ التَّخَلُّصَ مِنهُ ومِن هذهِ المُشْكِلَةِ.. وإنّي نادمةٌ وأشعُرُ بالخوفِ والقَلَقِ.. ولا أريدُ أنْ يَعْلَمَ بهذا زوجِي.. فَمَاذَا أعْمَلُ.. وشكْراً..

❁ الحَلُّ:

الأختُ الكريمةُ: مَع أنّكِ تَقولينَ أنَّ زَوْجَكِ مُتَدَيِّنٌ، وَهَذا شيءٌ جيّدٌ، إلاَّ أنّي لا أستَبْعِد وُجُودَ ثَغرَاتٍ في حيَاتِك مَعَهُ كـ (كَثْرَةِ غيَابٍ عَن البيتِ، أو صَمْت، أو عَدَم إشبَاع عَاطِفيّ..) فربَّما هذهِ الأشياء أو بعضُها دَفَعَتْكِ شيئاً فشيئاً للسُّقُوطِ في هَذَا المُسْتَنْقَع. وَحَتَّىٰ لَو كَانَ مَا تَوَقَّعتُهُ صَحيحاً فإنَّهُ لا يمكِنُ أنْ يكُونَ مسوّغاً لِهَذا العَمَلِ السَّاذَجِ مِن امرَأةٍ بَلَغَت مِنَ العَقْلِ وَالنُّضج مبْلَغكِ.

إنَّ الإنسانَ مَهْمَا بَلَغَ مِنْهُ الجوعُ لا يمكِنُ أنْ يَعْذِرَهُ النَاسُ في السَّرقَةِ وَتَسَوُّرِ البُيُوت.. وهنَاكَ حَالاتٌ سَقَطَت في المُسْتَنْقَع ولكنَّهَا غرقَت.

ولذَا فَاحمدِي اللهَ أنْ يكُونَ سُقُوطُكِ مُجَرَّدُ تَلَوُّثٍ يُمكِنُ أنْ يُزيلَ أثرَهُ صَابونُ التَّوبَةِ الصَّادِقَةِ.

حينَ أشَرْتِ إلىٰ تَدَيُّن زَوجِكِ حَمدْتِ اللهِ.. وَهَذِهِ إشَارَةٌ وَاضِحَةٌ إلىٰ الرِّضَا العَام عَنْهُ عَلىٰ الأقَلّ.. وحينَ تَقُولين: (تعرَّفتُ علىٰ واحدٍ أحْبَبْتُهُ كثِيراً) تَذْكُري

أَنَّكِ تَتَحَدَّثينَ مَع شَخْصٍ لا تَدْرينَ عَنْهُ أيَّ شيء سِوىٰ أَنَّهُ أَشْعَرَكِ (بِعِبَارَاتٍ دَافِئَـةٍ) بِعَمِيْقِ الحُبِّ!.

ومع ذلكَ تُعَبِّرينَ عَن حُبِّكِ لَهُ بـ (كثيراً)!! وَفَرْقٌ كبيرٌ بينَ أنْ تُحِبِّي سَمَاعَ كَلِمَاتِ الحُبِّ، لأَنَّكِ تَفْقِدينَ سَمَاعَهَا مِن زَوْجِك وَبَيْنَ أنْ تُحِبِّي ذَلِكَ الشَّخْصَ بِعَيْنِهِ.. بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ رُبَّمَا لِخَلَلٍ ذَاتِيٍّ أو غَير ذلكَ لَم يَمْلأ زَوْجُكِ عِنْدَكِ المَنَاطِقَ الَّتي تَحْتَاجُ لِلُغَةِ العَاطِفِيَّةِ.. فَأَصْبَحْتِ فَارِغَةً تَسْتَقْبِلين تِلْكَ اللُّغَةَ.

ثمَّ قدري أنْ يكُونَ ذلكَ الشَّخْصُ (المجهولُ) هُوَ مَن يُرْسِل تِلْكَ الكَلِمَات.. فَاخْتَلَطَت عَلَيْكِ اللُّغَةُ بِالشَّخْصِ فَإذا أنْتِ (تُحِبِّينَهُ كَثيراً).. هنَاكَ سُؤالٌ يَعْتَرِضُ طَرِيقَ كَلامِي لِيَقُولَ: وَزَوْجُكِ ألم تكُوني مُحِبَّةً لَهُ؟ أمْ أنَّ حُبَّكِ لَهُ قليلٌ؟ أنا مُتَأكِّدٌ وأنتِ تَذْكُرِينَ تَدَيُّنَهُ وَتَحْمَدينَ اللهَ عَلَىٰ ذَلِكَ، أَنَّكِ لَهُ مُحِبَّة.. ولكِن لا تُحِبِّينَ رُبَّمَا تَقْصيرَهُ في ملءِ الجَانِبِ العَاطِفِيِّ وَالوُجْدَانِيِّ لَدَيْكِ.. وَمِنَ المُؤَكَّدِ أنَّ هَـذا الدَّفْقَ العَاطِفيَّ مِنْ ذَلِكَ (المَجْهُول) لَو بَذَلَهُ زَوْجُكِ لَصَارَ حُبُّكِ لَه بِلا حُدُود، وَلانْصَرَفْتِ إليهِ وَأغْلَقْتِ النَّوافِذَ عَن غَيْرِه!!. وفي الوَقْتِ الَّذي أذكِّرُكِ ـ ولا أقُولُ أعلِّمُكِ ـ بِأنَّ هَذَا الرَّجُل الذي يكلمُكِ عن طريقِ الشاتِ تَاجِرُ حُبٍّ.. أي هُو في أقَلِّ أحْوالِهِ يَسْتَنْفِدُ طَاقَاتِهِ ولَو مِن وراءِ الشَّاشَةِ!! وهُو في أحيانٍ كَثيرةٍ لا تَنْتَهي أطمَاعُهُ عِنْدَ هَذا الحدِّ.. وهُوَ غالباً وإنْ أوْهَمَكِ بأنَّكِ وَحْدَكِ مَن يَسكُنُ قَلْبَهُ إلاَّ أنَّهُ يُخَلِّفُ الواحدَةَ تِلْو الأُخْرَىٰ مِن أمْثالكِ وراءَ ظَهْرِهِ كَمَا لَو كَانَ يَسيرُ في إحْدَىٰ الطُّرقِ السَّريعَةِ!!.

إنَّهُ يَسْتَخْدِمُ (زئبق) كَلِمَاتِ الحُبِّ لِيُزَحْلِقَ عَلَيْهِ (الضَّعيفَات) اللاَّتي يَقِفْنَ وَرَاءَ الشَّاشَةِ، وفي قُلُوبهنَّ (زَهْرَةٌ ذَابِلَةٌ) تَنْتَظِرُ طُلُوعَ شَمْسٍ وَلَو كَاذِبَة لِتَنْتَعِشَ.. إنَّهُ يَتَّخِذُ مِن كَلِمَاتِ الحُبِّ (المُمَوَّهَةِ) شبكَةً يَصْطَادُ بِهَا الوَاهِنَ مِنَ (طيورِ) النِّسَاءِ.

والأمرُ لا يقفُ عِنْدَ هَذِهِ الغايَةِ، فَهُوَ بَعْـدَ كَلِمـاتِ الوَلَـهِ يَـنْزَلِقُ إلىٰ ذِكْـرِ الهيـامِ بِأعْضَاءِ المَحْبُوبَةِ لِيَصِلَ إلىٰ دَفْعِهَا لِمُمَارَسَةِ الجِنْسِ مِن وَرَاءِ الشَّاشَةِ..

وهُوَ أمْرٌ حينَ تَسْقُطُ فيهِ المرأةُ لا يَقِـفُ عِنْـدَ إفسَـادِ حيَاتِـهَا الزَّوجِيَّـةِ والأُسَـرِيَّةِ فحسب، ولعلَّكِ قرأتِ عَن بَعْضِهَا، بَل قَد يَدْفَعُهَا ـ وَهِيَ السَّكْرَىٰ بِالحُبِّ المَوْهُومِ ـ إلىٰ الوقوعِ في الرَّذِيْلَةِ .. بَعْدَ أنْ تَبْنِي في ذِهْنِهَا (سَفِيْنَةَ) أوْهَام تَصْطَدِمُ أخيراً بِعُنُفٍ علىٰ صَخْرَةِ الوَاقِعِ، ولكِنْ بَعْدَ خَرَابِ البَصْرَةِ كَمَا يُقَالُ.. وَذَاكَ الحَبيبُ الولِهُ يَنْتَقِـلُ بِهُدُوءٍ إلىٰ (سفينةٍ) أخرىٰ، رُبَّمَا دُونَ أنْ يَرْفَعَ يَدَهُ مُوَدِّعـاً، لأنَّ هَـذِهِ وَظِيْفَتُـهُ كَتَـاجِرِ جِنْسٍ قَذِرٍ..

عَزيزَتي..

هَل نَحْنُ سُذَّجٌ إلىٰ الحَدِّ الَّذي لا نُؤْمِنُ مَعَهُ بِحَقيقَـةٍ مِثْل هَـذِهِ الأمـورِ، حتَّـىٰ نصبحَ إحدىٰ ضَحَايَاهَا!! وهَل يكونُ للدَّرْس وقتَهَا مِن نَفْعٍ؟! ألا نَسْمَع وَنَقْرَأ كَـثْرَةَ الضَّحَايَا الَّتي يخلِّفها أولئِكَ (الأنْذَالُ)؟.

هَل تَصِلُ بنَا السَّذَاجَةُ ـ مَع سَمَاعِنَا الكثيرَ عَن الضَّحَايَا ـ أن نُصَدِّقَ أن مَحْبُوبَنَا نَوعٌ مختلفٌ ومُحْتَرَم؟!.. لِم لَم يَجِدْ سِوىٰ الانترنت لِيَتَعَرَّف مِن خِلالِهِ عَلَيْنَا؟!.

ألا يَعْلَمُ هُوَ الآخرُ أنَّ مَن تُحَادِثُـهُ امْـرَأةٌ لا يَعْلَـمُ عَنْـهَا أيَّ شَـيءٍ.. وَمَـع ذَلِـكَ يُمْضِي مَعَهَا وَيَمْدَحُ وَيُثْنِي وَيَعْشَقُ.. وَيَتَمَدَّحُ بِأثَرِ كَلِمَاتِهَا في قَلْبِهِ؟!.

أختِي الكريمَة: سُؤالُكِ هَذا.. وَرَغْبَتُكِ في التَّخَلُّصِ.. يَـدُلُّ علـىٰ بِدَايَـةِ إفَاقَـةِ العَقْل مِن رقْدَتِهِ.. وجَوابي أرجُو أنْ يَدْفَعكِ إلىٰ استِكْمَال تِلْكَ الإفَاقَة وَدَفْـع العَقْـلِ لمُمَارَسَةِ مهمَّتِهِ في تَجْنِيبك القَبيحَ..

احمدي رَبَّكِ أنَّ زَوجَكِ الَّذي تَمْلِئِينَ قَلْبَهُ والَّذي مَنَحكِ الثِّقَةَ المُطْلَقَةَ، وَجَعَـلَ

بينَ يَدَيْكِ الإنترنت، لَم يَدُرْ بِخلدِهِ أنَّ تُفكِّري في مَوضُوعٍ كَهَذَا، فَضْلاً عَن أن تَخُوضِي فِيْهِ.. أَقْلِعِي مُبَاشَرَةً.. لِيَسْتَيْقِظَ عَقْلُكِ مِن رَقْدَتِهِ الَّتي أَرْجُو ألاَّ تكُونَ قَد طَالَت.. أودعِي عَوَاطِفَكِ التَّائِهَةَ سِجْنَ العَقْلِ.. واَكتُبي طَلاقاً بَاتِناً لِتِلْكَ المَرْحَلَةِ..

وَامْسَحِيْهَا مِن ذَاكِرَتكِ بِجِدٍّ لا يَعْرِفُ الفتورَ وَالتَّرَاخِيَ..

أُخْتِي الكَرِيمَة: حينَ يكُونُ تَصرُّفُكِ هَذا نتيجَةَ خَلَلٍ في عَلاقَتِكِ بِزَوْجِكِ ـ علىٰ مَا أسْلَفْتُه في بِدَايَةِ جَوابِي ـ فَلَيْسَ جَيِّداً أنْ تَهْرُبي مِن مُشْكِلَةٍ بسيطَةٍ إلىٰ مشكِلَةٍ أخرَىٰ معقَّدة.. وأن تُعَالِجِي وَضْعاً سَيِّئاً بِطَرِيقَةٍ قَد تَخْلُقُ وَضْعاً أكْثَر سوءاً.

إنَّ مِنَ المُهِمِّ جداً معالَجَة الوَضْعِ بِطَرَائِقَ صَحِيْحَةٍ.. إنَّ زَوْجَكِ أَقْرَب النَّاسِ إليكِ.. وَمَشَاريعكُمَا مُشْتَرَكة، وعَلىٰ رأسِهَا الأَبْنَاءُ ـ حينَ قُدومِهم إنْ لَم يكُونُوا قَدِمُوا ـ وَتَرْبيتهم.. ومَا لم تكُن هُنَاكَ شَفَافِيَّةٌ تحكُمُ العلاقَةَ، وأسْلُوبٌ رَاقٍ في التَّحَاوُر، ومَشَاعِرُ قَلْبِيَّة عَمِيْقَةٌ تَدفَعُ إلىٰ التَّجاذُبِ، ومُبَادَرةٌ ذَاتِيَّةٌ مِن أَحَدِ الزَّوجينِ تَدْفَعُ الآخَرَ للمُشَارَكَةِ.. مَا لَم يكُن ذَاكَ تُصبِحُ الحيَاةُ الزَّوْجِيَّةُ بَعْدَ حِيْنٍ قَد فَقَدَت نكْهَتَهَا.. ويُصْبحُ كلُّ زَوجٍ يَسيرُ في طريقٍ مخْتَلِفَةٍ وَيَحْمِلُ أفكَاراً مُخْتَلِفَةً.. وَيَبْقَىٰ رُبَّمَا القَاسِمُ المشتَرَكُ الأكبَرُ بَيْنَهُمَا هُوَ الفِرَاشُ البَارِدُ!!.

كَلِمَةٌ أخيرَةٌ: أختِي الكَرِيمَة: حينَ يكُونُ دُخُولنَا للإنترنت بِوَعْيٍ وَهَدَفٍ نُحَقِّقُ الكَثِيْرَ مِنَ الفوائدِ الجمَّةِ.. وحينَ يَفْقِدُ دُخُولُنَا إليهِ الهَدَفَ رُبَّمَا كَانَت أقَلّ خَسَارَة نَرْجعُ بِهَا علىٰ أنفسِنَا هي ضَيَاعُ الوَقْتِ الذي سوفَ نُسألُ عنهُ يومَ القيامةِ..

جَلا اللهُ عَن عَيْنَيْكِ غِشَاوَةَ الغَفْلَة، وَرَدَّكِ إلىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ.

*　　*　　*

الخَلْوَةُ بالمخْطُوبَةِ

❁ نصُّ السُّؤالِ:

تقدَّمْتُ لِخطبَةِ فَتاةٍ من أهلِهَا فقَبلُوا ووافقُوا، وأقَمنَا لِذلِكَ حفلاً دَعونَا فيهِ الأقارِبَ والأحبَّاءَ، وأعلنَّا الخِطبَةَ، وقرَأنا الفَاتِحةَ، وضَربنَا بالدُّفوفِ.. ألا يُعتبرُ هَذا الاتِّفاقُ، وذَلِكَ الإعلانُ زواجاً مِنَ النَّاحيةِ الشَّرعيَّةِ يبيحُ ليَ الخَلوةَ بخطيبَتي لا سيَّما أنَّ ظروفي لا تسمَحُ بعقدٍ رَسمي يوثِّقُهُ المأذُونُ ويُسجِّلُ في دفاتِرِ الحُكومَةِ؟.

❁ الجواب: اسْم المفتي الدُّكتورُ الشَّيخ يوسُف عبد الله القَرضاوي:

بسمِ اللهِ، والحمدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَىٰ رسولِ اللهِ وبعدُ:

إنَّ المخطوبَةَ أجنبيَّةٌ عنِ الخَاطبِ حتَّىٰ يتمَّ زواجُهُ بِها، ولا تنتقلُ المرأةُ إلىٰ دائِرَةِ الزَّوجيَّةِ إلاَّ بعقْدٍ شَرْعِيٍّ صحيحٍ، والركْنُ الأساسِيُّ في العقدِ هوَ الإيجابُ والقبولُ. وللإيجَابِ والقبولِ ألفاظٌ معهودَةٌ معلومَةٌ في العُرفِ والشَّرعِ.

ومَا دامَ هَذا العقدُ - بإيجَابِهِ وقبولِهِ - لم يتحقَّقْ فالزَّواجُ لم يحدُثْ أيضاً لا عُرفاً ولا شَرعاً ولا قانوناً، وتظلُّ المخطوبَةُ أجنبيةً عَن خاطِبِها لا يحلُّ لهُ الخَلوةُ بها، ولا السَّفرُ معَها دونَ وجودِ أحدِ محارِمِها كأبِيها أو أخيها..

ويقُولُ فضيلةُ الشَّيخِ الدكتورُ يوسف القرضاوي:

الخِطبَةُ: لغةً وعرفاً وشرعاً شيءٌ غيرُ الزَّواجِ، فهيَ مقدِّمةٌ لهُ، وتمهيدٌ لحُصولِهِ، فكتُبُ اللُّغةِ جميعاً تُفرِّقُ بينَ كَلِمتَي الخِطبَةِ والزَّواجِ.

والعرف يُميِّز جيِّداً بينَ رجُلٍ خاطِبٍ، ورجلٍ مُتزوِّجٍ.

والشَّريعةُ فرَّقت بينَ الأمرينِ تفريقاً واضحاً، فالخِطبـةُ ليسَـت أكثـرَ مِـن إعـلانِ الرَّغبةِ في الزَّواجِ مِن امرأةٍ معيَّنةٍ، أمَّا الزواجُ فعقْدٌ وثيقٌ، وميثاقٌ غليظٌ، لَـهُ حـدودُهُ وشُروطُهُ وحقوقُهُ وآثارُهُ.

وقَدْ عبَّرَ القُرآنُ عَن الأمرينِ فقَالَ في شَأنِ النسَاءِ المُتوفَّىٰ عنهُنَّ أزواجُهُنَّ: ﴿ولا جناحَ عَلَيكُم فيمَا عرَّضتُم بِهِ مِن خِطبَةِ النِّساءِ أو أكنَنْتُم في أنفُسِكُم عَلِمَ اللهُ أنَّكـم ستَذكُرونَهُنَّ ولَكن لا تُواعِدُوهُنَّ سِـرّاً إلا أنْ تقُولُـوا قـولاً مَعروفـاً ولا تَعزمُـوا عُقـدَةَ النِّكَاحِ حتَّىٰ يبلُغَ الكِتابُ أجَلَهُ﴾ والخِطبةُ مهمَا يُقَامُ حولَها مِن مظَاهرِ الإعلانِ فـلا تزيدُ عَن كونِها تأكِيداً وتثبيتاً لِشَأنِهِ.

والخِطبةُ علىٰ أيَّةِ حَالٍ لا يترتَّبُ عَلَيها أيُّ حقٍّ للخَاطِبِ، إلا حجـزَ المخطوبَـةِ بحيثُ يحظُرُ علـىٰ غيـرِ الخـاطِبِ أن يتقـدَّمَ لخطبَتِـها، وفي الحَديـثِ: «لا يخطِـبُ أحدُكُم علَىٰ خطبَةِ أخيهِ». [متَّفقٌ عليهِ].

والمهمُّ في هَذَا المقامِ أنَّ المخطوبَةَ أجنبيَّةٌ عنِ الخاطِبِ حتَّىٰ يتـمَّ زواجُـهُ بِـها، ولا تنتقِلُ المرأةُ إلىٰ دائرةِ الزَّوجيةِ إلا بعقدٍ شرعيٍّ صحيـحٍ، والركـنُ الأساسِـيُّ في العقدِ هوَ الإيجَابُ والقبولُ. وللإيجابِ والقبولِ ألفـاظٌ معـهودةٌ معلومَـةٌ في العُـرفِ والشَّرعِ.

ومنَ المقرَّرِ المعروفِ شرعاً أنَّ العاقِدَ إذا تركَ المعقودَ علَيها دونَ أن يدخُلَ بِها يجبُ عليهِ نصفُ مهرِهَا، قالَ تَعَالىٰ: ﴿وإنْ طلَّقتُموهُنَّ مِـن قَبـلِ أن تمسُّـوهُنَّ وقَـد فرضتُم لَـهُنَّ فريضَـةً فنِصـفُ مَـا فرضتُـم إلا أن يعفـونَ أو يعفُـوَ الَّـذي بيـدِهِ عقـدَةُ النِّكاحِ﴾. [البقرة: ٢٣٧].

أمَّا الخاطبُ إذا تركَ المخطوبةَ بعدَ فترةٍ طالَت أو قَصُرَت فَلا يجبُ عليهِ شيءٌ إلاَّ مَا توجبُهُ الأخلاقُ والتَّقاليدُ من لَومٍ وتأنيبٍ، فكَيفَ يمكِنُ ـ والحالَةُ هَذهِ ـ أن يباحَ للخاطِبِ مَا يباحُ للعَاقِدِ سواءً بسَواءٍ؟.

إنَّ نصيحتَنَا للسَّائلِ أن يعجِّلَ بالعقدِ علىٰ خطيبَتِهِ، فبِهِ وحدَهُ يباحُ لَهُ ما يسألُ عنهُ وإذَا لم تسمَح ظروفُهُ بذلكَ، فالأجدَرُ بدينِهِ ورجولَتِهِ أن يضبِطَ عواطِفَهُ، ويكبَحَ جماحَ نفسِهِ، ويلجِمَهَا بلجامِ التَّقوىٰ، ولا خيرَ في أمرٍ يبدأُ بتجاوزِ الحَلالِ إلىٰ الحَرَامِ.

كمَا ننصَحُ الآبَاءَ والأولياءَ أن يكُونُوا عَلَىٰ بصيرَةٍ مِن أمْرِ بنَاتِهِم، فَلا يُفرِّطُوا فيهنَّ بسُهولَةٍ بأسمِ الخِطبةِ، والدَّهر يَتَقَلَّبُ، والقُلُوبُ تتغَيَّرُ، والتَّفريطُ في بادِئِ الأمرِ قَد يكونُ وخيمَ العاقِبَةِ، والوقُوفُ عندَ حُدودِ اللهِ أحقُّ وأولىٰ: ﴿وَمَن يتعَدَّ حُدودَ اللهِ فأولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ ورسولَهُ ويخشَ اللهَ ويتَّقْهِ فأولئكَ هُمُ الفَائِزونَ﴾. [النور: ٥٢]. واللهُ أعْلَم. انتهىٰ كلامهُ.

الخَلوَةُ بالمعقُودِ عَليهَا

ونَقصدُ بِالمعقُودِ عَلَيها هِيَ مَن عقدَ عليهَا الزَّوجُ ولكِن لَم يَدْخُل بِهَا، فَهَل يجوزُ لهذا العَاقِدِ أنْ يَختَلِيَ بِهَا؟.

❁ الجوابُ: لا شَكَّ أنَّها زوجتُهُ شَرْعاً.. ويَترَتَّبُ عليهِ أحكَامُهُ المعْرُوفَة شرْعاً.. لكنَّ السُّؤالَ الَّذي لا مفَرَّ منهُ: أنَّهُ إذا اختَلَىٰ هَذَا العَاقِدُ بِزَوْجِهِ غَيرِ المَدْخُولِ بِهَا، ثُمَّ في سَاعَةِ ضَعفٍ فَضَّ بكَارَتَها قَبْلَ إعلانِ الدُّخُولِ.. ثمَّ مَضَت الأيَّامُ وَحَصَلَ أنْ مَاتَ هذا العاقدُ علىٰ سَبِيلِ المثالِ.. أو سَافَرَ أو تَرَكَ، لأجْلِ مَشَاكِلِ وَخِلافَاتٍ ظَهَرَت في حَياتِهِمَا فَمَا هُوَ موقفُ هَذِهِ الفتَاةِ؟؟.

واللهِ الَّذي لا إلَهَ غيرُهُ لقد حَصَلَ ويحصُلُ كـلُّ ذَلـك. وتذهَـبُ ضحيَّتَـها الفتـاةُ وأهلُهَا. وأذكُر هنا قِصَّةً حقيقيَّةً مُختَصَرَةً جَرت بَلَدةٍ من بلادِنَا ..

وهي أنَّ فتاةً تَقَـدَّمَ إليـهَا شـابٌّ تَعْرِفُـهُ ويَعْرِفُـهَا، وَيَعْـرِفُ نسـبَها وتعـرفُ نَسَبَهُ أيضاً.. فَهُم مِن بَلْدَةٍ واحدةٍ.. وكَعَادَةِ كَثِيرٍ مِنَ الأَهْلِ تَسَاهَلُوا في دُخُولِـهِ وَخُروجِـهِ ظنًّاً منهم أنَّهُ بمجرَّد العقدِ أصبحَ كلُّ شيءٍ منتهياً..

تَقُولُ هذهِ الفَتَاةُ: وفي يوم مِنَ الأيام تعجَّلنَا لَيْلَةَ الزِّفَافِ وَحَصَلَ الجِمَاعُ تَحْـتَ ثَوْرَةٍ عَارِمَةٍ من الشَّهوةِ الَّتي هي عِنْدَ كلِّ شَابٍّ وفتـاةٍ إذا خـلا بعضُـهُم بِبَعْـض، وَتَـمَّ الدُّخُولُ.. وَمَرَّت الأيَّام وهُو يُعَاشِرُنِي كَزَوْجَةٍ لهُ دونَ علمٍ من أحدٍ..

وبعدَ فترةٍ حَدَّدَ مَوْعِداً لِزَفَافِنَا، هَل تُصَدِّقُون أنَّه في لَيْلَـةِ الزِّفـافِ وبمكيـدةٍ مِـن أمِّهِ الَّتي أرادَت أن تُزَوِّجهُ قَريبةً لَهَا.. افْتَعَلَت مشكِلَةً لا أصْلَ لَهَا بعدَ أن اتَّفَقَت مَـع شَابٍّ سَيِّيءِ السُّمْعَةِ هُو جـارٌ لنَـا وَحَمَلَـت لـهُ مِـن أغْرَاضِـي.. وهـي قصَّـةٌ مؤلمـةٌ خلاصتُها أنَّ أمَّهُ قَذَفَتْنِي بالزِّنا واتَّهمَتِني بِذَلِـكَ الشَّـاب لِـتُزَوِّجَ وَلَدَهـا مِـن قَرِيبَتِهَا ويعلمُ اللهُ تعالىٰ أنِّي بريئةٌ.. وكَانَت النَّتِيجَةُ المتوقَّعةُ حين أخبرتهُ بِخَبَرِي الَّذِي هِي قد افتعلتهُ، وَقِصَّتِي الَّتي هِي مِن صُنْعِهَا وكَيْدِهَا، أنَّنا تَركْنَا بَعْضَنَـا وانفَصَلْنَـا، وَتَـمَّ الطلاقُ.. وَأهْلِي لا يَعْلَمُون عن حَالِي شيئاً.. وَيَظُنُّونَ أنِّي مَا زِلْتُ بكْراً.. وَيَعْلَمُ اللهُ تَعَالىٰ أنِّي نَادِمَةٌ عَلىٰ تَفْريطِي واسْتِسْلامِي لهُ في سَاعَةِ غَفْلَةٍ.. مَع أنِّي كنتُ أثِقُ بِهِ جِداً.. ولم أكُنْ أتصَوَّر أو أتخيَّل أنَّهُ سَيَتْرُكني في يومٍ مِنَ الأيام..

لكنَّ الَّذِي يُعَذِّبُني أكثرَ فأَكْثَرَ أنَّهُ كلَّما تَقَدَّمَ لي شَـابٌّ للخطْبَـةِ لا أجـرُؤُ عَلـىٰ مُصَارَحَةِ أهْلِي بِأنِّني لستُ بكراً وأنِّي قَد فَقَدْتُ عُذْرِيَّتِي.. وأنَّ الَّـذي أوْصَلَنِـي إلىٰ هَذَا كلِّه هُوَ مَن كَانَ سيُصبحُ زوجاً لي..

وأنا الآن أعيشُ حَياةَ اليَأسِ أنْتَظِرُ المَوْتَ.. أنْتَظِرُ رَحْمَةَ اللهِ تَعالىٰ بِي.. مَاذا أفْعَل؟ كَيفَ أقْضِي بَقِيَّةَ عُمْرِي وَحَيَاتِي.. أخافُ أن يُظَنَّ بِي السُّوءُ.. فَرُبَّمَا يُنكِرُ هَذا الشَّخْصُ ما فَعلَ مَعِيَ إذا عَرفَ أهْلِي الحَقِيْقَةَ يوماً منَ الأيَّام..

أمَّا هُوَ فَقَد تَزَوَّج قَريْبَتَهُ بناءً عَلىٰ رَغْبَةِ أمِّه الظَّالِمَةِ.. ولكِنَّ اللهَ كانَ لَهُ ولأمِّهِ بِالمِرْصَاد فَقَد رُزِقَ مَوْلُوداً إلاَّ أنَّه مُعَاقٌ.. وأمَّا هي فقد أصيبت بداءٍ عضالٍ.. وَهَذَا كَمَا أعْتَقِدُ هُو جُزْءٌ مِنَ العِقَابِ.. لا العِقَاب كُلّهُ.. ولا أقولُ إلاَّ حسبيَ اللهُ ونعمَ الوكِيْل. انتهت القِصَّةُ بِاخْتِصَار..

أقولُ وباللهِ التَّوفيق: هَذا جَوابي للآبَاءِ وَالأُمَّهَات.. إذَا تَسَاهَلُوا في مُرَاقَبَةِ دُخُولِ الخَاطِبِ العَاقِدِ عَلىٰ ابنَتِهِم.. فَلَعَلَّ الَّذِي أصَابَ صَاحِبَةَ القِصَّةِ يُصِيبُ ابْنَتَهُم وكَريمتَهُم.. فيكُونُونَ سبباً في دَمَارِهَا.. وانْتِهَاءِ حَيَاتِهَا الكَرِيمَةِ مِن هَذهِ الدُّنيَا.. وَلَعَلَّهُم بَعْدَ ذَلكَ يُحَمِّلُونَها السَّبَبَ.. ولا يلتَمسونَ لها العُذرَ في ذَلِكَ..

يقولُ النبيُّ ﷺ: « إنَّ اللهَ تَعَالَىٰ سائِلٌ كُلَّ راعٍ عمَّا استرعَاهُ، أَحَفِظَ ذَلِكَ أمْ ضَيَّعَهُ؟ حَتَّىٰ يَسْألَ الرَّجُلَ عنْ أهْلِ بَيْتِهِ » . [رواهُ النسائيُّ وهو حديثٌ حَسَنٌ].

ويقولُ النبيُّ ﷺ أيضاً: « كلُّكم رَاعٍ، وكُلُّكم مَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، فَالإمامُ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ في أهْلِهِ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والمَرْأةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيتِ زَوْجِهَا وهيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، والخَادِمُ رَاعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ في مَالِ أبِيْهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » . [متفق عليه].

أسألُ اللهَ تعالىٰ أن يجعلَ في هَذِهِ الكلمَاتِ العِظَةَ وَالعِبْرَةَ وَالمَوْعِظَةَ البَلِيْغَةَ.. وأنْ تَقَع مَوْقعَ التَّطبيقِ في حَيَاةِ كلِّ الأُسَر المُسْلِمَةِ.. آمين اللَّهمَّ آمين.

حوارٌ في المنامِ بينَ الأبِ وابنَتِهِ

حِوارٌ بَيْنَ أبٍ في منامِهِ مَع ابْنَتِهِ الَّتي تُوُفِّيت بِمَرَضٍ أَلَمَّ بِهَا، وَالدُّمُوعُ تَنْهَمِرُ مِن عَيْنَيْهَا.. رآها أبوها في المنامِ تخاطبهُ وتقولُ لهُ:

البنتُ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوكِيْلُ!.

الأبُ وَهُو يَرْتَجِفُ مِن شِدَّةِ الفَزَعِ: عَلَىٰ مَن تَتَحَسَّبِيْنَ يا ابْنَتِي؟.

البنتُ: أتريدُني أنْ أُخبِرَكَ عَلىٰ مَن أتَحَسَّبُ يا أبتِ؟.

الأبُ: نعم. عَلىٰ مَن قُولي لي!؟.

البنتُ: ومَاذا سَتَفْعَلُ بِهِ؟.

الأبُ: سَأَقْتَصُّ لَكِ مِنْهُ.

البنتُ: أتَقْتَصُّ مِنْهُ بَعْدَ فَواتِ الآوانِ!!.

الأبُ: نَعَم سَأَقْتَصُّ لَكِ مِنْهُ.. وَلكِن أخْبِرِيْنِي من هوَ!.

البنتُ: أتَحَسَّبُ..

الأبُ: قُولي بِاللهِ عَلَيْكِ أخبريني بسرعةٍ..

البنتُ: أتَحَسَّبُ..

ثمَّ انْفَجَرَت غَضَباً، وَانْقَلَبَ وَجْهُهَا الحَسَنُ إلىٰ وَجْهٍ كَرِيهِ المَنْظَرِ مُوحِش، جَعَلَ الأبَ يَتَصَبَّبُ عَرَقاً وَيرْتَجِفُ فَزَعاً..

وَتَابَعَتِ البنتُ قائلةً لهُ: أتَحَسَّبُ عَلَيْكَ وأقولُ: حَسْبِيَ اللهُ عليكَ، يَا مَن فَرَّطْتَ بِي، يَا مَن خُنْتَ الأَمَانَةَ.. حَسْبِيَ اللهُ عليكَ يَا مَن لم تَعْتَنِ بِي، يَا مَن لَم تَحْفَظْنِي في دُنْيَاي، يَا مَن تَسَبَّبْتَ فيمَا أنا فيهِ الآنَ..

الأبُ: وأينَ أنتِ الآنَ؟.

البنتُ: بعدَ تَنَهُّدٍ طويلٍ أنَا في حُفْرَةٍ مِن حُفَرِ النَّارِ..

الأبُ: وَمَا الَّذي فَعَلْتُهُ أنَا بِكِ يا ابنَتي؟.

البنتُ: أتَسْألُنِي ؟ ألَم تكُن مُهْمِلاً لي ولإخوتي؟!.

الأبُ: أنا لَم أهْمِلكم! بِالعكْسِ كُنْتُ أوَفِّرُ لكُم كلَّ مَا تَحتَاجُونَ إليهِ مِن غِذَاءٍ وكِسَاءٍ ورفاهيَّةٍ.. وإلىٰ كُلِّ مَا تَطْلُبُونَهُ!!.

البنتُ: ولكِنَّ هَذا لَيسَ كُلَّ شَيءٍ..

الأبُ: وَمَا الَّذِي كَانَ عَلَيَّ أنْ أفْعَلَهُ بَعْدَ كُلِّ هَذَا؟.

البنتُ: لَقَد أهْمَلْتَنَا في أشْيَاءَ كَثِيرَةٍ!!.

ثُمَّ ازْدَادَ وَجهُهَا بَشَاعَةً وكَانَّ دُخَاناً يَخرُجُ مِن فَتحَةِ عَيْنَيْهَا، إنَّكَ لَم تكُن تُوقظنَا لِصَلَاةِ الفَجْرِ.. وَلَم تكُن تَمنعُنَا مِن الذَّهَابِ للاسواقِ بِمُفْرَدِنَا.. لَقَد كُنْتَ تَتْركنَا في السُّوق نشتري لوحدنَا..

ولَم تكُن تَمنعنَا مِن مُشَاهَدَةِ الأفلام الهَابِطَةِ الَّتي أفْسَدَت أخْلاقنَا.. نَسْهَرُ اللَّيلَ عَلىٰ تِلْكَ الأفلام وَبِدُونِ مُرَاقَبَةٍ.. وَنَنَامُ علىٰ أنْغَام المُوسيقىٰ الَّتي سَاعَدَتنَا علىٰ افْتِتَانِهَا.. وَنَذهَبُ إلىٰ مَحلَّاتِ الأغَاني وَنَشتَري مِن ذَلِكَ الرَّجُل الَّذي كَانَ يَرمِي عَلَيْنَا بِكَلِمَاتِ الفُحْشِ، وَلَم نكُن نَنزَعج لأنَّنَا تَعوَّدْنَا علىٰ تِلْك العِبَاراتِ مِن خِلالِ مُشَاهَدَةِ التِّلفَاز وَالفيديُو اللذَين اشْتَرَيْتهمَا لنا بِحُرِّ مَالِكَ..

وفجأةً استَيْقَظَ الأبُ مِن نَومِهِ مَذْعُوراً، وَلَكِن رَغْمَ حَسْرَتِهِ عَلىٰ مَصِيرِ ابْنَتِهِ تَمَنَّىٰ أنَّهُ لو لَم يَسْتَيْقِظ إلاَّ بعدَمَا تَنتَهِي ابنَتُهُ مِن حَدِيثِهَا، لأنَّهُ قَرَّرَ أنْ يَتَفَادَىٰ تلكَ الأَخطَاء وَيُحَاول إنقَاذَ بَقيَّةِ أبنَائِهِ!!.

مِنْ حَصَادِ الرَّذِيلَةِ

(الإيدز)

حرص الإسلامُ كـلَّ الحِـرْص علىٰ إيجـادِ مجتمـعٍ عفيـفٍ طـاهرٍ لا تُثَار فيـه الشَّهَواتُ وَلا تُنْتَهَكُ فِيْهِ المُحَرَّمَاتُ، وَذلكَ حِفَاظَـاً عَلَىٰ الأعْـرَاضِ مِـنَ التَّدْنِيْـسِ، والأنْسَابِ مِنَ الاخْتِلاطِ، فَسَنَّ التَّشْريعَات الَّتي تكْفُلُ المُحَافَظَـةَ علىٰ هَـذَا الهَـدَفِ السَّامِي، وأمرَ بِالحِجَابِ، وَغَضِّ البَصَرِ، ورغَّب في الزَّواجِ، وشَرَعَ الحُدودَ.

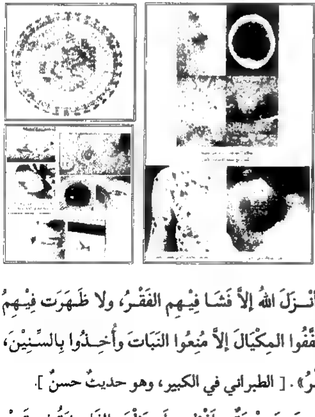

ومِن أجْلِ ذَلِكَ جَاءَ التَّحْذِيْـرُ في كِتَابِ اللهِ مِنَ الفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وجَـاءت أحـادِيْثُ المُصْطَفَىٰ ﷺ تُبَيِّن عَاقِبَـةَ إشَـاعَةِ الفَاحِشَـةِ وَإعلانـهَا بَيْـنَ النَّـاسِ، ومِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ: «خَمْسٌ بِخَمْـسٍ، مَـا نَقَـضَ قَـوْمٌ العَـهْدَ إلاَّ سُـلِّطَ عَلَيْهِم عَدُوُّهُمْ، ومَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أنْـزَلَ اللهُ إلاَّ فَشَـا فِيْـهم الفقْـرُ، ولا ظَـهرَت فِيْـهِمُ الفَاحِشَةُ إلاَّ فَشَا فيهِم المَوْتُ، ولا طَفَّفُوا المِكْيَالَ إلاَّ مُنِعُوا النبَاتَ وأُخِـذُوا بِالسِّنِيْنَ، ولا مَنَعُوا الزَّكَاةَ إلاَّ حُبِسَ عنهُم القَطْرُ». [الطبراني في الكبير، وهو حديثٌ حسنٌ].

وفي روايةِ ابنِ مَاجَه والحَاكِم وهِيَ صَحِيْحَةٌ، بِلَفْظ: «لَم تَظْهَرِ الفَاحِشَةُ في قَـوْمٍ قَطُّ، حَتَّىٰ يُعْلِنُوا بِهَا، إلاَّ فَشَـا فِيْـهِم الطَّـاعُونُ والأَوْجَـاعُ الَّتِـي لَـم تَكُـن مَضَـتْ في

أسْلافِهِم الَّذِينَ مَضَوْا..». وجاءَ العِلْمُ الحَدِيْثُ وَالواقعُ المُعَاصِرُ بِتَأكيدِ مَعْنَىٰ هـذا الحَدِيْثِ، وَتَصْدِيْقِ نُبوَّة المُصْطَفَىٰ ﷺ حيثُ لَم يُـدْرِك النَّاسُ حَقِيْقَـةَ ذَلِـكَ إلاَّ في السَّنواتِ الأخِيْرَةِ مِـن القَرْنِ العِشْـرين الَّـذِي انْتَشَـرَت فيـهِ الفَوَاحِـشُ بِصُـورَةٍ مُرَوِّعَـةٍ، وَتَفَشَّت كَثِـيرٌ مِـنَ الأمْـرَاضِ الجِنْسِيَّةِ الَّتي لَم تكُن مَعْهُودَةً مِـن قَبْـلُ، وكُـلُّ ذَلِـكَ بِسَـبَبِ ظُـهُورِ الفَاحِشَـةِ

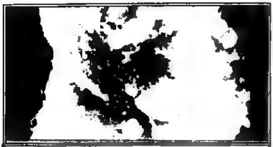
فيروس الإيدز يهاجم خلية ثانية مساعدة، وهو الذي يظهر على هيئة نقط زرقاء على سطح الخلية الليمفاوية المساعدة.

وإعْلانها، فكَانَ أوَّل ظـهورٍ لِمَـرَضِ «الزُّهْـري» أثنـاء الحَـرْبِ الإيطاليَّـةِ الفَرَنْسِـيَّة، عنْدَما انتشرَ الزِّنا بينَ الجنودِ، وَسَمَّاهُ الإيطاليونَ الدَّاءَ الفَرَنْسِيَّ.

۞ وَعِنْدَمَا غَزَا الاستِعْمَارُ الغَرْبِيُّ البلادَ العربيةَ حَمَلُوا مَعَهُم هَذا الـدَّاءَ فَـأطْلَقَ عَلَيْهِ العربُ آنذاك الدَّاء الفِرَنْجِي، ولا يَزَالُ هَذا الاسمُ مُسْتَعْمَلاً حتَّىٰ اليوم.

۞ وفي العصرِ الحَدِيْثِ ظَهَرَ مَرضُ «الهربس» كَوَبَاءٍ جِنْسِيٍّ واسعِ الانْتِشَارِ، حتَّىٰ إنَّ مُعَدَّلَ الإصَابَةِ السَّنَوِيَّةِ بِهَذَا المَرَض في أمريكا تَصِلُ إلىٰ نِصفِ مَلْيُون حَالَة.

۞ وفي عَـام (١٩٧٩م) ظـهرَ في الولايـاتِ المُتَّحِـدَةِ ولأوَّل مـرَّة مـرضُ فقْـدَان المنَاعَةِ المكْتَسَبَةِ وَالمعْرُوف بِاسْم (الإيدز) وهُوَ فَيْرُوسٌ يَتَتَبَّعُ كُرَيَاتِ الدَّم البَيْضَـاء المُدَافِعَةِ عَن جِسْمِ الإنْسَانِ فَيُدَمِّرهَا الوَاحِدَةَ تِلْوَ الأُخرىٰ حتَّـىٰ يَفْقِـدَ الجِسْـمُ أهـمَّ وسَائِل الدِّفاع، وَيُصْبِح بَعْدَ ذَلِـكَ عَـاجِزاً كـلَّ العَجْـزِ عَـن مُقَاوَمَـةِ الأمْـرَاضِ الَّـتي يَتغَلَّبُ عَلَيْهَا الجِسْمُ السَّلِيْمُ في الظُّرُوفِ العَادِيَّةِ، وَيَظَلُّ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ حتَّىٰ يَقْضِي عَلَيْهِ الموتُ بَعْدَ مُعَانَاةٍ طَويلَةٍ وَآلامٍ مُبَرِّحَةٍ، لِفَتَرَاتٍ قَد تَطُـول وقَـد تقْصُـر، بِسَـبَبِ انْهِيَارِ جِهَازِ المَنَاعَةِ في الجِسْمِ.

أمراضٌ جِنْسِيَّةٌ أخْرَى

إنَّ موضوعَ الأمراضِ الجِنْسِيَّة له أهميةٌ كُبرىٰ عند الأطباء لما لَهُ من خَطَرٍ علىٰ الصِّحَّة الجِسْمِيَّة والنَّفسية للفرد والجماعة. وأكبر دليل علىٰ الاهتمام العالمي بهذه الأمراض هو ذلك المؤتمر الضَّخم الذي عُقِدَ في أمريكا عام (١٩٧٤م) من أجل بحث مرضِ «الزُّهري» والأمراض المشابهة له، وقد حضر هذا المؤتمر ألف وخمسمئة أخصَّائي من خمسينَ دولةٍ وجمعت مُحَاضَرَاتهم في كتابٍ بَلَغَ أكثر مِن خَمْسمئة صَفْحَة مِنَ الحجم الكَبير.

ويقولُ مرجعُ «مرك» الطِّبي، الطَّبعة الثَّالثة عشرة (١٩٧٧م): إنَّ الأمراض النَّاتجة عن طريق الجنس (الزِّنا) والعَلاقات الجنسِيَّة الشَّاذة هي أكثر الأمْرَاض انتشاراً في العَالم اليومَ، ويزدادُ كلَّ عام عددُ المصابينَ بهذِهِ الأمْرَاض وذَلِكَ مُنْذُ عقدين مِنَ الزَّمان تقريباً، وتقدِّرُ هيئَةُ الصِّحَّةِ العالميةِ عَدَدَ الَّذين يُصَابُونَ بِالسَّيَلانِ بأكْثَرَ مِن (١٥٠) ألف شَخْص سَنَوياً كمَا أنَّ عددَ المُصَابينَ بالزُّهري المَعْرُوف عِنْدَ بعضِ الدُّول العربيةِ بأسم داءِ الإفرنجي يَزيدونَ عَلىٰ خمسينَ ألفَ شَخْصٍ سنَوياً.

ويُقَدِّرُ مركزُ «أتلانتا» لمكافَحَةِ الأمراضِ المُعْدِيَةِ في ولايةِ «جورجيا» بالولاياتِ المتحِدَةِ عَدَدَ المصابينَ بالسَّيلان في الولاياتِ المتَّحدة (بثلاثة ملايين) شخص وعدد المُصَابينَ بالزُّهري (بأربعمئة ألف) وذلكَ في عام (١٩٧٦م) وتَقُولُ مجلَّةُ (Gradguate Doctor) عدد مايو (١٩٨٣م) ومجلة «التايم» الأمريكية (٤ يوليو ١٩٨٣): إنَّ عشرين مليوناً منَ الأمريكيينَ يُعَانُونَ مِن مَرَض «الهربز» التَّناسُلي ويَتِمّ تشخيص نصفِ مليون حَالةٍ جديدةٍ سنوياً في الولاياتِ المتَّحِدَةِ. وفي بريطانيا تمّ تشخيص (١٥٠٠٠) حَالَةٍ جديدةٍ في عام (١٩٨٢م).

وعلىٰ الرَّغْمِ مِنَ الأبحاثِ العميقَةِ والمبَالغ الطَّائِلَةِ الَّتي صُرِفَت علىٰ الأمْـرَاضِ الجِنْسِيَّةِ في الغَرْبِ إلاَّ أنَّهَا تَـزْدَادُ انْتِشَـاراً يومـاً بَعْـدَ يـومٍ كمَـا تَـزْدَادُ المُمَارَسَـاتُ الجنسِيَّةُ الشَّاذَّةُ.

ويكْمُنُ خطرُ هذه الأمـراضِ الجنسيَّة المحَرَّمَـةِ في أنّـها سـريعَة الانتقـالِ مِـنَ المريضِ إلىٰ الصَّحيح، فَبَعْضُهَا يَنْتَقِلُ عَن طريق الاتِّصَـالِ الجِنْسِـي، وبعضُـهَا عـن طريـقِ القُبْلَـةِ لحَـامل المـرضِ، وبعضُـهَا عـن طريـقِ اللَّمـسِ أو اسـتِعْمَال أدَوات المَريضِ مُبَاشَرةً.

وإنَّني في هَذِهِ السُّطُور سوفَ أركِّز الحَدِيْثَ علىٰ أربعَةِ أمراض جِنْسِيَّةٍ شَائِعَةٍ وهي: (السَّيلانُ والزُّهريُّ والهربز والإيدز) وبَعْض الأَمْرَاض المُخْتَلِفَـةِ، والَّـتي ذُكِـرَت في بَعْضِ كُتُب الأَمْرَاض الجِنْسِيَّةِ وَالمَجَلاَّت الطِّبِّيَّةِ.. وَمِن هَذِهِ الأَمْرَاض:

أوَّلاً: السَّيلان

السَّيلانُ هوَ مِنَ الأمراضِ الجنسيَّةِ الشَّائِعَةِ وَتَنْتَشِرُ عَدْوَاهُ بسهولةٍ وتظهَرُ العَدْوىٰ بَعْدَ (٣ إلىٰ ٧) أيام من الاتِّصال المَشْبوهِ جنسيّاً.

وأعراضُ السَّيلان لَدَىٰ الرَّجل إفرازاتٌ مؤلمـةٌ وحُرْقَـةٌ أثنـاءَ التَّبـول، أمَّـا لَـدَىٰ المرأةِ فيؤدِّي إلىٰ بعض الإفْرازاتِ.

وَالسَّيلانُ إذا لَم يُعَالج مُعَالَجَةً كاملةً للقضاءِ علىٰ جُرْثُومَتِهِ فإنَّ هَـذِهِ الجُرْثُومَـةِ يُمكِنُ أن تكْمُنَ فترةً قبلَ أن تَظْهَرَ في أماكِنَ أخْرَىٰ تسببُ مُضَاعفـاتٍ للمَريـضِ فَقَـد تُسَبِّب العُقْمَ للمـرأةِ والتهاب المَفَاصِل واضْطرابَاتٍ في القلـب. والسَّـيلان مـن أكثر الأمراضِ الجِنْسِيَّةِ انْتِشَاراً نَظَراً لِسُهُولَةِ وَسُرْعَةِ العَدْوىٰ بِهِ والعياذُ باللهِ تَعَالىٰ.

❁ طريقةُ العَدْوى:

ينتقلُ مرضُ السَّيلان عَن طريقِ الاتّصال الجنْسِيِّ وفي حَالاتٍ نَادِرَةٍ نتيْجَةَ الجلُوس علىٰ مَقْعَدِ الحَمَّام الإفرنجي المُلَوَّث أو استِعْمَال مِنْشَفَةٍ ملوَّثةٍ أو إسْفِنْجَة أو ميزانٍ أو أيّ أشياءَ أخرىٰ تَحمِلِ الجُرْثُومَةَ الحيَّةَ عَن طريقِ اللَّمْسِ أو الاحتِكاكِ المُباشَرِ.

❁ أعراض مرض السَّيلان:

تبدأ الأعراضُ عادةً بمجرىٰ البولِ مصحوبةً أحياناً بوَخْز، والبعضُ يشكُو مِن صُعُوبةٍ أو عسرةٍ عندَ التَّبول، وبَعْدَ (٢٤) ساعة أو أكثر يُلاحِظُ المريضُ خُرُوجَ صديدٍ مِن مَجْرىٰ البَول قَد يكون كثيفاً أو لزجاً حسبَ نَوْع الجرثومَةِ.

وأوَّلُ ما يَجْذِبُ انتباه المُصَابِ هُو ظُهُور السَّيلان مِن مَجْرىٰ البَولِ أو المِهْبَلِ وتَرتَفع درجةُ حرارةِ المُصَاب معَ الشُّعور بالصُّداع وزيادَةِ سُرْعَةِ النَّبْضِ.

وبعدَ أسبوعَيْن تَزْدَادُ الحُرْقَةُ والألمُ عندَ التَّبول والتَّقطُّع أو قَد يَحْدُثُ العكْسُ إذ تَخْتَفِ الأعراضُ لِدَرَجَةٍ لا تَسْتَدْعي انتِبَاهَ المُصَابِ وقَد تَصِلُ جُرْثُومَةُ السَّيلان إلىٰ الدَّورة الدَّمويةِ فَتُؤَدِّي إلىٰ مُضَاعَفاتٍ خطيرةٍ في القَلْبِ وَسَحَايا في المخِّ أو المَفَاصِل، أو قَد تَصِل إلىٰ البربخ والخِصْيَتَين.

ولا يمكنُ الجَزْم بأنَّ المريضَ مُصَابٌ بِالسَّيلانِ إلاَّ بَعْدَ التَّأكدِ مِن وجودِ الجراثيمِ في الإفرازاتِ، وعدَم وجودِ الجَراثيم في الفَحْصِ لا يَنْفِي وجودَ السَّيلانِ إذ قَدْ تَظْهَرُ فيما بَعْدُ فلا بدَّ مِن فُحُوصاتٍ متكرِّرة في أيَّام مُتَتَالِيَةٍ.

ثانياً: مَرضُ الزُّهري

مرضُ الزُّهري من أكثر الأمْرَاض الجنسيَّةِ خُطُورَةً علىٰ الإنسانِ نَظَراً لِتَأْثِيْرِهِ عَلىٰ مُعْظَم أجزاءِ الجِسْم حتَّىٰ بَعْدَ سَنَواتٍ طويلَةٍ، وهُوَ مَرَضٌ خطيرٌ إذا ظلَّ بلا

عِلاج وقَد تكون لَهُ نتائج سيِّئَة بعدَ سَنَوات مـن الإصابَـةِ تَزيـدُ مِـن خُطُورَتـه.. فَإِنَّ عوارضَهُ الأولية قَد تكون بسيطةً لا يُهْتَمُّ بِها، فهو يُسَبِّبُ قَرْحَةً مَوْضعيـة غـير مُؤلمـة تَزُول ظَاهرياً مِن تِلقَاءِ نَفْسِها خِلالَ أسبوعينِ أو ثَلاثَـة وقَـد انْتَقَلَـت في أَثنَائِـهَا إلىٰ مُعْظَم أجزاءِ الجِسْم.

* طريقةُ العَدْوى:

ينتقلُ مَرَضُ الزُّهري عَن طريقِ الاتِّصال الجِنْسِيِّ المباشَر أو التَّقبيل، ونَقْل الدَّم مِن مريضٍ إلىٰ شَخْصٍ غير مُصَابٍ، وتَمْريـض حَـامِلِ المَـرَض واسْتِعْمَال الأدواتِ الخَاصَّةِ بِهِ وَشُرب الماءِ مُبَاشَرَةً مِن كأسٍ اسْتَعْمَلَهُ.

* أعراضُ مَرَضِ الزُّهري:

مرضُ الزُّهري له ثلاثُ مَرَاحِلَ:

- المرحلَةُ الأولىٰ: هي المرحلَةُ البدائية:

وهي قُرحَةُ السِّفْلس، قُرْحَةٌ صَغـيرةٌ قَـد لا تلفـتُ نَظَـرَ المريـضِ، تُشْبِهُ لَسْعَةَ السِّيجَارَة وتكْبُرُ هَذِهِ القرحَةُ إلىٰ أن تُشْفَىٰ بعدَ سِتَّةِ أَسَابيع.

وفترة حضَانَةِ المرضِ من (٣ إلىٰ ٤) أسابيع وَتَظْهَرُ هذه القُرْحَةُ علـىٰ الأعضَـاءِ كمَا تَظْهَرُ علىٰ أماكن الاحتِكَاك.

- المرحلة الثَّانيةُ: المرحَلَةُ الثَّانوية:

تكونُ جرثومة الزُّهري مُنْتَشِرَةً في الجِسْم وتَبْدَأُ هذه المرحَلَةُ بعدَ ظـهور قُرْحَـة الزُّهري وقَد تَتَأخَّر عدَّة شُهور، وتَتَميَّزُ هذه المرحلـة بِـالطفح الجلـديِّ الشَّـديد في أكثر من (٨٠%) مِنَ الحـالات، ويصـابُ المريـضُ بالتـهاباتٍ في العظـام والعـينِ والكبِدِ وغثيان وَقَـيء وإمسَـاكٍ وألمٍ في العَضَـلاتِ مَـع ارتفـاع في دَرَجَـةِ الحَـرَارة،

وَصُدَاعٍ وضَعْفٍ عَامٍّ، وبعدَ انْتِهَاءِ الأعْرَاض الجِلْدِيَّةِ في المَرْحَلَةِ الثَّانويـةِ بأسـابيع يَدْخُلُ في مرحلةِ الكُمُونِ وَلا تَظْهَرُ أيُّ أعراض.

– المرحلة الثالثة: المَرْحَلَةُ الأخيرةُ:

وتَتَمَيَّزُ هذه المَرْحَلـة بظهور أورام تَنْتَشِرُ في جميع أجزاءِ الجِسْم.. وفترة هَـذِهِ المرحلة من (٣ إلىٰ ٧) سنوات. أعاذنا اللهُ منها ومن كلِّ داءٍ عضالٍ بفضلِهِ ورحمته.

ثالثاً: الهربز

مَرَضُ الهربز من أخطرِ الأمْراضِ الجِنْسِيَّة نظراً لسرعةِ العَدْوىٰ به فهو ينتقِلُ عن طريقِ الاحتكاكِ المباشَرِ بالمريضِ واستعمَالِ أدواتِهِ الخَاصَّة، وعن طريقِ القُبُـلاتِ، وعَن طريق الجلُوس علىٰ مَقَاعِد المَرَاحيضِ، أو الاقتراب مِن الشَّـخص المَرِيْـضِ، فلذلكَ لم يَقْتَصِر علىٰ الغَرْب ولكنَّهُ انتقل عـبْرَ بعـضِ المسـافرينَ مِـن وإلىٰ بعـضِ دولِ الشَّرقِ الأوْسَطِ.

❁ مكان العدوى:

يصيبُ الأعضاءَ التَّناسُلِيَّة ومنطقة العجَـاب والشَّـرج وأعلـىٰ الفخِذَيـن وكِيْـس الصَّفن وعُنُق الرَّحم وحَشَفَة الذَّكَر أو جِسْم القَضِيْب.

❁ أعراضُ المرَض:

يبدأ مرضُ الهربز بظهُور بثورٍ عَلىٰ العُضْـو التَّنَاسُـليِّ وَيَشْـعُرُ المريـضُ بإجهَادٍ عَامٍّ، وأنَّ صحتَه معتَلَّة.. ويُصَابُ المريضُ بعد تعرُّضـه للعَـدْوىٰ مباشـرةً، وتسـتمرُّ مدَّةُ الحضانَةِ قَبل ظهورِ الأعراضِ حوالي «خمسة أيام» ويبدأُ المرضُ بِبُقَع صغيرةٍ ملتهبةٍ علىٰ سطح الجلدِ وَتَظهَر علىٰ هَذِهِ البقعةِ عِـدَّةُ بثـورٍ صغـيرةٍ تمتلـئُ بالمَـاءِ

مكوَّنة فقاقيع ويحيط بها هالةٌ حمراء ثُمَّ تَنْخَدِش وَتُصْبِح خدوشاً سطحيةً مبللةً مغطاةً بمادَّة شفَّافَةٍ.

رابعاً: الإيدز

الإيدز هو مَرَضُ فقد المَناعَةِ المكتسبةِ وهو الوبـاءُ الآتـي مـن فَسَاد الأخْـلاق، وَيُعْتَبَر البروفيسور «لوك مونتانييه» أوَّل مكْتَشِفٍ له، وقد اكتَشَفَ له أكثَرَ مِن (٧٤٠) حالة عام (١٩٨٥م) وفق تصريحاتِ مُنَظَّمَةِ الصِّحَّةِ العالميةِ، وهُو مرضٌ لا شِفَاءَ منه ولا فِكَاكَ إلاَّ بالموتِ، والموت البَطيء.

وهَذا المرضُ كغيرهِ مِنَ الأمراضِ الجِنْسِيَّة له فترةُ حضانَـةٍ تـتراوحُ مـن (٣ إلىٰ ٧) سنواتٍ قد يكونُ الإنسانُ حاملاً للمرضِ وَلا تَظْهَرُ عليهِ أعْرَاضُهُ.

نَشَرَت مجلَّـةُ الحـوادث في عَدَدِهَـا رقـم «١٥٢٦» الصَّـادر بتـاريخ (٢١ ينـاير ١٩٨٦م) مقابلَةً أجرتها في «بون» مَع البروفيسور الدكتُور «مانفريد فرانكيه» وهُـوَ من أشهَرِ الاختصاصيين في مَرَض الإيدز.. وها أنَا ذا أعرضُ بَعْضَ ما وَرَدَ عليهِ مِن أسئِلَةٍ بخصوصِ هذا المرضِ باختِصَار.

(س): سمعت أنَّ القُبْلَةَ تَنْقُل العَدْوىٰ بالإيدز فَمَا رَأيكُم؟.

(ج): نَعَم، هَـذا صَحِيْـحٌ ويحـدُثُ ذلـكَ في حَالَـةِ مَـا إذا كـانَت القُبْلَـةُ عنيفـةً فيختلط اللُّعابُ أو يَنْتجُ عن هَذِهِ القبلةِ جُرْحٌ صغيرٌ دَاخِلَ الفَم، حيث إنَّه عَن طريقِ الجُرُوح وإن كانَت صغيرةً جداً يمكن لفيروس الإيدْز أنْ يَدْخُلَ إلىٰ قنواتِ الدَّم.

(س): ما هِي مظاهِرُ الإصابَةِ بالمَرَضِ؟ وَمَاذَا يَحْدُثُ دَاخِلَ الجِسْم؟.

(ج): إذا أصيبَ شَخْصٌ ما بمرضِ الإيدز فإنَّ فَتْرَةَ الإصابَةِ بـالمرَضِ قَـد تَـأخُذُ فترةً ما بينَ (٣ إلىٰ ٧) سنواتٍ.

أمَّا مَا يَحْدُثُ في الجِسْمِ فإنَّ الفيروسَ يَدْخُلُ عَن طريقِ قنواتِ الدَّم، وبَعْدَ ذلكَ تبدأ خطورَتُهُ فَيَعْمَل علىٰ تقْسيم الخَلِيَّةِ الخَاصَّةِ بالمنَاعَةِ وهِي خَلايَا كُرَيَاتِ الدَّم البَيْضَاءِ، وفي هَذِهِ الحَالَةِ تكُونُ وظيفةُ هَذِهِ الخليةِ قَد انْتَهَت وتبدأُ المنَاعَةُ دَاخِلَ الجِسْمِ في الانْقِرَاضِ بَيْنَمَا يَتَزَايَدُ الميكروب، وعِنْدَمَا تَقِلُّ المناعَةُ لا يُقَاوِمُ الجسمُ أيَّ مَرَضٍ.

(س): ما هي قِصَّةُ الإيدز؟ ومِنْ أينَ أتَىٰ؟ وكَيْفَ حَدَثَ؟.

(ج): ظَهَرَ هَذا الفيروسُ لأوَّلِ مرَّةٍ في السَّبعيناتِ في أواسِطِ إفريقيا حيثُ يَحْمِلُ هذا النَّوع مِن الميكروب أحَد أنْوَاع القُرُود الَّتي يَتَنَاولُهَا السكَّان، ومِن المُحْتَمَل أنَّ أحدَ الأمريكان كَانَ يَتَنَقَّلُ هناك كَسَائح، واخْتَلَطَ بِأحَدِ السُّكان المَرْضَىٰ بالإيدز وحملَ هَذا السَّائحُ الفيروسَ مَعَهُ إلىٰ أمريكا، ولأنَّه كانَ يُمَارِسَ الشُّذُوذَ الجِنْسِيَّ بدأت العَدْوىٰ في التَّنَقُّل إلىٰ أن انْتَقَلت إلينَا.

أمراضٌ جِنْسِيَّة مُخْتَلِفَة

١ - الورمُ القنبيطي المؤتف: وَيَنْتَقِلُ عن طريقِ اللَّمسِ والاحتِكَاكِ المباشَر، وحَضَانَةُ المرضِ مِن (شهر إلىٰ ستَّةِ شهُور) ويظهَرُ علىٰ المناطِق الرَّطبَةِ مِثل حَشَفَةِ الذَّكَر وكيْسِ الصَّفن والفخِذَين والشَّرج، وتَبْدَأ الإصابَةُ بِبُثْرَةٍ صغيرةٍ جداً في حَجْمِ رَأس الدَّبوس وتَنْمُو حتَّىٰ تكونَ بَارِزَةً ظاهِرةً للعيان.

٢ - المليساءُ الرَّخويَّة السَّارية: وهَذا المرضُ ينتَشِرُ في المَسَابح والحمَّامَاتِ وَيَنْتَقِلُ عن طريقِ الاحتكاكِ والاتِّصالِ الجنسيِّ، ويظهَرُ كَبُثْرَةٍ نِصْف دائِريَّة بيضاءَ عَلَيْهَا طبَقَةٌ شمعيَّةٌ مَع وجودِ تجويفٍ في مركَزِ المَرض، ويُصيبُ الأعْضَاءَ التَّنَاسُلِيَّةَ، والإلِيَة، ولا يَشْعُرُ المريضُ بألَم إلاَّ إذا حَدَثَ التِهَابٌ.

٣- القمل: وخاصَّةً قملُ العانَةِ الَّذي يَنْتَقِلُ عَن طريقِ الاتِّصَال الجِنْسِيِّ والاحتِكَاكِ المُبَاشَر.

٤- الجرَب: وهُوَ يُصيبُ جميعَ الجِسْم إلاَّ الوَجْهَ، ويَنتقِلُ بالاحتكاكِ ويُسَبِّبُ حكَّةً شديدةً.

٥- الغرنَة اللَّينة الرَّخوةُ: وهي عبارةٌ عن قُرَحٍ مؤلِمَةٍ تصيبُ الأعضاءَ التَّنَاسُلِيَّة وهي تُسَبِّبُ ألماً شديداً وتكُون مُلْتَهِبَةَ المَظْهَر وتَظْهَرُ في أقلِّ مِن أسْبُوع بَعْدَ العَدْوَىٰ.

٦- التَّورم الحبيبي اللّنفي التَّنَاسُلي: وهو مَرضٌ جِنْسِيٌّ تَنَاسُلِيٌّ مُدَّةُ حَضَانَتِهِ مِن (١) إلىٰ (٦) أسابيع ويبدأ بوجودِ حَبَّةٍ مُنْتَفِخَةٍ بالماءِ صَغيرةٍ شَفَّافَةٍ وتَظْهَرُ علىٰ الأعْضَاءِ التَّنَاسُلِيَّةِ وقَد لا يُلاحِظُهَا المريضُ.

٧- ورمٌ حبيبي أربي: وهو مَرضٌ جِنْسِيٌّ تَنَاسُلِيٌّ مزمنٌ يبدأُ علىٰ شكْل بُثُورٍ وَفَقَاقيع ثُمَّ تَتَقَرَّحُ ويحدثُ نبتٌ جلدي مُسْتَمِر بَارزٌ فوقَ الأعضاءِ التَّنَاسُلِيَّة والعَانَة والمَقْعَد والإليَةِ وَالأرداف وفَتْحَةِ الشَّرج.

قصَّةٌ للعبرةِ

لكي نَتَّعِظ نَذْكُر هَذِهِ القِصَّة مختصرةً: وهذِهِ القصَّةُ تحكِي أنَّ شاباً ذَهَبَ إلىٰ أحدِ البِلادِ الغَرْبِيَّة السِّياحية واستأجر شقَّة مفروشةً فأخذت فَتَيَاتُ اللَّيل تأتي إليه فَلَم يَسْتَطِع هَـذا الشَّاب أن يُقَاوم الإغراءات فَجَرَفَهُ التَّيارُ وانتهىٰ به الأمر إلىٰ الخروج من المعركة خاسراً حاملاً جراثيم مَرَض الزُّهري والسيلان. وَبعدَ سَنَوات تَزَوَّج ولمَّا لم تُنْجِب زَوْجَتُهُ أخذَها إلىٰ أحدِ الأطباءِ فَطَلَبَ الطبيبُ تحليل السَّائل

المنويِّ لديهِ وكانت النَّتيجة أنَّ جميعَ الحيوانَات المنوية ميِّتَة، لأنَّ الأمراض قضت عليها وأصبحَ العِلاجُ معه لا يُجْدِي.. فقالَ له الطبيبُ: هَذا عِقَابُ اللهِ لَكَ في الدُّنيا وإن لم تَتُب وتطلب العفوَ والغُفْرَان فَعَذَابُ الآخرة أشدُّ.

من بريتوريا إلى واشنطن الفضيلة تستغيث !!

نتيجةً لانتشارِ الرَّذِيلَةِ وَالفَسَادِ: تشيرُ الأرقامُ والإحصاءاتُ إلىٰ ارتفَاع مُعَـدَّلات حالاتِ الاغتصابِ في جنوب إفريقيا، حَيْـثُ ذكَـرَت الأبحـاثُ أنَّـه في كـلِّ نِصْـفِ دقيقةٍ تُغْتَصَب امرأةٌ في ذلكَ البَلَدِ المُتَحَرِّر حَديثاً من أَسْرِ التَّفرقة العُنصرية، وقالت إحدىٰ الصَّحفِيَّات وَتُدْعَىٰ (تشارلين سميث) أنَّ الدَّور حلَّ عليها عندمـا قـامَ رَجُـلٌ يحمل ساطوراً باقتحام دَارها وأوثـقَ يديـها واغتصبَـهَا، وبَعْـدَ الاغْتِصَـاب وَاجَـهَت «سميث» مُمَرِّضَاتٍ بيروقراطيات وَمُسْتَشْفَياتٍ سيِّئةِ التَّجهيز تَتَوَلَّىٰ عِـلاجَ ضَحَايَـا الاغْتِصَابِ بِالعَقَاقِيرِ المُضَادَّة للإيدز.

تُعَدُّ جنوب إفريقيا من أكثر الدُّول المبتلاة بالجريمةِ في العالم، حيـثُ يحـدثُ الاغتصـابُ بِـهَا بِمُعَـدَّل (١١٦) حالـة لكـلِّ (١٠٠،٠٠٠) فـرد، وهـو تقريبـاً ضِعْـف المعدَّل السَّـنوي لجرائـم القَتْـل والَّـذي بَلَـغَ في عـام (١٩٩٨م) «٥٩» حالـةً لكـلِّ ١٠٠،٠٠٠ فرد!.

وقد أشارَ أحدُ الاستطلاعاتِ الذي أُجـري علىٰ طالبـاتٍ في إحْـدَىٰ المَـدَارس العُليا إلىٰ أن ٦٠٪ من الفتيات يَتَوَقَّعنَ أنْ يُغْتَصَبْنَ قَبْلَ التَّخرُّج!.

وتُقَدِّر الجهات الأمْنِيَّةُ عددَ حالاتِ الاغتصابِ الَّتي يتـمُّ الإبـلاغ عنـهَا بأنَّـهُ لا يتجاوزُ (٩٥٪) من إجماليِّ حالاتِ الاغتصابِ الَّتي تَقَعُ بالفِعْل في جنوبِ إفريقيَـا،

ممّا يرفعُ العددَ الإجمـالي للنِّسـاءِ والفتيـاتِ المُغتَصَبـاتِ كـلَّ سَنَةٍ إلىٰ أكْثَر مِـن (مليون) مِن مجموع السُّكّانِ الإناثِ في ذَلِكَ القُطر.

من جهتها أشارت جمعيةُ «مناهضة اغتصاب النساء» إلىٰ أنَّ الشرطة عـادةً مـا تنقص في تقديراتها العدد الحقيقـي لضحايـا الاغتصـاب، ففـي مقـابل كـلِّ حالـةِ اغتصابٍ يتمُّ الإبلاغ عنها فإنَّ هناك (٣٥) ضحية أخرىٰ تلتزم الصمت! ومِن نتـائج الاغتصابِ انتشارُ الإيدز، حيثُ إنَّ واحداً مِن كلِّ ثمانيــةِ أفـرادٍ بـالِغِينَ في جنوبِ إفريقيا مصابٌ بفيروس (HIV) وارتفعت نسبةُ العدوىٰ إلىٰ (١٥٠٠) في اليوم.

وتقولُ التقارير: إنَّ معظـمَ ضَحَايـا الاغتِصَـاب في جَنُـوب إفريقيـا لا يَسْـتَطِعْنَ تَحَمُّل تكْلفَةِ العقَار المُضَادِّ للإيدز الَّذي يَتَرَاوحُ سعرُهُ بـين (٢٠٠٠ إلىٰ ٤٠٠٠) رانـد (أي ٣٣٠ إلىٰ ٦٦٠ دولاراً) وهو عقَار غَيْرُ مَدْعُوم مِن جَانِبِ الحكومَةِ الَّتي تَعَرَّضَـت لانتقَادَاتٍ حادَّةٍ مِن قِبَلِ الأحزابِ المعارضَةِ، وذلكَ لِفَشَـلِهَا في مَنْـع وُقُـوع جَرَائِـم الاغْتِصَاب.. وكذلِكَ لِقُصُورهَا في تَجْفيفِ مَنَابع الجَريمةِ واحتواءِ آثارهَـا بسـرعةٍ، فالنِّظَامُ القضائيُّ مُثْقَلٌ وليسَ لديهِ الإمكانَـات الكافيـةُ للبـتِّ السَّـريع في القَضَايـا، والمستشفياتُ سيئة التَّجهيز، وتسودُ البلاد ثَقَافَةُ الصمتِ وَاللاَّمبـالاة حِيَـال الفَشَـل في إدراكِ أنَّ الاغتصابَ جَريمَةٌ خَطِيْرَةٌ!!.

من ناحية أخرىٰ أظهرت إحْدَىٰ الدراسات في الولاياتِ المُتَّحِـدَةِ الأمريكيـة تمَّ إعدادُهَا بتكليفٍ من وزارةِ العدلِ والصِّحَّةِ والشـؤونِ الاجتماعيـةِ: أن قُرَابَـةَ ١٨ % مـن النِّسـاء (١٧،٧ مليـون امـرأة) في الولايــاتِ المتحــدة اغْتُصِبْــنَ أو تَعَرَّضْــنَ لمحاولاتِ اغتصابٍ في مَرْحَلَةٍ مَا مِن مَراحل عُمُرِهِنَّ.

وَيَذْكُر أكثر من نصفِ ضَحَايا الاغتصَـابِ أنَّـهن كُـنَّ تحـتَ سِـنِّ (١٧) عندمَـا

تَعَرَّضن للاغتصَابِ للمرَّة الأولىٰ!!.

وقد علَّقت وزيرةُ الشؤون الاجتماعيةِ والصِّحيةِ الأمريكيـةِ (دونـا شـلالا) عَلـىٰ هذه الأرقام قائلةً : « إنَّ كُـلَّ رَقَـم في هـذا المَسْح يُمَثِّل بناتِنَـا وأمَّـهاتنا وجَارَاتِنَـا، وعلينَا أن نَعْتَرِف بأنَّ العُنْفَ الـذي سـببهُ الاختـلاط والتَّحَـرُّر ضِـدَّ النِّسـاء أضْحـىٰ مشكِلَةً اجتماعيةً بارزةً» .

علىٰ صعيدٍ آخَرَ أشارَ المَسْحُ الَّذي أجراهُ مركزُ بُحُوثِ السِّياساتِ وَمَقَرُّه (ديفر) تحتَ عنوان « العنف القَومي ضِدَّ النِّساءِ» إلىٰ أنَّ أكثر مـن نِصْـف النِّسـاءِ تَعَرَّضـنَ لاعتداءٍ بَدَنِيٍّ في مَرَاحِل مختَلِفَـة مِـن حياتـهنَّ تـتَرَواح بَيْـنَ الصَّفْـع عَلـىٰ الوجـهِ، واللكماتِ، ووصَلَ إلىٰ استخدامِ الأسلحة النَّارية. وتَضَمَّنَ المسـحُ المذكـورُ إجـراءَ مقابلاتٍ مَع حوالي (٨٠٠٠ رجل و ٨٠٠٠ امرأة)!!.

أفَلا يَحِقُّ لنا أنْ نَقُولَ: الحمدُ للهِ الَّذي عَافَانَا ممَّا ابتَلَىٰ بهِ كثيراً من خَلْقِهِ.. وَأن نُرَدِّدَ قولَهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢].

*　　　*　　　*

من ثمرات العفّة

« العَفَافُ » هو الكفُّ عَن المَحَارِمِ (كَالزِّنَىٰ وغَيْرِهِ) وَخَوارم المُرُوءةِ.

قالَ صاحِبُ المُحكَم: العِفَّةُ: الكفُّ عمَّا لا يَحِلُّ ولا يَجْمُلُ، يُقَالُ: عَفَّ يَعِفُّ عِفَّةً وَعَفَافاً وعفَافَةً وَتَعَفَّفَ واسْتَعَفَّ، وَرَجُلٌ عَفٌّ وَعَفِيفٌ، وَالأُنْثَىٰ عَفِيفَةٌ وَجَمْعُ العَفِيفِ أعِفَّةٌ وأعِفَّاءُ. وقيل الاسْتِعْفَافُ: الصَّبْرُ والنَّزَاهَةُ عَنِ الشَّيْءِ.

وفي التَّنْزِيْل: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: من الآية ٣٣]. فَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِمَن لا يَجِد تَزْوِيجاً بِالتَّعَفُّفِ عَن الحَرَام، كَمَا قَالَ ﷺ في الحديثِ الصحيحِ: « وَمَن لَم يَستَطِع فَعَلَيْهِ بِالصَّوم فَإنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ ». وفي الحديث أيضاً: « ثَلاثَةٌ حَقٌّ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ عَوْنُهُم: المُجَاهِدُ في سَبِيْلِ اللهِ، والمُكَاتَبُ الذي يُرِيْدُ الأدَاءَ، والنَّاكِحُ الذي يُرِيْدُ العَفَافَ ». [رواه أحمد والترمذي، وهو حديث حسنٌ].

وكان من دعائه ﷺ أيضاً: « اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ العِفَّةَ والعَافِيَةَ في دُنْيَايَ ودِيْنِي وأهْلِي ومَالِي، اللَّهُمَّ استُرْ عَوْرَتِي وآمِنْ رَوْعَتِي، واحفَظْنِي منْ بَيْنِ يَدَيَّ ومِنْ خَلْفِي، وعَن يَمِيْنِي وعَن شِمَالي، ومِنْ فَوْقِي، وأعُوْذ بِكَ أنْ أغْتَالَ مِنْ تَحتِي ». [رواه البزار، وهو حديث صحيح].

وكذا أيضاً قوله ﷺ: « اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ الهُدَىٰ والتُّقَىٰ، والعَفَافَ والغِنَىٰ ».

[رواه مسلم والترمذي وابن ماجه].

❁ وإليك الآن بعض هذهِ الثَّمَرَات، وَأَوَّلها هِيَ:

❁ أوَلاً – استجابةُ دُعاءِ مَن كَانَ عَفِيْفاً عن الحرامِ:

وخيرُ مَن نَتَذكَّر في هَذا المقَام، هُو نبيُّ اللهِ يُوسُفُ عَلَيهِ السَّلام، حِينَ عَرَضَت عَلَيْهِ زَوجَةُ العَزِيزِ نَفْسَهَا وَغَلَّقَتِ الأَبْوابَ وَقَالَت: هَيْتَ لكَ.. فأبىٰ وتعفَّفَ وهربَ منها ملتجئاً إلىٰ اللهِ تَعَالىٰ، وعندما شعرَ بإصْرَارِهَا علىٰ فعل الفاحشة.. دَعَا ربَّهُ أن يَصْرِفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ فاَستَجَابَ اللهُ تَعَالىٰ دُعاءَهُ وصَرفَ عنهُ كيدَهنَّ.

قال تَعَالىٰ: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ ۝ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ۝ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف:٣٢ ـ ٣٤].

❁ ويذكرُ لنا نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ حادثَةً جرَت مع نفرٍ ثلاثةٍ من بني إسرائيلَ لجؤوا إلىٰ غارٍ للمبيتِ فَنَزلَت صَخْرةٌ وسَدَّت عَلَيهم بابَ الغَارِ حتَّىٰ أشْرَفُوا علىٰ الهلاكِ ثمَّ بَدَؤوا بعدهَا بالتَّضرُّعِ إلىٰ اللهِ بِصَالحِ الأعْمَال كي ينقذَهُمُ اللهُ من هَذا الهلاكِ المحتم.. وأدعكم مَع هَذا الحديثِ الشَّيِّقِ لِيَرْوِيَهُ لَنَا عنهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ..

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « انطَلَقَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّىٰ آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلىٰ غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فانحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ. فَقَالُوا: إِنَّهُ لا يُنْجِيكُمْ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ.

قَالَ رَجُلٌ مِنهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لا أَغْبِقُ قَبْلَهما أهْلاً وَلا مالاً فَنَأَىٰ بِي طَلَبُ الشَّجَرِ يَوماً فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّىٰ نَامَا فَحَلَبْت لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقظَهُمَا، وَأَنْ أغْبِقَ قَبْلَهُمَا

أهلاً أوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ ـ وَالْقَدَحُ عَلَىٰ يَدِي ـ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّىٰ بَرَقَ الْفَجْرُ والصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمِي، فاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانفَرَجَتْ شَيْئاً لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهُ.

قَالَ الآخرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاس إِلَيَّ وفي رِوَايَةٍ: «كُنتُ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَأَرَدْتُهَا عَلَىٰ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّىٰ أَلَمَّتْ بِها سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِئَةَ دِينَارٍ عَلَىٰ أَنْ تخلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ، حَتَّىٰ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا» وفي رِوَايَةٍ: «فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاس إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانفَرَجَتِ الصَخْرَةُ غَيْرَ أنهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوج مِنْهَا.

وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ اسْتَأْجَرْتُ أجَرَاءَ وَأَعْطَيْتُهمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّىٰ كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءنِي بَعْدَ حِين فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ أدِّ إِلَيَّ أجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَىٰ مِنْ أجْرِكَ: مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ. فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ لا تَسْتَهْزِئْ بِي! فَقُلْتُ: لا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأخَذَهُ كُلَّهُ فاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئاً، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ».

[مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

قوله ﷺ: (غار) الكهفُ في الجبل. (رهط) ما دونَ العَشَرَةِ مِنَ الرِّجَالِ وَلا يكونُ فيهم امرأةٌ (آواهم المبيت) التَجؤوا إلىٰ مَكانٍ لِيَبِيْتُوا فِيْـهِ. (أغبق) مـن الغبوقِ وهـو شُـرْبُ العَشِـيِّ. (أهْـلاً وَلا مـالاً) يُريـدُ بِذَلِـكَ الزَّوْجَـةَ والأَوْلادَ وَالرَّقِيْــق (العَبِيْــد المَمَاليك).

(فنأىٰ بي) بَعُدَ. (أُرح) أرجع. (يَتَضَاغونَ) وَالضغَاءُ الصِّيَاحُ بِبُكَاءٍ بِسَبَبِ الجُوْعِ.

(برق الفجر) ظهرَ الضياءُ. (فأردتها عن نفسها) كنايـةٌ عَـن طَلَـبِ الجمَـاع والزِّنـا بها. (ألمت بها سَنَةٌ) نَزَلَت بِهَا سَـنَةٌ مِـن سني القَحْـطِ والجـدبِ فَأَحْوَجَتْـهَا إلىٰ طلـبِ المالِ والطعَام. (الرقيق) العَبدُ المملوكُ، يُطْلَقُ عَلىٰ الوَاحِدِ وَالجَمْع، والذَّكر والأُنثىٰ.

(فَثَمَّرْتُ أجْرَهُ) أي نَمَّيتُ أجرتَهُ. (بَعْدَ حِين) أي بعدَ فَترةٍ منَ الزمنِ.

(لا تَسْتَهْزِئْ بِي) أي لا تَسْخَر بِي.

وفي هذا الحديثِ: استحبابُ الدُّعَاء وَقْتَ الكَرْب وغَيره، والتَّوَسُّـل إلىٰ اللهِ بِصَـالح العَمَل، والحضُّ عَلىٰ برِّ الوالدينِ والأَمَانَةِ، والعفَافِ عَن المُحَرَّمَاتِ.

❁ ثانياً: من عفَّ مع القدرة على الزِّنا أظلَّهُ اللهُ يومَ القيامةِ يومَ لا ظلَّ إلاَّ ظلُّه:

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّـهِ يَـوْمَ لا ظِـلَّ إلاَّ ظِلُّـهُ: إمَـامٌ عَـادِلٌ، وَشَـابٌ نَشَـأَ في عِبَـادَةِ الله عَـزَّ وَجَـلَّ، وَرَجُـلٌ قَلْبُـهُ مُعَلَّـقٌ بِالمَسَاجِدِ. وَرَجُلانِ تَحابَّا في الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَـا عَلَيْـهِ، وَرَجُـلٌ دَعَتْـهُ امْـرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصدَقَـةٍ، فَأَخْفَاهَـا حَتَّـىٰ لا تَعْلَـمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله ﷺ: (سبعة) أشخاص وكلّ مَن يَتَّصِف بِصِفَاتِهِم (ظلّه) ظلُّ عَرْشِـهِ وكَنَـفِ رَحْمَتِهِ (معلـق..) أي شـديدُ الحـبِّ لهـا والملازمـةِ للجَمَاعَـةِ فيـهَا (اجتمعـا عليـه)

اجتمعت قلوبُهُما وأجسادهُما علىٰ الحبِّ في الله (تفرقا) استمرًا علىٰ تِلْكَ المَحَبَّـة حَتَّىٰ فرَّق بينهما الموتُ (طلبته) دعتْهُ للزِّنا (ذات منصب) امرأةٌ لها مكانةٌ ووجاهةٌ ومالٌ ونَسَبٌ (أخفى) الصَّدقة وأسرَّها عنـد إخراجِـها (لا تعلـمُ شمالـه) كنايـةً عـن المبالغةِ في السِّرِّ والإخفاءِ (خالياً) من الخلاءِ، وهو موضعٌ ليسَ فيه أحدٌ مِنَ النَّاسِ (ففَاضَت عينَاه) ذَرَفَت بالدّمُوع، إجلالاً للهِ وشَوقاً إلىٰ لِقَائِهِ.

❁ ثالثاً: تجَنُّب غضبِ اللهِ تَعَالى وسخطِهِ:

لأنَّ من يقعُ في الزِّنا يغضبُ اللهُ عليه، فاللهُ يا إخوتي يغارُ، وغيرةُ اللهِ تعـالىٰ أن يَرىٰ عبدَهُ وأمَتَهُ يزنيان، وفي الحديثِ الصَّحيحِ: عَن أبي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عـن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « إنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَغَارُ، وَغَـيْرَةُ اللهِ تَعَـالَىٰ، أنْ يَـأتِيَ الْمَـرْءُ مَـا حَـرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ » . [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

و(الْغَيْرَةُ): بفتحِ الغين: وَأَصْلُهَا الأنفَةُ. (أَنْ يَأتِيَ المُؤْمِنُ مَا حَـرَّمَ اللهُ عَليـهِ) أي مِنَ الفَوَاحِشِ وَسَائِرِ المَنْهِيَّاتِ وَالمُحَرَّمَاتِ.

وقال ﷺ: « لا أَحَدُ أَغْيَر مِـنَ اللهِ، وَلِذَلِـكَ حَـرَّمَ الْفَوَاحِـشَ مَـا ظَـهَرَ مِنْـهَا وَمَـا بَطَنَ » . [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

قولُهُ ﷺ: (أغير) مِنَ الغَيْرَةِ وَهِي الأنَفَةُ والحميةُ، وَغَارَ عَلىٰ أهْلِهِ حَمَاهُنَّ وَمَنَعَ أنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِنَّ أحَدٌ مِن غَيْرِ المَحَـارِمِ، وَغَـيْرَةُ اللهِ تَعَـالىٰ: بُغْضُـهُ أنْ يَـأتِيَ العَبْـدُ الفَوَاحِشَ. كالزنىٰ وغيرِهِ، والعياذُ باللهِ، واللهُ تعالىٰ أعلمُ وأحكم.

* * *

اشهدوا أنّي قد زوّجتهُ ابنتي

تقولُ راويةُ القصَّةِ: بالأمسِ كنتُ حاضرةً في محاضَرةٍ دينيَّةٍ في بيتِ الشَّيخ حُميد النُّعيميِّ.. وكانَتِ المُحاضَرةُ تتكلَّمُ عنِ الصَّحابيِّ الجليلِ أبُو الدَّرداءِ.. وكانَتْ تلكَ أوَّل مرَّةٍ أرتاحُ فيهَا للمرأةِ التي تحاضِرُ والحقُّ يقالُ: كانَ أسلوبُها مشوِّقاً ورائعاً أطالَ اللهُ في عمرِهَا وجعلَ ذلِكَ في ميزَانِ حسناتِهَا..

لقدْ شدَّ انتبَاهِي قصَّةٌ أحزَنَتْنِي علَىٰ حالِنَا وحَالِ شَبَابِنَا، أسألُ اللهَ أنْ يَهْدِيَنِي ويهديَهُم أجمعينَ.

لنْ أطيلَ عليكُم ودعوني أبدَأ في سَرْدِ أحداثِ هذِهِ القِصَّةِ الوَاقعيَّةِ..

وقعَتْ أحْداثُ هذهِ القصَّةِ في الشَّامِ، في حَوارِي دمشقَ.. حيثُ كانَتْ هناكَ فتاةٌ يانِعَةٌ في مقتَبلِ العُمُرِ، تَذْهَبُ كُلَّ يومٍ إلَىٰ الجامِعَةِ لتَنْهَلَ منَ العُلومِ، وتَسْتَزيدَ منَ الآدابِ، وكَانَ والدُهَا رئيسَ شُعْبَةٍ في هذِهِ الجَامِعَةِ..

في يومٍ منَ الأيَّامِ كانَتِ الدُّنيا باردةً، وكانَتِ السَّماءُ ملبَّدَةً بالغُيومِ، ومَا إنْ أتَىٰ المساءُ حتَّىٰ أرعَدَتِ السّماءُ، وبَدَأ المطَرُ في الانهِمارِ، والبَرَدُ ذو الحبَّاتِ الكَبيرَةِ التي تَكَادُ تَخرقُ رؤوسَ النَّاسِ، وهُم يركُضونَ للاحتِمَاءِ تحتَ أيِّ ظِلٍّ..

خرجَتِ الفَتَاةُ مِنَ الكُلِّيَّةِ وهيَ تجرِي علَّها تجدُ ملاذاً منْ هذِهِ العَاصِفَةِ الهوجَاءِ وكانَتْ مُبتَلَّةً وترتَجِفُ أوصالُها ولا تَدرِي أينَ المَفَرُّ..

وعندَمَا زادَ نزولُ البَرَدِ طَرَقَتْ بَابَ بيتٍ شعبِيٍّ في أحَدِ الأزِقَّةِ.... وإذَا بشَابٍّ يستَقْبِلُها ويرحِّبُ باستِضَافَتِها في بيتِهِ إلَىٰ أنْ تَهدَأَ العَاصِفَةُ ولمْ يتعَارَفَا بالأسماءِ.

فقط إنَّهُ طالبٌ في نفسِ الجَامِعَةِ وأعـزبٌ يعيـشُ لوَحـدِهِ، في غُرفـةٍ ومَمَـرٌ خَـارِجِيٌ مغَطّىٰ وحمَّامٍ منفصِلٍ عنِ الغُرفَةِ..

طلَبَ الشّابُّ منْهَا أنْ ترتاحَ في الغرفـةِ لحينِ هـدوءِ العَاصِفَـةِ، وأدخَـلَ علَيـها المِدفأةَ وطلَبَ منها أنْ تَرتَاحَ، وأنَّهُ سيُخْرِجُ المِدفأةَ بعدَ فترةٍ..

بعدَ مُضِيِّ فترةٍ منَ الزَّمَنِ وهيَ جالِسَـةٌ ترتَجِفُ عَلَىٰ السَّـريرِ غَلَبَـها النُّعـاسُ فألْقَتْ بنفسِهَا مستلقِيَةً عَلَىٰ السَّريرِ..

وَدَخَلَ الشَّابُّ وإذَا بِهِ يرَاهَا وهيَ نائِمَةٌ وكأنَّـها أميرَةٌ مـنْ حُـورِ الجَنَّـةِ وأخـرَجَ المدفأةَ ولكنَّ الشَّيطانَ قامَ يداخِلُهُ في شِغافِ قَلْبِهِ ويغرِّرُ لَهُ بصُورَةِ الفَتَاةِ المسـتلقِيَةِ في الغُرفَةِ بجانِبِهِ..

انتَبهَتِ الفتاةُ وإذَا بِـهَا تَـرَىٰ نفسَـها مرمِيَّـةً عَلَـىٰ السَّـريرِ لا تَعلَـمُ مَـاذا جَـرَىٰ، فركَضَتْ نحوَ البَابِ فرأتِ الشَّابَّ مرمِياً في الخارِجِ مغمّىٰ عليـهِ.. وأخَـذَت تجـري وَلا تَلتفِتُ خلفَهَا حتّىٰ وَصَلَت لبيتِها ورمَت بنفسِهَا في حضْنِ أبيهَا الَّذي كَانَ طـوالَ اللَّيلِ يبحَثُ عنهَا في كُلِّ مكانٍ!!.

قَصَّت لهُ كلَّ الأحداثِ التي مرَّتْ عَلَيها وأقْسَمَت لَهُ أنَّها لا تَعْلَمُ مَـا جَـرَىٰ لها وأنَّ ما حَدَثَ قد حَدَثَ رغماً عَنْهَا.

فَمَا كَانَ منَ الأبِ إلاَّ أنْ ذَهَبَ للجَامِعَةِ وأبلَـغَ عـنِ الشّبابِ المتَغَيِّبِ في هَـذا اليومِ فإذَا بهِم شابَّانِ اتَّضَحَ أنَّ أحدَهُم مُسافِرٌ خارجَ البِلادِ والآخرَ في المُستشفَىٰ..

ذَهَبَ الأبُ ليَرىٰ ذَلكَ الشَابَّ في المستشفَىٰ ليروي غليلَهُ وَيَنْتَقِمَ منْـهُ، فـإذَا بِـهِ يَرَىٰ شاباً قد لُفَّتْ يداهُ باللُّفافاتِ البيضَاءِ فسَألَ الطبيبَ عمَّا جَرَىٰ..

أخبَرَهُ الطَّبيبُ أنَّه أتَىٰ إليهم محتَرِقَ الأصابِعِ.. نعَم أصابِعُهُ مُحترِقَةٌ..

قالَ الأبُ للشّابِّ: باللهِ عليكَ مَا الذي جَرىٰ؟ وطبعاً مِن غَيرِ أنْ يُخبِرَهُ أنَّهُ والدُ الفَتَاةِ التي كانت عنده بالأمسِ..

فَقَالَ الشّابُّ: لقَد التجأتْ إليَّ فتاةٌ بالأمسِ طلباً للحمَايَةِ منَ المَطَرِ فآويتُها في الغُرفةِ، ولمَّا دخلتُ لأطمَئِنَّ عليها فإذا أنا أمامَ أميرةٍ مِنْ حُورِ الجَنَّةِ نائمة علىٰ السَّرير.. فَاستغفرتُ اللهَ وأخرَجْتُ المدفأةَ..

ولكنَّ الشَّيطانَ قَامَ يداخِلُني في شِغافِ قَلْبِي وَيغرّرُ لي بصُورَتِها الجميلةِ وهي مستلقِيَةٌ بجانبي فِي الغُرفَةِ..

عندها تذكرتُ اللهَ والخوفَ من الزنىٰ.. والشَّيطانُ يُراودُني ويراودني..

فَقُمتُ إلىٰ المدفأةِ الملتهبلة وبدأتُ أحْرِقُ إصبعاً مِنْ أصَابِعي كُلَّمَا ضَعُفَتْ نفسِي لأتَذكَّرَ نَارَ جهنَّمَ وعَذَابَها.. حتَّىٰ احترقَتْ أصَابِعِي فَأُغْمِيَ علَيَّ من شِدَّةِ الألم.. ولم أدرِ إلاَّ وأنَا في المُستَشْفَىٰ..

فصَرَخَ الأبُ عندَها وقَالَ: اشهَدُوا أيُّها النَّاس أنّي زوَّجتُهُ ابنَتِي.

* هذه هي ثمرةٌ من ثَمَراتِ العِفَّةِ يا إخوتي.. ولطالما سَمِعْنَا مِن عُلَمَائِنَا الكِرام هذِهِ المَقُولَةَ الحقَّةَ التي تُكتَبُ بماءِ الذَّهب:

من صبَرَ علىٰ الحرامِ وهو يقدِرُ عليهِ، رزقهُ اللهُ تعالىٰ إيَّاهُ بالحلالِ..

*   *   *

حكايةُ إيمان

كَم كَانَتْ تَسحَرُني ابنَةُ خَالَتي ذَاتِ العِشرِينَ رَبيعاً بِطَبعِهَا الهَادِئ وَسُلُوكِيَّاتِهَا الرَّفِيعَةِ.. كَمَا كَانَتْ تَشدُّنِي إِلَىٰ دُرُوبِ الوَرَعِ وَسُبُلِ السَّلام بِحَدِيثِهَا العَذْبِ وثَقافَتِها العَريقَةِ وَحيائِهَا الشَّديدِ، كَانَتْ فَتاةً ذَاتَ مَنهجٍ سِلميٍّ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ المُتَخَبِّطَةِ فِي عَالَمِ الفِتَنِ وَالشَّهواتِ..

كَانَتْ مَخلُوقاً شَفَّافاً يَنهَلُ مِنَ الفَضِيلَةِ مَا استَطَاعَ لِيُغدِقَ بِهِ عَلَىٰ مَن سِوَاهُ، لِهَذَا أصبحَتْ « إيمانُ» مضربَاً للأمثَال بَينَ فَتيَاتِ العَائِلَةِ حَيثُ اتَّسَمَتْ بِوضُوحِ الرُّؤيَةِ وَرَجَاحَةِ العَقلِ بِالإضَافَةِ إِلَىٰ المُثُلِ السَّامِيَةِ الَّتِي كَانَتْ تُترجِمُهَا إِلَىٰ أعمَالٍ حَميدَةٍ مِن خِلالِ تَعلُّقِها الشَّدِيدِ بِكِتابِ اللهِ حِفظاً وَتِلاوةً وَتَطبِيقاً.

كَانَتْ تُشعِلُ غَيرَتِي حِينَ آتِي بِسُلُوكٍ خَاطِئٍ وَتُعاتِبُنِي أُمِّي وَهِيَ تَقُولُ: لا أريدُكِ أنْ تَفعَلِي ذَلِكَ يَا عَبِير، لِمَ لا تَكُونِينَ مِثلَ إيمان؟!.

وكُنتُ أرُدُّ عَلَيهَا بِكُلِّ شَرَاسَةٍ: أنَا لَستُ إيمَان يَا أُمِّي هِيَ أكبَرُ مِنِّي سِنَّاً.

الحَقِيقَةُ أنَّهُ لَم يَكُن هُنَاك - بِرأيِي - أفضَلُ مِن إيمَان بَينَ مُجتَمَعِ أقَارِبِنَا أو حتَّىٰ زَميلاتِي فِي المَدرَسَةِ.

فمُعظَمُهُنَّ للأسَفِ مُنخَدِعَاتٌ بالدُّنيا حَيثُ كَانَ الطَّربُ والأفلامُ هُوَ أكبَرُ هَمِّهِنَّ، وَالمُوضَةُ الأخيرَةُ هِيَ مَظهَرُهُنَّ، أمَّا إيمانُ فَقَد كَانَت عَلَىٰ النَّقِيضِ تَمَاماً، كَانَتْ تُجَسِّدُ الإنسَانَةَ الرَّائِعَةَ الَّتي لا تُهمُّهَا المُوضَةُ وكُلُّ مَا كَانَتْ تَفعَلُهُ بَعدَ رُجوعِهَا مِن دَارِ تَحفِيظِ القُرآنِ الكَريم إنهاءُ مُذاكَرَتِهَا اليَومِيَّةِ وَمُسَاعَدَةِ خَالَتِي فِي

الأعمَالِ المَنزِليَّةِ، لِتَأوِي إِلَىٰ جَنَّتِهَا ـ مُصَلاهَا ـ فَتدعُو اللهَ وَتُصَلِّي بِخُشوعٍ.

هكَذا كَانَتْ إيمَانُ تَعيشُ حياتَهَا فَقَط لا غَيرَ فَجَدْوَلُها اليَومِيُّ مُتَشابِهٌ تَقرِيباً، لَم تَكُن تَعنِيها أو تَهزُّهَا الأقْوالُ البَذِيئَةُ الَّتي كَانَتْ تُطلَقُ عَلَيهَا مِن بَعضِ المُتَبَجِّحَاتِ مِمَّنْ يَدَّعِينَ الحُرِّيَةَ وَالثَّقافَةَ العَصرِيَّةِ، بَل كَانَتْ تَتباهَىٰ بِمَا هِيَ عَلَيهِ بِثِقَةٍ وَعِزَّةِ نَفسٍ، وَتُجَادِلُهُنَّ بِمنطِقِ الحَقِّ وَالحِكمَةِ حَتَّىٰ تَغلِبَهُنَّ بَل وَتُؤثِّر فِيهِنَّ.

ومِمَّا أذكُرُهُ فِي هَذَا الشَّأنِ أنَّنا كُنَّا مَدعُوَّاتٍ ذَاتَ لَيلَةٍ لِوَليمَةِ عَشَاءٍ عِندَ أَحَدِ قَريبَاتِنَا، فَقَالَتْ إِحدَىٰ الحَاضِراتِ وَهِيَ تَنظُرُ إِلىٰ إيمانَ بِغَطرَسَةٍ وَسُخرِيَةٍ: لِمَ كُلُّ هَذا التَّشَدُّدِ فِي الدِّينِ إنَّكِ مَا زلتِ صَغيرةً.

أجَابَتها إيمانُ بِهُدوءٍ: إنَّ المَوتَ لا يَعرِفُ صَغيراً وَلا كَبِيراً.. إنَّه قَدَرُ اللهِ الَّذي قَد يُداهِمُنَا فَجأةً، وَلا أحَدٌ يَعرِفُ أينَ وَمَتَىٰ وكيفَ؟!.

وَقَالَتْ أخرَىٰ بامتِعَاضٍ: ولَكِنَّ الزَّمَنَ قَد تَغَيَّرَ، وَيَجِبُ أنْ تُواكِبِي العَصرَ، وتَتبعِي آخِرَ خُطُوطِ المُوضَةِ، بَدَلاً مِن هَذِهِ المَلابِسِ الَّتي تُظهِرُكِ كَعَجُوزٍ، وَانفَجَرَتْ بِالضَّحِكِ.

قَالَت إيمَانُ بِثِقَةٍ: وَهَل ارتِدَاءُ المَلابِسِ الَّتي تُظهِرُ مَفَاتِنَ جَسَدِي تجعَلُني مُتَحضِّرةً؟ وَهل يَجِبُ أن أصبِحَ الْعُوبَةً فِي أيدِي مُصَمِّمِي الأزيَاءِ العَالَمِيِّينَ كَي يُلبِسُونِي وَيُعرُونِي كَيفَ شَاؤُوا؟ أولَئِكَ الَّذينَ يَسعَونَ لإفسَادِي فِي جَعلِي تَابِعَةً لَهُم.. هَل هَذِهِ هِيَ الحَضَارَةُ ؟ أمْ أنَّها تَبَعيَّةٌ وَعُبُودِيَّةٌ لِشَياطِينِ الإنسِ؟.

عَلَّقَتْ ثَالِثَةٌ بِاحتِجَاجٍ :إنَّكِ تُبَالِغِينَ فَاللهُ غَفُورٌ رَحيمٌ.

تَنَهَّدَتْ إيمَانُ بِخُشُوعٍ وَقَالَتْ: أجل وَسُبحانَهُ شَدِيدُ العِقَابِ أيضاً.

فِي تِلكَ اللَّحظَةِ نَظَرتِ الحَاضِرَاتُ إِلَىٰ بَعضِهِنَّ البَعضَ بِخَجَلٍ وَقَدْ بَدَا عَلَيهِنَّ

الحَرَجُ وَالشُّعورُ بِالخَجَلِ لِمُنَاقَشَتِهَا واستِفزَازِها.

وفي يَومٍ مِنَ الأَيَّامِ جَاءتْ خَالَتِي تَزفُّ إلَينا خَبَرَ خِطْبَةِ إيمَان، وَهِيَ تَقُولُ بِفَرَحٍ: الحَمدُ للهِ لَقَد جاءَ مَن تَرضَاهُ زَوجاً لَهَا.. رَجُلٌ صَالحٌ وَتَقِيٌّ يَليقُ بِهَا.

قَالَتْ أُمّي بِسَعَادَةٍ بَالِغَةٍ: مَبارَكٌ يَا أُختِي وفَّقَها اللهُ ورَعَاهَا إنَّ إيمانَ تَستَحِقُ كُلَّ خَيرٍ.

وَسَألتُهَا بِدَوري بِاهتِمَامٍ: وَمَتَىٰ سَيَتِمُّ الزِّفَافُ يَا خَالَتِي؟.

فأجَابَتْ: فِي العُطلَةِ الصَّيفِيَّةِ إنْ شَاءَ اللهُ، وَالعَاقِبَةُ لَكِ يَا عَبِيرُ.

وَلَم تَتَوَقَّفْ حِكَايَةُ إيمَان عِندَ هَذَا الحَدِّ، فَقَد جَاءتني الأَيَّامُ بِمُفَاجَآتٍ مُدهِشَةٍ، وكَانَ مِمَّا أثَارَ ذُهولي عِندَمَا عَرفْتُ بَعْدَ قِرانِ ابنَةِ خَالَتِي أنَّها تَصدَّقَت بِنِصفِ مَهرِهَا، وَلَيسَ هَذَا فَحَسبُ بَل وَرَفَضَتْ أنْ تُقِيمَ حَفلاً كَبِيراً لِزفَافِهَا، وآثَرَت أنْ تَدعُوَ الأَهلَ وَالأقَارِبَ فَقَط إلَىٰ وَلِيمَةٍ صَغِيرَةٍ فِي مَنزِلِهم.

الوَاقِعُ أنَّ تَصرُّفَهَا هَذَا أثَارَ تَسَاؤلاتٍ كَثِيرَةٍ فِي نَفسِي.. هَل يُمكِنُ أنْ تُقدِمَ أيُّ فَتَاةٍ عَلَىٰ هَذَا التَّصرُّفِ فِي هَذَا العَصرِ المَلِيءِ بِالنِّعَمِ وَالتَّرَفِ؟! وكيفَ تَملِكُ إيمانُ كُلَّ هَذِهِ التَّقوىٰ لِمُجَابَهَةِ شُرورِ النَّفسِ وَأهوائِهَا وَمِن أينَ لَهَا بِالقُوَّةِ لِمُحَارَبَةِ الشَّيطَانِ وَوَسَاوِسِهِ.

وأيقَنتُ قَبلَ أنْ أخُوضَ مَعَ شَيطانِي مَعركَةً ضَارِيَةً لأستَخلِصَ نَفسِي، أنَّ الالتِزَامَ هُوَ الَّذي يُعِزُّ الإنسَانَ وَيرتَقِي بِهِ إلَىٰ المَعَالِي، الإنسَانَ الَّذي يَشتَرِي نَفسَهُ بِالجَنَّةِ، بِالجنَّةِ فَقَط.

كُلُّ هَذَا أطفَأ مَا فِي قَلبِي عَلَىٰ ابنَةِ خَالَتِي إيمان، وَحَلَّ مَحلَّهَا إصرَارٌ وَعَزِيمَةٌ عَلَىٰ أنْ أسلُكَ مَسلَكَهَا وَأقتَدِي بِهَا مَا استَطَعْتُ..أجَل.. يَجِبُ أن أسِيرَ عَلَىٰ مَنهَجِها وَأكونَ مِثلَهَا. وَأرجُو أنْ يُوفِّقَنِي اللهُ وَيُسَدِّدَنِي لِذَلِكَ وَأدعُوهُ أنْ يَمنَحَنِي الثَّبَاتَ عَلَىٰ هَذَا الطَّرِيقِ إنَّهُ سَميعٌ عَلِيمٌ.

مَرَضٌ يُصِيبُ المرأةَ المتبرِّجة

روىٰ مسلم في صحيحه، عن النبيِّ ﷺ قال: «ونساءٌ كَاسيَاتٌ عَاريـاتٌ مَـائِلاتٌ مميلاتٌ رؤُوسهن كأسنمةِ البُخْتِ المَائِلَةِ لا يَدْخُلْنَ الجنَّةَ وَلا يَجِدْنَ رِيْحَهَا».

وقال رسـولُ الله ﷺ أيضـاً: «لا تُقْبَـلُ صَـلاةُ حَـائِضٍ إلاَّ بِخِمَـارٍ». [أي صـلاة مكلَّفة بالغة، وإلاَّ فالصَّلاة في أيام الحيض غير جائزة، رواه الإمام أحمـد وأبـوداود والترمذي وابن ماجه].

لَقَد أثبَتَتِ البحوثُ العلميَّةُ الحديثةُ أنَّ تبرجَ المـرأةِ وعُريَّها يُعَـدُّ وَبَـالاً عَلَيْـهَا حيثُ أشَارَت الإحصائياتُ الحاليةُ إلىٰ انتشارِ مَرَضِ السَّرطانِ الخبيـثِ في الأجزاءِ العاريةِ مِن أجسادِ النِّسَاءِ وَلا سيّمَا الفتياتِ اللاَّتي يلبسنَ الملابسَ القصـيرةَ، فلَقَـد نُشِرَ في المجلَـةِ الطبِّيـةِ البريطانيـةِ: أنَّ السـرطانَ الخبيـثَ «الميلانومَـا» الخبيثَـة، والَّذي كانَ مِن أنْدَرِ أنْوَاعِ السَّرطانِ أصبـحَ الآنَ في تَزَايـدٍ، وأنَّ عـددَ الإصابـاتِ في الفتياتِ في مُقْتَبَلِ العُمُرِ يَتَضَاعَفُ حالياً، حيث يُصَبْنَ به في أرجلـهنَّ، وأنَّ السَّـبَبَ الرَّئيسي لِشيُوعِ هذا السَّرطان الخَبِيْث هُوَ انتِشَارُ الأزياءِ القصيرةِ الَّتي تُعَرِّض جَسَـدَ النِّسَاء لأشِعَّةِ الشَّمْسِ فَتَرَاتٍ طويلَة علىٰ مَـرِّ السَّـنَةِ ولا تفيـدُ الجـواربُ الشـفَّافَةُ أو النايلون في الوِقَايَةِ مِنْهَا..

وقد نَاشَدَت المجلةُ أطباءَ الأوبئَةِ أنْ يُشَـارِكُوا في جَمْـعِ المَعْلُومـاتِ عَـن هَـذا المَرَضِ وكأنَّهُ يَقْتَرِبُ مِن كَوْنِهِ وَبَـاء.. وإنَّ ذلـك يذكِّرنَـا بقولـه تعـالىٰ: ﴿وَإِذْ قَـالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِـنْ عِنـدِكَ فَـأَمْطِرْ عَلَيْنَـا حِجَـارَةً مِّـنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَـا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الأنفال: ٣٢].

ولَقَد حلَّ العذابُ الأليمُ أو جزءٌ منه في صُورَةِ السَّرطان الخبيثِ الَّذي هو أخبَثُ أنْوَاع السَّرَطان، وهذا المرضُ يَنتُج عَن تَعَرُّض الجِسْم لأَشِعَّةِ الشَّمْسِ وَالأشِعَّة فوق البَنَفْسِجِيَة فترات طَوِيلة وَهُو مَا تُوَفِّرُهُ الملابِسُ القصيرةُ أو مَلابِس البَحَر على الشواطئ.. وَيُلاحَظُ أنَّهُ يُصيبُ كافَّةَ الأجْسَادِ وَبِنِسَبٍ مُتفاوتةٍ.. وَيَظْهر أولاً كَبُقْعَةٍ صغيرةٍ سوداء، وقَد تكُون مُتَنَاهِيَةً في الصِّغَر، وغالباً في القَدَم أو السَّاقِ.. وأحياناً بِالعينِ، ثمَّ يَبْدأ بالانتِشَار في كلِّ مكَانٍ واتِّجَاه مَع أنَّه يزيدُ وينْمُو في مكانِ ظهورِهِ الأوَّل، فيُهَاجِم العُقَد الليمفَاوِيَّة بأعلَى الفَخِذ وَيَغْزُو الدَّمَ وَيَسْتَقِر في الكَبِدِ وَيُدَمِّرُهَا..

وقَد يَسْتَقِر في كافَّة الأعضَاءِ وَمنهَا العِظَام والأحشَاء بمَا فيهَا الكِلْيَتَان ولربَّمَا يَعْقِب غَزْو الكليتين البول الأسْوَد نتيجةً لِتَهَتُّك الكِلى بالسَّرطان الخبيثِ الغَازي..

وقد يَنْتَقِل للجنينِ في بطنِ أمِّهِ ولا يُمْهِل هَذا المرضُ صاحِبَتَهُ طويلاً.. كَمَا لا يُمَثِّل العِلاجُ بالجِرَاحَةِ فُرْصَة للنَّجاةِ كبَاقِي أنواع السَّرطان، حيثُ لايَستَجِيبُ هذا النوعُ مِن السَّرطانِ للعلاج بِجَلَسَات الأشِعَّةِ..

من هنَا تَظْهَرُ حِكْمَةُ التَّشْريع الإسلامي في ارتداءِ المرأةِ للزِّيِّ المُحْتَشِم الَّذي يَسْتُر جَسَدَهَا جميعَهُ بملابِس واسِعَةٍ غير ضَيِّقَة ولا شَفَّافة مَع السَّمَاح لها بكَشْفِ الوَجْهِ واليَدَيْنِ عندَ عدم الفتنةِ.. فَلَقد صَارَ واضحاً أنَّ ثيابَ العِفَّة والاحتِشَام هي خيرُ وقَايَةٍ مِن عَذَابِ الدُّنْيا المُتَمَثِّل في هذا المَرَض، فَضْلاً عَن عَذَابِ الآخرة، ثمَّ هَل بعدَ تأييدِ نَظَرِيَّاتِ العِلْم الحَديث لِمَا سَبَق أن قَرَّرَهُ الشَّرعُ الحكِيمُ مِن حُجَج يُحْتَجُّ بِهَا لِسفُور المَرْأةِ وَتَبَرُّجِهَا؟؟.

فِتنةُ الأزياءِ والموضة

تَتَعَاقَبُ الأجيالُ تِلْوَ الأجيالِ، وكلُّ جيلٍ يَنْمُو في أطوارٍ تَتَبَايَنُ مَع مَن قَبْله، فَتُشكِّل تِلْكَ المَرَاحِلُ جيلاً يَنْفَرِدُ بِمزَايا لَم يَتَميَّز بِهَا غَيْرُه، كمَا يَنْشَأ فيهِ أحدَاثٌ تُفَتِّتُهُ، وَقَلاقِلُ تُضْعِفُهُ، وَمن ثمَّ يُوَرِّثُ ذَلِكَ مَن بَعْدَهُ، ففي كلِّ جيلٍ نَرَىٰ أنَّ خطَّ الفِتَن يَسِيرُ، وتَزْدَادُ الفِتَنُ، مِصْدَاقاً لِقَولِ الرَّسُولِ ﷺ: «فَإِنَّهُ مَن يَعِشْ مِنكُم فَسَيَرَىٰ اخْتِلافاً كَثِيراً». [صحيح، رواه أبو داود].

وكلُّ فِتْنَةٍ عِنْدَ ظُهورهَا تَبْدأ كبيرةً، يَتَعَاظَمُهَا أهلُهَا حتَّىٰ يَأتِي مَا بَعْدهَا مِن فِتَنٍ أعْظَم مِنهَا فَتُرَقِّقُهَا، وعَلىٰ هذا تَسيرُ الأُمَمُ بالعَدِّ التَّنَازليِّ مِن نَاحِيَةِ القُوَّةِ العَقيديَّة، وَالأخْلاقِ وَالسُّلوكِ مِن بَعْدِ سَلَفِ الأمَّةِ، إلىٰ نِهَايَةِ شِرَارِ مَن تَقُوم عَلَيْهِم السَّاعَةُ.

وحِيْنَمَا أودُّ الكتابَةَ عَنِ الفِتَنِ فَأنَا أحكُمُ عَلىٰ وَرقِي بِالنَّفَادِ، وَعَلىٰ قَلَمِي بِالسّهَادِ، فَالفِتَن عمَّت، وَطَمَّت، وَمن أسْبَابِ قُوَّةِ شَوكَتِهَا في الأمَّةِ، مُسَايرتهَا لَهَا، بِحُجَّةِ مُسَايَرَةِ الوَاقع، ومُوَاكَبَةِ العَصْرِ، وَهَذا بِحَدِّ ذَاتِه فِتْنَةٌ عظيمَةٌ، انقَسَمَت فيهَا الأمَّةُ إلىٰ:

١- مَعْرِضٍ عَن المُحدثَاتِ، حَذَراً مِن المُستَجِدَّات.

٢- وَقِسْمٍ مِقْبِلٍ عَلىٰ الصَّادِرَاتِ، مُنْفَتِحٍ لكلِّ رَائِج.

ولقَد تمَّ تَرويضُ النَّاسِ عَلىٰ ذلكَ ردْحاً مِنَ الزَّمَن، ممَّا جعَلَهُ متمكِّنٌ مِنَ القُلُوبِ، بَل شَرِبَتْهُ النُّفُوسُ حتَّىٰ أَلِفَتْهُ وَأَحَبَّتْهُ.

ومن أعْظَم مَا حَصَل مِن هَذِهِ الفِتَنِ في العَصْرِ الحَاضِر: مُسَايَرَةُ النِّسَاءِ المُسْلِمَات في لبَاسِهِنَّ للفَاسِقَاتِ وَالكَافِرَاتِ، وَتَقْليدهُنَّ لعَادَاتِ الغَرْبِ الكَافِر، فيهِ

وفي الأزْيَاءِ، وَصَرْعَاتِ المُوضَاتِ، وَأدواتِ التَّجميلِ، حَتَّىٰ أصْبحَت هَذِهِ الفِتَنُ مَألوفَةً لَم يَنجُ مِنْهَا إلاَّ أقَلَّ القَلِيْلِ مِمَّن رَحِمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ النِّسَاءِ الصَّالِحَاتِ المُتَرَبِّيَاتِ في مَنَابِتِ صَالِحَة تَجْعَل رِضَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فوقَ رِضَىٰ المَخْلُوق، حَتَّىٰ صِرْنَا نَرَىٰ أكْثَرَ نِسَاءِ المسلمينَ عَلَىٰ هَيْئَةٍ في اللِّبَاسِ وَالمُوضَاتِ يُنكِرُهَا الشَّرْعُ والعَقْلُ، وَتنكِرُهَا المُرُوءةُ والغَيْرَةُ، وكَأنَّ الأمْرَ تَحَوَّلَ وَالعِيَاذُ بِاللهِ تَعَالَىٰ إلىٰ شِبْه عُبُودِيَّةٍ لِبُيُوتِ الأزيَاءِ، يَصْعُبُ الانفكاكُ عَنْهَا.

فَهَذِهِ العَادَاتُ والتَّقَاليدُ الَّتي تُكَلِّفُ النَّاسُ العَنَتَ الشَّديدَ في حَيَاتِهِم، ثُمَّ لا يَجِدُونَ لأنْفُسِهِم مِنهَا مَفَرّاً.. هَذِهِ الأزْيَاءُ والمَرَاسِمِ الَّتي تَفْرِضُ نَفْسَهَا عَلَىٰ النَّاسِ فَرْضاً، وتكَلِّفُهُم أحياناً مَا لايطيقُونَ مِنَ النَّفَقَةِ، وتَأكُلُ حَيَاتَهُم وَاهتِمَامَاتِهِم، ثُمَّ تُفْسِدُ أخْلاقَهُم وحَيَاتَهُم، وَمَع ذَلِكَ لا يَمْلِكُونَ إلاَّ الخُضُوعَ لَهَا.. أزيَاءُ الصَّبَاحِ، وأزياءُ بَعْدَ الظُّهر، وأزيَاءُ المساءِ، الأزْيَاءُ القصيرَةُ، والأزيَاءُ الضَّيِّقَةُ، والأزيَاءُ المُضْحِكَةُ ! وَأنواعُ الزِّينَةِ وَالتَّجْميلِ، وَالتَّصْفيف إلىٰ آخِرِ هَذا الاستِرْقَاق المُذِلِّ.. مَن الَّذي يَصْنَعُهُ ؟ ومَن الَّذي يَقِفُ وَرَاءهُ؟.

تَقِفُ وراءه بُيوتُ الأزياءِ، وَتَقِفُ وراءهُ شَرِكَاتُ الإنتاجِ! ويقِفُ وراءهُ المُرَابونَ في بيوتِ المالِ وَالبنُوكِ مِنَ الَّذينَ يُعطُونَ أموالهُم للصِّنَاعَاتِ لِيَأخُذُوا هُم حَصِيْلَةَ كَدِّهَا ! ويَقِفُ وراءه اليَهُودُ الَّذينَ يَعْمَلُونَ لِتَدْميرِ البَشَرِيَّةِ كُلِّها لِيَحْكُمُوهَا!.

بِدَايَةُ فِتْنَةِ الأزْيَاء

ارْتَبَطَ تَاريخُ البَدْءِ بِارتدَاءِ المسلمينَ للأزياءِ الغَرْبيَّةِ بِانْتِهَاءِ الدَّولَةِ العثمانيَّةِ، حيثُ لَم يَشْهَد التَّاريخُ الإسلاميُّ قَبْلَ هَذِهِ الفترةِ أيَّ نوع مِن أنواع الاختلافَاتِ في الرَّأي بينَ المسلمينَ عَلَىٰ الزِّيِّ الإسلاميِّ في قَوَاعِدِهِ العَامَّةِ، المُسْتَمَدَّةَ مِنَ القُرآنِ

الكَريم والسُّنَّةِ النَّبويَّة الشَّريفة، والَّتي يَخْتَلِفُ تَطْبيقُها مِن بَلَدٍ إلىٰ آخَرَ تِبْعاً للبيئَةِ والمناخ وما شابهه من الأمور.

وقد كانَ مِن آثَارِ شِدَّةِ تَعلُّق المسلمينَ بِزيِّهم، أنْ كانَ لهـذَا الـزِّيِّ دورٌ فعَّالٌ في اندِلاع الفِتْنَةِ الَّتي أدَّت إلىٰ نِهَايَةِ العَهْدِ العُثْمَاني، إذْ قَامَ أحـدُ الأشخاصِ، بَعْدَ أنْ زَوَّرَ خَتْم السُّلطان عَبْدِ الحميدِ الثَّاني رَحِمَهُ اللهُ تَعالىٰ، بالادِّعَاءِ أنَّه يَحْمِلُ مَرْسُوماً مِن السُّلطانِ، ذَيَّلَهُ بِفَتْوىٰ مُزَوَّرَة لِشَيخ الإسْلام، يَفْرِضُ فيهِ نَزْعَ القَلَنْسوةِ الإسلاميَّةِ وَتَبْديلهَا بالقُبَّعَةِ الغَرْبيَّة، ممَّا أثارَ حفيظةَ المسلمينَ آنـذَاك، ورَفَضُوا التَّخلِّي عَن زيِّهِم الإسْلاميِّ.

إلاَّ أنَّ هَذا الأمْرَ مَا لبِثَ أنْ تبَدَّلَ بَعْدَ أنْ فَرَضَ «أتاتورك» زيَّ وقُبَّعَـةَ الغَرْبيينَ فَرْضاً وَبِـالقوَّةِ، الأمْـر الَّـذي كـانَ أحـدُ نتائجِهِ زَحْفُ الأزيـاءِ الغَرْبيَّـةِ وَمَا يُعْرَف «بالمُوضَةِ» إلىٰ عُقُولِ وَقُلُوبِ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ علىٰ حَدٍّ سَوَاء.

مَن وراءُ الفِتْنَةِ

لقَد وَضَعَ الإسلامُ للمَرْأةِ سِيَاجاً قَوياً مَانِعاً مِـنَ الضَّيـاع، وذلـكَ السِّياجُ هـو الحِشْمَةُ والعفَافُ، ولكِنَّ اليَهُودَ لم يُعْجِبْهُم ذَلِكَ مِنْـذُ قَدِيْـم الزَّمَـان، حَيثُ تَـآمَرُوا علىٰ نَزْع حِجَابِ المَرْأَةِ المسلمةِ، وكشْفِ سَوْءتِهَا في سُوقِ بَني قَيْنُقَاع، أيَّام رَسُـول اللهِ ﷺ ومَازَالَت حَرْبُهُم مَشْبوبَةً مُشْتَعِلَةً، لا يَزيدُها الزَّمَـنُ إلاَّ اشتِعَالاً واضْطِراماً، لأنَّهُم يدركونَ جَيِّداً أنَّ إفْسَادَهَا إفسادٌ للمجتَمَع بِرُمَّتِه.

فَمُعْظَم الَّذينَ يَتحكَّمُونَ اليومَ في بُيُوتِ الأزيَاءِ، وَيُشْعِلُونَ أجيجَ هَذِهِ الفِتْنَةِ هُـم اليهودُ، وأهدَافُهُم لَيْسَت تِجَاريَّةً بَحْتَةً، ولكن تَمْتَدُّ إلىٰ ما هُو أسْوأ مِـن ذَلِـكَ، وَهُـوَ هَدْمُ البُنْيَةِ التَّحْتيَّةِ للأُسْرَةِ المسلمَةِ، عَن طريقِ إفْسَادِ المَرْأةِ، لكَونِـهَا القَـاعِدَةَ الَّتي

يرتكِزُ عَلَيْهَا بنيانُ الأسرةِ، بَل المجتَمَعُ بأسرِهِ.

فمنَ المعلومِ أنَّ أكبَرَ مُستَهْلِكٍ علىٰ وَجْهِ الأرضِ، وفي كلِّ بَلَدٍ هي المَرْأةُ خاصَّةً فيمَا يَتعلَّقُ بأزيائِهَا، وجَمالِهَا، وشكْلِهَا، ومُواكبَتِهَا للعصْرِ، وحدَاثتهَا في كلِّ شيءٍ.

والَّذينَ يُسَيْطِرُونَ علىٰ بيوتِ الأزياءِ، هُم أنْفُسُهُم الَّذينَ يجلسونَ علىٰ عرْشِ الإعْلام العالميِّ، ومِن خِلالِهِ يَنفُذُونَ إلىٰ بيوتِ المسلمينَ بِلا استِئْذَانٍ، ويَعْرضُونَ أفكَارَهُمُ المسمومَةَ عَن طريقِ قَنوَاتِهِ، المَرْئيَّةِ، والمَسْمُوعَةِ، والمقْرُوءةِ، بُغْيَتُهُم مِن ذَلِكَ تَلْويثُ الدِّمَاغِ، وتَأسِيس قوَاعِدَ ثَابِتَةً لَيْسَ فَقَط في أراضِيْهِم بَل حتَّىٰ في قُلُوبِهِم إلاَّ مَن رَحِمَ رَبِّي.

مِن خلالِ هَذِهِ الوَسَائِلِ الهائِلَةِ الَّتي يمتَلِكُهَا اليهودُ، والَّتي تُشْبِهُ البِحَارَ العَاتِيَةَ، العَالِيَةَ الأمواجِ، يَلْعَبُونَ بِمُعْظَمِ النِّسَاءِ كَمَا يَشَاؤُونَ، يَرْفَعُونَهُنَّ مَعَ المَوْجِ، وَيُخفِضُونَهُنَّ، وَيَتَحكَّمُونَ في رَغَبَاتِهِنَّ، لأنَّهُم هُمُ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ تِلْكَ الرَّغَبَاتِ، وَيَصْنَعُونَ عِنْدَهُنَّ إحساساً بأنَّهُنَّ نَاقِصَاتٌ، مُتَخلِّفَاتٌ، وَقَبيحَاتٌ، إذا لَم يُسَايِرْنَ آخِرَ الصَّيحَاتِ والصَّرعاتِ.

وممَّا يَنْدَىٰ لهُ الجبينُ، أنْ نَرَىٰ انْصِيَاعَ الدُّولِ العَرَبيَّة، وَالإسلاميَّة لِهَذَا الزَّحْفِ الانفِتَاحِيِّ المُوغِلِ، فَتُقَلِّدُهَا فيهِ تَقْلِيدَ الأعْمَىٰ، فَإنَّنَا نَجِدُ أنَّ مُعْظَمَ مَجلاَّتِ المرأةِ العَربيَّةِ تَتَبَارَىٰ في تَقْدِيم آخِرِ صَيْحَاتِ المُوضَةِ، علىٰ أجْمَلِ الوَرَقِ وَأفْخَرِهِ، وَبأبْهَىٰ الألوانِ، وَتُقَدِّمُ عارضَات الأزياءِ علىٰ أنَّهُنَّ المِثَال الأرقَىٰ في الأنَاقَةِ، والرَّشَاقَةِ، والقُدْوَةِ المُثْلَىٰ في طريقَةِ المَشْي بِمَا فيهَا مِنْ تَخَلُّعٍ، وَمُيُوعَةٍ، وَهَزٍّ لِمَوَاضِعِ الأنُوثَةِ في المكَانِ العَامِ، وإبراز لمِوَاطِنِ الفِتْنَةِ بَيْنَ الرِّجَالِ.

وَللأسَفِ لقَد انقَادَت الكثيراتُ مِنَ النِّسَاءِ وَانصَعْنَ لهؤلاءِ، فَأصْبَحَ أكبَرُ هَمٍّ

المَرْأةِ المسلمةِ في كثيرٍ مِن بِلادِ المسلمينَ لباساً عارياً تَلْبَسُهُ، وتَنْزلُ إلىٰ الميدَانِ بِأَقْذَر أَسْلِحَتِهَا، أَسْلِحَةِ الإغْـرَاءِ، مـعَ تَعَلُّمِهَا لِتِلْكَ الفُنُون عبْرَ الأفْلام العَارِيَةِ، والقِصَّةِ المَاجِنَةِ، والصُّورِ الفَاتِنَةِ.

خِطَطُ العَدُوِّ وأَهْدَافُهُم

دَخَلَت « المُوضَةُ » إلىٰ البلادِ الإسلاميةِ بِدُخُول الاستِعْمَار الغَرْبيِّ إليهَا، حيثُ كانَت مِن بَيْنِ المُفْسِدَاتِ الَّتي اخْتَرَعَهَا الغَرْبُ، مِن ضِمْـن خِطَّـةٍ مُوَجَّهَـةٍ لِتَدْمِير الشُّعُوبِ بِشَكْلٍ عَامٍّ، وَالشُّعُوب الإسلاميَّة بشَكْلٍ خَاصٍّ، وَقَد كَانَ مِن أَبْـرَزِ بُنُـودِ هَذِهِ الخطَّةِ:

١ ـ إبعادُ المسلمينَ عَن الهَدَفِ الأسَاسيِّ لِوُجُودِهِم، والَّذِي أوْضَحَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ بِقَولِهِ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾. فَاخْتَرَعُوا مِن أجلِ ذَلِكَ الوَسَائِلَ المُتَعَدِّدَةَ الَّتي تَضْمَنُ لَهُم هذا الإبْعَادَ، وكَانَت المُوضَةُ إحْدَىٰ الوَسَائِل الَّتِي شَغَلَت النَّاسَ عَن التَّفكِيرِ في القَضَايَا المَصِيرِيَّةِ الكُبْرَىٰ، وحَوَّلَتْهُم مِن عُبودِيَّةِ اللهِ تعالىٰ إلىٰ عُبُودِيَّةِ المَادَّةِ، وقَد حَذَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن هَذا الأَمْرِ حِينَ قَالَ: « تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَم والقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إنْ أُعطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَم يَرْضَ » . [رواه البخاري]. و« القَطِيفَةُ »: الثَّوبُ الَّذي لَهُ خَمَلٌ.

٢ ـ إحكَامُ السَّيْطَرَةِ عَلىٰ الشُّعُوبِ بِشكْلٍ عَامٍّ، وَعَلىٰ الشُّعُوبِ الإسْلامِيَّةِ بِشَكْلٍ خاصٍّ، إذْ إن في اتِّبَاع المُسْلِمينَ لأزياءِ غَيْرِهِم دَليلُ تَخَلٍّ وَانهِزَام..

فَالأُمَّةُ إذا تَخَلَّت عَن طَابَعِهَا الخَاصِّ طُبِعَت بِطَابع الأُمَّةِ الَّتي قَلَّدَتْهَا وَأخَذَت بِزِيِّهَا، وهَذَا الأَمْرُ أَكَّدَ عَلَيْهِ ابنُ خلدونَ بِقَولِهِ: « إنَّ المَغْلُوبَ يَتَشَبَّهُ بِالغَالِبِ في مَلْبَسِهِ، وَمَرْكَبِهِ، وَسِلاحِهِ في اتِّخَاذِهَا وَأَشْكَالِهَا بَل وفي سَائِرِ أَحْوَالِه ».

٣- اسْتِنْزَافُ أَمْوَالِ النَّاسِ.. فَالثَّوبُ يَتْبَعُهُ الحِذَاءُ، وَتَتْبَعُهُ المُجَوْهَرَاتُ، كَمَا تَتْبَعُهُ زِينَةُ الشَّعْرِ، وَالعُطُور، وَالرَّوائح، وَلَيْتَ الأَمْر يَقْتَصِرُ عَلَى هَذا، بَل إِنَّ هُنَاكَ مُؤَسَّسَاتٌ كبيرةٌ تَعْتَمِدُ عَلَىٰ المُوضَةِ في عَمَلِهَا، كالمُؤَسَّسَاتِ الإعلاميَّةِ الَّتي تُغَطِّي الحَدَثَ، وَتَنْقُل للعَالَمِ أَحْدَثَ أَنْبَاءِ المُوضَةِ، كَمَا تَتَلَقَّىٰ الأَمْوَالَ الهَائِلَةَ نَتِيْجَةَ الإعلاناتِ وَالدِّعَايَاتِ.

٤- فَرض السِّيَادَةِ بِالتَّبَعِيَّةِ المَحْضَةِ مِنَ الشُّعُوبِ.. وَإِنْ لَم تكُن سِيَادَةً عَسْكَرِيَّةً فَإِذا كَانَ لِبَاسُكَ يَخْتَارُهُ غَيرُكَ بَل يَفْرِضُهُ عَلَيْكَ فَلَيْسَ لِهَذِهِ الصُّورَةِ مَعْنَىٰ إلاَّ أَنَّكَ عَبْدُهُ وَهُو سَيِّدُكَ.

صُوَرُ الأَزْيَاءِ وَمَفَاسِدُ نَاشِرِهَا وَفَاعِلِهَا

لا نَقُولُ: إِنَّهُنَّ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، ولكِنَّهُنَّ عَارِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، وَقَلَّ أَنْ نَجِدَ الآنَ دُوراً أو مَجَلاَّت تَعْرِضُهُنَّ بِزِيٍّ مُحْتَشِم، فَمُوضَةُ اللِّبَاسِ في هَذَا الجِيْلِ: العُرِيُ والتَّفَسُّخُ، فَلَم يَعُدْ عَرْضاً لِلّبَاسِ وَلَكِنَّهُ عَرْضٌ للأَجْسَادِ، وَاللُّحُوم الرَّخِيْصَةِ.

وَلَم يَقْتَصِرِ الأمرُ علىٰ ذَلِكَ بَل تَفَاقَمَ حَتَّىٰ إِنَّ أَجْسَادَهُنَّ تُعْرَضُ بِطُرُقٍ دَنِيئَةٍ، وَحركَاتٍ مُهَيِّجَةٍ، وأشْكَالٍ مَمْقُوتَةٍ، تَأْبَاهَا الفِطْرَةُ السَّلِيْمَةُ، وَيَرْفُضُهَا العَقْلُ المُتَّزِنُ، وَيَنْفُرُ مِنهَا الضَّميرُ اليَقِظُ. وإِنَّ لِنَشْرِ مِثْلِ هَذِهِ الصُّوَرِ عَبْرَ وَسَائِلِ الإعْلامِ المُخْتَلِفَةِ مَفَاسِد عَظِيْمَة.. نَذْكُرُ مِن أَهَمِّهَا:

١- المُسَاعَدَةُ عَلَىٰ نَشْرِ العُرِيِ وَالتَّبَرُّجِ، وَهُوَ مِن مَظَاهِرِ نَشْرِ الزِّنَا وَالفَاحِشَةِ، واللهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

٢- نَاشِرُ مِثْلِ هَذِهِ الصُّورِ يُعْتَبَرُ نَاشِراً للرَّذِيلَةِ، وَمُعِيناً للفَسَادِ، وَعَلَيْهِ وِزْرُ كُلِّ مَن فَصَّلَ مِثْلَ لِبَاسهِنَّ، فَلِبَاسُهُنَّ مُخِلٌّ بِلِبَاسِ المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ، وَيَتَعَدَّىٰ حُدُودَ العَوْرَةِ المُحَدَّدَةِ، وَيُنَاقِضُ أَمْرَ اللهِ تَعَالَىٰ بِالتَّسَتُّرِ وَالاحْتِشَامِ، وَبِذَلِكَ يُحْتَضَرُ الحياءُ، ومَن لا حياءَ لَهُ فَلا إِيمَانَ لَهُ، وكَمَا قَالَ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِن كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولىٰ، إِذَا لَم تَسْتَحِ فَاصْنَع مَا شِئْتَ». [أخرجه البخاري].

كذلكَ يُعَدُّ هَذا الأَمْرُ مِن نَشْرِ الضَّلالَةِ، وَقَد قَالَ ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلىٰ ضَلالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِهِم شَيْئاً» [أخرجه مسلم].

٣- نَشْر مِثْل هَذِهِ الصُّور تُضْعِفُ عَقِيْدَةَ الوَلاءِ وَالبَرَاءِ، لإِعْجَابِ المُتَفَرِّجِ والمُتَفَرِّجَةِ، والرَّغْبَةِ في الاقْتِدَاءِ بَصَنِيْعِهِم وَصَنِيْعِهِنَّ في اللِّبَاسِ، والتَّشَبُّه بِهِنَّ وَقَد قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَن تَشَبَّهَ بِقَومٍ فَهُو مِنْهُم» [أخرجه أحمد وأبو داود].

٤- نَشْرُ مِثْل هَذِهِ الصُّور فيهِ دَعْمٌ للغَزْوِ الفِكْرِيِّ الصُّهيونيِّ، وإخفَاءٌ لِمَعَالِمِ المُجْتَمَعِ المُسْلِمِ، وَتَهْمِيشٌ لِدَعَائِمِ الأُسُسِ الدِّينِيَّةِ.

٥- نَشْرُ مِثْل هَذِهِ الصُّوَر يُؤَدِّي إِلىٰ ذَوَبَانِ القِيَمِ، والمَبَادِئِ الإِسْلامِيَّة، أَمَامَ قِيَمِ الغَرْبِ الإِلحَادِيَّةِ بِقَبُولِنَا لَهَا بِهَذِهِ البسَاطَةِ.

٦- قَلَّمَا نَرىٰ مِنَ المَعَاصِي المُنْتَشِرَةِ إِلاَّ وَنَجِد نَشْرَ هَذِهِ الأَزْيَاء وَتَقْلِيْدهَا أَحَد أَسْبَابِ نَمَائِهَا.. فَظَاهِرَةُ الزِّنَا.. وظَاهِرَةُ الإِعْجَابِ.. وَظَاهِرَةُ السِّحَاقِ.. وَظَاهِرَةُ ضَعْفِ الإِيمَانِ.. وَالتَّجَرُّؤ عَلىٰ المَعْصِيَةِ.. وَمَوتُ الحيَاءِ.. وَالتَّهَاون في الحِجَابِ.. والإِسرافُ في اللِّبَاسِ وَحُبِّ لِبَاسِ الشُّهْرَةِ.. وكَثِيرٌ مِنَ المَظَاهِرِ كَانَت مِن أَهَمِّ عَوامِلِ نَمَائِهَا وانْتِشَارِهَا هذِهِ الأَزْيَاءِ.

٧- انْهِزَام الشَّخْصِيَّةِ المُسْلِمَةِ: لَقَد تَلاعَبَ دُعَاةُ الموضَةِ بِالمَرْأَةِ بَل وَبِبَعْضِ

الشَّبَابِ تلاعُباً عَجِيْباً، وَرَأَيْنا في السَّنَواتِ القَلِيْلَةِ المَاضِيَةِ ظُهُورُ أنواع عَدِيْدَةٍ مِنَ المَلابِسِ الفَاضِحَةِ، الَّتي تَحْمِلُ أسْمَاءً مُخْتَلِفَةً منهَا: «الميني، أي: القَصير إلىٰ الحد الأدنىٰ» و«الميكرو، أي: المجهري» و«الهوتبانتس، أي: السِّروال السَّاخِن». و«التوبلس، أي: الصدر العاري» و«البِّيرو، أي: الشَّفَّاف، أو انظر إلىٰ ما تحْتَه»!! وكثيرٌ مِنَ المُوضَاتِ يُخَالِف ذَوْقَ الإنسانِ وَشَخْصِيَّتَهُ، ولا يَتَنَاسَبُ مَع وَقَارِهِ وَاتِّزَانِهِ، ولكِنَّهَا مُوضَةُ العَصْرِ!.

إنَّ العَقْلَ الَّذي تُسَيِّرُهُ الموضَةُ كَيْفَمَا تُريدُ، هُوَ عَقْلٌ فَاقِدٌ للوَعْي وَالإرادَةِ، سَريعُ الانقِيَادِ للمَهَالِكِ، يَسْهُلُ التَّحكُّمُ فيهِ لإبْعَادِهِ عَن القِيَمِ وَالمَبَادِئِ الأَخْلاقِيَّةِ النَّبِيلَةِ، كمَا يَسْهُلُ سَلْخهُ عَن دِيْنِه، وَتَحْوِيلهُ إلىٰ الوِجْهَةِ الَّتي يُرِيدُهَا لَهُ أعداؤُهُ وَأَعداءُ دِيْنِهِ وَأمَّتِهِ، ولا يكُونُ هكَذا عَقْلُ المُسْلِم.

٨- الاحتفاظُ بِمَجَلاَّتِ الأزياءِ الَّتي تَحْمِلُ صُوَراً فَاضِحَةً تَمْنَعُ دُخُولَ المَلائِكَةِ للبيتِ، فَالمَلائِكَةُ لا تَدْخُلُ بَيْتاً فيهِ كَلْبٌ أو صُورَةٌ، وتكُونُ المرأةُ الَّتي تَقْتَنِي مِثْلَ هذِهِ الصُّوَرِ وَالمَجَلاَّتِ قَد حَرَمَت بَيتَهَا مِن دُخُولِ البَرَرَةِ المكَرَّمِينَ، لأجْلِ فَسَقَةٍ مَلْعُونينَ.

٩- هناكَ نَاحِيَةٌ أخرىٰ يَجْنِي بِهَا تُجَّارُ الموضَةِ وَالأزيَاءِ علىٰ مُعْظَمِ النِّسَاءِ، وخَاصَّةً المُرَاهِقَات والشَّابَّات، وَهي جَعْلُ (المِثَال الجَمِيْل) لِجِسْمِ المَرْأةِ هُوَ (جِسْمُ عَارِضَةِ الأزْيَاءِ) وَهُوَ جِسْمٌ نَحِيفٌ مُخِيفٌ في نَحافَتِهِ.

إنَّ هنَاكَ مُرَاهِقَاتٍ وَشَابَّاتٍ في أنْحَاءِ العَالَم يُعَذِّبْنَ أنْفُسَهُنَّ أشَدَّ العَذَابِ، لكَي تَصِلَ الواحِدَةُ مِنْهُنَّ إلىٰ ذَلِكَ الجِسْمِ النَّحيفِ المُخِيْفِ في نَحافَتِهِ، مُعْتَقِدَةً أنَّهُ القُدْوَةُ المُثْلَىٰ وَالمَثَلُ الأعْلَىٰ في الجَمَالِ، وَهُوَ في الوَاقِعِ نَمُوذَجُ القُبحِ والهِزَالِ وَالضَّعْفِ وَمَسْخ الأُنُوثَةِ، وَتَدْمِير الصِّحَّةِ، وَسَلْب المَنَاعَةِ.

نِساءٌ في أنحاءِ الدُّنْيا، وَخَاصَّةً المُراهِقَات، يَتَّبِعْـنَ ريجيمـاً مخيفـاً خَطِـيْراً بَـل مُهْلِكاً، لكي يُفْسِدْنَ أجْسَامَهُنَّ، والوَاحِدَةُ مِنْهُنَّ تَحْسَبُ أنَّها صنعَت أمراً حَسَناً، ومَا دَرَت أنَّها تَقْتُلُ جَمَالَهَا وَتُهْلِكُ صِحَّتَهَا، وَتُفْسِدُ نَضَارَتَهَا، وَتُمْحِـقُ أنُوثَتَـهَا، وَتُعَـذِّبُ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا، وتُحيلُ جَمَالَهَا إلىٰ قُبْح بِنَفْسِهَا وَهِي لا تَشْعُر، فإذَا كَانُوا هُم أنْفُسُـهُم جَنوا ثِمَار الهَلاكِ مِن تَدَنِّي الأحوالِ الصِّحِّيَّةِ، ثمَّ حَرَّضُوا علىٰ عَدَم النَّشْـرِ للعَارِضَـةِ النَّحيلَةِ، وَهَذِهِ إحْدَىٰ مَجلاتِهِم تَنْشُرُ هَذا التَّقْرير:

« قَد تُقَرِّرُ مَجَلاتُ المُوضَةِ النِّسَائِيَّةِ التَّوَقُّف عَن التَّرويج للعَارِضَـاتِ النَّحيـلاتِ المُصَابَاتِ بِفُقْدَان الشَّهيَّةِ بِسَبَبِ هَذِهِ الصُّورَةِ المُدَمِّرَةِ الَّتي تُحَاوِلُ النِّسَاءُ الأُخْرَيَـاتُ تَقْليدَهَا.. وَخِلالَ قِمَّةٍ اسْتِثْنَائِيَّةٍ عُقِدَت في لَنْدَن اتَّفَقَ رُؤسَـاءُ تَحْريـرِ أكْـثَرِ مَجَـلاَّتِ المُوضَةِ انْتِشَاراً عَلَىٰ مُذكرَةِ سُلُوكٍ تَطوعِيَّةٍ تَرْمِي إلىٰ تَقْديمِ صُورَةٍ مُغَايِرَةٍ للمَرْأةِ إلىٰ القَارِئَاتِ.. وعُقِدَ الاجتِمَـاعُ بِرِعَايَـةِ الحكُومَـةِ البريطَانِيَّـةِ، بِسَبَبِ العَـدَدِ المُـتَزَايِدِ للنِّسَاءِ اللَّواتِي يُوَاجِهْنَ مَشَاكِلَ صِحِّيَّةً نَتِيْجَةَ اعْتِمَادِ حميَاتٍ غِذَائِيَّةٍ صَارِمَةٍ.

وقَد قرَّرت مُذَكرَةُ السُّلُوكِ إلغَاءَ صُوَرِ العَارِضَاتِ النَّحيلات، المَمْشُوقَاتِ القَامَـةِ مِن المَجَلاَّتِ النِّسَائِيَّةِ، وكَذلكَ مَنْع أيِّ إعلانَاتٍ للتَّرويج للمَرْأةِ الهَزيلَةِ..

وَسَيَتَوَلَّىٰ مَجْلِسٌ للتَّنْظِيم الذَّاتِيِّ، يَضُمُّ رُؤسَاءَ تَحْريرِ أشْـهَرِ مَجَـلاَّت المُوضَـةِ، وَمُصَوِّرِينَ وَمُصَمِّمي أزيَاء، مُرَاقَبَةَ المَعَايير الجَديْدَةِ للمُوضَةِ.

وتَعْتَبِر (لِيْز جُونز) رَئِيسةُ تَحْريرِ مَجَلَّة « مَاري كْلير » :

أنَّ عَالَم الموضَةِ وَالأزْيَاءِ خَيَّاليٌّ، وأنَّهُ ابْتَعَدَ كثيراً عَن الوَاقع..

* * *

أُخْتَاهُ
أنْتِ الضحيّةُ أخيراً

أُخْتَاهُ أنتِ الضَّحِيَّةُ أخيراً.. فإذا مَا أتاكِ ذلكَ الشَّابُّ لِيُغْوِيَكِ، فإذَا قَبِلْتِ منهُ ذلكَ فقد شَاركتِهِ في الإثم.. وسَيَذْهَبُ هُوَ خَفِيفاً نَظِيفاً..

وتَتَحمَّلينَ أنتِ ثَمَرَةَ الإثم في أحْشَائِكِ..

ولعلَّهُ هوَ يَتُوبُ بعدَهَا فَيَنْسَى المجتَمَعُ حَوْبَتَهُ، ويقبلُ تَوْبَتَهُ.. ويغفرُ ذنبَهُ وزَلَّتَهُ..

وتَتُوبينَ أنتِ فَلا يَقْبَلُ لَكِ المجتمعُ توبةَ أبداً.. مَعَ أنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ يقبلُ التوبةَ عن عبادِهِ، ويَغفِرُ الذُّنُوبَ..

وإذا أرادَ ذلكَ الشَّابُّ الزَّواجَ أعْرَضَ عَنكِ لأنَّكِ تِلْكَ الفتَاة الَّتي أفْسَدَهَا مُتَرَفِّعاً عَنْهَا، ومدَّعياً أنَّهُ لا يَتَزَوَّجُ البنَات الفَاسِدَات، ولسانُ حالِهِ يقُولُ: أميطُوا الأذىٰ عَن الطريقِ؟ فإنَّهُ مِن شُعَبِ الإيمانِ..

وتَقولينَ أنتِ في نفسِكِ: أينَ مَا أخذَهُ علىٰ نَفْسِهِ مِن وُعُودٍ؟ أينَ مَا قَطَعَهُ مِن عُهُودٍ؟! ولكنَّها يَا ابنَتِي الذِّئابُ الَّتي لا تَعْرِفُ الوَفَاءَ أبداً..

* أيُّها البَاكُونَ.. أما أنتُم أيُّها الرَّاثونَ البَاكونَ علىٰ المرأةِ وحقوقِهَا، فإنَّكُم لا ترثُون لها بَل تَرثُونَ لأنْفُسِكُم، وتبكُونَ علىٰ مَا يُحالُ بينكُم وبَيْنَهُ مِن شَهَواتِكُم، هذِّبوا رِجَالكُم قَبْلَ أنْ تُهَذِّبُوا نِسَاءكُم، فَإنْ عَجَزْتُم عَن الرِّجَالِ، فَأنْتُم عَن النِّسَاءِ أعْجَز.

لَقَد عاشَتِ المرأةُ المسلمةُ حقبةً مِن دَهْرِهَا هَادِئَةً مُطْمَئِنَّةً في بَيْتِهَا، راضِيَةً عَن نَفْسِهَا وعَن عَيْشِهَا، تَرَىٰ السَّعَادَةَ كُلَّ السَّعَادَةِ في وَاجِبٍ تُؤَدِّيه لِنَفْسِهَا، أو وقْفَةٍ تَقِفُهَا بينَ يَدَي رَبِّها، أو عَطْفَةٍ تَعْطِفُهَا علىٰ وَلَدِهَا، أو جِلْسَةٍ تَجْلِسُهَا إلىٰ جارتِهَا، تَبُثُّهَا ذَات نَفْسِهَا وتَسْتَبِثُهَا سَرِيْرَةَ قَلْبِهَا، وتَرَىٰ الشَّرَفَ كُلَّ الشَّرَفِ في خُضُوعِهَا لأَبِيْهَا، وائْتِمَارِهَا بِأَمْرِ زَوْجِهَا، ونُزُولِهَا عندَ رِضَاهِمَا، وكانت تَفْهَم مَعْنَىٰ الحبِّ، وتَجْهَل مَعْنَىٰ الغَرَام، فَتُحِب زَوْجَهَا، لأنَّهُ زَوْجُهَا كَمَا تُحِب وَلَدَهَا لأنَّهُ وَلَدُهَا، فإنْ رَأىٰ غيرَهَا مِنَ النِّسَاء أنَّ الحبَّ أساسُ الزَّواج رَأَت هِي أنَّ الزَّواجَ أسَاسُ الحبِّ..

فَقُلْتُم لَهَا: «إنَّ هَؤلاءِ الَّذينَ يَسْتَبِدُّونَ بِأَمْرِك مِن أهْلِك لَيسُوا بِأَوْفَرَ مِنْكِ عَقْلاً ولا أَفْضَل رأياً ولا أَقْدَرَ علىٰ النَّظَر لكِ مِنَ النَّظَرِ لِنَفْسِك، فَلا حَقَّ لَهُم في هَذَا السُّلْطَان الَّذي يَزْعُمُونَهُ لأَنْفُسِهِم عَلَيْكِ». فَازْدَرَت أبَاهَا، وتَمَرَّدت علىٰ زَوْجِهَا، وأَصْبَحَ البيتُ الَّذي كانَ بالأمسِ عُرْساً مِنَ الأَعْراسِ الضَّاحِكَةِ، مَنَاحَةً قائمةً لا تَهْدَأ نارُها، ولا يَخْبُو أوارُها.

قُلْتُم لَهَا: «لا بُدَّ لكِ أنْ تَخْتَارِي زَوْجَكِ بِنَفْسِك، حتَّىٰ لا يَخْدَعُكِ أهلُكِ عن سعَادَةِ مُسْتَقْبَلك» فاخْتَارَت لِنَفْسِهَا أسوأ ممَّا اختَارَ لها أهلُها، فَلَم يَزِد عُمْر سعَادَتِهَا عَن يَوْم ولَيلَةٍ، ثمَّ الشَّقَاءُ الطويلُ بَعْدَ ذَلِكَ والعَذَاب الأليمُ..

قُلْتُم لها: «إنَّ الحبَّ أساسُ الزَّواج» فما زَالت تُقَلِّبُ عينَيْهَا في وُجُوهِ الرِّجَال مُصعدَةً مُصَوِّبَةً حتَّىٰ شَغَلَهَا الحبُّ عَن الزَّواج فَغَنِيَت بِهِ عَنْهُ..

قُلْتُم لَهَا: «إنَّ سَعَادَةَ المرأةِ في حَيَاتِهَا أنْ يكُونَ زَوْجُها عَشِيْقَهَا» ومَا كَانَت تَعْرفُ إلاَّ أنَّ الزَّوجَ غَيْر العَشِيْق، فَأَصْبَحت تَبْغِي كلَّ يوم زَوْجاً جَدِيْداً يُحْيِي مِن لَوْعَةِ الحبِّ مَا أَمَاتَ الزَّوجُ القديمُ، فلا قَدِيْماً اسْتَبْقَت، ولا جَدِيْداً أَفَادَت..

قُلْتُم لَهَا: «لا بدَّ أنْ تَتَعلَّمِي لِتُحْسني تَرْبيةَ وَلَدك، والقِيَام عَلىٰ شُؤون بَيْتِك، فَتَعلَّمَت كلَّ شَيء إلاَّ تَرْبيَةَ وَلَدِهَا وَالقِيَام عَلىٰ شُؤُون بَيْتِهَا».

قُلْتُم لَهَا: «نَحْنُ لا نَتَزوَّج مِنَ النِّسَاءِ إلاَّ مَن نُحِبُّها ونَرْضَاهَا ويُلائم ذَوْقُهَا ذَوْقَنَا وَشُعُورُهَا شُعُورَنَا» فَرَأَت أنَّه لا بدَّ لهَا أنْ تَعْرفَ مَواقِعَ أهْوائِكُم ومَبَاهِجَ أنْظَارِكُم لِتَتَجمَّلَ لكُم بِمَا تُحِبُّونَ، فَرَاجَعَت فِهْرِسَ حَيَاتِكُم صَفْحَةً صَفْحَةً فَلَم تَرَ فيهِ غَيْرَ أسماءِ الخَليعَاتِ المُسْتَهْتِرَات وَالضَّاحِكَات اللاَّعبَاتِ، والإعجَاب بِهِنَّ والثَّنَاء عَلَيْهِنَّ، فَتَخَلَّعت وَاسْتَهْتَرَت لِتَكْسَبَ رِضَاكُم وَتَنْزِلَ عِنْدَ مَحَبَّتِكُم، فَأعْرَضْتُم عَنْهَا وَنَبَوْتُم، فَرَجَعَت أدْرَاجَهَا خَائِبَةً منْكَسِرَةً وقَد أبَاهَا الرَّفِيعُ وترفَّعَ عنها المُحْتَشِمُ.

فَهَل تَوَدُّونَ أنْ تَتَحَوَّل المرأةُ المسلِمَةُ إلىٰ هَذِهِ الصُّورَة السَّاقِطَةِ بَعْدَ تِلْكَ الحيَاةِ العَفِيْفَةِ المُطْمَئِنَّةِ الكريمة؟؟!. نَسْألُ اللهَ تَعَالىٰ أنْ يُصْلِحَ أحْوَالَنَا، وأنْ يَسْتُرَ عُيوبَنَا.

* * *

أُخْتَاهُ قبلَ الخِتَامِ

أُخْتَاهُ. هَذا نِدائي إليكِ.. نِدَائِي إلىٰ نَفْسِي.. نِدَائِـي إلىٰ مَـن هِـيَ ضِلْـعٌ مِـن أضْلاعِي وقِطْعَةٌ مِن فُؤَادي..

أُخْتَاهُ كلُّنَا يُذْنِبُ وكُلُّنَا يُخطِئ، لكِن مَن يَتُوب ويَسْتَغْفِر اللهَ ويَنْدَمُ علىٰ فِعْلَتِهِ، ويُعَاهِدُ اللهَ أنْ لا يَعُودَ لِتِلْكَ المَعْصِيَةِ أبداً..؟

قالَ تَعَالىٰ: ﴿إِلاَّ مَـنْ تَـابَ وَآمَـنَ وَعَمِـلَ صَالِحـاً فَـأُولَئِكَ يَدْخُلُـونَ الْجَنَّـةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئاً﴾ [مريم:٦٠].

أُخْتَاهُ تُوبي إلىٰ اللهِ وآمِني إنَّكِ ستلاقيه، وأعْمَلِي أعْمَـالاً صَالِحَـةً، فَـإنَّ العَمَـلَ الصَّالحَ يكفِّرُ الذَّنْبَ قالَ تَعالىٰ: ﴿وَأَقِـمِ الصَّـلاةَ طَرَفَـيِ النَّـهَارِ وَزُلَفـاً مِـنَ اللَّيْـلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

أُخْتَاهُ لا تَيْئسِي مَهْمَا كَانَت ذُنُوبُكِ الَّتي اقْتَرفْتِيهَا عَظِيْمَة.. مَا دُمْتِ أنَّكِ نَدِمْـتِ عَلَيْهَا وتُرِيدِيْنَ الخَلاصَ مِنْهَا فَبَـابُ التَّوبَـةِ مَفْتُوحٌ لا يُغلَـقُ إلىٰ يـومِ القيامـةِ، وَاللهُ تَعالىٰ يَتَنَزَّلُ في الثُلُثِ الآخر كُلَّ لَيْلَةٍ وَيَقُولُ: هَل مِن دَاعٍ فَاسْتَجيبَ لَـهُ.. هَـل مِـن مُسْتَغْفِرٍ فَاغْفِرَ لَهُ.. ويقولُ تعالىٰ أيضاً: « يَا عِبَادِي إنَّكُـمْ تُخْطِئُـونَ بِـاللَّيْلِ وَالنَّـهَارِ، وَأَنَا أغْفِرُ الذُّنُوبَ جَميعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي أغْفِرْ لَكُمْ ».

ويقولُ تعالىٰ أيضاً: « مَن عَمِلَ حَسَنَةً، فَلَهُ عَشْـرُ أمْثَالِـهَا، أوْ أزِيـدُ، وَمَـن عَمِـلَ سَيِّئَةً فَجَزَاؤُهَا مِثْلُهَا، أوْ أغْفِرُ، وَمَن عَمِلَ قُرابَ الأَرْضِ خَطِيْئَةً، ثُمَّ لَقِيَنِـي لا يُشْـرِكُ بِي شَيْئاً جَعَلْتُ لَهُ مِثْلَهَا مَغْفِرَةً، وَمَنِ اقْـتَرَبَ إلَيَّ شِبْراً، اقتَرَبتُ إلَيْـهِ ذِرَاعـاً، وَمَـنِ اقْتَرَبَ إليَّ ذِرَاعاً، اقتَرَبتُ إلَيْهِ بَاعاً، وَمَن أتَانِي يَمْشِي، أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ».

أُخْتَاهُ لا تَيْئسِي، ولا يَحطِمَنَّكِ الشَّيطَانُ، فَالشَّيْطَانُ أَغْيَظُ مَا يغِيظُهُ أنْ يَرىٰ الفَتَاةَ قَد عَادَت إلىٰ اللهِ تعالىٰ، فَيَجلِس لَهَا في كُلِّ طَرِيقٍ، يُهَوِّنُ عَلَيْهَا المَعْصِيَةَ وَيُزَيِّنُهَا لَهَا وَيُيَئِّسهَا مِن رَحْمَةِ اللهِ تَعَالىٰ، وَيُوهِمهَا أنَّ التَّوبَةَ تَأتي بَعْدَ أن تصبحَ عجوزاً، فيوسوس لها ويقولُ: عندمَا تكبرينَ تَتُوبينَ، وتقولُ هيَ: عِندَما أتزَوَّجُ أتُوب.. فرُبَّما يَأتِي اليومُ الَّذِي يَعْجَزُ فيهِ لِسَانُكِ عَن الاستِغفَار والتَّوبَةِ، لأنَّكِ لَم تَتَعَوَّدِي عَلىٰ ذلكَ بِكُلِّ صِدْقٍ وَنَدَم وَبكَاءٍ عَلىٰ مَا سَلَفَ.

لا.. وألفُ لا.. قُوليهَا.. اصْرَخِي بِوَجْهِ الشَّيطَان وَبِكُلِّ قُوَّةٍ.. قُوليهَا.. لا لَن أعُودَ إلىٰ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوب.. قُوليهَا لا تَتَرَدَّدِي لا تَتَأَخَّري.. الآنَ اقْطَعِي عَلىٰ الشَّيْطَان كُلَّ طَرِيقٍ.. إنَّ كَيْدَ الشَّيطانِ كَانَ ضَعِيْفَاً.. نَعَم إنَّهُ ضَعِيفٌ وأنتِ الأقوىٰ.. حِينَمَا يَسْمَعُ صَرْخَةً في وَجْهِهِ، تَقُولُ لَهُ لا وَألفُ لا..

أُخْتَاهُ أدعُوكِ مرَّةً أخرىٰ وَنَفْسِي المُخْطِئَةَ إلىٰ اللهِ.. إلىٰ غَافِرِ الذَّنْبِ قَابِل التَّوبِ شَدِيْدِ العِقَاب.. تُوبِي إلىٰ اللهِ مِن كُلِّ ذُنُوبِك، تُوبِي مِنَ المُحَادَثَاتِ عبْرَ الشَّاتِ، وَاْعْلَمِي أنَّ طَرِيقَهُ إلىٰ الغِوَايَةِ وَضَيَاعِ الشَّرَفِ، وَقَبْلَ ذلكَ ضياع الدِّين وَالعِرْض.

نَعَم أخَيَّتِي لا تَتَرَدَّدِي وَلا يُوهِمَنَّكِ الشَّيطانُ.. فكَم مِن بُيُوتٍ شَرِيفَةٍ ضَاعَ شَرَفُهَا وَمُرِّغَت كَرَامَتُهَا بِسَبَبِ غَفْلَةِ فَتَاتِهَا وَانْسِيَاقِهَا رُوَيداً رُوَيداً نَحْوَ الهَوىٰ والشَّيطان.. بَدَأت بِمُحَادَثَةٍ عبْرَ الشَّاتِ وَتَحَوَّلَت إلىٰ غَرَام ثُمَّ هيَام ثُمَّ مكَالَمَاتٍ هَاتِفِيَّةٍ فَمَوْعِدٌ فَلِقَاءٌ... فَـ.. هلاكٌ فَضَيَاعٌ..

* * *

الفهرس

الإهداءُ........................ ٥
أُمْنِيَةٌ........................ ٦
مقدِّمةٌ........................ ٧
رأيُ الإسلام في الحُبِّ........................ ١٥
غايةُ الحبِّ النِّكَاح (الزَّواج)........................ ٢٠
دواءُ الحبِّ........................ ٢٢
عيدُ الحبِّ (فالنتين)........................ ٢٨
قصَّةُ عيدِ الحبِّ........................ ٢٩
علاقَةُ القِدِّيس (فَالنتين) بِعِيْدِ الحُبِّ. ٣٠
مِن أهمِّ الشعائر في هذا العِيْد........................ ٣٢
مَوقِفُ الإسلام مِن عِيْدِ الحُبِّ........................ ٤٠
كَلِمَةٌ في العِشْق........................ ٤٥
البنَاتُ والحُبّ........................ ٤٩
ستَار أكَادِيْمِي........................ ٦٦
الأهْدَاف مِن ورَاءِ هَذِهِ البَرَامج........................ ٦٧
إسرائيلُ وَفَضِيْحَة ستَار أكَادِيْمِي........................ ٧٣
حُكْمُ هَذِهِ البَرَامج........................ ٧٥
العِلاجُ والحَلُّ........................ ٧٥
رسَالَةٌ خَطِيْرَةٌ مِن فَتَاة........................ ٧٧
فَتَاةٌ صغيرةٌ تَصْرُخُ زَوِّجُوني........................ ٨٠
خَطَرُ المَوَاقِع الإبَاحِيَّة........................ ٨٢
ما هِي شَبَكَةُ الإنْتَرنت........................ ٨٤
انْتِقَالُ الدَّاءِ إلى الإنترنت........................ ٨٤
اسةٌ........................ ٨٨
مِدْ حَيَّة........................ ٩٠
عواقِبُ الإبَاحِيَّة........................ ٩٥
تصديرُ الإباحِيَّةِ بِدَعْوىٰ الحُرِّيَةِ........................ ١٠٠
فضَائحُ الاخْتِلاطِ وَالتَّحَرُّر........................ ١٠١
ضَحَايَا الاغْتِصَاب........................ ١٠٣
شكوكٌ إحصَائيَّةٌ........................ ١٠٥
لا إحصاءات عَن الأطفَال........................ ١٠٧
الفارسُ المزعُومُ........................ ١٠٩
نساءٌ عَصْرِيَّات........................ ١١١
أجْمَلُ النِّسَاءِ........................ ١١٤
الفرقُ بينَ النِّسَاء في الشَّرق والغَرب ١١٨
المَرْأة في بِلادِكُم مَلِكَة........................ ١٢٢
مَا لنا وللغَرْب........................ ١٢٤
احذري يا عروسَة العُنُوسَة........................ ١٢٦
أسبابُ العنوسَةِ الخاصَّة بِالفَتَاة........................ ١٢٧
أسبابُ العنوسَةِ الخاصَّة بالآباء........................ ١٣٣
أسبابُ العنوسَةِ الخاصَّة بِالأسْرَة........................ ١٣٨
أضرارُ العنوسَة........................ ١٤١

قصص مؤلمة من الواقع

أبي حطَّمتني وأتيت تبكي........................ ١٤٥
شريطُ الفيديو الذي دَمَّرَ حيَاتي........................ ١٤٨
ذكرياتُ عَجُوز........................ ١٥٣
وكان الشَّيطانُ رابعنا........................ ١٥٧
كوخُ الأحزانِ........................ ١٥٩
الحسناءُ الَّتي دَمَّرت حيَاتي........................ ١٦٥
الضَّحيَّةُ والقَاضي........................ ١٧١

اللّيموزين وَالمَرْأةُ وَأنا ١٧٥
الدّش الذي دمَّر حياتي ١٩٢
الدّشُ المشؤوم ١٩٩
المكالمة الهاتفية التي غيرت حياتي. ٢٠٤
ماذا يحدث في الصالونات ٢١٩
القصة الأولىٰ ٢١٩
القصة الثانية ٢٢١
القصَّةُ الثالثة ٢٢٢
القصَّةُ الرابعةُ ٢٢٣
من ضحايا الإنترنت ٢٢٤
مغامرات مراهقةٍ ٢٣٤
موعدٌ في الشاليه ٢٣٧
المعلمةُ والتلميذةُ ٢٤٠
الأملُ المفقود ٢٤٥
واحدةٌ بواحدةٍ ٢٤٧
فرخُ البط عوَّامٌ ٢٤٩
قبل أن يقَعَ الفأسُ بالرأسِ ٢٥١
هاربةٌ إلىٰ المجهول ٢٥٤
أينَ الغيرةُ ٢٦٠
الوقايةُ خيرٌ من العلاجِ ٢٦٢
احذري الهاتف ٢٦٨

قسم الرّسائل

رسالةٌ في ليلة زفافٍ ٢٧٤
حياة الاستهتار واللهوِ ٢٧٦
التّائهةُ ٢٧٧
إنّني نادمةٌ ٢٧٩
أنقذوني يا رجالَ الدِّينِ ٢٨١
فتاةُ المستجر ٢٨٥
فتنة الإعجابِ ٢٩٠
رسالةٌ من متزوِّجة ٢٩٢
الخلوةُ بالمخطوبة ٢٩٦
الخلوة بالمعقودِ عليها ٢٩٨
حوارٌ في المنام بين الأب وابنته ٣٠١
من حصادِ الرَّذيلةِ ٣٠٣
أمراضٌ جنسيَّةٌ أخرىٰ ٣٠٥
السَّيلانُ ٣٠٦
مرضُ الزُّهري ٣٠٧
الهربز ٣٠٩
الإيدز ٣١٠
أمراضٌ جنسيَّةٌ مختلفةٌ ٣١١
قصةٌ للعبرةِ ٣١٢
من بريتوريا إلىٰ واشنطن ٣١٣
من ثمراتِ العفّةِ ٣١٦
اشهدوا أنّي قد زوَّجتُهُ ابنتي ٣٢١
حكايةُ إيمان ٣٢٤
مرضٌ يُصيبُ المرأةَ المُتبرِّجَةَ ٣٢٧
فتنةُ الأزياء والموضة ٣٢٩
بدايةُ فِتْنَة الأزياء ٣٣٠
مَن وراء الفتنةِ ٣٣١
خططُ العدوِّ وأهدافُهُم ٣٣٣
صور الأزياء ومفاسدُ نَشْرِهَا ٣٣٤
أختاهُ أنتِ الضَّحيَّةُ أخيراً ٣٣٨
أختاهُ قبلَ الختامِ ٣٤١
الفهرس ٣٤٣

معاً لنشر الفضيلة .. وهدم الرذيلة

ضحايا الحب

كتابٌ يحكي مآسي فتياتٍ كُنّ ضحايا نزوةٍ عابرةٍ وشهوةٍ عارمةٍ - وكلمةٍ من ذئبٍ بشريٍ كاذبة أو نظرةٍ فاتنة - أو مكالمةٍ هاتفيةٍ خادعة - لكن لم تُدرك الواحدةُ منهنّ نفسها إلاّ بعد فواتِ الأوان - فكتبتْ قصّتها بمِدادٍ من دمِها ونهرٍ جارٍ من دمعِها - علّها تُنقِذُ بتلك الكلماتِ فتاةً أرادت السّيرَ على نهجِها، وخطّت قدماها دربَها لتقولَ لها: أُختاهُ أُختاهُ احذري الذّئاب فإنّها لا تعرفُ الوفاء - إنّهم يُريدونَ هتكَ عِرضكِ الذي زهدتِ فيهِ - وأصبحتِ تَعرضينه في الشّوارع والأسواق - إنّهم يُريدونَ أن تكوني كالسّلةِ التي يَضعُونَ فيها الأوساخَ والأقذارَ فإيّاكِ يا أُختاهُ أن تكوني مِثلي غَبيّةً حمقاء -

المؤلف